# في نظرية الترجمة:
# اتجاهات معاصرة

**لجنة اللسانيات والمعاجم**

بسام بركة (منسقاً)
حسن حمزة
علي أزرياح
الطيب البكوش
سامي عطرجي
سعد مصلوح

المنظمة العربية للترجمة

إدوين غينتسلر

# في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة

ترجمة

د. سعد عبد العزيز مصلوح

مراجعة

د. محمد بدوي

الفهرسة أثناء النشر - إعداد المنظمة العربية للترجمة
غينتسلر، إدوين
في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة/ إدوين غينتسلر؛ ترجمة سعد عبد العزيز مصلوح؛ مراجعة محمد بدوي.
559 ص. - (اللسانيات والمعاجم)
ببليوغرافية: ص 509 - 541.
يشتمل على فهرس.
ISBN 978-9953-0-0961-2
1. الترجمة. 2. الترجمة - أبحاث. 3. الترجمة - فلسفة ونظريات. أ. العنوان. ب. مصلوح، سعد عبد العزيز (مترجم). ج. بدوي، محمد (مُراجع). د. السلسلة.
418.02

«الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبّر بالضرورة
عن اتجاهات تتبناها المنظمة العربية للترجمة»

Gentzler, Edwin
*Contemporary Translation Theories*,
Revised 2nd Edition
© Multilingual Matters LTD, Clevedon, UK, 2001
**جميع حقوق الترجمة العربية والنشر محفوظة حصراً لـ:**

**المنظمة العربية للترجمة**
بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: 5996 - 113
الحمراء - بيروت 2090 1103 - لبنان
هاتف: 753031 (9611) / فاكس: 753032 (9611)
e-mail: info@aot.org.lb - http://www.aot.org.lb

توزيع: **مركز دراسات الوحدة العربية**
بناية «بيت النهضة»، شارع البصرة، ص. ب: 6001 - 113
الحمراء - بيروت 2407 2034 - لبنان
تلفون: 750084 - 750085 - 750086 (9611)
برقياً: «مرعربي» - بيروت / فاكس: 750088 (9611)
e-mail: info@caus.org.lb - Web Site: http://www.caus.org.lb

**الطبعة الأولى**: بيروت، حزيران (يونيو) 2007

# المحتويات

# مقدمة المترجم

لست أدري أكانت مغامرة ممتعة أم تَبِعةً مرهقة، إذ قبلت الإقدام على ترجمة هذا الكتاب؟ والحق أن كلا الأمرين كان؛ فليس من اليسير أن يتصدى المرء لترجمة كتاب عنوانه: **في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة،** وإن الذي يقوم هذا المقام لا يمكن أن يمارس فعل الترجمة ملتبساً بحالة من الحياد المطلق تجاه النص، ولكنه فاعل منفعل، يتنازعه انتماؤه الأكاديمي، وتوجهاته المعرفية، وخبرته العملية، ثم إنه يرى رأي العين كيف ينعكس أثر المقروء من فَوْرِه على ما يكتب في لحظة الإنجاز، ويتأمّل ضروب المكافئات، والعمل في البدائل بالاستبقاء والإقصاء، ومن ثَمّ توضع النظريات والأفكار مقروءةً، في موضع السبر والاختبار والتأمّل، في كل ما يخطه القلم مترجَماً حالاً بعد حال.

ولقد صَفَحْتُ الكتاب صفحاً، ثم قرأته على مُكْث، فوجدته كتاباً يحوي من وجوه المزية ما يعزّ اجتماعه في كثير من الكتب، ولست أريد ـ في هذه المقدمة ـ أن أنزع إلى ثناء أو إطراء؛ فما أَبْعد ذلك من الأعراف العلمية ومما أريد، بل إني لا أتردد في التصريح بأن لي في بعض ما حواه مذهباً غير مذهب مؤلفه، وأخص بالذكر موقفه المتحمس من الرؤى التقويضية إجمالاً، ومما يتصل بعطائها للترجمة خاصة. ولقد نصّ المؤلف على وجود فجوة فاصلة ما بين

هذه الرؤى والتوجه اللساني، وإنه في ذلك لَمُحقّ، وأزيد على ذلك أن هذه الفجوة متسعة أيضاً بينها وبين بعض التوجهات النقدية التي استفزها التطرف التقويضي، وحسبي أن أشير في هذا المقام إلى كتابين مهمين، هما: كتاب **ضد التقويضية** (*Against Deconstruction*) (1989) الذي وضعه جون م. إيليس (John M. Ellis) وكتاب مايكل فيشر (Michael Fischer) الذي صدر بعنوان **هل ثمة أهمية للتقويض؟** (*Does Deconstruction Make Difference?*) (1985)، فإن قارئ الكتابين ينكشف له من أوجه الوهن وضعف الاستدلال، وخداع المناورة ما يحمل على التلبث في قبول كثير من دعاوى التقويضية وأطروحاتها.

غير أن ذلك التباين ربما يعلي من قيمة كتابنا هذا؛ إذ هو كتاب يقتحم صاحبه بقوة واقتدار حومة الحجاج بين التوجهات والنزعات المتجادلة. ولما كانت مهمة المترجم ـ في ما أحسب ـ محدودة في هذا المقام بدور الوساطة المبينة والأمينة والفاعلة بين مؤلف بلغةٍ وقارئ بأخرى، يلتمس بقراءته تعرّف محتوى الكتاب وفحواه على ما أراده مؤلفه ـ كان لزاماً على المترجم أن يرجئ القول في مسائل الخلاف إلى عمل قائم برأسه، وأن يخلي هذه المقدمة من أي وجهة نظر خاصة تحول دون بلوغ الغاية من الترجمة وتحصيلها على الوجه المراد، كما أن جلاء وجوه المزية في الكتاب هو دليل القارئ إلى وجوه الانتفاع به في ثقافتنا العربية التي هي أحوج ما تكون إلى مثل هذه الأعمال الجادة الرصينة.

من المتعارف المشهور أن الترجمة إلى العربية في مجالات العلوم المنضبطة تواجه من المشكلات ما يجهد الدارسين في التماس الحلول؛ فضبط التعريفات، وحدّ التصورات، وإحكام المنهجية المصطلحية ومعايير التوحيد والتقييس؛ كل ذلك لا يزال من

المطالب الملحّة في ترجمة المصنفات الرياضية والفيزيائية والطبية على سبيل المثال. ومن هذا الأمر الذي هو ثابت بيقين في حق الترجمات العلمية المنضبطة، يمكن أن نتعرف على وعورة المسالك التي تواجه الترجمة الأدبية، حيث تتداخل الثقافات والأنساق، واختلاف البنى النحوية والمخزون المعجمي للغات؛ فتبرز بذلك خطورة ضبط الاستراتيجيات، ومواجهة الثنائيات المشهورة في هذا المقام بين لغة المصدر واللغة المستهدفة، وبين ثقافة المنشأ وثقافة التلقي، وبين الأمانة والحرية، ثم التماس الحلول وحسم الخيارات بين أنواع المكافآت، شكليةً وديناميكيةً ووظيفيةً ومقاميةً، أو اطِّراح هذه الثنائيات جملة، وكل ذلك مما لا يتيسر القطع فيه بقول فصل؛ فهو ميدان واسع للمواجهات المعرفية الخصبة.

على أن مشكلة الترجمة الأدبية لا تقف عند حدود تجلياتها الظاهرة في ما تُقدِّمه على خطورتها، وإنما تستثير أسئلة معرفية ذات خطر عن ماهية اللغة وطبيعة المعنى، وعلاقة الكلمات بالأشياء، وحل مغاليق ذلك الصندوق الأسود الذي هو العقل البشري، وعلاقته بالوجود وبما قبل الوجود. وهكذا يتعالق المشكل الفلسفي والأنطولوجي واللساني والمعرفي، وتصب هذه الروافد الهادرة جميعها في مجرى الترجمة الأدبية، فتنشأ النظريات والنزعات؛ ليفيد بعضها من بعض، ويقطع بعضها على بعض، وليشكِّل ذلك كله آخر الأمر رصيداً حيّاً لما نسميه نظرية الترجمة.

في هذا المرتقى الصعب يتقدم إدوين غينتسلر ليقدم مسحاً تاريخياً ونقدياً مستوعباً لما شهده مجال التأمل النظري لمشكل الترجمة الأدبية منذ الربع الأخير من القرن العشرين، وهي ـ وإن كانت حقبة ليست بالطويلة في عمر تطور العلوم ـ قد شهدت زَخْماً هائلاً وتنوعاً كبيراً في المقاربات والنظريات، واسترفد ذلك كلُّه ما

يعيشه عالمنا المعاصر من أحداث وتغييرات سياسية واجتماعية كبرى، أعادت تشكيل العلاقات بين الأمم والثقافات، وخالفت بين موازين القوى، وعززت من دور المصالح الاقتصادية للقوى الكبرى على الساحة الثقافية، كما استنفرت روح المقاومة، وتأكيد الهوية لدى الأطراف الأخرى.

في هذا الزحام النظري يقع اختيار غينتسلر على خمس من المقاربات رأى فيها أبرز معالم الصورة؛ ليناقش من خلالها الوضع التنظيري في مجال الترجمة؛ ذلك أنه لم يجعل من مقاصده أن يزوّد قارئه بمسح كمي يستوعب كل النظريات، ولم يشأ المؤلف أن يُضِيع الممكن في طلب ما هو محال أو عصيّ على التحقيق، فرصد في هذا الحيّز المعقول الإرهاصات والبدايات في ورشة الترجمة الأمريكية منذ أوائل الستينات، عاقداً الصلة بينها وبين ورشة القراءة التي رادها آي. أ. ريتشاردز، وتشكلت من خلالها معالم نظرية النقد الجديد (New Criticism) التي هيمنت على الممارسة النقدية في أمريكا الشمالية لعقدين من الزمن، وكان الجامع بين الورشتين هو طلب الترجمة «الصحيحة» التي هي المعادل لـ «القراءة الفاحصة».

ويتتبع غينتسلر رحلة تحرير الترجمة الأدبية في أمريكا الشمالية من المفاهيم التي أخذت بخناقها، مستعرضاً جهود أعلام كان لهم إسهامهم المشهود في تحقيق هذه الغاية، وفي مقدمتهم عزرا باوند وفريدريك ويل ولورنس فينوتي، حيث يتجلى اختلاف وجهة الترجمة من طلب ما هو «صحيح» و«دقيق»، إلى الكشف عن «طاقة اللغة» و«تفاصيلها المضيئة»، و«استنطاق الصوت الصامت والحبيس» وراء ظاهر النصوص، والكشف عن الصلة الرهيفة والعميقة بين الألسنة المختلفة التي ينطق بها البشر. ولعل ما يدعو إلى الإعجاب في ما

عالجه المؤلف لما تقدم من قضايا هو القدرة على الربط الجيد في تحليله بين تطور التنظير في مجال الترجمة، ومجمل الأوضاع السياسية والاقتصادية في المجتمع الأمريكي، ورصد الاتجاهات المعاندة وردود الأفعال المتحدية لما هو مهيمن على المؤسسة التربوية، وكذلك كشفه عن الخبيء في مشروع ريتشاردز، وأيلولته إلى نقيض ما دعا إليه في جدل ينم على بصيرة نقدية نافذة.

وقارئ الكتاب لن يفتقد هذه البصيرة في عرض المؤلف لمشروع إيوجين نايدا الذي أقامه على أساس لساني؛ طامحاً إلى تحويل الترجمة الأدبية إلى علم منضبط. وبقطع النظر عن تنازع الأولوية بين نايدا وتشومسكي حول ثنائية البنية الباطنة والبنية الظاهرة، يكشف غينتسلر عن تباين المفهوم لدى كل منهما، وعن محاولة نايدا تطويع المفهوم لنظريته على نحو أخطأه التوفيق، وكيف أن المشروع التبشيري بقي مضمراً في البنية النظرية التي اقترحها، وينتهي المؤلف إلى أن نايدا يقدم طرازاً ممتازاً للترجمة، يدعو فيه إلى التضحية بالمكافئ الشكلي لحساب المكافئ الديناميكي، ولكنه طراز يعكس منهجية تصلح للقائمين بالترجمة في مجال الدعاية والإعلان، أو القائمين على خدمة عقيدة دينية ما، وهو من ثَمّ يخفق في تقديم قاعدة لما تراه الثقافة الغربية جديراً بوصف «العلم».

ويتتبع غينتسلر بالعرض الناقد الصيغ «العلمية» ـ أو إن شئت فقل «ذات القناع العلمي» ـ التي استندت إلى صيغة نايدا وعملت على تطويرها في ألمانيا والبلاد الناطقة بالألمانية، كما تمثلت في مشروع فولفرام فيلس أو في المقاربة الوظيفية التي تحمست لها مدرسة ليبتسغ، وهو ـ وإن كان ينكر على هذه الصيغ جدارتها بصفة «العلم» ـ نراه يرصد ما تُدْخِله من عناصر إيجابية في تشكيل ملامح نظرية الترجمة، إذ تتحرر الترجمة على يديها شيئاً فشيئاً من القبضة

الخانقة التي تصنفها تصنيفاً ثنائياً صارماً إلى ترجمة أمينة وأخرى حرة، وكيف أن مهمة تحقيق وظيفة النص المترجَم - التي هي إحداث تأثير في الثقافة المستهدفة، مماثل لما أحدثه النص الأصلي في ثقافة المنشأ - قد صار له اليد العليا في صياغة نظرية الترجمة. كذلك يُسجِل لهذه الاتجاهات توسعها في البحث الاختباري الإمبريقي، وإدخالها تقنيات تعمل على فحص العمليات الذهنية المصاحبة لفعل الترجمة، سواء عن طريق بروتوكولات «التحدث جهراً» بين القائمين على ترجمة نص واحد في أثناء الممارسة، أو بروتوكول «الحوار الثنائي» الذي يوفر جواً طبيعياً كاشفاً عما يقف وراء قرارات المترجم من عوامل. ويلخص المؤلف أهم مظاهر التحول في ما طرأ من تطور على نظرية الترجمة في العقدين الأخيرين من القرن العشرين في مظهرين:

**الأول**: اطِّراح النظريات الموجهة إلى النص - المصدر، والتحول منها إلى النظريات الموجهة للنص المستهدف.

و**الثاني**: التحول إلى استيعاب العوامل الثقافية وإعلاء قيمة الغايات الاتصالية والعملية من الترجمة بما يحقق المقاصد المنوطة بها.

وقد هيأت هذه النقلة الدراسات الترجمية للدخول في طور حاسم بعد أن اعتمد الباحثون في السبعينات غالباً تقنية الإقصاء؛ «فقام المترجمون الأدباء بإقصاء التحليل اللساني العلمي، وقام اللسانيون بإقصاء التحليل الأدبي غير العلمي». هكذا تشكلت في هولندا وبلجيكا ملامح اتجاه ينزع إلى التخلص من عبء هذا الاستقطاب، وكان أن قام جيمس هولمز بِسكِّ مصطلح «الدراسات الترجمية» (Translation Studies) ليكون علماً على مقاربة لا تنتمي إلى أي من المعسكرين، معلناً بذلك المرحلة التي أطلق عليها غينتسلر اسم «بواكير الدراسة الترجمية».

ويبرز غينتسلر العوامل الثقافية والاجتماعية والجغرافية التي جعلت من الأراضي المنخفضة موطناً ملائماً لقيام هذه المقاربة، ولتوثيق روابط الحلف النظري بين التشيك والسلوفاك، ملتمساً ذلك في ما يَمُتَّان به من وشائج للشكلانية الروسية؛ فلقد مارست الشكلانية الروسية نفوذاً مؤثراً على نظرية الترجمة، حتى بعد انقسامها على نفسها وانشعابها على يد تينيانوف وإيخينباوم وجاكوبسون، بل ربما كان ذلك بسبب من هذا الانشعاب. وهكذا فتح هذا التحول الطريق لدخول مفاهيم «الأدبية» (Literariness) والوظيفة الشعرية (Poetic Function) والتعجيب (Defamiliarization) أو نفي الآلية (Deautomization) لتصبح مكوّنات أساسية في تشكيل نظرية الترجمة، وكذلك كانت الحال مع جدلية التاريخية واللاتاريخية، وما جرى من اختلاف الشكلانيين حولها. وتبرز في هذه المرحلة أسماء أعلام آخرين من بينهم فان دن برويك، وأنطون بوبوفيتش، وأندريه لوفيفر. واتّسمت الدراسات الترجمية في هذه المرحلة بالعكوف الصابر على تحليل التغييرات الاستبدالية (Shifts)، بوصفها مفاتيح هادية إلى معرفة قرارات المترجم، والدراسة الفاحصة لطبيعة التكافؤ، وضروب المكافآت، وتحققاتها في لغة المصدر ولغة الهدف، سواء أكانت تمثل سمات وظيفية أم سمات مقامية. وقد أسفرت الجهود المبذولة في هذه المرحلة المبكرة من الدراسات الترجمية عن قيام نوع من «لقاء العقول»، أو ما سماه غينتسلر بالمصفوفة التخصصية في بلاد كثيرة، آتت ثمارها في عقد المؤتمرات والندوات وإصدار الدوريات، وجرى تعزيز الهموم المشتركة بين الباحثين، وتضافر التخصصات المختلفة؛ كتاريخ الأدب، وفلسفة العلم، والدراسات الاختبارية، لتشكل ملامح الحلقة الوسطى من عمر الدراسات الترجمية. وقد كان خيرُ تمثيل لهذه المرحلة نظرية النسق المتعدد التي أرسى أصولها إيتمار إيفين ـ

زوهار، وواصل العمل على تنميتها وإحكامها جدعون توري. وهنا جرى التلاقح المعرفي بين نظرية النسق المتعدد التي ولدت في الجامعة العبرية، وبين الدراسات الترجمية التي نضجت وظهر عطاؤها في الأراضي المنخفضة بين الباحثين الهولنديين والفلمنكيين. ويشرح غينتسلر العوامل التي حفزت الفريقين على الالتقاء والعمل معاً على إنجاز نظرية للترجمة، ويلخصها في أن كلا البلدين يسكنه شعب قليل العدد، ذو لغة محدودة الانتشار، وثقافة واقعة تحت ضغط ظروف اجتماعية واقتصادية تجعل من الترجمة وسيلة ذات أثر حاسم على كل مناحي الحياة ومظاهرها، حتى إن استمرار الشعب العبري صار معتمداً على الترجمة. وكما وجد الباحثون في هولندا وبلجيكا أنفسهم في مفترق طريق ثقافي بالنسبة إلى أوروبا، فكذلك كان وضع الشعب العبري، بل إنه كان وضعاً أكثر تعقيداً؛ إذ إنهم لم يجدوا أنفسهم في مفترق الطرق بين الاتحاد السوفياتي والغرب وحَسْب، بل بين ثقافات الغرب والعالم الثالث.

وفي عرض متسق ناقد يقدم لنا المؤلف نظرية النسق المتعدد، ملتمساً جذورها في المنعطف الذي أحدثه عدد من رواد الشكلانية الروسية، وعلى رأسهم تينيانوف حين أكد فكرة النسق، وعَدَّل من الطراز النظري ليستوعب المتغير التاريخي ووظيفته في الأدب، ويصوغ العلاقة بين الآني (السينكروني) والزماني (الدياكروني). وعلى أساس من فكرة النسق واعتماد فكرة التعجيب مقياساً للأهمية الأدبية اقترح إيفين ـ زوهار تراتبية للعلاقات الأدبية داخل النسق تشكل ما سماه النسق المتعدد، واستوعب فيه الأدب المترجم، محدداً بذلك طبيعة العلاقة بينه وبين سائر مكوّنات النسق، والقوانين التي تحكم هذه العلاقة، وتحدد دوره على البعدين الآني والزماني، من حيث كونه نشاطاً أساسياً أو هامشياً؛ ثم زاد على ذلك محاولة إحكام

صياغة النسق، ليجعل منه نسقاً مركباً قادراً على تحقيق التكامل بين دراسة الأدب، ودراسة القوى الاجتماعية والاقتصادية في التاريخ. ثم إن المؤلف يتابع محاولة جدعون توري لتنمية النظرية وإحكام معايير الترجمة التي تحتل موقع المركز من إضافة توري، وما صاغه من قوانين ضابطة لعلاقات الأنساق، مركزاً جهوده على وضع أساس نظري يتوجه إلى النص المستهدف. ومع إبراز المؤلف لما في النظرية من إيجابيات، فإنه يكشف عما تنطوي عليه من مظاهر الضعف والتناقض.

بعد استعراض منجزات نظرية الترجمة في حقبة الثمانينات يضمِّنُ المؤلف الفصل السادس عرضاً لا يُخفي فيه تحمسه لعطاء النزعة التقويضية في مجال نظرية الترجمة، ناعياً على منظِّرَيْ النسق المتعدد، إيفين ـ زوهار وجدعون توري، أنهما حاولا التخلص مما سماه قميص التكتيف المعرفي (Epistemological Strait) الذي يحتفظ به النص الأصلي؛ ليشد به وثاق الترجمة، ولكنهما وجدا نفسيهما أسيرين للجذور الشكلانية، والمقاربات العلمية، والفرضيات المعرفية الثنائية. أما التقويضيون فقد قاموا في رأي المؤلف بمهمة جذرية هي طرح الأسئلة الأساسية التي توجه الفكر نظرياً إلى الاتجاه المعاكس، حين يطرحون فرضيتهم التي تقول بأن النص الأصلي ـ بغير الترجمة ـ لا يعود له وجود، وأن استمرارية الأصل تحديداً لا تعتمد على أي صفة مخصوصة مُتضمنَّة، بل على الخواص التي تشتمل عليها ترجمته. وهم يتساءلون: ماذا إذا كان تحديد معنى نص ما غير محكوم بالأصل، بل بالترجمة؟ وماذا إذا كان الأصل فاقداً أي هوية ثابتة يمكن تحديدها جمالياً أو علمياً، ولكنه يتغير في كل لحظة زمنية يعبرها إلى الترجمة؟ وما الذي هو موجود قبل الترجمة؟ أهو فكرة؟ أم شكل؟ أم أنه شيء؟ أم أنه لا شيء؟ هل يمكن أن نتأمل

الأمر من زاوية ما قبل الأصل، أي من زاوية ظروف ما قبل الوجود الأنطولوجي للأصل؟ ولا يكتفي التقويضيون بإثارة الأسئلة التي تتحدى الأفكار الأساسية السائدة في جميع النظريات التي نوقشت من قبل، ولكنهم يسائلون أيضاً طبيعة فعل المساءلة نفسه؛ أي فعل إثارة الأسئلة.

وبعد جولة طويلة نسبياً قام غينتسلر فيها بعرض أطروحات التقويضية منذ بداياتها الأولى عند ميشيل فوكو، مُمثَّلة في دعوته إلى تفكيك الأصل، وفي تحويل المؤلف من شخص متعين إلى وظيفة، ثم عند هيدغر في استكشافه حدود التسمية، إلى أن اتخذت ملامحها الخاصة ومصطلحيتها المتميزة لدى دريدا ـ مع أنها، وللعجب، ضد تثبيت المعنى على أي وجه كان ـ يسجل غينتسلر بنغمة تنم عن الإعجاب البالغ «أن مثل هذه المقاربة قد تنزع إلى تحطيم قوة المدلول المتعالي (Signified Transcendental)، وتحرر الحقل من تقويم الترجمات بمعيار يقوم على درجة اقترابها من التكافؤ الخالص، وربما تحرر دارسي الأدب من مضايق التسمية، لكي يستمعوا ويفكروا، لا من منظور لغة أخرى وحسب، بل في تلك المنطقة الرمادية التي هي ـ حتى وقتنا هذا ـ بغير حدود، حتى إنها لا تكاد تُرى إلا بشق النفس، وحتى إنها لا تعرف باسم ولا كينونة»؛ انطلاقاً من دعوة هيدغر الأولى إلى «إظهار ما هو موجود وإن كان ليس موجوداً».

ويواصل غينتسلر عرضه المتحمس، وتخفت عنده نغمة الجدال والنقد حين يعرض لما دار من مناقشات حول التقويضية بعد «دريدا»، وحول آثار التقويضية في تشكيل ملامح ترجمة ما بعد الاستعمار عند نيرانجانا وسبيفاك. ويقول غينتسلر عن هذا الفصل الضافي في تقدمته للطبعة الثانية: «أما أقل الفصول حظاً من الجدل،

من حيث استقبال الباحثين فقد كان ـ في الواقع ـ هو الفصل الذي كتب عن التقويضية، مع أنه الفصل الذي توقعت له أنه سيكون أكثرها إثارة للخلاف، بل إن كثيراً من الباحثين ـ ولا سيما الشباب منهم ـ كان لهم اهتمامهم الواضح بالإمكانات التي تشتمل عليها التقويضية، وبدا أنهم يرحبون بما قدمته من إسهام». والحقّ أني ـ بما أنا قارئ للكتاب ومترجم له ـ أرى المؤلف على صواب في ما توقعه، وأعجب لما تلقَّاه من رد الفعل. وقد أبديت الرأي ضمناً في ما سبق من هذا التقديم. وفي المسألة فضل بيان أرجو أن يتاح في غير هذا المكان.

غير أن الذي يستيقظ الأنظار في هذا الكتاب بحق هو ما يثيره تبعاً من أسئلة وإشكالات حول وضع الترجمة في العربية، وموقعها من ثقافتنا المعاصرة؛ فالمؤلف يذكر ـ في سياق عرضه «نظرية النسق المتعدد» ـ المشروع ـ الذي نهضت به جامعة تل أبيب لتسجل «تاريخ الترجمة الأدبية إلى العبرية»، وهو مشروع يمثل الأساس الذي أقام عليه توري تطويره لنظرية إيفين ـ زوهار، تلكم النظرية التي حظيت، ولا تزال، باهتمام الباحثين في مجال الترجمة، وأحسب أن مثل هذا المشروع هو من ألزم الضرورات لتشخيص حاضرِ الثقافة العربية في علاقتها بغيرها من الثقافات؛ كشفاً عن القرارات، ومعايير الاختيار، والعلاقة بين الأفراد والمؤسسات في هذا المقام، وعن نسق القواعد التي تحكم الترجمة، وتحديداً للفجوات التي ينبغي ردمها، والمجالات التي ينبغي الاهتمام بها، وتنسيقاً لجهود مكرورة ومهدرة بين مشرق الوطن العربي ومغربه.

وحين نتأمل تصور إيفين ـ زوهار وجدعون توري للقوانين الحاكمة على النسق الأدبي في الثقافة، ونعود بالتأمل إلى واقع اللغة والثقافة في بلاد العرب، نجد تشخيص هذا الواقع ـ إذا ما عرضناه

على قوانين النسق المتعدد ـ لا ينقاد لطالبه في يسر، بل ربما كان متحدياً لها ومبطلاً إياها. فاللغة العربية لا يمكن أن تعدّ من اللغات المحدودة الانتشار؛ لا من جهة عدد الناطقين بها، ولا من جهة نفوذها الديني والثقافي في بلاد الإسلام، وقُلْ مثل ذلك في وضع الثقافة العربية الإسلامية ودورها في تاريخ التطور الحضاري للفكر البشري حضوراً وتأثيراً، ومع ذلك فإننا ـ حين نشخص واقعها ـ نجد بلا ريب أن لغة العرب وثقافتهم تكاد تكون كلتاهما قابلة للانضواء تحت القسيم الثاني الذي يتصف بمحدودية الانتشار وضعف التأثير، وهو ما يتجلى ظاهراً في حركة الترجمة منها وإليها، وفي ما تقوم به الترجمة من دور في تشكيل ملامح النسق الثقافي العربي المعاصر.

إن كلتا هاتين الملاحظتين تضع أمام أبناء هذه الثقافة والناطقين بلسانها والحادبين عليها علامة استفهام كبرى، تنتظر الجواب والعمل الرشيد.

وبعد؛ فقد حاولت ما وسعني الحال أن أؤدي النص إلى قارئه العربي بلسان مبين، وأن تكون العبارة كاشفة عن مراد المؤلف ومقصوده، وأن أُروِّض جواد المصطلح الحرون. وآمل ألا أكون ـ في ساعة الامتحان ـ قد وقعت في ما أنكِرُه أشد الإنكار على ترجمات تعجّ بها الساحة الثقافية، تَحُول الألفاظ منها عن جهاتها، وتفرُّ بها المعاني والفكر من المترجم والقارئ كليهما كما تفرُّ الحُمُرُ المستنفرَة من القسورة؛ ذلك أن التجربة مَزْلقة، والمرتقى وعْرٌ صَعُود. وما يكون لي أن أبرئ نفسي من سهو أو خطأ؛ فـ «المعصوم من عصم الله».

بقيت في هذه المقدمة كلمة شكر واجبة، وإن كانت أعجز من أن تستقل بما يجيش به الوجدان، أوجهها إلى تلميذتي ورفيقة رحلتي الناصبة في دروب الحياة ـ الدكتورة إلهام المفتي ـ الأستاذ

المشارك في كلية التربية الأساسية في دولة الكويت على ما بذلت من جهد، واستقطعت من وقت هي في أشد الحاجة إليه، لتقوم بتصحيح تجارب الطباعة، ومراجعة الترجمة على الأصل، وإبداء ملاحظات مفيدة كان لها من الأثر ما أرجو له أن يتجلى لقارئ هذا الكتاب، وإنه لَكتابٌ جامع بحق بين صعوبة المتن ومتعة المضمون.

والحمد لله في الأولى والآخرة على ما وفق وأعان.

**سعد عبد العزيز مصلوح**

# تقديم المشرفة على السلسلة

جاء قرارنا بإصدار طبعة جديدة من كتاب إدوين غينتسلر **في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة** (*Contemporary Translation Theories*)، تميزت بنصيب وافر من التنقيح والتحديث في الوقت المناسب، فهو كتاب رائد يقوم في مجاله بمهمة تقليب التربة وتعبيد الطريق. إن الحاجة لتزداد إلحاحاً أكثر من أي وقت مضى ـ كلما واصلت دائرة الدراسات الترجمية اتساعها ـ إلى كتاب يعرض في وضوح وإيجاز ما يجري على مختلف المواقع في مجال الاختصاص. وغينتسلر ـ بما يتصف به من اتساع وتنوع في الرؤية ـ يتتبع ما شهدته الدراسات في حقل الترجمة الأدبية من تطور، انطلاقاً من برنامج «ورشة العمل الترجمي الأمريكية» (American Translation Workshop Programme)، ومروراً ببحث الأنساق المتعددة (Polysystems Research) الذي هيمن على حقبة السبعينات والثمانينات من القرن العشرين، ثم إلى التقويضية (Deconstruction)، فالمنعطف الثقافي (Cultural Turn)، فنظرية ترجمة ما بعد الاستعمار (Postcolonial Theory)، وما تلا ذلك كله من نظريات.

وليست مهارات غينتسلر في ما يتعلق بالترجمة حبيسة قيود التنظير؛ فالكتاب الذي بين أيدينا هو أيضاً بحق مثال للترجمة؛ إذ إن المؤلف يعمد إلى سلسلة متكاملة من المواد النظرية المعقّدة،

فيصوغها في لغة قريبة المأخذ، حتى لَيستطيعُ كل قارئ ليس له سابق علم بهذا المجال أن يتناول هذا الكتاب، وأن يحظى منه بنظرات ثاقبة. وثمّة أمر ليس من قبيل المصادفة، إذ بينما تقوم الدراسات الترجمية بتوسيع آفاقها، مقترضة ما هي في حاجة إليه من مجالات الاختصاص الأخرى، ومثريةً ـ من ثم ـ باختراقها المخصب بعض التخصصات، يصبح من الأهمية بمكان أن يواكب ذلك دائماً استعمال مصطلحية تكون في متناول القارئ؛ هنا نجد غينتسلر في كتابه هذا يأخذ بيد القارئ إلى مناطق على جانب كبير من التعقيد النظري، ومع ذلك تراه دائماً يناقش المصطلحات والمفاهيم مناقشة تمكن القارئ من الفهم والمتابعة.

لقد تجاوز تطور الدراسات الترجمية كل التوقعات في ربع القرن الأخير. ويرسم لنا غينتسلر خريطة توضح عمليات التغيّر التي اجتازها هذا التخصص في صراعه من أجل أن يمكّن لنفسه بين مجالات الدرس الأكاديمي، وأن يضع يده على مساحة متميزة يختص بها بين هذه المجالات. كذلك يشير غينتسلر إلى المسارات التي ستقوم الدراسات في هذا المجال ـ على ما يبدو ـ بتطويرها في المستقبل، ويدافع دفاع المتحمس عن العلائق الوثيقة التي تربط بين عدد من التخصصات؛ مثل الدراسات الأدبية، واللسانيات، والتاريخ، وعلم الأعراق (Ethnography)، والأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع. إن مستقبل الدراسات في مجال الترجمة يبدو مشرقاً، وكتاب غينتسلر يقدّم تحليلاً ذكيّاً وصائباً لما تحقق من إنجازات حتى الآن، ونظرات نافذة إلى ما عسى أن تكون عليه صورة التطور في المرحلة القادمة، وسيكون هذا الكتاب الجديد المثير محل ترحيب من كل من له اهتمام بدراسة الترجمة في القرن الحادي والعشرين.

**سوزان باسنيت**

# تقديم الطبعة الأولى

بدأت صياغة هذا المشروع في أوائل الثمانينات في البرنامج الدولي للكتابة ((International Writing Program (IWP)) في جامعة أَيوا (Iowa)، حيث اشتغلتُ بإنجاز ترجمات لقصائد وقصص قصيرة، وساعدتُ في إقامة حلقة نقاشية عن الموقف الأدبي في أقطار شتى من العالم.

ولأنَّ جامعة أَيوا تضم أقساماً علميّة متميزة للغة الإنجليزية واللغات الأجنبية، بل إنها ـ فوق ذلك ـ تحتضن الورشة الذائعة الصيت، أعني «ورشة الكتّاب» (Writers' Workshop) ـ لذلك نادراً ما يفتقد الأعضاء العاملون في البرنامج الدولي للكتابة وجود الجمهور؛ حيث كانت القراءات حول فن القص والشعر في دُور بيع الكتب المحليّة، وكذلك في الحلقات النقاشية التي تعقد في الكلية، في حالة زحام دائم. غير أنه بينما كان الكُتّاب المبدعون، وطلاب مراحل التخرج، وهيئة التدريس يحضرون وينصتون في إجلال إلى العُروض التي تقدم في البرنامج الدولي للكتابة، ظلّ عمل الكتّاب الوافدين من شتى أنحاء العالم أقرب إلى الندرة منه إلى أن يكون جزءاً لا يتجزّأ من المجتمع الأدبي، وغالباً ما كان معروفاً بين الطلاب والأساتذة بأنه «هامشي» أو «ثانوي»، فهو معزول، وضئيل الشأن إلى حد كبير.

وقد كان لعمل الكتّاب الأجانب بدوره تأثيره على طبيعة العمل في الترجمة في البرنامج الدولي للكتابة؛ إذ كان لدى الكتّاب الوافدين من أنحاء العالم رغبة عارمة في أن تترجم أعمالهم إلى الإنجليزية، وأن تحظى فيها بالنشر والتقويم. وبينما تحقّق لهذه الأعمال بعض معايير القبول في جامعة أيوا، وفي حرم بعض جامعات الولايات المتحدة، كان إيجاد مكان لهذه الترجمات في سياق الاتجاه السائد في المجلات الأدبية أقرب إلى المحال.

وكان ردّ الفعل لدى الكُتّاب الزائرين حيال هذا التجاهل الثقافي متبايناً، فبعض الذين وصلوا إلى الولايات المتحدة متلهفين إلى أن يَقرأوا ويتكلموا ويتبادلوا الأفكار والنصوص انسحبوا؛ لأن عملهم لم يتحقق له الانسجام مع المعايير التي تحكم الذوق الأدبي في هذا البلد. ويمكن إجمالاً أن يقال إن هؤلاء المشاركين في برنامج الكتابة الدولي قد عادوا إلى بلادهم، وكتبوا مقالاتٍ عن مقامهم في الولايات المتحدة، وعكفوا على مشروعات الكتابة التي يتوجهون بها إلى مواطنيهم، عسى أن يعودوا في لاحق الأيام، حين تكون الظروف واعدة بفرص أكبر للنجاح. ثمة فريق آخر من الكتّاب الزائرين اعترفوا بالمشكلة، وأعادوا توجيه طاقاتهم بحيث تحقق التوافق مع الموضوعات والأساليب التي يمكن أن تحظى بقبول حسن ـ ولكن كان لا بد من دفع ثمن ما؛ فبإعادة كتابة النصوص على نحو «جاذب» للجمهور الغربي كان لا بد من إسقاط موضوعات بأعيانها، واستبعاد بعض الأساليب وضروب من الدوالّ، بل من المدلولات نفسها، وحذفها من النصوص المترجمة. تلكم «المواطن المسكوت عنها» (Silences) في النص، والتي لا يعرفها في الغالب إلا المترجم ـ لم تكن هي الأهم من منظور الإبداع فحسب، بل كانت أَكْثَرَها كشفاً وبوحاً في ما يتصل بالفروق الثقافية.

والحق أنه مهما بلغت ترجماتنا من درجات الجودة، فإنها لم تكن لتطابق توقعات «أدبية» معيّنة لدى الجمهور، وهذا هو «المشكل» الذي ربما يبقى له حضوره وتأثيره الفاعل، بقطع النظر عن ثقافة المنشأ وثقافة التلقّي، وفي نهاية المطاف فإن الأساتذة، والمدققين، والكتّاب المبدعين يعتمدون في كسب معاشهم على تثبيت الهيمنة لمنظومة من القيم الأدبية على حساب منظومة أخرى؛ ذلك أنَّ الأذواق محكومة بشروط، كما أن هناك شؤوناً اقتصادية معينة تفرض نفسها على المجال. وعلى الرغم مما تبدو عليه اللغة والقيود الثقافية في أمريكا الشمالية من تعقّد هائل، فإن هناك على الدوام إمكانية موجودة لتحدّي المعايير، ولخلق صيغ جديدة للتعبير.

أمّا في اللحظات النادرة التي تشهد اختفاء الحدود الفاصلة بين الثقافات، ويلقى الكاتب الوافد نجاحاً، هنالك يصبح «القانون المزدوج» (Double Constitution) لفعل الترجمة أمراً مشهوداً. لقد كانت هذه «النظرية» حافزاً للعمل على الترجمة في أيوا، وقادت خطاي إلى استقصاء «نظريات» أخرى في الترجمة من أجل إنجاز هذا الكتاب. إن بول إينغل (Paul Engle)، وهوالينغ ناي إينغل (Hualing Nieh Engle) ـ اللذان اشتركا في تأسيس برنامج الكتابة الدولي وإدارته ـ هما على معرفة جيّدة بالقيود الاجتماعية ـ السياسية، المهيمنة على السياق الذي تمارس فيه الترجمة، وكلاهما قد وهب حياته لتحطيم مثل هذه الحدود الفاصلة. ولقد حاولت في كتابي هذا، واضعاً نصب عيني ما أحدثاه من تأثير في عقلي، ألاّ يكون عملي محصوراً في مجرد تسليط الضوء على شتى النظريات في مجال الترجمة، بل أن أتجاوز ذلك إلى إبراز «الوقائع السياسية» (Political Realities) التي تحيط بممارسة الترجمة الأدبية، وأن أستوعب هذه الوقائع في ما أجريت من مناقشات ضافية لكلّ نظرية

من هذه النظريات. ولقد جعلت من بين أهداف الكتاب أن أثير الأسئلة التي تتصل بطريقة دراسة الترجمات الأدبية في الغرب، وأن أساعد القارئ على أن يتأمّل من جديد ـ على المستوى التصوري ـ كيف يمكن للترجمات أن تُحدَّد وأن تُصَنّف. هذا، وإني لأشكر آل إينغل، وبيتر وماري نزاريث (Peter and Mary Nazareth) ودانيال فيسبورت (Daniel Weissbort)، وهيئة العاملين في البرنامج الدولي للكتابة، وجميع الكتّاب الزائرين، وجامعة أيوا لما أبدوه من التزام لا يحيد بتشجيع الترجمة، ولجهودهم الدائبة في تنشيط التواصل بين الأمم.

كذلك أوجّه خالص شكري إلى هانز ـ جواشيم شولتز (Hans - Joachim Shulz)، مدير برنامج الأدب المقارن في جامعة فاندربيلت (Vanderbilt University). لقد أذن لي أن أطلق يدي إلى حد بعيد في صياغة منهج دراسي خاص بي، ليتسنى لي تتبع طائفة كبيرة من القضايا الأدبية والنظرية التي هي موضوع اهتمامي، وهي قضايا يشكل كثير منها أساساً نهضت عليه أقسام هذا الكتاب، وإني لست أشكره لذلك فحسب، بل لما أولانيه من صداقة وثقة.

أما إيوجين فان إرفان (Eugene van Ervan) ـ وهو زميلي في برنامج الأدب المقارن في فاندربيلت، والمدير السابق لـ «دار ماك تيري الدولية» (Mc-Tyerie International House) ـ فقد شاركني اعتقادي بوثاقة الصلة بين الكتابة الإبداعية الدولية، ولا سيما الشعر السياسي الرائج، والمتابعات الأكاديمية. لقد كان انهماكه معي ودعمه لمشروعاتي خارج المنهج الدراسي مما يتجاوز كل تقدير.

ولقد تحقق لي كثير من المتعة في كتابة هذا الكتاب من المناقشات مع طلابي خلال مراحل تشكيل كل فصل من فصول الكتاب، وأزجي الشكر إلى طلاب الحلقات النقاشية في تشارلز

سـكـوت (Charles Scott Seminars) حـول مـوضـوع فـلـسـفـة الـقـارة (Continental Philosophy) في جامعة فاندربيلت، وأخص منهم جين دي ماغنو (Gene DiMagno)، وطلاب حلقة باوند النقاشية التي يـديـرهـا دونـالـد دافـي (Donald Davie's Pound Seminar). وأشـكـر كذلك البروفيسور أليس هاريس (Alice Harris)، وفرانتيشيك غالان (Frantisek Galan) في قسم اللسانيات وبرنامج الأدب المقارن في فاندربيلت؛ فهُما من زوّداني بتعليقات قيّمة على مخطوطة الكتاب. وشكري أيضاً لأساتذة اللغة الإنجليزية: جاك بروستكو (Jack Prostko)، وفيلّيس فروس (Phyllis Frus)، ومارك جارمان (Mark Jarman)، وهم أيضاً من أساتذة فاندربيلت. إنهم لم يكتفوا بقراءة النص والاستجابة الحقيقية له، ولكنهم ضموني إلى حلقة صداقتهم، وجعلوا من ناشفيل (Nashville) مكاناً حميماً للعمل.

وثـمـة شـكـر خـاص أزجـيـه إلـى مـاريـا تـيـمـوشـكـو (Maria Tymoczko) من جامعة ماساشوسيتس/ أمهرست؛ لقراءتها الفاحصة المتحرية للمخطوطة الأصلية، وتشجيعها، ورفقتها الفكرية خلال المراجعات. أما الحوارات مع الهيئة المشرفة على الحلقة النقاشية الصيفية والمشاركين فيها عام 1991 ـ تلك التي دارت حول الترجمة والاتصال والثقافات في الجامعة الكاثوليكية في ليفين، بلجيكا (CERA Summer Seminar for Translation, Communication, and Cultures) ـ فقد قدمت أيضاً عوناً كبيراً خلال المرحلة الأخيرة. كذلك أثبتت محاضرات سوزان باسنيت الأستاذة في «سيرا» (CERA) عام 1991، والمحررة المشاركة لهذه السلسلة، أنها على درجة عالية من الإثارة الفكرية، كما أنها قدمت لي أيضاً التغذية الراجعة بالنسبة إلى عدد من الأقسام الآتية التي تميزت بأنها أشد إثارة للجدل.

وكان الشغف المتفرد بنظرية الترجمة لدى أندريه لوفيفر (André

(Lefevere، المحرر المشارك للسلسلة ومقترحاته الصارمة، سبباً جعل من عملية النشر في جملتها عملية ممتعة. وقام الناشر جانيس برايس (Janice Price) بدعم المشروع منذ مراحله الأولى وطُولَ فترة إنجازه إلى أن بلغ غايته.

ومن الأهمية بمكان تقديم الشكر إلى جانيت غينتسلر ستودر (Janet Gentzler Studer) وماريان غينتسلر؛ فكلتاهما منحتني المحبة والمودة طوال قيامي بالكتابة. وكان لما قدمته لي ميغان غينتسلر من الحب والإبداع والرفقة أثره في تجديد طاقتي خلال الأطوار العصيبة. وأخيراً، فإن امتناني لـ «جيني سبنسر» (Jenny Spencer) لما تعهدتني به من حب والتزام فكري وثقة لا تتزعزع، يتجاوز قدرتي على التعبير.

# تقديم الطبعة الثانية المنقّحة

ساءلت نفسي ـ وأنا أقدّم للطبعة الثانية من كتابي **في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة** (*Contemporary Translation Theories*) الذي صدرت طبعته الأولى عام 1993 ـ مَنْ كان يدور بخلده منذ ثمانية أعوام أن هذا المجال سيتحقق له من النمو ما تحقق على هذا النحو؟ آنئذ كان ثمة عدد قليل من الباحثين يرون ظاهرة الترجمة من خلال المقاربة الثنائية التقليدية بكل ما في هذا الوصف من دلالة، تلك المقاربة التي تقوم على وجود نص ـ مَصْدَر، ونص مترجم.

أما في السنوات القليلة الأخيرة، فقد شهد حقل الترجمة انفجاراً نجمت عنه نظريات جديدة؛ وتزاحمت فيه نظريات الدراسات الثقافية (Cultural Theories)، والنظريات النسوية (Feminist Theories)، والنظريات اللسانية الحديثة (New Linguistic Theories)، ونظريات ما بعد الاستعمار (Post-Colonial Theories)، والنظريات التقويضية (Deconstructive Theories). والحق أننا الآن أمام كثرة من النظريات التي لا يمكن لمنظِّر واحد أو لكتاب واحد أن تكون له القدرة على مواكبتها جميعاً، حتى إن مؤسسة سانت جيروم للنشر (St. Jerome Press) شرعت في إصدار سلسلة تحمل عنواناً مناسباً للمقام هو: **شرح نظريات الترجمة** (Translation Theories Explained)، من أجل أن تقدم المساعدة للطلاب والباحثين في هذا الحقل.

ومن المفارقات أن كتابي هذا كان هدفاً للنقد عند ظهوره الأول من حيث اشتماله على عدد كبير جدّاً من النظريات. وأحسّ كثير من الدارسين أن هذا التكاثر في النظريات هو ظاهرة عابرة ما تلبث أن تختفي. الآن يبدو أن هذا الكتاب ربما يتّسم بالمحدودية على المستوى النظري؛ إذ إنه ـ وهو كذلك بالفعل- لا يشتمل إلا على مقاربات خمس. إن هذا الحقل ـ إذ يواصل نموه بجهود باحثين جدد، ينتمون إلى أقطار مختلفة، وإلى ألوان متباينة من التراث اللساني والثقافي التي تقود أبحاثهم ـ سيشهد ظهور نظريات أخرى تنضاف إلى ما هو موجود لتزيد الخريطة تعقيداً. لقد تضافرت عوامل كثيرة شجعت على قيام نهضة في نشاط الترجمة في كل مكان من العالم، وذلك بانهيار الإمبراطورية السوفياتية وانفتاح الصين، وظهور عالم الأقطار النامية، وزيادة العمل على تقوية الجماعات الإثنية التي تمثل أقليات في أقطار كبيرة. غير أن الأحوال الثقافية المحيطة بتلك الجماعات مختلفة اختلافاً كبيراً، كما أن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية متنوعة أيضاً إلى درجة تفضي ـ تبعاً لذلك ـ إلى تباين الاستراتيجيات الموضوعة للترجمة. وإذا كنّا قد تعلمنا شيئاً من الدراسات الترجمية خلال الأعوام الثمانية الماضية فهو أن النظريات والطرز النظرية القديمة (Old Models) لا تنطبق ـ بالضرورة ـ على هذه المستجدات. إن الذي يقوم بترجمة قصص بطولات الفايكنغ (Viking Sagas) له أهداف مختلفة، كما أن ثمة جمهوراً ماثلاً في عقله يختلف عن ذلك الذي يتمثله من يترجم شعر النساء في أمريكا اللاتينية، والجماعات الكمبودية المهاجرة التي تحاول التكيف مع الحياة في الغرب لها حاجاتها، والأوليات التي لها الأسبقية عندها تتوقف على ما يبذله رجال الأعمال في أمريكا الشمالية من محاولات للوصول إلى المشترين في دول الاتحاد الأوروبي. ولعلّنا لذلك لا تعترينا الدهشة لما هي عليه مناهج الترجمة واستراتيجياتها من اختلاف كبير.

أنّى للمرء أن تكون له القدرة على التنبؤ بحدوث هذا الانفجار؟ لقد كان هذا الحقل ـ عندما بدأت دراستي للترجمة في أواخر الثمانينات من القرن العشرين ـ يحاول أن يحرّر نفسه من هيمنة النظريات التي تركز توجهها على النص ـ المصدر. وحين قمت بتتبع أوائل النظريات التي هيّأت لهذا الحقل أن يطلق التنهيدة الأولى بعد تحرّره من القبضة الآخذة بخناقه ـ وأعني بذلك نظريات: ورشة الترجمة في أمريكا الشمالية، و «علم» الترجمة، وبواكير الدراسات الترجمية، ونظرية النسق المتعدد، والتقويضية ـ لم أكن في حينها أتخيّل ـ مجرّد تخيّل ـ الانفجار الذي سيعقب ذلك. والحق أني حين كتبت هذا الكتاب شعر كثير من زملائي أني قد لا أجد ناشراً لكتاب يقصر مهمته على معالجة نظرية الترجمة. غير أن الكتاب ـ على العكس من ذلك ـ قد نفد من السوق، والاهتمام به قد تزايد باطراد. وإني لأشعر بالرضا العميق؛ لأن ما جرى من تطور في هذا المجال قد جاء موافقاً لما قدّمته من أفكار في كتابي **في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة** بأكثر مما كنت ألح ـ آنئذٍ ـ على إثبات صحته.

والحق أني أحس ـ عندما أعيد قراءة هذا الكتاب اليوم ـ بأنه قد أجاد التسديد نحو الهدف إلى حدّ كبير؛ فعلى الرغم مما يزخر به الحقل من حركات هائلة، فإن كتاب **في نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة** لا يزال يقدّم مسحاً تاريخياً ونقدياً عاماً له قيمته للوقائع التي كانت مسؤولة أصلاً عن الانفتاح الذي شهده هذا الحقل.

وليس صحيحاً أنّ الأفكار التي جرى تقديمها لم تكن سبباً في ظهور منظومة من الآراء المخالفة التي تجادلها، فالحق أنّ كل فصل من فصول الكتاب قد تولّدت عنه منظومة خاصة به من النقّاد. لقد ادّعى باحثون من المنتسبين إلى مجموعة «بواكير الدراسات الترجمية» أنني أسأت تشخيص كثير من الوقائع في المسح الذي أجريته في

الفصل الرابع. وحين طلبت إليهم أن يبرزوا الوثائق التي تشير إلى أخطائي كانت حجّتهم أنه بينما يوجد القليل من المقالات المنشورة، كان ثمة حوارات خاصّة ذات أهمية لتطور المجال قد جرت خلال السنوات الأولى، ولكني لم أتناولها بالتعليق. وربما استأثر واضعو نظرية النسق المتعدّد بأكبر نصيب من الخلاف في ما يتصل بما طرحته من دعاوى عن مظاهر المحدوديّة في المقاربة التي يتبنونها، غير أنه بمرور السنين ظهر ـ على وجه العموم ـ عدد متزايد من الباحثين الذين يشاركونني عدم الرضا عن الطبيعة الهرمية (الهيراركية) التي تتسم بها نظريتهم، وعن نزوعهم إلى التعميم الذي يستند إلى مادة قليلة. أما أقل الفصول حظّاً من الجدل من حيث استقبال الباحثين للكتاب، فقد كان ـ في الواقع ـ هو الفصل الذي كتب عن التقويضية، مع أنّه الفصل الذي توقعت له أنه سيكون أكثرها إثارة للخلاف، بل إن كثيراً من الباحثين ـ ولا سيّما الشباب منهم ـ كان لهم اهتمامهم الواضح بالإمكانات التي تشتمل عليها التقويضية، وبدا أنهم يرحّبون بما قدّمته من إسهام.

وبالإضافة إلى إثارة الجدل في ما يتعلّق بكل فرع من فروع الحقل، كُلٌّ في ما يختص به، كتب إليّ كثير من الدارسين ليقولوا إن أبرز جوانب القصور في الكتاب هو أن نظريتهم لم يكن لها فيه مكان؛ فلقد أحسّ دارسون من فنلندا بالتجاهل، ودارسون من ألمانيا بشيء من عدم الاكتراث لما قدموه، أما الدارسون في الصين فقد شعروا بالإقصاء. غير أنّ هذا الكتاب لم يكن من مقاصده أن يزوّد قارئه بمسح كمي يستوعب كل النظريات. إن تحقيق ذلك كان سيتطلب كتاباً أكبر حجماً، كما سيلزم عنه تقديم معالجة ممعنة في السطحية لكل نظرية يتم تناولها. إن نظرية الترجمة ليست بالأمر السهل، ولكنّها ـ على النقيض من ذلك ـ تتضمن نظريات معقّدة عن

المعنى، وعن قوى اجتماعية معقّدة تقيم حدوداً فاصلة هائلة، بالإضافة إلى حدود لغوية هي قائمة بالفعل. وفي رأيي أنه بالنسبة إليّ ـ بوصفي مشتغلاً بالتنظير يتوخى تقديم عرض محقّق للمقصود منه، وتقويم ناقدٍ للنظريات المختارة ـ كان من الضروري اختيار عدد محدود من النظريات ليتضمنها الكتاب، ولذلك وقع اختياري على خمس من أهم النظريات في حينها لتكون موضوعاً للمناقشة، وما زلت أرى أن تلك النظريات الخمس هي التي تعكس بحقّ مظاهر التجديد الحاسمة بالنسبة إلى تطور هذا الحقل الفتي.

وفي الطبعة الثانية من هذا الكتاب ظلّت القضايا تتراوح بين اتجاهين في العمل؛ فقد كان عليّ إمّا أن أقوم بتنقيح ومراجعة ما سقته من براهين في ضوء الملاحظات النقدية الخاصة بكل منها، وإما أن أضيف فصولاً جديدة لأجْلُوَ من البراهين ما لم تتضمنه الطبعة السابقة. حقّاً إن الدراسة الترجمية قد تغيّرت في العقد الأخير تغيّراً مذهلاً، فصارت زاخرة بالجديد من المناهج، والنظريات، ودراسات الحالة، والعلائق المتداخلة الاختصاص. لقد رأينا ـ ولا نزال ـ مجلات، وسلاسل جديدة من الكتب، وبرامج أكاديمية جديدة، وزيادة مفرطة لنشاط المؤتمرات في كل أنحاء المعمورة. وتعكس هذه المؤتمرات، وحركة النشر، والنشاط التدريبي ما تتميز به طبيعة هذا الحقل من حيوية وتطور، وهو ما يجعل الإحاطة بهذا الاتساع الذي ليس له حدود في مجلد واحد من الـمُحالات، وهو اليوم أصعب مما كان عليه منذ ثمانية أعوام خلت. إنّ لدينا كثرة من الموسوعات التي هي الآن بين أيدينا أو قيد الطبع، وهي تزود القارئ بمسح دقيق لعدد من المقاربات المتاحة الآن يفوق الحصر، ومن بين هذه الموسوعات: **موسوعة راوتليدج للدراسات الترجمية** (*Routledge Encyclopedia of Translation Studies*) (1998)،

و**موسوعة الترجمة الأدبية للغة الإنجليزية** (*The Encyclopedia of Literary Translation into English*) (2000) وموسوعة **الترجمة: دليل دولي إلى البحث العلمي للترجمة** (*Übersetzung, Translation, Traduction: Ein internationales Handbüch zur Übersetzungsforschung*) (وهي قيد النشر). لقد آثرت ـ على النقيض مما تقدّم ـ ألاّ تكون استجابتي لهذه التغيّرات الهائلة الجارية في الحقل مبالغاً فيها، وأن أترك الكتاب على هيئته الأولى إلى حدّ كبير، ولو أنني أعدت كتابته اليوم لأجريت قليلاً من التغيير في الأسلوب؛ ذلك لأن بعض الاستدلالات قد سيقت بعبارة ربما يغلب عليها سمة اللدد والخصام بما يتجاوز الحاجة. غير أنني عزمت على أن أبقي على الصوت الأصيل في الكتاب، وذلك لشعوري بأنه عَكَس النزعة التي اتسم بها زمنه.

إن الحقبة الأولى من حياة نظرية الترجمة لم تشهد وجوداً لنظريات ذات طبيعة مركّبة؛ فلقد كانت غاية الدارسين حينئذ، والتي لا تزال غاية لبعض الدارسين اليوم ـ على الرغم من الشواهد السائدة ـ هو تأسيس نظرية عامة في الترجمة تكون مقبولة عبر الثقافات والألسنة. وكان صوت المعارضة الذي تَبنّيتُه ـ سواء عن انتماء للجيل أو لعقيدة سياسية ـ صوتاً يعكس مطالب العصر الملحّة، كما كانت له أصداؤه لدى غيري من المؤلفين الذين أسهموا في تطوير هذا الحقل، وكثيراً ما شاركوني فيه. ولقد كان ذلك الصوت أيضاً ـ وهذا ما أميل إلى الاعتقاد بصحته ـ جزءاً من جوقة أصوات جديدة تواصل زحزحة الهوامش التي تحد نظرية الترجمة في هذه الأيام.

ولقد مكّنتني هذه الطبعة الثانية من إصلاح ما وقع من أخطاء في الطباعة أو في الحقائق، والقيام بتحديث الأقسام على نحو يعكس التطورات في مواضع بعينها، كما خفضت أحياناً من نبرة صوتي حين

أحسست أن ذلك سيفضي بي إلى تشويه الآراء التي ساقها أيٌّ من الدارسين. ومن المدهش أنّ هذه المواطن التي نالها التغيير كانت قليلة. كذلك قمت بتحديث خواتيم الفصول لتعكس الجديد من إصدارات الدّارسين التي نوقشت في الفصول، كُلٌّ في ما يخصّه، فقد أضيف إلى الفصل الثاني نقد لورنس فينوتي (Lawrence Venuti) للترجمة الأدبية في أمريكا الشمالية من كتاب: **خفاء المترجم** (*The Translator's Invisibility*)، وجرى توسيع المناقشة للمقاربات الوظيفية في الفصل الثالث، وأضيفت إلى الفصل الرابع تأمّلات ثيو هيرمانز (Theo Hermans) التي أبداها على بواكير الدراسات الترجمية، وذلك من كتاب: **الترجمة في أنساق** (*Translation in Systems*) (1999)، وضُمِّن الفصل الخامس نظرية جدعون توري (Gideon Toury) المعدّلة في كتابه: **الدراسات الترجمية الوصفية وما بعدها** (*Descriptive Translation Studies and Beyond*) (1995)، كذلك ضمنت الفصل السادس نظريات ما بعد الاستعمار لـ «تيجاسويني نيرانجانا» (Tejaswini Neranjana) وغاياتري سبيفاك (Gayatri Spivak). كذلك قمت ـ كما ينبغي أن يكون متوقعاً ـ بتنقيح الفصل الأخير الذي أعالج فيه «مستقبل الدراسات الترجمية»؛ إذ إن المستقبل ينطوي على حشد من الاحتمالات التي لم يكن من الممكن ـ في ذلك الحين ـ التنبؤ بها. ثم إني عملت ـ تجاوباً مع ذلك ـ على تحديث المراجع؛ ليعكس ما شهده الحقل من تطوّرات جديدة.

هكذا تبقى الطبعة الثانية مواصلة للالتزام النقدي بالنسبة إلى معظم النظريات ذات الأهمية في الحقل، وسجلاّ تاريخياً للتغيرات التي أفضت إلى تكاثر النظرية في الحاضر، ولعلّ هذا التحليل والسجل التاريخي أن يثبت -كلاهما ـ جدواه بدرجة متساوية للطّلاب

الذين يدرسون الترجمة. لقد كانت أكثر الرسائل مدعاة للرضا من بين ما وصل إليّ عن طريق البريد العادي أو الإليكتروني على مدى السنوات هي تلك التي تلقيتها من معلمي الترجمة وطلاّبهم، الذين استخدموا الكتاب استخداماً ناجحاً، والذين استفادوا بما أتيح لهم من مسح موسع للتغيرات المتراكبة التي جرت في هذا الحقل، وكان الكتاب محل إعجاب؛ فقامت بترجمته إلى اللغة الإيطالية ماريا تريزا موساتشيو (Maria Teresa Musacchio) تحت عنوان: **نظرية الترجمة: اتجاهات معاصرة** (*Teorie della traduzione, tendenze contemporanee*) (1998)، وثمّة نسخة باللغة الفارسية هي قيد الطبع، كما تجري مفاوضات لترجمة هذه الطبعة الثانية إلى لغات أخرى. ولقد كان من دواعي دهشتي أنّ الكتاب قد حقق انتشاراً بين شباب الباحثين، وإني لأقول لهم: إنّكم ـ يا معشر الشباب من الباحثين ـ المقصودون أصالة بهذه الطبعة الثانية. أمّا بالنسبة إلى المختصّين في حقول أخرى، ثم تحولوا باختصاصاتهم إلى حقل نظرية الترجمة للمرة الأولى، فإنّ هذا الكتاب بالنسبة اليهم سيتولى مراجعة عدد من النظريات التي عُرفت في العقود الثلاثة الأخيرة، ويقدّم لهم تقويماً نقدياً للكيفية التي يمكن بها لنظرية الترجمة أن تسهم في المناقشات الجارية حول فلسفة اللغة، والكيفية التي يتشكل بها المعنى في ترحاله واستقباله، وكيف تؤثر العوامل اللسانية الخارجية؛ كالكنائس، والدول ذات القومية الواحدة، والمدارس، ومؤسسات النشر، في تشكيل التواصل عبر الثقافات، وآمل أن يمتعكم كتابي هذا.

وقبل أن أختم كلمتي أودّ أن أقدّم شكري خالصاً لأولئك الذين استضافوني في المدارس التي دعيت إليها لأعرض مادة كتابي؛ فلقد كان لهذه العروض الفضل في إنجاز الصياغة الأوليّة لكثير من الأفكار التي تضمنتها الأقسام الجديدة من الطبعة الثانية، وأخص منهم

بالذكر: سوزان باسنيت (Susan Bassnett) (جامعة ووريك)، ثيو هيرمانز (Theo Hermans) (كلية لندن الجامعية)، كريستينا شايفنر (Christina Schaefner) (جامعة أستون)، جون ميلتون (John Milton) (جامعة ساو باولو)، نويسا داسيلفا ماتي (Neusa da Silva Matte) (جامعة ريو غراند دو سول الفدرالية)، روزماري أرويو (Rosemary Arrojo) (جامعة كامبيناس)، إلز فييرا (Else Vieira) وأدريانا باغانو (Adriana Pagano) (جامعة ميناس الفيدرالية)، شيري سيمون (Sherry Simon) (جامعة كونكورديا)، مارلين غاديس روز (Marilyn Gaddis Rose) (جامعة ولاية نيويورك بنغهامتون)، لكل أولئك جميعاً الشكر على كرم الضيافة، وعلى تبنيهم للأفكار. كذلك أزجي شكراً خاصاً إلى لي إدواردز (Lee Edwards) عميد كلية العلوم الإنسانية والفنون الجميلة (The University of Massachusetts/Amherst) على رؤيتها في ما يتصل بالوضع الأكاديمي لنظرية الترجمة، وإلى زملائي في قسم الأدب المقارن في الجامعة، ولا سيّما ماريا تيموشكو، على تعهدهم الترجمة، وعلى ما أبدوه من آراء كان لها مردودها بالنسبة إلى ما سيأتي من الأفكار. ثم إني أود أن أوجّه شكري إلى الهيئة العاملة معي في مركز الترجمة (Translation Center) في جامعة ماساشوسيتس، ولا سيّما شون لينهولم (Shawn Lindholm)، فقد حملوا عني كثيراً من الأعباء حتى أتمكن من الكتابة. وأخيراً لابنتي ميغان (Megan) وزوجتي جني (Jenny) أقدم امتناناً لا حد له لما أحاطتاني به من حب، وما أبدتا من مساندة ودعم.

**إدوين غينتسلر**

أمهيرست، ماساشوسيتس

شباط/ فبراير 2001

# الفصل الأول

## مـقــــدمــة

«نظرية الترجمة» هي حقل معرفي جديد وليس بجديد؛ ذلك أنه حقل لم يعرف له وجود إلا منذ عام 1983، بوصفه مدخلاً مستقلاً في المسرد الدولي للجمعية اللغوية الحديثة (Modern Language Association International Bibliography). ومع ذلك فهو حقل قديم قِدَم برج بابل. إنّ بعض دارسي الأدب يؤكّدون أنهم لم يسمعوا به على الإطلاق، بوصفه موضوعاً مستقلاً بذاته ولِذَاته، وآخرون من الذين يمكنهم ممارسة الترجمة بأنفسهم يجزمون بأنهم يعرفون كلّ ما هم بحاجة إلى معرفته. وربّما يزعم الذي ينحصر عمله في التعامل مع لغة واحدة أنّه ليس بحاجة إلى نظرية الترجمة، ومع ذلك فإن الترجمة تلازم كل لغة لزوماً لا انفكاك منه، بسبب علاقات هذه اللغة بنسق دلالي آخر، سواء أكان نسقاً ماضياً أم حاضراً. وعلى الرغم من أن نظرية الترجمة معدودة في العرف الأكاديمي تخصصاً هامشياً، فهي ذات أهمية مركزيّة لكل من يتصدى لتفسير الأدب. وفي حقبة تاريخيّة تتميز بظهور النظريات الأدبية تصبح نظرية الترجمة ذات علاقة وثيقة ـ تتزايد باطراد ـ بهذه النظريات جميعاً.

ما المقصود بعبارة «نظرية معاصرة في الترجمة»؟ إن رومان جاكوبسون يقسِّم الحقل إلى مناطق ثلاث: **الأولى** ترجمة لغوية أحادية (Intralingual Translation)، ويقصد بها إعادة الصياغة اللغوية للعلامات في لغة ما بعلامات من اللغة نفسها. **والثانية** ترجمة لغوية تبادلية (Interlingual Translation)، أو تفسير علامات في لغة ما بعلامات من لغة أخرى (وهي الترجمة بمعناها الدقيق Proper Translation)، **والثالثة** ترجمة سيميائية تبادلية (Intersemiotic Translation)، وهي نقل العلامات (The Trasnfer) (أو تحويلها Transmutation) من لغة ما إلى أنساق من علامات غير لفظية (من اللغة إلى فن أو موسيقا). وجميع الحقول التي انتهى إليها جاكوبسون في تقسيمه يعزز بعضها بعضاً، ويستطيع المرء ـ إذا أخذنا هذا التعريف مأخذ القبول ـ أن يرى في يسر كيف تُوقِع نظرية الترجمة الدارس في شبكة سيميائية تبادلية كاملة، قوامها اللغة والثقافة، وهي شبكة تلامس كل التخصصات وجميع أنواع الخطاب. وسأصرف معظم اهتمامي إلى الجانب الثاني من تعريف جاكوبسون؛ وأعني به الترجمة اللغوية التبادلية (Interlingual Translation)، ولكني آمل أن أقيم الدليل أيضاً على أن مثل هذا الفصل محال، وعلى أن الترجمة ـ حتى في أخصِّ معانيها ـ تستتبع جوانب لسانية وأدبية وثقافية متراكبة.

لقد شهدت نظرية الترجمة في السنوات الأخيرة انفجاراً أنتج الجديد من التطورات، وشخّص جورج شتينر (George Steiner) تاريخ نظرية الترجمة حتى جاكوبسون بأنه سلسلة متّصلة من إعادات الصياغة للتمايز النظري التقليدي بين الترجمة الرسمية (الأمينة على النص الأصلي) والترجمة الحرة (القائمة على استعمال أساليب إبداعية لإعادة تشكيل المقصود بالنص الأصلي). والنظرية «الحديثة»

للترجمة ـ شأنها شأن نظرية الأدب المعاصرة ـ تبدأ من البنيوية (Structuralism)، وتعكس ظاهرة التكاثر النظري التي تميز العصر. وتركّز الفصولُ الآتية على خمس فقط من المقاربات الخاصة بالترجمة، تبدأ من منتصف الستينات في القرن العشرين، وتواصل تأثيرها إلى الآن، وهي: (1) ورشة الترجمة في أمريكا الشمالية (The North American Translation Workshop) (2). علم الترجمة (The Science of Translation). (3) بواكير الدراسات الترجمية (4) (Early Translation Studies). نظرية النسق المتعدد (Polysystem Theory). (5) التقويضية (Deconstruction).

وحين أقوم بعرض لوضع نظرية الترجمة ـ بما يمكن أن يكون مقبولاً في حده الأدنى ـ من خلال الدراسات الأدبية، افترض أن ليس لدى القارئ إلا القليل من سابق التعرض للنظريات التي يجري تقديمها هنا. ويختلف البحث في هذه النظريات اختلافاً كبيراً، وهو اختلاف يتجلى في المصطلحية المميزة لكل حقل، كما يتجلى في الأفكار نفسها. إن العاملين في مجال ترجمة الأدب ـ على سبيل المثال ـ ينأون بأنفسهم عن «الرطانة» التي تسود المقاربات اللسانية. والمنتمون إلى التقويضية يعملون على تدمير المصطلحية «العلمية» التي يتطلبها السيميائيون. والخطاب العدواني لدى التقويضيين يستعدي الدارسين في كثير من الحقول الأخرى. ولا بد لكل فصل من الفصول الآتية ـ بالضرورة ـ أن يتكيف تدريجياً مع المصطلحية المفضلة داخل كل فرع من فروع الدراسة؛ ذلك لأن الأفكار المحددة تعتمد على المصطلحات المستخدمة في وصفها.

وبالإضافة إلى الفروق المصطلحية، هناك ـ من جهة أخرى ـ حدود فاصلة تعوق تبادل الأفكار في ما بين الدارسين على تباين مقارباتهم. وعلى الرغم من أن أنصار المقاربات «الجديدة» ـ مثل

«الدراسات الترجمية» ـ قاموا، ويقومون بتطوير أفكارهم وبنشر نتاجهم على مدى عقدين من الزمان، فقد ظلت أفكارهم غريبة على كثير من المقاربات التي تقوم على أساس تقليدي ظاهر. إن المترجمين في أوروبا وأمريكا ـ على سبيل المثال ـ يقاومون بوجه عام الفكرة التي تُرجِّح أن المناورة المؤسسية الاجتماعية لها تأثيرها في الترجمة. أمّا الباحثون في مجال «الدراسات الترجمية» فإنهم لا يسيغون صُنْع التقويضيين، حين يعمدون إلى المادة التي يقوم أولئك الباحثون بجمعها، محتفين فيها بأدق التفاصيل، فيفسرونها على أنها كاشفة عن الفجوات المضاعفة، والقمع الأدبي، لا على أنها تطور أدبي نسقي. لقد عُقِدت مؤتمرات الترجمة المتداخلة الاختصاص، ولكن لا يزال هناك كثير من مواطن الخلاف. ومن بين ما تهدف إليه هذه الدراسة أنها تبيّن كيف أن مثل هذه المشكلات التي تعرض للتواصل وتبادل الأفكار، تجد خلفيتها في اختلاف الفرضيات النظرية التي تشكل أساس كُلٍّ من هذه المقاربات.

وثمة محاولة قد بذلْتُها أيضاً لقراءة النصوص قراءةً تشخص ما وراء أعراضها الظاهرة، وتفحص «الخطاب» في النص المتعيّن فحصاً دقيقاً، وترشد إلى ما يمكن أو ما لا يمكن قوله باستحضار المقدّمات الفلسفية لدى كل دارس. وسأضرب مثلاً لذلك ما يأتي: حين قمت بمراجعة المُسَلَّمات الدينية، والأهداف التبشيرية لدى إيوجين نايدا (Eugene Nida)، وحين وقفت على تبنِّيه طرازاً نظرياً (Model) قائماً على المقابلة بين «البنية الباطنة» و«البنية الظاهرة» /Deep Structure) (Surface Structure، مستمدّاً إياه من اللسانيات «الحديثة» ليكون أساساً يقيم عليه نظريته «العلمية» ـ أقول: حين وقفت على ذلك، وجدته وَهْماً كبيراً وهو مظنّة للشبهات بدرجة كبيرة. إن هناك فرقاً بين ما يعنيه نايدا بالبنية الباطنة ـ وهو مفهوم غامض، وذو صلة

بـ «كـلـمـة الـرب» (The Word of God) ـ ومـا قـصـد إلـيـه نـاعـوم تشومسكي (Noam Chomsky) ـ وهو أيضاً مفهوم يشوبه شيء من الغموض، ولكنه يتصل بالبنى الفطرية في المخ البشري ـ فهما مفهومان مختلفان. صحيح أن الفرضيات النظرية في الغالب تكون أقل استعلاناً من تلك التي يتبناها نايدا، لكن يظلّ في الإمكان الكشف عن بواطنها من خلال ما يؤثره الدّارس المتعين من مصطلحية وبلاغة وأسلوب. ولذلك فحين يتبنى الباحثون المنتمون إلى بواكير الدراسات الترجمية مصطلحات مثل «الأدبية» (Literariness)، و«التغريب» (Estrangement)، و«الأوَّلي» (Primary)، و«الثانوي» (Secondary)، فإني أجد المصطلحات نفسها كاشفة عن الفرضيات الخاصة بالطبيعة الهرمية «الهيراركية» للثقافة. وعلى حين يمكن لمثل هذه المصطلحات أن تُعين دارس الترجمة على التعبير الواضح عن الطريقة التي تمارس بها الترجمات وظيفتها في مجتمع ما، فإن من الممكن أيضاً أن تكون مثبطة لطبيعة البحث.

وباعتماد هذه المنهجية، برهنت المصادر الأصيلة على أنها أعظم جدوى من الأدبيات الثانوية التي يأتي معظمها من «خارج» اختصاص ترجمي خالص، أو حتى من خارج اختصاص مقارن، أو قل ـ بعبارة أخرى ـ إنها أدبيات تأتي من خلال اختصاص بعينه، سواء أكان الاختصاص هو نظرية الأدب، أم اللسانيات، أم الفلسفة. إنني أستطيع ـ بدلاً من ذلك ـ بالرجوع إلى المصدر «الأصيل» ألاَّ أقف بتحليلي عند ما يصرّح به النص، ولكني أتجاوز ذلك إلى تحليل ما لم يقله النص، أو ما قاله النص ولكن على وجهة التضمين، ولنضرب لذلك بعض الأمثلة.

حين يقول يوناس زدانيس (Jonas Zdanys) ـ مدير ورشة الترجمة في ييل- إنه يتجنب «النظريات الجمالية السابقة التجهيز»

(Predetermined Aesthetic Theories)، ثم إذ هو يتحدث بعد ذلك عن التزامه بـ «العزلة الإبداعية» (Creative Solitude) ـ بل يتحدث حديثاً أكثر صراحة عن أمله في أن ينحو بدارس اللسانيات إلى معتقداته ـ حينئذ، أرجح أن لديه معتقدات خاصة به سابقة التجهيز، وإن كانت تمثل برنامجاً لا يعبّر عنه صاحبه باللفظ الصريح. وهناك مثال آخر نسوقه عن آي. أ. ريتشاردز (I. A. Richards)، فهو أولاً يحاول أن يبرهن في كتابه: **النقد العملي** (*Practical Criticism*) على أنه يفتش عن نظرية جديدة تتيح لأفراد الناس أن يكتشفوا أنفسهم، وأن يكتشفوا طرقاً جديدة، ثم إذا هو ينقلب على عقبيه، فيرفض ما يبديه تلامذته من استجابات متنوعة، واصماً إياها بالخطأ، ثم إنه يحاول أن يبرهن على أن الهدف أيضاً هو التوصل إلى «فهم يتصف بالكمال»، وإلى استجابة موحدة وصحيحة. حينئذ أرجّح أن حجته هي أقل من أن توصف بالثبات.

وهناك بعض الأعمال الإرهاصية («Precursors» Work) التي ربما تكون مقصودة أو غير مقصودة في شأن الترجمة. لقد كان ريتشاردز ـ على سبيل المثال ـ يلقّن طلّابه تقنيات يتعلمون بها قواعد الإنجليزية؛ وكان هذا مقصده الصريح، ومع ذلك تستخدم «ورش الترجمة» في الولايات المتحدة مناهج النقد الجديد (New Critical Methods) في تفسير الترجمات وتقويمها. إن المقاربة التي صاغها ريتشاردز تظلّ ـ عن وعي أو غير وعي ـ في قلب قاعة الدراسة. ولم يكن تشومسكي قاصداً إلى أن يستخدم الطراز النظري الذي اقترحه من أجل الترجمة، غير أنَّ نايدا وفولفرام فيلس (Wolfram Wilss) ـ وهو مدير معهد للترجمة في ساربروكن (Sarrbrücken) ـ قد أدمجا ـ عن خطأ أو صواب ـ جوانب من طراز تشومسكي في عملهما، وهكذا يكون على الدارس في حقل الترجمة أن يسائل هذين أسئلة

صعبة، تتصل بمدى ملاءمة طراز نظري بعينه لنظرية الترجمة. وهناك آخرون تحدّثوا حديثاً مباشراً عن قضايا الترجمة؛ فالمتأخرون من الشكلانيين الروس (Russian Formalists)، مثل يوري تينيانوف (Jurj Tenjanov) ورومان جاكوبسون، أفسح كلاهما في نظريته عن الفن مكاناً للترجمة، وكذلك للظواهر الثقافية الأخرى، وإن كان يندر لديهما التوسع في دقائق التفاصيل. كذلك نجد الأسئلة المتعلّقة بطبيعة الترجمة مستكنة وراء حركات الفكر التي تسيّر عمل هيدغر (Heidegger) ودريدا (Derrida)، ومن ثم تضفي صبغتها على جيل لاحق من «الدارسين»، بل إن بعضاً من مصطلحية دريدا ـ في كثير من النواحي ـ يتحدد تاريخها في ضوء النظرية الجديدة للترجمة، ومن ذلك إشارته إلى استحالة الترجمة («Impossibility» of Translation) ـ وأن على الباحث في حقل الدراسات الترجمية أن يبرز ما تمّ إحرازه من تقدّم.

وأقول ـ على وجه العموم ـ لقد كانت التطورات التي شهدها حقل النظرية «الحديثة» في الترجمة حافزاً لي إلى حدّ كبير. إن بؤرة الاهتمام في فحص الترجمة تتحول من المجرّد إلى المتعين، ومما هو باطن مستكن وراء الصيغ الافتراضية، إلى ظاهر النصوص بكل ما تشتمل عليه من الفجوات، والأخطاء، ومواطن الغموض، وتعدّد الدلالة، والفوضى «الدخيلة».

وكل ذلك يجري تحليله تحليلاً لا تنحصر معاييره بين ثنائيات المكافئ وغير المكافئ، أو الحق والباطل، أو الجيد والرديء، أو الصواب وغير الصواب. إن مثل هذه المعايير تتضمن تصورات تنتمي إلى المذهبية المادية (Substantialism) التي تحدُّ من إمكانات الممارسة في حقل الترجمة، وتهمّش الترجمة غير التقليدية، وتصطدم بالتبادل الحقيقي بين الثقافات. وكما هو صحيح بالنسبة إلى

نظرية الأدب ـ على وجه العموم ـ فإن إعادة تقويم معاييرنا كانت تواصل انطلاقها بطريقة جيدة في أثناء الرحلة، والمفاهيم ذات الطابع المادي التي تتخلل حقل نظرية الترجمة قد بدأت من فورها في التحلل (ومع ذلك، فإن مآلها إلى الموت البطيء من غير شك). وبالنسبة إلى تاريخ الأدب تقدّم دراسات الحالة في حقل الترجمة برهاناً فعلياً على أنها مصدر قيم يبيّن لنا كيف أن الأيديولوجية الثقافية تؤثر تأثيراً مباشراً على قرارات أدبية بعينها. أما بالنسبة إلى نظرية الأدب فربما يكون هذا هو الأوان الحافز بحق لظهور دراسة مجدّدة لنصوص حقيقية يقوم بها اختصاص جديد، وأن يساعدنا هذا الاختصاص وحده على أن نفوز بمزيد من التأمّل العميق، لا في طبيعة الترجمة فحسب، بل في طبيعة اللغة، وطبيعة التواصل بين الأمم أيضاً.

ومع ذلك، فإن تفاؤلي يكفكف منه شعوري بأن جميع نظريات الترجمة التي نوقشت في متن هذا الكتاب إنما تعكس قيماً معيّنة، وفرضيّات جمالية عن الأدب كما يفهمه النقّاد الغربيون. وبقدر ما يتزايد نصيب النظريات التي أوجزَها هذا الكتاب من التعقيد تكتسب ـ في ما يبدو ـ مزيداً من دعم المؤسسة الأكاديمية؛ وهو ما يعزز بدوره قدرتها على الإقصاء.

# الفصل الثاني

## ورشة الترجمة في أمريكا الشمالية

لا تزال الترجمة الأدبية في كثير من الأوساط الأكاديمية في أمريكا الشمالية معدودة من قبيل النشاط الثانوي، وهي فيها أقرب إلى النشاط الآلي منها إلى النشاط الإبداعي؛ فليست جديرة بالعناية النقدية الجادة، ولا هي بذات منفعة عامة للجمهور. كذلك يندب المترجمون حظهم؛ إذ إن عملهم لا يجد له سوقاً، وما يحظى منه بالنشر لا يلبث أن يواجه الإقصاء، ليحتل مكانه على هامش البحث الأكاديمي. غير أنّ التحليل الفاحص للتطورات التي جرت خلال العقود الأربعة الأخيرة تظهر أن الترجمة تجتذب مزيداً من الجمهور، ومن الحفاوة الأكاديمية.

ولم تعرف السنوات الأولى من ستينات القرن [العشرين] وجود ورش للترجمة في مؤسسات التعليم العالي في الولايات المتحدة. وكانت الترجمة ـ في أحسن أحوالها ـ نشاطاً هامشياً لا يعترف بها الوسط الأكاديمي بوصفها حقلاً متميزاً من حقول الدراسة في النظام الجامعي؛ يقول إدموند كيلي (Edmund Keeley)، الذي كان أول الأمر مديراً لورش الترجمة في أيوا، ثم في برنستون:

«في عام 1963 ـ في حدود علمي ـ لم يكن ثمة منتدى عام مخصص لهذا الغرض، ولا مراكز للترجمة، ولا جمعيات لمترجمي الأدب، ولم يكن ثمة إصدارات مخصّصة أساساً للترجمات والمترجمين ومشكلاتهم الدائمة»[1].

وفي هذه الظروف قام بول إينغل (Paul Engle) ـ مدير ورشة الكتّاب في جامعة أيوا ـ بتنفيس هذه القبضة الخانقة لأول مرة، مدللاً على أن الكتابة الإبداعية لا تعرف الحدود الفاصلة بين الأمم، وتوسع في برنامج الكتابة الإبداعية ليشمل الكتّاب من دول العالم المختلفة. وفي عام 1964 عيّن إينغل مديراً بنظام الوقت الكامل لأول ورشة ترجمة في الولايات المتحدة، وشرع في تقديم الدعم الرسمي الأكاديمي للترجمات الأدبية. وفي العام التالي قدمت مؤسسة فورد منحة مقدارها مئة وخمسون ألف دولار لجامعة تكساس في أوستن، موجهة لتأسيس المركز القومي للترجمة (National Translation Center)، كما ظهر أيضاً في عام 1965 العدد الأول من دورية **ترجمة الشعر الحديث** (*Modern Poetry in Translation*) إشراف تيد هيوز (Ted Hughes) ودانيال فيسبورت (Daniel Weissbort)، لتتيح لمترجمي الأدب مساحة ينشرون فيها عملهم الإبداعي. وفي عام 1968 أصدر المركز القومي للترجمة العدد الأول من مجلة **ديلوس** (*Delos*)، وهي مجلة مخصصة لتاريخ الترجمة، وكذلك لجمالياتها. وهكذا رسّخت الترجمة الأدبية لنفسها مكاناً وإن يكن صغيراً، في المنتج الثقافي في أمريكا.

---

(1) Edmund Keeley, «The State of Translation,» *Modern Poetry in Translation* (London), nos. 41-42 (1981), p. 11, Quoted in: Daniel Weissbort, «Foreword,» in: *Modern Poetry in Translation: 1983* (New York: Persea; London: MPT, 1983), p. 7.

وقد واصلت عمليةُ النمو والقبول مسيرتَها في السبعينات من القرن العشرين. وما لبثت المقررات الدراسية وورش العمل في مجال الترجمة أن أصبحت متاحة في عدد من الجامعات، مثل: ييل وبرنستون وكولومبيا وأيوا وتكساس وجامعة الولاية في نيويورك، وكان من بينها بينغهامتون. وجرى منح الطّلاب درجات علمية متقدّمة على الأعمال الإبداعية والتأريخية والنظرية في حقل الترجمة الأدبية. وأفضى هذا، بدوره، في أواخر السبعينيات إلى تأسيس منظمة مهنية هي الجمعية الأمريكية لمترجمي الأدب (American Literary Translators Association (ALTA))، وكذلك إلى تأسيس مجلة **ترانسلايشن** (*Translation*)، لتكون مجلة لهذه المنظمة. وفي حوالى عام 1977 أضفت حكومة الولايات على هذه العملية الصبغة الرسمية بإنشاء الصندوق القومي لِمنَح الدراسات الإنسانية (National Endowment of Humanities) خاصة للترجمات الأدبية. وفي حقبة من الزمن، في أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات بدا كما لو أن الترجمة الأدبية ستقتفي أثر الكتابة الإبداعية، التي كان يُنظر إليها في حينها أيضاً على أنها حقل غير أكاديمي، ثم ما يلبث أن تُفتتح ورش للترجمة بقدر عدد المدارس التي افتتحت لوَرشات للكتابة.

لكنه على الرغم من زيادة النشاط في حقل الترجمة، واكتسابه دعماً مؤسسياً محدوداً في الستينات والسبعينات، فإن عملية النمو دخلت في طور من الاستقرار، وظلّت على حالها كثير من الفرضيات التي تتبنى فكرة الوضع الثانوي لحقل الترجمة. واليوم، بينما تمنح كثير من الجامعات درجات علمية متقدمة في الكتابة الإبداعية، نجد ـ بالمقارنة ـ أن قليلاً منها يوفر الدعم الأكاديمي للترجمة الأدبية. ويقيناً أن من أسباب ذلك ما تتسم به الثقافة من طابع الأحادية اللغوية (Monolinguistic Nature). ولكن، بالإضافة إلى ذلك، فإن الالتزام

بأدوار تمثيلية نمطية كهذه راجع إلى بواعث اجتماعية ـ اقتصادية، ونعني بذلك أن تصنيف الترجمات على أنها مجرد عمل تابع (Derivation) مهمته تعزيز الوضع الراهن، وهو وضع لا يولي الأهمية الأساسية لعملية الترجمة، بل لما تقوم به الترجمة من ملاحقة واستهلاك لمعنى «الأصلي». إن نشاط الترجمة يمثل عملية مضادة لمعتقدات أدبية معينة لها سلطانها، ومن ثم كان إقصاء هذا النشاط ـ ليحتل وضعاً هامشياً داخل المؤسسات التربوية والاقتصادية، ومكانه في المجتمع ـ جزءاً من حركة ثقافية مضادة.

والحقُّ أن ممارسة الترجمة الأدبية خلال الستينات وأوائل السبعينات قد انخرطت بقوة في مظاهر أخرى تمثل أنساقاً من القيم والرؤى البديلة للواقع؛ فبينما نجد المؤسسات الأكاديمية لا تأخذها مأخذ الجد، حققت مبيعات النصوص الأدبية المترجمة ارتفاعاً غير مسبوق في السوق المفتوحة. ولعلّ أحداً لم يعبّر عن الضرورة السياسية الملحّة، والجاذبية الجماهيرية التي تحقّقت للترجمات الأدبية في هذه الحقبة بمثل ما عبر به تيد هيوز، إذ يقول:

«إن ازدهار المبيعات الشعبية للشعر الحديث المترجم كان غير مسبوق. لقد كان ذلك مجرد مظهر واحد من موجة امتزجت فيها الطاقات، ومثّلت صدمة كهربية لتلك السنوات بما اشتملت عليه من مظاهر التطرف. ومع ذلك، فقد أفاد هذا الازدهار من كل ذلك تقريباً: من البوذية، والجنون الجمعي بأيديولوجية الهيبز، وتمرد الشباب، وموسيقا البوب للبيتلز وجيلهم.. هذه اللحظة التاريخية يمكن النظر إليها على أنها انكشاف من الداخل، وعلى أنها تغيير تاريخي (أَلْفِيٌّ) في رؤية الغرب الصناعي للواقع»[2].

(2) Ted Hughes, «Introduction,» in: *Modern Poetry in Translation: 1983*, p. 9.

يرى هيوز أن ازدهار الترجمة في الستينات لم يكن إلا مظهراً واحداً لحركة جيل عبرت عن نفسها بوسائط متنوعة. كما يرى أن الترجمة حركة مضادة للاستقرار. ويمكن ألا تكون رؤيته هذه صادقة على كل ترجمة جرت خلال هذه الحقبة، بيد أنها يقيناً رؤية ملازمة للصواب، بالنسبة إلى مجموعة كبيرة ومؤثرة من شعراء أمريكا المعاصرين الذين مارسوا الترجمة آنئذ؛ ومن أبرزهم: روبرت لوويل (Robert Lowell)، وروبرت بلاي (Robert Bly)، وو. س. ميروين (W. S. Merwin)، وغاري سنيدر (Gary Snyder)، ودينيس لوفرتوف (Denise Lovertov)، وغالواي كينيل (Galway Kinnell)، وإليزابيث بيشوب (Elizabeth Bishop)، وو. د. سنودغراس (W. D. Snodgrass)، ولورنس فيرلينغيتي (Lawrence Ferlinghetti). إن هؤلاء الشعراء لم يتمرّدوا على المؤسسات الأدبية التقليدية فحسب، ولكنهم تمرّدوا أيضاً على السياسات القومية والدولية لحكومتهم والمجتمع الغربي بوجه عام. وبعد ذلك بعقد من الزمان كتب بول إينغل مقدمة لديوان بعنوان: **كتابة من العالم II** (Writing from the World II) (1985)، وهو ديوان ضمّ ترجمات أدبية من أواخر السبعينات وأوائل الثمانينات، وفي هذه المقدمة عرض إينغل السبب الفاعل من الوجهة الاجتماعية، والملحّ من الوجهة السياسية، والذي يؤكد الحاجة إلى الترجمة في العالم المعاصر ـ وقد لخصه على الوجه الآتي:

«ما دام العالم ينكمش بعضه على بعض كالبرتقالة القديمة، وما دامت جميع الشعوب في كل الثقافات يقترب بعضها من بعض (وإن يكن اقتراباً يتم على كراهة وريبة)، فيجب إذن أن تكون الجملة الحاسمة بالنسبة إلى السنوات الباقية من حياتنا على الأرض هي: الترجمة أو الموت (Translate or Die). إن أسباب الحياة بالنسبة إلى كل مخلوق على ظهر الأرض ربما تعتمد يوماً

ما على الترجمة الفورية والدقيقة لكلمة واحدة»[3].

## ورشة الترجمة: المقدمة

على الرغم من تنامي الاهتمام لدى الجمهور بالترجمة الأدبية، وما طرحه نقاد الأدب في أمريكا الشمالية من أسئلة مهمة عن الطبيعة النظرية للغة في بضعة العقود الماضية، فإن قلةً هم الذين توقفوا لعقد الصلات بين هذين النوعين من الممارسة. ولعلّ أحد التفسيرات لغياب هذا الاهتمام النقدي يمكن إرجاعه إلى المقدمات «اللانظرية» (Atheoretical) التي كتبها ممارسو الترجمة والقائمون بتدريسها، كما تتجلى في تقديمات (Prefaces) ومقدمات (Introductions) لنصوص مشتملة على ترجمات. وتشرح لنا مقالة كتبها يوناس زدانيس ـ من «ورشة ييل» للترجمة ـ هذه المشكلة. في مقالة له بعنوان: «تدريس الترجمة: ملاحظات حول بنية مساق دراسي» (Teaching Translation: Some Notes Towards a Course Structure)، يتحدث زدانيس عن تناقض المشاعر الذي وقع فيه أول الأمر في شأن تعليم الترجمة الأدبية، إذ إنه يشعر أن هذه العملية الإبداعية لا يمكن تعليمها. ثم إنه يتجاوز إحجامه، ويوافق على أن يقوم بهذا العمل، آملاً أن يجتذب إليه طلاّب الأدب من المهتمين باستكشاف الجوانب النظرية والعملية للترجمة الشعرية[4]. ثم يشرع زدانيس في مراجعة

(3) Paul Engle and Hualing Nieh Engle, «Foreword,» in: Paul Engle and Hualing Nieh Engle, eds., *Writing from the World: Poetry, Fiction, and Criticism in Translation and in Original English by Members of the International Writing Program from the First Ten Years of its Life* (Iowa City: International Writing Program; School of Letters, University of Iowa, 1985), p. 2.

(4) Jonas Zdanys, «Teaching Translation: Some Notes Toward a Course Structure,» *Translation Review* (Richardson, Tex.), no. 23 (1987), p. 10.

المقرر، والكتب التي يجرى تدريسها، وبِنْيَة قاعة البحث وما حققته من نجاح، مؤكداً ـ بوجه خاص- الاستمتاع بالقصائد وما ينجزه الطلّاب من ترجمات. وتنتهي المقالة بتغيير زدانيس رأيه القائل بأن تدريس الترجمة أمر غير مناسب، مبرهناً ـ على العكس من ذلك ـ على أن فن الترجمة ليس قابلاً لأن يدرَّس فحسب، بل إن في إمكانه أيضاً أن يجعل الطالب أكثر وعياً بالمظاهر المتصلة بالشعر واللغة والجماليات وتفسير النصوص.

وتبدو ملاحظات زدانيس تشخيصاً للفرضيات الشائعة في ما يتصل بتدريس الترجمة في الولايات المتحدة. إنه يشارك غيره الفرض القائل بأن الكتابة الإبداعية غير قابلة لأن تدرَّس، وأن موهبة الإبداع هي شيء يولد مع المرء. وقد كان مثل هذا الاعتقاد بلاء على الكتابة الإبداعية لسنوات، قبل أن يتحقق لها القبول بوصفها تخصصاً جامعياً. ويبوح زدانيس ـ ثانياً ـ بميله إلى تعليم الطلاب كيف يستمتعون بالقصيدة الأصلية، وهو ما يوافق فيه عقائد مدرسة «النقد الجديد». والنتيجة التي انتهى إليها زدانيس ليست مستغربة بحال، فعلى الرغم من أنه يناهض المعرفة التقليدية القائلة بأن الترجمة قابلة للتدريس في الجامعة، فإنه لم يفعل ذلك للأسباب التي يقترحها تيد هيوز؛ وهي أن الترجمة يمكن أن تؤدي إلى تغيير الكيفية التي ينظر بها الغرب إلى الواقع. إن زدانيس إنما يقول بذلك، لأن الترجمة تعزز أيديولوجية ذات صبغة إنسيّة (Humanistic) محافظة إلى حدٍّ ما. وليس ثمة مكان أفضل للكشف عن ذلك من التناقض الذي تتضمنه المقالة حول الأسس النظرية لهذا المقرر الدراسي. إن زدانيس يأمل من جهة أن يجتذب المقررُ الطلابَ المهتمين بالقضايا النظرية، ولكنه من جهة أخرى يجادل قائلاً بأنه هو نفسه يعارض «النظريات الجمالية السابقة التجهيز». وهو ـ إضافة إلى ذلك ـ يقول لنا دون أن يصرح

بالأسباب: «إنه مما يؤسف له أن هذه المقالة لا يمكن أن تضع في اعتبارها» إسهام التقويضية في الحقل، على الرغم من أن ييل نفسها ـ وهذا من المفارقات ـ تضم عدداً كبيراً من النقاد، هم في الحقيقة جزء من القسم الذي يطرح فيه المقرر (برنامج خاص لجميع الأقسام). وعلى الرغم من مزاعمه المناقضة لذلك، يكشف زدانيس عن النزعات الجمالية التي تكمن وراء المقاربة التي يتبناها فيقول:

«على الرغم من أني لست مستعداً للتنازل عن التزامي بالعزلة الإبداعية (Creative Solitude)، فإني أعتقد جازماً أن المناقشات التي تتناول كل المقالات النظرية، والقراءة الفاحصة للقصائد الأصلية، والمسودات الأولى، والترجمات في صورتها النهائية، وأخذ جوانب الترجمة المختلفة في الاعتبار؛ تجعل المشاركين في ورشة العمل واعين تمام الوعي بالعملية الديناميكية المتمثلة في الأدب؛ يقيناً لقد تحقق للطلاب باقتراب نهاية المقرر فهم أكثر ثراء لبنية الأدب المعقدة»[5].

إن زدانيس يرى بوضوح أن الترجمة إبداع ذاتي، ويضع الترجمة في تصنيفه تحت هدف أكبر هو تفسير الأدب. وحجته في أن دراسة الترجمة يمكن أن تقود إلى فهم نوعي «أكثر ثراء» تكشف عن برنامجه ذي النزعة الإنسيّة. وينكشف هدفه ـ على نحو أكثر صراحة ـ في أحد أقسام المقالة نفسها؛ إذ يتحدث فيه عن حضور طالبة من طلاب اللسانيات في المقرر. لقد كانت «الشكوك» تراود زدانيس «أول الأمر» في ما عسى أن تسهم به هذه الطالبة في حلقة البحث! ولكنها قدمت بالفعل منظوراً «قيّماً وآسراً» للعملية الجمالية التي كان يقوم بتدريسها. هنا يناقض زدانيس المقدمة المنهجية التي ذكرها ـ وهي

(5) المصدر نفسه، ص 11.

رفض النظريات الجمالية المسبقة ـ فينتهي إلى القول بأن المقاربة التي قدمتها الطالبة ـ على الرغم من أنها كانت إضافة «منعشة» إلى المقرر ـ فإنه «يأمل في سريرته» أن يُحدِث لديها «تحوّلاً» في أثناء الدرس. ويبقى هنا السؤال: «إلى أي شيء يريد أن يتحول بها؟».

هذا «الشيء» غير المصَرَّح به هو الموضوع الذي أودّ أن أعكف على تأمله في هذا الفصل. إن لدى الباحثين المرتبطين بورشة الترجمة في أمريكا الشمالية مقدمة منهجية تميل إلى الزعم بأن المقاربة التي يتبنّونها ليست محكومة سلفاً بأي شروط نظرية. ويحاول هذا الفصل أن يقدم صياغة للمسكوت عنه (Non-Dit) الحاضر في أعمالهم، وأن يحلل تلك الفرضيات المستكنّة، وأن يبيّن كيف أنهم واقعون بين أمرين: فإما أنهم يدعمون صرح الأدب القائم، وإما أنهم يقدمون زعماً معكوساً يستحق مزيداً من المناقشة. إنني لآمل ـ من خلال هذه المقاربة ـ أن أبيّن أن ورشة الترجمة تقوم في الحقيقة بالأمرين معاً: إنها تدعِّم وتدمر في آن واحد. وإن هذا النشاط المزدوج ـ الذي هو ذو تأثير فعّال بالضرورة بسبب المنهجية ـ هو في ذاته إسهام في البحث المتواصل الذي لا يتناول ظاهرة الترجمة فحسب، بل يتجاوزها إلى اللغة بوجه عام.

## آي. أ. ريتشاردز: النقد الجديد والترجمة

إذا كان ثمة نص يمثل أفضل تمثيل نظرية مقاربة الترجمة باستخدام ورشة الممارسة العملية ـ فهو نص ريتشاردز في كتابه: **النقد العملي** (Practical Criticism) (1929). في أواخر العشرينات من القرن العشرين أقام ريتشاردز ورشة القراءة الأولى، وهي الورشة التي كان لها الريادة في مجالين هما: ورشة الكتابة الإبداعية، وورشة الترجمة. وكانت التجربة الشهيرة التي قام بها ريتشاردز هي أن

يعطي أفضل طلابه في المرحلة الجامعية الأولى في جامعة هارفارد ثلاث عشرة قصيدة لمؤلفين، بدءاً من شيكسبير (Shakespeare)، وانتهاء بـ «إيلاّ هويلر ويلكوكس» (Ella Wheeler Wilcox). تَلقَّى الطلاب القصائد غير مزوّدين بأي معلومات أخرى (بلا عنوان للقصيدة، أو اسم المؤلف، أو أي معلومات عن سيرة حياته)، ومنحوا أسبوعاً ليقدموا استجاباتهم، وبعدها قام ريتشاردز بتجميع التكاليف. وكانت لريتشاردز من ذلك ثلاثة أهداف:

(1) أن يدخل إلى الثقافة الأمريكية المعاصرة نوعاً جديداً من التوثيق.

(2) أن يزوّد الأفراد بتقنية جديدة يكتشفون عن طريقها بأنفسهم أفكارهم عن الشعر.

(3) أن يستكشف طرقاً تربوية جديدة.

كان مأمول ريتشاردز ـ باستخدام مقاربة تعزل الطالب والنص كليهما عن المجتمع ـ أن يدخل نوعاً من التوثيق يدعم به معتقداته الجمالية، وهي: أن ثمة «معنى» موحداً موجوداً يمكن استخلاصه، كما أن ثمة نسقاً تقويمياً موحداً وموجوداً يمكن للقارئ أن يحكم به على قيمة ذلك «المعنى».

ما الصلة القائمة بين ورشة ريتشاردز للقراءة في العشرينات وورشة الترجمة في أيامنا الحاضرة؟ إن هذه الصلة تتمثل في أمرين:

**الأول**: أن كلتيهما تدخل توثيقاً جديداً إلى الثقافة، هو في الغالب استجابات ناقد لمّا يزل غير مكتمل التكوين. إن ورش الترجمة التي جاءت لاحقاً ـ كما يتبيّن من مقالة زدانيس السابق ذكرها ـ قد اتبعت السنَّة التي سبق بها ريتشاردز، متباهية بأن طلابها

ليس لديهم من قَبْلُ أية منهجية مسبقة. والحق أن هذا التحرر من القيد ـ وإن بدا في الظاهر أنه يمكن أن يسمح بفحص «أوفر حظاً من الصواب» لعملية الترجمة ـ فإننا نجده عند الممارسة لدى ريتشاردز ومشروعات الترجمة اللاحقة في مؤسسات التعليم العالي قد أفضى إلى نتيجة مختلفة. إن الأثر الناتج من ذلك ببساطة هو أن الطلاب يكيّفون أنفسهم مع الأذواق والميول القائمة الواقعة تحت سيطرة المؤسسات الأدبية.

**الثاني**: أنه على الرغم من أن ريتشاردز يؤكد على «الأفراد» و«اكتشافهم لأنفسهم»، وأن هذا التأكيد يمكن أن يبدو عليه التسامح والديمقراطية، فإنه لا يخلو من برنامج ذي نزعة إنسيّة مستكنة. إن هذه المقاربة التي يطرحها ريتشاردز كانت تبدو مفتوحة لتفسيرات متعددة، ولقراءات كانت تتسم بالتحرر والفردية، ولاحتمال السير في اتجاه مضاد لما هو راسخ، كما أنها مفتوحة أيضاً لقراءات تعزز التفسيرات التقليدية. الحق أن غاية مشروعه كانت على النقيض من ذلك تماماً: إنها إرساء تقنيات تربوية جديدة، ينبغي أن تقود إلى «تفسير متصف بالكمال» للنص، ينتهي إلى استجابة موحدة وصحيحة. لم يكن ريتشاردز في ورشته الواقعية باحثاً عن الاستجابات المتنوعة، ولكنه ـ على العكس من ذلك ـ كان يبحث عن حلول موحدة لمشكلات التواصل، بتوليد قواعد ومبادئ يمكن عن طريقها للتفسيرات الفردية أن تصاغ، وأن تكون منضبطة بطريقة صحيحة، يقول ريتشاردز:

«إن جهاز القواعد والمبادئ النقدية في مجمله هو وسيلة لتحقيق تواصل أكثر رهافة ودقة وقدرة على التمييز. . . إننا حين نحل تماماً مشكلة التواصل، وحين نمتلك التجربة امتلاكاً كاملاً، أي نمتلك الحالة الذهنية التي تتوافق مع القصيدة، حينئذ علينا أن نحكم

عليها، وحينئذ علينا أن نتخذ قراراً في ما يتعلق بقيمتها»[6].

إن مثل هذا الطراز يفترض وجود تجربة شعرية أولية يمكن توصيلها إلى شخص آخر على وجه الدقة والكمال إذا امتلك المرء الثقافة الصحيحة، وكذلك يكون تقويم القصيدة محكوماً من جديد بإجماع من الذين تتيح لهم مواهبهم المدربة أن يستشرفوا النور، وأن يأتي حكمهم مطابقاً لهذه الرؤية. لقد استقرت سلطة التقويم في يد النخبة، كاشفة في نهاية المطاف بكل الوضوح عن الأهداف التعليمية التي تبناها ريتشاردز: إن طلاب ريتشاردز في جامعة هارفارد قد تعلموا أن يفكروا ويحكموا بالطريقة التي اعتمدها هو تماماً. ويحاول ريتشاردز، في إحدى المراحل، أن يبرهن على أن مواطن القصور عند واضعي القواعد المنظمة للعمل (البروتوكولات) لم تكن من «عيوب» العقل البشري، ولكنها «أخطاء» كان في الإمكان تلافيها إذا تحقق التدريب الأفضل[7].

لقد تبنّت منهجية ورشة الترجمة ـ من حيث البنية ـ جوانب معينة من ورشة القراءة عند ريتشاردز؛ فقد تبعته ـ **أولاً** ـ في محاولته اكتشاف قواعد ومبادئ تعين على تحقيق تواصل يتسم بمزيد من الرهافة والقدرة على التمييز، والفارق الوحيد بينهما هو أن المشاركين في ورشة الترجمة يحاولون القيام بتوليد قواعد للقراءة والكتابة. و**ثاني** الجوانب أن الهدف نفسه ـ وهو تحصيل تجربة أولية، ثم إعادة التعبير المبين عنها لفظاً ـ هو حاضر أيضاً، غير أن الفارق الوحيد هو في الوسائل التي يُعبَّر بها عن التجربة. إن الترجمة الأدبية في أمريكا

(6) Ivor Armstrong Richards, *Practical Criticism; a Study of Literary Judgment* (New York: Harcourt, Brace, 1929), p. 11.

(7) المصدر نفسه، ص 309.

ينظر إليها غالباً على أنها شكل من أشكال القراءة الدقيقة، وبعضهم يرى أنها أدق أشكال القراءة، والهدف من ذلك هو إنجاز تعبير مبين كامل في تفسير أو ترجمة يتصف كلاهما بالكمال. إن الملخص الذي ساقه ريتشاردز للهدف الذي يتوخاه من ورشة القراءة يمكن أن يصدق بالقدر نفسه على الهدف من ورشة الترجمة، وذلك إذ يقول: «إن الفهم المتصف بالكمال عليه ألا يقنع باستيعاب الاتجاه المنضبط في الفكر، والاستحضار الدقيق للشعور، وإتقان الإمساك بالنغمة الصحيحة، ودقة التعرف على المقصد، ولكن عليه أن يتجاوز ذلك كله إلى إحكام الجمع بين هذه المعاني المتساهمة في نسقها الصحيح»[8] .

وهكذا تبدو الفجوة واسعة؛ فبدلاً من أن يكون ما يقوم الأفراد باجتلابه إلى النص ـ بحكم تباين خلفياتهم ومسلماتهم الأيديولوجية ـ أمراً جديداً، أعني: متفرداً ومختلفاً، نجد طراز القراءة عند ريتشاردز ـ على النقيض ـ يفرض «معنى» موحداً، يحتل المكان الصحيح الذي يُفْتَرَضُ تقليدياً أن يكون فيه، حيث يتعرف القصد (أي قصد المؤلف) تعرفاً دقيقاً. وهكذا افترض ريتشاردز افتراضاً تحكمياً أن القراء يستطيعون أن يفهموا فهماً دقيقاً ما قاله المؤلف، وأنهم يستطيعون عبر التفسير أن يستعيدوا ذلك المعنى نفسه. وينبغي ألا نتلقى بالدهشة هذه الحقيقة، وهي أن ريتشاردز في كتابه: **النقد العملي** يناصر نظاماً تعليمياً بالغ الصرامة، يقوم على زيادة التكاليف المنزلية، وتطوير النضوج، والتحكم في مخزون الاستجابات، وحماية القراء من الأفكار التي يتحيزون إليها. ومن خلال هذا النظام الصارم يمكن لمشكلات القراءة أن تُحَل، وللإجماع أن يتحقق.

---

(8) المصدر نفسه، ص 332.

وهكذا تحوّلت الحجة التي بدت في أول أمرها ممعنة في الديمقراطية ـ وهي تعليم الطلاب أن يفكروا لأنفسهم ـ إلى إدانة للنظام التربوي الأمريكي. من هنا يدلل رينيه ويليك (René Wellek) ـ في كتابه: **تاريخ النقد الحديث: 1750–1950** (*A History of Modern Criticism: 1750 - 1950*) – على أن الحل الذي طرحه ريتشاردز قد أخفق بسبب ما ينطوي عليه من «عقائد جازمة ممعنة في التخفي» (Highly Concealed Dogmas)، وأن ما توصل إليه من نتائج بناها على تنوع فوضوي من استجابات القراء، هي نتائج غير ذات أهمية[9] (Absurd). لقد آمن ريتشاردز بأن القارئ للشعر الجيد هو خير للمجتمع من ذلك الذي لا يقرأ. واختلطت القيم السياسية عنده بممارسته الأدبية، لتنتج نظرية تفترض إمكان وجود قارئ كامل يمكنه أن يستعيد المعنى الأصلي لدى المؤلف. إن المقاربة التي قدّمها ريتشاردز لم تقدم أي جديد، ولكنها على النقيض من ذلك قد عززت من سلطة المؤسسات الأدبية والبُنَى السياسية المحافظة.

وبالإضافة إلى إسهامه الشهير في النقد الأمريكي في القرن العشرين قام ريتشاردز بغزوة أغار فيها على حقل نظرية الترجمة؛ ففي دراسته التي عنوانها: «نحو نظرية للترجمة» (Toward a Theory of Translating) التي نشرت عام 1953، قام بتهذيب لنظريته حول المعنى في عُرض مناقشته للكيفية التي ينبغي أن تقارن بها الترجمات إلى النصوص الأصلية. لقد صار مشروعه الأول ـ حيث يحاول أن يقدم حلولاً للمشكلات التي تعوق الفهم الكامل ـ مثاراً لإشكاليات متزايدة في ضوء ثلاثة عقود من البحث النظري، وتأثر تأثراً كبيراً

(9) René Wellek, *A History of Modern Criticism: 1750-1950*, 8 vols. (New Haven: Yale University Press, 1955-1992), p. 229.

بنظريات النسبية (Relativity) والإشارية (Referentiality). ولم يكن ريتشاردز بمنأى من تعرض النظرية النقدية المتطورة له؛ يقول ريتشاردز:

«أَنّى للمرء أن يقارن جملة في الشعر الإنجليزي بأخرى في النثر الإنجليزي (أياً ما كانت درجة الشبه بينهما)؟ أو تُرى أنّى يكون ذلك لجملتين اثنتين، أو لجملة واحدة في موقفين مختلفين؟ ما حدّ الترادف (Synonymy)؟[10]. إن نظرية نقدية وتفسيرية تتسم بالتكاثر والانقسام لهي شاهد على وجود الصعوبة، وقد أصبح ذلك محسوساً أكثر فأكثر في العقود الأخيرة»[11].

لقد وضع ريتشاردز حاشية كوين (Quine) بعد كلمة «ترادف»، لأن المعنى وترجمته في إطار اللغة الواحدة أو في ما بين لغتين قد اكتسب مزيداً من الإشكالية عند نقاد الأدب، ولأن مشكلة الترادف عند كوين، وفي التراث الفلسفي الأنجلو ـ الأمريكي، أي المساواة بين الهوية ودقة الدلالة، قد تجاوزت قوانين المنطق.

وبعد ذلك بسنوات قلائل عمد كوين ـ في كتابه: **الكلمة والشيء** (*Word and Object*) ـ إلى استعمال الترجمة، ليبرهن بها على تعقّد اللغة وعدم قابليتها للتحديد، فكتب في تقديمه للكتاب: «اللغة فن اجتماعي، وعلينا في اكتسابها أن نعتمد اعتماداً كلياً على مفاتيح دالة متاحة بطريقة تبادلية في ما بين الأشخاص

---

(10) انظر: Willard van Orman Quine, «Two Dogmas of Empiricism,» *Philosophical Review* (Ithaca), vol. 60, no. 1 (January 1951).

(11) والحاشية من الأصل في: Ivor Armstrong Richards, «Towards a Theory of Translating,» in: Arthur F. Wright, ed., *Studies in Chinese Thought*, with Contributions by Derk Bodde [et al.], Comparative Studies in Cultures and Civilizations ([Chicago]: University of Chicago Press, [1953]), p. 249.

(Intersubjectively Available Cues)، في ما يتعلق بما يجب أن يقال ومتى يقال، وبذلك ينتفي أي مسوغ لإجراء المقابلات اللغوية بين المعاني»[12]. وفي الفصل الذي عنوانه «الترجمة والمعنى» (Translation and Meaning) تحول كوين إلى الترجمة؛ ليعالج مسألة كانت في الغالب ذات صبغة تجريدية عند النظر إلى اللغات نظرةً لسانية أحادية، ثم ليجعل من هذه المسألة شيئاً أقرب إلى الحقائق الملموسة.

قدّم كوين فكرة «المجال» (Scope) ويعني به: «التنوع غير المشروط إمبريقياً بقواعد استعمال» (Empirically Unconditioned Variation)، مستشهداً لذلك بالمثال الآتي: «قد يتشابه اثنان من البشر تمام التشابه في جميع الميول تجاه السلوك اللغوي في ظل جميع المثيرات الحسيّة الممكنة، ومع ذلك فإن المعاني أو الأفكار التي يعبران عنها في ما ينطقان به يمكن أن تختلف اختلافاً جذرياً، على الرغم من تطابقها التام من حيث البواعث وسلامة الأداء»[13]. لقد ناقضت النتيجة التي توصّل إليها كوين بطريقة مباشرة أيَّ نظرية للترجمة تقوم على مفاهيم التكافؤ؛ يقول كوين:

> «إن الكتيبات الإرشادية التي تُصاغ لأجل الترجمة من لغة إلى أخرى يمكن أن تُقَدَّم بطرق شتى. وجميع هذه الكتيبات تحقق التوافق من حيث التنظيم الإجمالي للكلام، ولكنها مع ذلك، لا تحقق التوافق في ما بينها. ومع الترجمات المتوالية للجملة في لغة من اللغات سيحصل التباعد بين هذه الكتيبات في ما لا حصر

---

(12) Willard Van Orman Quine, *Word and Object*, Studies in Communication ([Cambridge, MA]: Technology Press of the Massachusetts Institute of Technology, [1960]), p. ix.

(13) المصدر نفسه، ص 26.

له من المواضع، وذلك حين تقدّم جملاً من اللغة الأخرى لا تتكافأ في ما بينها على نحو مقبول، بل يفتقد الإحكام»[14].

كانت مشكلات الإشارية وعدم القابلية للتحديد على مدى الزمن مصدر إزعاج لنظرية الترجمة، ولذلك أصبح الإبقاء على الأفكار الداعية إلى تبني مقاربات النقل على أساس: كلمة في مقابل كلمة، وعلى المناهج التي تدور حول عمليات حل الشفرات وإعادة تركيبها ـ كل ذلك أصبح الإبقاء عليه أمراً يتسم بالصعوبة المتزايدة. لقد كان ريتشاردز يأمل في أن يستكشف القوانين التي تميط اللثام عن المعاني الأدبية، غير أنه وجد في أخريات العمر أن كَمّ التفسيرات المختلفة والترجمات المختلفة التي اجتمعت لديه قد قوّضت في الحقيقة مشروعه من الأساس. وبعد عقود من ظهور كتاب: **النقد العملي** قرّر ريتشاردز أن السبب في إخفاق مشروعه الأولي هو أن حقول المقارنة داخل عملية الترجمة كانت بالغة الاتساع، وأنها فسحت المجال لعدد غير محدود من التخمينات. أما الحل الذي اقترحه في دراسته «نحو نظرية للترجمة» فقد صار حلاًّ قائماً على تضييق الحقل واختيار المنهجية الصحيحة للغرض المناسب. لقد اعتقد أن المترجمين إذا اتفقوا على الغرض الذي ينشدون تحقيقه (كما هو مفترض فيمن يمارسون ترجمة الأدب)، فحينئذ لن يكون من الصعب تحديد المنهجية المناسبة لتحقيق الغرض؛ يقول ريتشاردز:

«إن حقول المقارنة مألوفة بما فيه الكفاية في الواقع المتعين، وفي دقائق الممارسة. . . وكل ما علينا أن نفعله هو أن نقوم بتنظيم هيكل لتجربة ذات نصيب وافر من العمومية، وأن يتخذ هذا التنظيم صورة مخطط شحيح بالتفاصيل بقدر ما يسمح به

(14) المصدر نفسه، ص 27.

الوفاء بالمراد، حتى إذا أمكن لنا التوصل إلى تحديد للغرض المقصود من هذا التنظيم، حينئذ لن يكون هناك إلا القليل مما قد نختلف عليه»[15].

وعلى الرغم من المراجعة التي قام بها ريتشاردز تظل المقدمات المنهجية الأولى على حالها، فهو لا يزال يعتقد أن الحقل يتألف من نصوص تحتوي «هيكل تجربة» أساسياً يمكن لنخبة قليلة من القرّاء أن يتبيّنوه، وأنّ التدريب الصحيح كفيل بتحقيق التوصل إلى إجماع بشأن ما يتوقع للتجربة أن تكون عليه. ولم يستطع ريتشاردز أن يخلص نفسه من متطلبه الملحّ، وهو اختزال جميع وجوه اختلاف التفسير في استجابة مفردة واحدة.

لقد سمحت مثل هذه المقدمة المنهجية لريتشاردز أن يضع مخططاً لطراز نظري من الاتصال طرفاه: المُشفِّر والقائم بحلّ الشفرة (Encoder/ Decoder)، وهو طراز شبيه بالذي يستخدمه المنظّرون في مجال الاتصال. غير أنّ الرسم التخطيطي الذي وضعه ريتشاردز هو أكثر تعقيداً إلى حدٍّ ما، فهو يقسِّم الرسالة الأصلية إلى سبعة مكوّنات، يحمل كل مكوّن منها معنى يتطلب حلّ الشفرة الخاصة به. ويرى ريتشاردز أن المترجم لا ينبغي له الاكتفاء بأن يكون واعياً بأن العلامة: (1) تدل على شيء ما (Indicates)، ولكن العلامة أيضاً (2) تعيّن الخصائص (Characterizes) (أي تقول الشيء نفسه، أو تقول جديداً عن الأشياء)، (3) وأنها تجسِّد (Realizes) (أي تَعْرِض الشيء بدرجات متفاوتة من الحيوية)، (4) وأنها تحدد القيمة (Values)، (5) وأنها تؤثر (Influences) (أي تُرَغِّبُ في التغيير)، (6) وأنها تربط (Connects)، (7) وأنها تحقق غرضاً (Purpose) (أي تحاول الإقناع)[16].

---

(15) Richards, Ibid., pp. 252-253.

(16) المصدر نفسه، ص 252-253.

وعلى ذلك فالقَسَمُ (أو السُباب) (Swearing) بوصفه مثلاً للمكون الرابع يمنح قيمة لشيء ما، بالإضافة إلى وظيفته الإشارية إلى هذا الشيء.

هكذا اكتسب «المعنى» عند ريتشاردز خاصية النمو ليكون على درجة عالية من التعقيد، وليكون له جانبان: ضمني وصريح. وعلى سبيل المثال سلّم ريتشاردز تحت المكوّن الثالث «التجسيد» (Realizing) بأن «الذي يتحقق له درجة عالية من التجسيد يمكن أن يكون ذا خصائص واضحة التميز (Distinct)، وذا بنية ظاهرة مستعلنة (Structured Explicitly)، ومُفَصَّلاً (Detailed)، ومحدَّداً بوضوح في معظم الدلالات الاستراتيجية لهذه الكلمة (Definite)، غير أنه من الممكن أيضاً، وبالدرجة نفسها، أن يكون «غير محدد» (Indefinite). أضف إلى ذلك أن العكس قد يكون صحيحاً؛ يقول ريتشاردز: «إن كثيراً من الحيل الأسلوبية، بدءاً من العناوين الرئيسة إلى الصيغ المكرورة في كلام المراسل والمعلّق تختزل الواقع الذي تقوم بتقديمه»[17]. لقد كان ريتشاردز واعياً كل الوعي بأن العلامات (Signs) لا يمكن أن تكون عارية من محاولات الإقناع.

غير أن ريتشاردز ـ على الرغم مما قام به من مراجعات، ومن فهمه للطبيعة المركبة التي تتميز بها مقولات المعنى، التي هي مقولات متأصّلة في أية رسالة ـ أقول إنه على الرغم من ذلك كله، بقيت مقدماته النظريّة على حالها إلى حد كبير. لقد قام بتفصيل للطراز النظري الذي اقترحه عام 1953 على المترجم، وهو طراز يستهدف التوصل إلى الترجمة «المنضبطة» (Proper» Translation»). وكان ريتشاردز على وعي بأن الإبقاء على الفكرة القائلة بإمكان

(17) المصدر نفسه، ص 257.

التوصل إلى قراءة موحّدة هو أمر يواجه صعوبات متزايدة، كلما توغلت نظريات النسبية في داخل الإطار النظري للبحث الأدبي خلال القرن العشرين، وعلى حين كانت هذه القضية حافزاً لكتابة هذه المقالة بعينها، فإن القضية تبقى في نهاية المطاف بغير حلّ. لقد اعترف ريتشاردز في المقالة ـ من جهة ـ بأن ثمة احتمالاً كبيراً لأن تكون الترجمة هي أعقد أنماط الأحداث التي أنتجتها مسيرة تطوّر الكون حتى الآن[18]، ولكنه من جهة أخرى يرى أن المترجمين يمكنهم ـ بالتعليم الصحيح والممارسة ـ أن يصلوا إلى المنهجية الصحيحة التي تمكِّنهم من تحصيل الفهم الصائب للنص الأولي. وعلى الرغم من أن ريتشاردز قد أفسح مكاناً للقول بتعقد الظاهرة، ظَلَّ الطراز الذي يتبناه طرازاً يرجح أن الرسالة الأصلية يمكن فك شفرتها بطريقة صحيحة، ومن ثم يُعاد تشفيرها في لغة أخرى. وبقي ريتشاردز على رأيه في أن دارس الأدب يمكنه أن يطوّر قواعد يتوصل بها إلى حلّ أي مشكلة اتصالية، ويتوصل بها إلى الفهم الكامل، ويعيد صياغة تلك الرسالة بعينها صياغة صحيحة.

ولو أن ريتشاردز قدّم مثل هذا الطراز المركَّب في الثلاثينات لكان عملاً خارقاً في هذا المجال، أما وقد قدمه في حينه هذا، فإن المقالة قرئت على أنها لعبة يائسة لاستبقاء السلطة داخل المؤسسة في ضوء تطورات نظرية جديدة، وعلى أنها إشارة إلى أن الوقت قد صار ملائماً لظهور استبصارات جديدة. ولقد جاءت الخلاصة الختامية غاية في الإبانة، يقول ريتشاردز:

«إننا حرّاس (بالمدلول الذي يشير إليه المكوّن الرابع من مكونات المعنى، أي: نعيّن قِيَماً (Valuers)، ومن ثم نحن عرضة للتناقض

(18) المصدر نفسه، ص 250.

في الحكم، وذلك لأن علينا أن نستمد سلطاتنا ـ بطريقة ما ـ من القوى نفسها التي نحن مضطرون إلى بذل جهودنا للسيطرة عليها. إن نظرية الترجمة ينبغي عليها أن تعمل ليس فقط من أجل تحقيق فهم متبادل أفضل بين الناطقين باللغات المختلفة، بل أيضاً، إذ يظل الأهم من بين أهدافها، أن تحقق رؤية أكثر كمالاً لذاتها، ولعملية احتواء الدلالة التي عليها أن تخدمها»[19].

لقد حاول ريتشاردز ـ لأنه يدرك أنه إنما يستمد سلطته من توجيه النقد الأدبي ـ أن يتخذ من نظرية الترجمة خادماً تابعاً للهدف الأكبر، وهو هدف «استيعاب المعنى» (Comprehending) بالمدلول الذي يتبناه النقد الجديد، وكان ناجحاً في تحقيق هذا الهدف، وبانتشار طلاب مشروع هارفارد خلال النظام الجامعي الأمريكي صار النقد الجديد هو أكثر المقاربات شيوعاً لعقود من الزمن.

غير أن اللغة، على أي حال، لا تسلم قيادها لمثل تلك القوى المتحكمة، وهذه الحقيقة أشد ما تكون ظهوراً في حقل الترجمة. إن الترجمة الحقيقية هي على النقيض، فبدلاً من أن تؤسس منظومة من القواعد التي تخضع النص لتفسير محدود وموحد، ولـ «رؤية متصفة بالكمال» ـ أقول: بدلاً من ذلك: تميل الترجمة الحقيقية إلى أن تشقّ طرقاً جديدة للنظر، وأن تدمر الطرق الثابتة. وعلى الرغم من التثقيف والتدريب السديد على المنهجيات المنضبطة، فقد أظهر البحث أنه إذا قُدّم نص واحد إلى طائفتين من المترجمين في ورشتين، فإن حاصل العمل سيكون ترجمتين مختلفتين، وأن النصوص الجديدة تبدو دائماً غير مطابقة للأصل، ولا لأي ترجمة أخرى. وعلى الرغم من أن ريتشاردز قد استمد سلطته من اللغة، فإنه ـ في ما يبدو ـ لم

(19) المصدر نفسه، ص 261.

يفهم جوهر كينونة الشيء الذي هو مصدر سلطته. وإذا كانت ورشة الترجمة في أمريكا الشمالية قد أفلحت في إثبات شيء، فقد أثبتت أن للنص المترجم ـ في ما يبدو ـ حياة خاصة لا تستجيب لمنظومة القواعد التي يعتمدها المفسّر، ولكنها تستجيب لقوانين فريدة من نوعها بالنسبة إلى نمط الترجمة نفسها.

## عزرا باوند: نظرية التفاصيل المضيئة

ركّزت نظرية عزرا باوند ـ خلافاً لنظرية الترجمة الصحيحة عند ريتشاردز ـ على النقل الدقيق للتفاصيل، وللكلمات الخاصة، وللصور المفردة، بل حتى المتشظية. وبدلاً من أن تفترض «نظرية» باوند وجود معنى مفرد موحد لمجمل العمل، نجدها قد أُسست على مفهوم الطاقة في اللغة، حيث لا يُنظر إلى الكلمات فوق الصفحات، وإلى التفاصيل الدقيقة على أنها علامات بيض وسود مطبوعة على الورق تمثل شيئاً ما، ولكن على أنها صور منحوتة ـ أي كلمات منقوشة في الحجر. مثل هذه المقاربة أتاحت مزيداً من حريّة الحركة لاستجابة المترجم؛ إذ نُظر إلى المترجم على أنه فنان أو نحّات أو خطّاط، فهو الذي يشكّل الكلمات. ويظل باوند واحداً من أهم الشخصيات المؤثرة، ولكنه مع ذلك ربّما يكون أيضاً المترجم والناقد الذي نال أقل نصيب من الفهم والقراءة بين جيل المترجمين الحاليين في أمريكا. تنقسم الكتابات النظرية عند باوند إلى مرحلتين: **الأولى** هي الطور التصويري الباكر (Early Imagist Phase)، الذي ظلّ ـ مع مفارقته لصور المنطق التقليدية ـ مشتملاً أحياناً على بعض المفاهيم المجردة والانطباعات. وأما المرحلة **الثانية** فكان الطور التصويري المتأخر (Late Imagist Phase) أو الطور الدوَّامي (Vorticist Phase) الذي تأسس بالكلية على الكلمات حال ملابستها للفعل (Words in Action)، وعلى التفاصيل «المضيئة»

(Luminous Details)، حيث تتراجع أهمية الشيء الذي يجري تمثيله، وتكتسب الطاقة أو الشكل الذي تتخذه اللغة في عملية التمثيل أهمية كبرى.

ولم يكن باوند هو نفسه الذي وضع هذا التمييز بين المرحلتين، فقد كان لا يرى وجوداً لمثل هذه القسمة، لكن ذلك كان ثمرة لفعل التلقي النقدي الذي استقبل به عمله. لقد كان عمله الأول على النظرية التصويرية (Imagist Theory) ميتافيزيقياً بسبب المظهر الرومانسي الذي ظهرت به باكورة كتاباته. غير أن إيمي لوويل (Amy Lowell) وآخرين شرعوا في الاستيلاء على أفكار باوند، وفي تحويل الحركة التصويرية (Imagism) إلى شيء ميتافيزيقي، أي إلى شكل من الشعر يقوم بترميز الأفكار، حينئذ أحس باوند بالحاجة إلى أن ينأى بنفسه عن الحركة التصويرية. لقد أحسّ باوند خلال هذه الحقبة ـ حيث اتخذت حركة ما بعد الرمزية (Post-Symbolism) أشكالاً كثيرة ـ بأنه حتى إليوت (Eliot) ـ على سبيل المثال ـ لم يفلت تماماً من إسار الرمزية، ومن ثَمّ تحول باوند بشعره شيئاً فشيئاً نحو مزيد من الكلام المباشر، والإمساك بالتفاصيل المتعيّنة حتى وإن كانت من قبيل المنمنمات، فكلماته تشير إلى أشياء واقعية ـ تصوير زيتي، صبغ لوني، حجر، شق في الحجر ـ وليس إلى مفاهيم مجردة. ولكي يحقق لنظريته مزيداً من دقّة التعبير تحوّل باوند إلى الحركة الدوَّامية (Vorticism) وإلى أقوال أكثر تطرفاً لا يزال كثير منها غير مجموع، وظلّت تحتل مكانها في المقالات غير المنشورة في كتب المختارات، وذلك في مجلتي **العهد الجديد** (*New Age*) و**بلاست** (*BLAST*) وغيرهما من المجلات التي اختفت من حياتنا الآن.

وقد قامت الترجمة بدور جوهري في مسيرة انتقال باوند من التصويرية إلى الدوَّامية. ويلاحظ هيو كينر (Hugh Kenner) في كتابه:

**حقبة باوند** (*The Pound Era*) (1971) أن باوند قد بدأ في عام 1911 «يفكر في الترجمة بوصفها نموذجاً للفن الشعري، أي بوصفها دماً يتدفق فينعش الأشباح»[20]. وقد ظهرت نظريته عن الترجمة لأول مرة في كتاب عن أرنو دانيال (Arnaut Daniel)، وهو كتاب من المؤسف أنه لم يتح له البتة فرصة النشر، ولم تكتب له الحياة إلاّ في صورة سلسلة من اثنتي عشرة مقالة في مجلة: **العهد الجديد** الأسبوعية التي كان يصدرها أ. ر. أوراج (A. R. Orage) بعنوان: «إني ألملم أشلاء أوزيــريــس» (I Gather the Limbs of Osiris). إن أوزيــريــس، إذ أعيدت لملمة أشلائه لا يغدو إله الموتى (God of the Dead) فحسب، بل يغدو مصدراً لحياة متجددة أيضاً. ويخبرنا عنوان فرعي للمقالات كيف سيستخدم الترجمات لكي يشرح «المنهج الجديد في الدرس العلمي» (New Method in Scholarship)، وهو المنهج الذي يتحول في رأي الكثيرين إلى منهج للإمساك بالطاقة المتشكلة في صورة نماذج (Patterned Energy)، وللإفصاح عن التفاصيل المضيئة (Luminous Details) القادرة على إحداث الاستبصار الصادم (Sudden Insight)[21]. أطلق باوند على المقال الأول من سلسلة أوزيريس عنوان: «ترجمة من النص الأنجلو ـ ساكسوني القديم» (A Translation from the Early Anglo-Saxon Text)، وهــو تــرجــمــة باوند لنص «**الملاّح**» (*The Seafarer*)، وكان ـ بطريقة ضمنية ـ علامة على بداية الحركة الدوَّامية[22]. في هذه الترجمة كان باوند أقل عناية بـ «معنى» النص المترجم، بل كان أقل عناية بمعنى أعيان الكلمات

---

(20) Hugh Kenner, *The Pound Era* (Berkeley: University of California Press, 1971), p. 150.

(21) المصدر نفسه، ص 150-152.

(22) Ezra Pound, «I Gather the Limbs of Osiris,» *New Age*, no. 10 (November 1911- February 1912), p. 107.

(Specific Words). وعلى الضدّ من ذلك احتفى باوند بالإيقاع (Rhythm)، والمعجمة (Diction)، وحركة الكلمات، واستخدام الاستدعاء غير الواعي (Unconscious Association)، وترجيعات الأصوات خلال الكلمات (Reverberations of Sounds)، ولنماذج من الطاقة (Patterns of Energies) لإعادة تنشيط «الأصل» (Original)، أو ـ على الأقل ـ تنشيط أقدم قصيدة إنجليزية، عن طريق صياغتها بإنجليزية القرن العشرين (وستستخدم التقنية نفسها ـ في ما بعد ـ في النشيد الأول (The First Canto)، وهو ترجمة باوند لمطلع **الأوديسة** (Odyssey) لهوميروس (Homer). وكان عنوان الحلقة التاسعة من سلسلة **أوزيريس** «عن التقنية» (On Technique)، وانطوت على أول إشارة إلى «الدوامة»، وفيها تحدّث باوند عن «الكلمات» بوصفها «أشكالاً مخروطية مكهربة» (Electrified Cones)، مشحونة بـ «قوة التراث، وقرون من الوعي العِرْقي، والمواضعة (Agreement)، والاستدعاء»[23].

وأما **بلاست** ـ وهي مجلة فنيّة كانت تصدر مصحوبة بإنتاجات معادة من الرسوم واللوحات الزيتية والنحت، أسسها في ربيع عام 1914 ويندهام لويس (Wyndham Lewis) ـ فقد واصلت هذا الخط من التفكير، وصارت الدوامة (Vortex) والمخروط (Cone) والسلك (Wire) شعار المجلة. وقد فُهمت الدوامة على أنها شكل أو نسق متطور من الأشكال، أو نسق من الطاقات يقوم بالدوران حول مركز ما (قد يكون شخصاً أو مكاناً)، ويأخذ في الإبطاء كلما اقترب من المركز. كذلك فهمت الدوامة أيضاً على أنها عنقود من الكلمات، أو شبكة من الكلمات تتجمَّع حول عقدة مشعة

---

(23) المصدر نفسه، ص 297، مذكور في: Kenner, Ibid., p. 238.

(Radiant Node). وفي العدد الأول من مجلة **بلاست** عرّف باوند بالمقاربة الجديدة، واضعاً إياها في موضع المقابلة مع الانطباعية (Impressionism)، فقال:

«الدوامة هي النقطة التي تبلغ عندها الطاقة ذروتها القصوى. ... تتدافع التجربة كلها إلى داخل هذه الدّوامة. كل الماضي الذي جرى تنشيطه، كل ذلك الماضي الذي هو حي... إن الانطباعية (Impressionism) والنزعة المستقبلية (Futurism)، التي هي ضرب مُعجَّل من الانطباعية تُنكِر (Deny) الدوامة... والمُنتمي إلى الدَوَّامية لا يعتمد على التماثل أو القياس، ولا يعتمد على التشابه أو المحاكاة... والصورة هي تلك التي تقدّم مركَّباً ذهنياً وانفعالياً (Intellectual and Emotional Complex)، وذلك في لحظة زمنية فورية. بيكاسو وكاندينيسكي هما الأب والأم، هما كلاسيكية الحركة ورومانتيكيتها»[24].

ولقد حاول باوند في كتابه: **غوديير بيرزيسكا، سيرة حياة** (*Gaudier-Brzeska, a Memoir*) توضيح المشكلات المتعلّقة بتفسير ما يعنيه بالتصويرية (Imagism)؛ فبيَّن أنه لا يعني بالصورة (Image) «معادلة رياضية، وأنها ليست من قبيل الخطوات المحسوبة (أ، ب، جـ) في علاقتها بالشكل (Form)، ولكنها شيء من قبيل البحر (Sea) والمنحدرات الهاوية (Cliffs) والليل (Night) في علاقتها بالحالة المزاجية». ويواصل باوند توضيحه قائلاً: «إن الصورة ليست فكرة، ولكنها عقدة مشعة أو عنقود، إنها الشيء الذي يمكنني (والذي أنا مضطر إلى) أن أسميه «دوامة» (Vortex)، وهي التي من خلالها،

(24) Ezra Pound, «Vortex,» *BLAST* (20 June 1914), pp. 153-154.

ومنها، وإليها تتدافع الأفكار على الدوام»[25].

كذلك تأثرت الحركة كثيراً ـ منذ بواكير ظهورها في مرحلة التصويرية إلى أن تحولت إلى نظرية في طاقة اللغة ـ بـ «قراءة» باوند للإيديوغرامات (Ideograms) (الرموز الكتابية) الصينية. لقد تلقّى باوند مخطوطات فينولوسّا (Fenollosa) في عام 1913، وشرع في ترجماته الأولى لـ «لي بو» (LiPo) بعد ذلك بعام. وصحيح أن باوند لم يكن يستطيع حينئذ قراءة الحروف الصينية؛ ذلك أنه لم يبدأ بدايته الجادة في دراستها حتى عام 1936[26]- ولكنه كان قد استغرقته القضايا النظرية السيارة في ذلك الوقت، كما استغرقته «ثقافة» اللغة التي سيقوم بترجمتها في ما بعد. وكان قد قرأ بالفعل كتاب غايلز (Giles): **تاريخ الأدب الصيني** (*History of Chinese Literature*)، كما أعاد كتابة بعض ترجمات غايلز[27]. وكانت زوجته قد عثرت على **المعجم الإنجليزي ـ الصيني** (*Chinese - English Dictionary*) الذي ألّفه موريسون (Morrison) في سبعة مجلدات، وقامت بشرائه. وخلال هذه الحقبة نفسها (1913- 1914) كان هنري غودييه ـ بيرزيسكا (Henri Gaudier-Brzeska) يقوم بنحت تمثال نصفي لـ «باوند»، وكانا يلتقيان بصورة منتظمة، وفي هذه اللقاءات لم يكونا يتناقشان في النحت ونظريات الفن فحسب، ولكنهما كانا يقومان أيضاً بتفسير الحروف المفردة في الصينية. وبعد قراءة غودييه ـ بيرزيسكا ـ على سبيل المثال ـ للجذر 187 في معجم موريسون ـ الذي قرأه في مسكن باوند في لندن ـ أُثر عنه قوله: «ألا يرون أنه

---

(25) Ezra Pound, *Gaudier-Brzeska, a Memoir*, New Directions Book (New York: New Directions, 1970), p. 92.

(26) Kenner, *The Pound Era*, p. 447.

(27) المصدر نفسه، ص 194-195.

حصان؟»[28]. كانت مقالات باوند في المجلات الصخّابة التي احتجبت الآن عن الظهور حول النحت والفنون الجميلة وتطوير المنهج الإيديوغرامي في الترجمة وثيقة الصلة بعضها ببعض. وإذا استحضرنا اهتمامه بالنحت بما هو وسيلة لإطلاق الخطوط الكفافية (Contours) والطاقة إلى داخل المادة الخام، واهتمامه بالشعر بما هو وسيلة للتركيز على الطاقة الناشئة عن التفاصيل المجسّمة المفردة ـ أقول: إذا استحضرنا ذلك، فلا مجال للدهشة من احتضان باوند للإيديوغرام الصيني.

لم تكن الحروف الصينية ـ بالنسبة إلى باوند ـ تمثل من الوجهة النظرية المعاني ولا التراكيب، بل كانت تمثيلاً للأشياء، أو أنها ـ وهو الأهم ـ كانت تمثيلاً للأشياء ملابسة للفعل (Things in Action)، أي للعمليات الجارية (In Process)، أي تمثيلاً للأشياء ملتبسة بالطاقة (With Energy)، أو شكل الأشياء. كانت الكلمات في رؤية باوند دائماً قائمة في شبكة من العلاقات، وكانت الكلمات الأنجلو ـ أمريكية علامات تماثل الحروف الصينية، فهي دائماً قابلة للتشكل في مجموعات، وقابلة لأن تصطبغ بصبغة مجازية. وتماماً كما كان ردّ فعل فينولوسا تجاه سطوة منطق العصور الوسطى[29] ـ مستدلاً في حجاجه بأن اللغة الصينية لا تعرف فعل الكينونة (To Be) ـ كذلك كان باوند يستخدم اللغة الصينية في صراع ثقافي، ليهاجم في عنف العلاقات التي هي من نوع «فاعل/ مفعول» /Subject (Object)، والتمايزات الميتافيزيقية الجامدة التي تنطوي على الأدب والخطاب الأكاديمي اللذين يتصفان بالشلل في ثقافة الغرب. والذي

(28) المصدر نفسه، ص 250.

(29) المصدر نفسه، ص 225.

ضاعف من استلاب باوند هو أن أوروبا كلها كانت حينئذ في حالة حرب، وأن جميع الفنانين كانوا يخدمون في الجبهة؛ وهي حقيقة كفيلة بأن تزلزل إيمان أي امرئ بعقلانية أساليب التفكير الغربية. وفي حوالى عام 1915 كان باوند يكتب ذكرياته عن غودييه ـ بيرزيسكا الذي قتل في الخنادق في فرنسا.

كانت الانطباعية في الفن نظرية محاكاة جامدة (Static Mimitic Theory). أما التصويرية (Imagism) ـ وإن لم يكن ذلك مقصوداً لذاته ـ فكثيراً ما كانت تستخدم بالمثل ضد المفهوم الذي تبناه باوند. كذلك أُسقِطت مقالاته عن التصوير الزيتي والنحت، ومقالاته عن المناهج الإيديوغرامية من المختارات التي جمعها له ت. إس. إليوت بعنوان: **مقالات أدبية** (*Literary Essays*) ـ مع أن مقالاته تلك ليست دون غيرها في الكشف عن النظرية الأدبية عند باوند. ومن الثابت أن الثروة النقدية التي تولّدت حول نظرية باوند الأدبية قد تأسست على العمل القديم الذي كان قريب المتناول، وهي متأثرة بالكيفية التي تلقى بها لوويل وإليوت أعماله، كما أنها تنسجم بطريقة أفضل مع المعايير الجمالية التي تنتشر في المراكز الأدبية للثقافة (ولم تكن مجلة **شعر** (*Poetry*) إلا واحدة منها). وقد بدأ الدرس في الحقبة المتأخرة جداً يعترف باتساع أفق العمل الذي أنجزه باوند، ووثاقة علاقاته بنظريات ما بعد البنيوية عن اللغة، وربما كان في ذلك متأثراً بالتيارات السائدة في النقد الأدبي[30].

---

(30) Marianne Korn, *Ezra Pound, Purpose, Form, Meaning* (London: Middlesex Polytechnic Press; Pembridge Press, 1983), and Jean-Michel Rabaté, *Language, Sexuality, and Ideology in Ezra Pound's Cantos* (Albany: State University of New York Press, 1986).

ظلّ الانضباط والدقة ـ بالنسبة إلى باوند ـ سمتين أساسيتين مميزتين للإشارة إلى حقيقة المادية في الفن في كلتا الحقبتين. غير أن الموضوع الذي جرى طرحه في النظرية الأخيرة كان مختلفاً اختلافاً جوهرياً. إن كتابات باوند في الترجمة وترجماته نفسها ـ التي تتميز غالباً بانعكاساتها على الذات ـ تُفصح بالطريقة المثلى عن نظريته الأخيرة في طاقة اللغة. وفي كتابته لـ **الأناشيد** (*The Cantos*) توقفت لغات باوند عن أن تكون لغات تقبل التمايز الواضح. ولم تكن الإنجليزية بالنسبة إليه إلا جزءاً من لغة مستنبطة في طور النمو: يونانية ـ رومانية ـ لاتينية ـ إيطالية ـ فرنسية ـ إسبانية ـ إنجليزية، وفي هذه اللغة كانت المعاني متعالقة. وفي **الأناشيد** تبدو نظرية باوند في الترجمة واضحة وضوح نظريته في الفن. إنه لا يفكر من منظور اللغات القابلة للانفصال، بل من منظور شبكة من الكلمات، أو كلمات ذات نسيج متداخل يربط بين الناس بقطع النظر عن جنسياتهم. إن خيوط اللغة تعود القهقرى في الزمان، وكلما تتبعناها في الماضي أمكن لنا أن نعقد بينها كثيراً من العلائق، والبشر تربطهم امتدادات متّصلة من الكلام لا تعرف انقطاعاً. إن الثابت في عقل باوند ليس هو المعنى الموحد لأي كلمة بعينها، أو لأي فكرة دلالية (Theme) عبر التاريخ، ولكن الثابت هو الشكل (Forma) الذي تتخذه اللغة في ارتباطها بالأشياء. ولم يقصد باوند بأفكاره الأشياء الثابتة، بل الأشياء التي يمكن أن تتغير. ومن ثم، فإن الأشياء المادية ـ وفقاً لهذه النظرية ـ أصبحت تُرى على أنها مشحونة بالطاقات أو القوى، وعلى أنها حاضرة في علاقات توافق أو تعارض مع الأشياء الأخرى. ويورد دونالد دافي (Donald Davie) في كتابه: **باوند** (*Pound*) (1975) صورة المصارعين الذين يرتعشون وهم يقومون بحركة تثبيت الخصم، أو صورة نموذج الوردة الذي يشكله المغناطيس من برادة الحديد الساكنة، أو صورة الميزاب أو تيار الماء

المعاكس أو مساقط المياه المدوِّمة ـ أقول: يورد هذه الصور على أنها بمثابة مفاتيح تعبّر عن النبضة أو الطاقة الكامنة في كل الأشياء المادية[31].

وإذا سلمنا بمثل هذا المفهوم الديناميكي للأفكار، فإن «معنى» أي عمل فني لا يمكن على الإطلاق أن يكون ثابتاً، إنه يتغيّر كلما تغيّرت اللغة، كما أن مدى ما تستدعيه الكلمات من المعاني في عمل فني قديم سيكون مختلفاً في مستنسخاته الجديدة عند اختلاف العصر والثقافة. إن شيئاً ما يحدث للذخيرة التي تسبق أي ترجمة في أثناء عملية تكوينها. وتبدو اللغة ـ تبعاً لهذه الرؤية ـ حائزةً لحياة تخصها، ومالكةً لقدرةٍ على التكيف والتغير واستمرارية البقاء تتجاوز النظريات التي هي من نوع نظرية ريتشاردز؛ تلك النظريات التي تحاول أن تقبض على اللغة، وتشرح مظاهر التعقيد فيها. وقد وضع باوند مخططاً للطرق المختلفة التي بها يتم «شحن اللغة أو تنشيط طاقتها»، وذلك في قسم تحت عنوان «اللغة» من مقاله: «كيف نقرأ» (How To Read)، وهو مقال ضمنه كتابه: **مقالات مهذبة** (*Polite Essays*) (1937)، وتشمل الطرق المقترحة ما يأتي:

- Melopoeia، أو الخاصية الموسيقية (Musical Property).

- Phanopoeia، أو الخاصية المرئية (Visual Property).

- Logopoeia، وهي أوفر الخصائص نصيباً من التعقيد، وتشمل «المعنى المباشر» (Direct Meaning) و«اللعبة» التي تمارسها الكلمة في سياقاتها؛ يقول باوند:

---

(31) Donald Davie, *Pound*, Fontana Modern Masters ([London]: Fontana, 1975), pp. 66-67.

Logopoeia: «هي رقصة الفكر بين الكلمات»، ويعني ذلك أنّها خاصية توظف الكلمات لا من أجل معانيها المباشرة فحسب، ولكنها تدخل في حسابها بطريقة خاصة عادات الاستعمال، والسياق الذي يُتوقع وجوده مع الكلمة، ومصاحِباتُها المعتادة، ومواطن قبولها المعروفة، ولعبة المفارقة في استعمالاتها. إنها تمسك بالمحتوى الجمالي الذي يختص به مجال التجليات القولية، ولا يتضمنه الفن التشكيلي أو الموسيقا. وهذه الخاصية هي آخر الخواص مجيئاً، وربما تكون أكثر الطرق مراوغة، وأوفرها نصيباً من عدم القابلية للاعتماد»[32].

إن هذا البيان ذا الانتماء اللافت إلى خطاب ما بعد البنيوية ـ من حيث إبرازه لعبة المفارقة، ووضع مجال التجلي القولي في مقدمة الصورة ـ لا يستحث الاستدعاءات المرتبطة بالنجمة الراقصة عند نيتشه فقط[33]، ولكنه يستحث كذلك الأصداء التي تستدعيها الكلمة إلى اللعبة عن طريق ارتباطاتها التناصية بمجمل معانيها: المألوفة منها وغير المألوفة. ويزيد باوند هذا المفهوم المعضل إيضاحاً بحديثه عن الترجمة، فيقول: إن الخاصية الموسيقية (Melopoeia) يصعب ترجمتها، اللّهم إلا لـ «نصف بيت في الحين الواحد»، ومن الممكن ترجمة الخاصية المرئية (Phanopoeia) على أنها محتفظة بكيانها جزئياً أو كلياً، أما خاصية لعبة الدلالة (Logopoeia) «فلا تقبل الترجمة». ويفصِّل باوند القول في ذلك:

---

(32) Ezra Pound, *Polite Essays* (London: Faber and Faber, ltd, [1937]), p. 170.

(33) Friedrich Wilhelm Nietzsche, «Thus spoke Zarathustra,» in: Friedrich Wilhelm Nietzsche, *The Portable Nietzsche*, Selected and Translated, with an Introduction, Prefaces, and Notes, by Walter Kaufmann, Viking Portable Library; [62] (New York: Viking Press, 1954), p. 129.

«Logopoeia لا تقبل الترجمة، وإن كان موقف العقل الذي تعبّر عنه يمكن تمريره من خلال التعبير الموازي (Paraphrase)، أو يمكن القول إنك «لا تستطيع» أن تترجمها ترجمة «موضعية» (Locally)، ولكنك إذا حددت الحالة العقلية التي كان عليها المؤلف ـ الأصل فقد تكون قادراً على إيجاد شيء مستنبط منها، أو مكافئ لها، وقد لا تكون»[34].

هنا ينشأ مصدر الاضطراب في تفسير الرؤية الجمالية عند باوند: فهل كان حديثه عن الحدس، أي عن تخمين القصد الأصيل للمؤلف؟ أم أنه يتحدث عن شيء آخر؟ ربما يكون باوند قد بذل محاولة يحدد بها ويترجم الكيفية التي كانت تستخدم بها كلمة معيّنة في موقف تاريخي معيّن، ولا سيّما إذا كان استعمال هذه الكلمة قد تم بطريقة جديدة أو مخالفة للعرف. إن صفة «إضفاء الجدة عليها»، وبناء علاقات جديدة بينها وبين الكلمات الأخرى في مكان وزمان بعينه يهب اللغة طاقتها. إن باوند لم يقل: «يَحْدس» (Intuit)، ولكنه قال: «يُحَدِّد» (Determine). ويكون هذا التحديد بدراسة اللغة، والزمن، والسياق، وسيرة المؤلف، ونصوص المؤلف الأخرى، والنصوص الأخرى لتلك الحقبة، والمنطق الذي يحكم مقولات الفكر في زمن آخر وسياق آخر، وبأن تسلم نفسك إلى هذه الحالة من حالات «العقل». ولذلك رجح باوند حاجة المرء إلى أن يعود إلى الحاضر، وأن يحاول خلق علاقات جديدة مستمدة من القديم، وهو ما يميط اللثام عن منطق الآخر.

هكذا تقتضي نظرية باوند في الترجمة أن يكون المرء في داخل قلب التراث، ويكون في الوقت نفسه خارج أي منطق محكوم بالبنية المؤسسية (Institutionalized Logic). إن على المترجم إذا أراد أن

---

(34) Pound, Ibid., pp. 170-171.

يفهم اللغة الدلالية (Logopoeia) في نص ما أن يفهم الزمان والمكان والقيود الأيديولوجية في النص الذي تتم ترجمته. ويطلب باوند إلى المترجمين أن يسمحوا لأنفسهم بأن تكون محكومة بالحالة المزاجية (Mood) والجو (Atmosphere) والعمليات الفكرية على مر الزمن، كما ينبغي عليهم ـ وبطريقة متزامنة مع ما سبق ـ أن ينقلوا الحالة المزاجية والحساسية للزمان والمكان إلى الثقافة الراهنة لكي تصبح الترجمة نصاً معاصراً. وليس ثمة من سبيل لتحقيق ذلك دون السقوط في سقيم الترجمة (Translatorese) إلا بخلق علاقات جديدة بالحاضر الراهن، وإلا بلفت النظر إلى المترجم بوصفه ذاتاً حية وخالقة.

كانت ترجمة باوند لِنصّ «في ذكرى سيكستوس بروبيريتوس»[*] (Homage to Sextus Propertius) مثلاً للترجمة التي تخلق علاقات جديدة في الثقافة المعاصرة. وقد أثارت هذه الترجمة استجابات انفعالية بين الدارسين في الغرب؛ إذ هيمنت على تلقيها استجابات أولئك الذين يفضلون الترجمة «الأمينة» (Faithful Translation)، ويسوقون البراهين على أن باوند لم يكن كفؤاً، ويدعمون موقفهم بإيراد عدد من الأخطاء في الترجمة[35] ـ وكذلك استجابات من يناصرون الترجمة الحرة (Free Translation)، ويرون أن باوند أدخل «الأغاليط الفاحشة» (Howlers) عن عمد، وأنه كان يترجم شيئاً آخر

---

(*) الشاعر غنائي روماني (47-15 ق. م. تقريباً) كَتب أربعة كُتب في المراثي أختص بها: **الحب على أسلوب الشعراء السكندريين** (المترجم).

(35) Frederic Preachy and Richard Lattimore in: *Pound Newsletter*, no. 5 (1919), and Robert Graves, *The Crowning Privilege; the Clark Lectures, 1954-1955. Also Various Essays on Poetry and Sixteen New Poems* (London: Cassell, [1955]).

غير الدلالة الحرفية[36]. غير أن الذي يغدو واضحاً بالنسبة إلى هذا النص هو أن أياً من هذين الموقفين لا يحقق أدنى اقتراب مما حاول باوند نفسه أن يفصح عنه؛ ذلك لأن نص باوند هو في حقيقته سخرية من اللغة الإنجليزية المسطحة والمملة والبشعة التي صارت صفة مميزة للترجمة الحرفية، تلك التي كانت تتم على أيدي الدارسين. ويرى دونالد دافي أن أحد المعاني المتضمنة في القصيدة هو كيف يجب عليك «**ألاّ** ترجم»[37] (How not to translate). ولم يكن باوند في الوقت نفسه يجادل من أجل استخدام الضرورات الشعرية أو حرية التفسير؛ فالحق أنه كان معارضاً قوياً للتحرر من الشكل والوزن في النص ـ المصدر. إن باوند قد استخدم النص الكلاسيكي لأهدافه الخاصة، أعني لخلق علاقات جديدة في الوقت الحاضر. وقد أنجز في كتابه: **في ذكرى** هذه المهمة يقيناً، وهي السخرية من تسلط نظريات الترجمة التي تتبناها المؤسسة الأدبية والتعليمية، وشقُّ دروب جديدة لامتلاك ناصية النصوص الكلاسيكية.

والحق أن صوت باوند المميز ـ الذي وجدناه في **في ذكرى** ـ كان له أصداؤه السارية في ترجمات أخرى، كما في **زوجة تاجر النهر** (*The River Merchant's Wife*)، أو **الملاح** (*The Seafarer*)، أو مطلع **الأوديسة** (*The Odyssey*) على نحو ما في النشيد الأول؛ ومع ذلك فإن باوند لم يفتقد بالضرورة صفة «الأمانة» بالنسبة إلى الأصل. ومن الممكن أن نجد أفضل بيان لنقمة باوند على التصورات المفهومية الغائمة عند الدارسين الغربيين، ولتأكيده أهمية الخصوصيات التاريخية في نظريته عن الترجمة، وذلك في الرسائل

---

(36) John Patrick Sullivan, *Ezra Pound and Sextus Propertius; a Study in Creative Translation* (Austin: University of Texas Press, [1964]).

(37) Davie, *Pound*, p. 58.

التي بعث بها إلى و. هـ. د. روز (W. H. D. Rouse)، وكان روز إبان وقت المراسلة يقوم بترجمة **الأوديسة**. وتُبِينُ الرسائل عن اعتقاد باوند بأن الحدس لا يمكن أن يكون موصلاً لفهم الأعمال الكلاسيكية، وأن الطريق لتحقيق ذلك هو المعرفة باللغة والتاريخ والأوضاع الاقتصادية. يقول باوند «إلى جانب التعليم المباشر للغة، هل ثمة أي محاولة لتعليم التاريخ الحقيقي؟ وإن نسبة الرهنيات الرومانية (Roman Mortages) كانت بقيمة 6 في المئة، وفي بيثينيا (Bithinya) كانت 12 في المئة»[38]. ويواصل باوند حديثه فيقول: «إلى أن يواجه تعليم اللاتينية الحقيقة الاقتصادية في التاريخ اللاتيني، ربما يسقط التاريخ من حسابه أيضاً». آمن باوند بأن الباحث الغربي قد قام بلفلفة التاريخ الحقيقي، وقامت الببغاوية (Parroting) على يد المعلمين، و«مسببات الملل» (Tushery) التي وفرتها الترجمات المزركشة (Adorned) بتعمية الكلاسيكيات، وجعلها صعبة المتناول، وذلك حين أوجدت طبقة من الصفوة امتلكت مفاتيح الدخول إلى الأفكار، وكان عملها هو الولوج إلى هذه المعرفة. كان باوند مدركاً للبواعث الاجتماعية ـ الاقتصادية التي تهيئ الظروف لإيجاد هذه الطبقة من الشراح. وهو يقول: «من المسلم به أن التعصب والتعويق في غالب الأمر هو أمر اقتصادي وليس شيئاً آخر»[39]. ويقصّ علينا روز أنه حين قرأ ترجماته على أولاد صغار فهموا كل كلمة، ولكن حين عالجها بالزخرفة أصابهم الضجر؛ لقد ضحى بالمغامرة وبالسرد الذي أبدعه هوميروس لحساب الحقائق العليا واللغة المجمّلة. وبِدَعْمٍ من باوند قصد روز إلى استعمال لغة بسيطة (Plain Language)،

---

(38) Ezra Pound, *The Letters of Ezra Pound, 1907-1941* (New York: Harcourt, Brace, [1950]), p. 262.

(39) المصدر نفسه، ص 263.

وإلى التحلي بالتواضع، وإلى دينامية السرد. وقد تفهم باوند الصعوبة التي كابدها روز نتيجة تشبثه بمبادئه عند القيام بتقريب الأعمال الكلاسيكية للجمهور، وذلك مع التسليم بما لقصة هوميروس من مكانة أسطورية وبالمضامين السياسية المضمرة لدى المؤسسات الأدبية.

وحين انحرف روز عن أهدافه المعلنة واصل باوند نصحه بالرجوع إلى ما هو أساسي، قال: فَلْنُثَبِّت قائمة الأهداف:

1 ـ الكلام الواقعي في النسخة الإنجليزية.

2 ـ الأمانة بالنسبة إلى الأصل (Fidelity).

أ ـ المعنى (Meaning).

ب ـ الجو[40] (Atmosphere).

وعلى الرغم من أن باوند استعمل مصطلح «الأمانة» (Fidelity) بطريقة إنسية مثالية، فقد وسّع من المفهوم ليشمل «الجو» كما يشمل «المعنى»، ويدل مصطلحه «الجو» على كلا نوعي التداعي: التداعي السياقي (Contextual) وتداعي التناص (Intertextual). وقد أوضح باوند أهمية العلاقات السياقية في نقده العنيف لـ «روز» كلّما أقلع عن وضع الكلمات في موضعها من التاريخ؛ يقول: «هذه الصفحة الأولى من الكتاب الثاني رديئة، أعني أنها مجرد ترجمة للكلمات بلا تخيّل كاف منك للمشهد والحدث»[41]. إن الكلمات ليس لها وجود خارج السياق، ولذلك ينبغي على المترجم أن يستحضر السياق بخياله في كل وقت («المشهد» (Scene))، ويستحضر التعبير في ذلك السياق («الحدث» (Event)). والمعنى في نظرية الترجمة عند باوند

(40) المصدر نفسه، ص 263.

(41) المصدر نفسه، ص 271.

ليس شيئاً مجرّداً، وجزءاً من لغة جامعة [كونية] (Universal Language)، ولكنه شيء يحتلّ موقعه دائماً في حالة تدفق تاريخي، وهو «الجو» الذي يرد فيه المعنى، ولكي يفض المرء مغاليق المعنى عليه أن يعرف التاريخ، أو أن يعيد تركيب الجو؛ أي المحيط الذي ورد فيه المعنى.

وقد شدّد باوند في الرسالة نفسها على الأهمية التي يضفيها على علاقات التناص؛ أي اللعبة الدلالية (Logopoeia)، أو لعبة الكلمة في الزمن؛ يقول باوند: «ليس المهم ما يقوله المرء، بل ما يعنيه، وهو ما يتعين على المترجم أن ينقله. المعنى المضمر الكلمة»[42]. إن المعنى المضمر للكلمة يوقع المترجم في شرك علاقات التناص والمعاني ذات العلاقات المتبادلة. وتتطلب نظرية الترجمة عند باوند من المترجم أن يحتفظ بالجو التاريخي الذي تتوارد فيه الكلمات في كل حين، بحيث لا تبيّن عملية الترجمة ما تعنيه الكلمات فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى الإبانة عن شتى المعاني المضمرة للكلمة في «تجلياتها القولية» (Verbal Manifestation). وتستحضر جميع الكلمات أمرين متلازمين: جدولاً من صيغ العلاقات المتوقعة والمألوفة، واللعبَ ضد هذا الجدول نفسه. وتميل نظرية باوند إلى أن اللعب الحر بالكلمة وابتعادها بنفسها عما تعنيه ربما يكون له من الأهمية ما لأهمية علاقة الأحادية، أي مقابلة كلمة واحدة بمعنى واحد (One - to - One Correspondence). إن اللعبة الدلالية (Logopoeia) تزوّدنا بتركيبة نظرية تولي مزيد الاهتمام للحفاظ على مقاصد المفارقات، وعلى المعنى المضمر عبر المعنى الحرفي للكلمة، وذلك لأن طاقة اللغة ـ أي الشيء قائماً في الوسط

(42) المصدر نفسه، ص 271.

المحيط به وهو في حالة تغير دائم وخلق متجدد ـ لا يمكن ملاحظتها إلا من خلال المفارقة واللعب بالكلمة في السياق التاريخي.

ويشدد هيو كينر في كتابه: **حقبة باوند** على تأكيد أهمية الإمساك بما هو واقعي (Real)، منوّهاً بحساسية باوند للصيغ التفصيلية المنحوتة، بوصفها سبباً أول[43]. ولم يكن باوند مولعاً بالمفاهيم المجردة على الإطلاق، ولكنه على العكس من ذلك آثر أن يركز على الصيغة (Form)، والقطع الصغيرة (Fragments)، والتفاصيل الدقيقة، ذلك لأنه لا يمكن الإمساك بما هو واقعي (Seize the Real) إلا في لحظات آنية، وفي لمحات خاطفة. ويستشهد كينر ـ تمثيلاً لذلك ـ بهجوم باوند على ترجمة ج. ل. إدموندز (J. L. Edmonds) لقصائد سافو (Sappho)، حيث تجاوز عدد الكلمات التي أضافها المترجم 50 في المئة من كلمات النص الأخير، ولم يبق من معظم عمل سافو إلاّ شظايا. وقد أحس إدموندز في نفسه من الكفاءة ما يكفي لملء الفجوات، وإضفاء الاكتناز على الأفكار. وعلى العكس من ذلك، فضّل باوند إلى حد كبير ترجمات آلدينغتون (Aldington)، على الرغم من أن آلدينغتون كان له من العمر آنئذ تسعة عشر عاماً، ولم يحظ بتدريب كلاسيكي. وعلى الرغم من أن تفسيرات آلدينغتون تثير التساؤلات، فإنه ـ على الأقل ـ لم يشغل نفسه بما يثير الملل (Tushery) أو التخمين. كما أنه لم يُضِفْ أبياتاً من عنده عند ضياع الأبيات الأصلية. لقد ناصر باوند الإيجاز والوضوح، وتقديم الصور التي تمثل الأشياء (Things) المجسمة، وهو عين السبب الذي من أجله امتدح قصائد سافو نفسها[44].

---

(43) Kenner, *The Pound Era*, p. 67.

(44) Ezra Pound: *Cathay: Translations by Ezra Pound* (London: E. =

ولا يعني اجتناب باوند المفاهيم المجرّدة الالتصاقَ الصارم بالجوانب اللسانية في النص أيضاً؛ ذلك أنه لم يركز على الروابط في التراكيب النحوية، بل إن باوند قد مال ـ في رأي كينر ـ إلى أن «الانشغال المسبق بالتركيب النحوي ربما يتسرب إلى الطريقة التي يتبعها المترجم»[45]. لقد أكّد ما كتبه باوند عن الترجمة أهمية التركيز على الصور المحددة، والكلمات المفردة، والشظايا والتفاصيل المضيئة، كما كان منهجه «حديثاً» (وليس منتمياً لما بعد الحداثة)؛ بمعنى أنه منهج يؤكد أهمية التضمين (Juxtaposition) والتوليف (Combination)، آملاً في أن التشكلات الجديدة يمكن أن تثمر رد فعل كيميائياً، وأن تتوالف في مركب جديد، ومن ثم تكون مصدراً لانبعاث الطاقة في اللغة. لقد كان للإيقاع والنسق اللفظي (Diction) أهمية تفوق أهمية التركيب النحوي، وبدا الشاعر والمترجم مجتمعَيْنِ أو منفردَيْنِ في صورة المادة الكيميائية الحفازة (Catalyst) التي تقوم بعملها مع الكلمات المحددة والمفردة. إن كل كلمة بتاريخها التأصيلي والطريقة التي تتخذها في صنع التوليفة تتيح فرصة الاستبصار لإمكانات جديدة. ونحن نفتقد اليوم وفي هذا العصر الأسلوب المعتمد على الرسم الكتابي، ذلك الذي تميّز به باوند؛ أعني مسودات القصائد التي أرسل بها إلى الناشرين مشتملة على فراغات مزدوجة بين الكلمات؛ ففي قصيدته «في محطة للمترو» (In a Station of the Metro) أراد للصور أن تنطلق، ولكن من جاؤوا بعده من المحررين قاموا بتجسيم الصور، وضيّقوا المسافات حتى يبدو النص في القراءة أوفر حظاً من الصواب النحوي[46]. إن

---

Mathews, 1915), p. 55, and *The Cantos of Ezra Pound*, Revised Collected ed. = (London: Faber, 1975), pp. 17-18.

(45) Kenner, Ibid., p. 68.

(46) المصدر نفسه، ص 197.

الكلمات بالنسبة لـ «باوند» يمكن أن تغيّر اتجاهاتها إلى مسارات أخرى غير الاتجاه الخطي المستقيم، فقد تُغيِّر اتجاهها إلى الخلف تاريخياً، أو تنحرف إلى الجوانب عن طريق التضمين، كما تنحرف إلى الأمام. من ثم، فإن العلاقات التركيبية المتزامنة على مستوى النحو («Syn»-tax) تشرع في الاختلاط بالعلاقات المتزامنة على مستوى التخليق (التشكيل) («Syn»-thesize) أو بوضع ضرب من المعلومات في نسق منطقي، أو في صورة تشكيل كلّي محتبك (Coherent Whole) ـ وهذا يؤدي بحكم ماهيته إلى إضفاء الغموض على خاصية الدّقة، وعلى التفاصيل، والصور المحددة؛ تلك التي طالما عَنَّى باوند نفسه في سبيل الحفاظ عليها.

لقد كان هذا الاتجاه إلى التعميم والمقولات التصنيفية، والتوصل إلى التجريد عن طريق الاستنتاج شائعاً في المؤسسات الأكاديمية والأدبية في الغرب، وهو يفسر ـ في جانب من الجوانب ـ العصيان الذي أعلنه باوند، وتحوله إلى الإيديوغرام الصيني بما يتّسم به من المقاطع الأحادية المفردة والمتميزة، واختصاصه بحدوده الدلالية الذاتية. وهكذا استخدم باوند الترجمة استخداماً ناجحاً في تحدّي الأعراف الأدبية السائدة وتغييرها. ومن خلال العمل في إطار التراث كما فعل في نص **في ذكرى**، واستيراد نصوص أجنبية عن التراث كما فعل في **لي بو**(*) (*LiPo*)، هاجم باوند في عنف لا يلين الأذواق الأدبية التي تنتمي إلى العصرين الفيكتوري/ الإدواردي (Victorian/ Edwardian). وكما استخدم باوند الترجمة أداة في صراعه الثقافي، كذلك أيضاً استخدم المترجمون الأوروبيون ـ

---

(*) لي بو، شاعر صيني عاش فيما بين عامي 701 ـ 762 تقريباً وقد لفت بتوجهاته الحداثية بعض الشعراء الأمريكيين ومن بينهم باوند وغاري سنايدر (Gary Snyder) (المترجم).

الأمريكيون في حقبة الستينات والسبعينات الترجمة ليتحدَّوا بها الأذواق السائدة والمفاهيم الثقافية في المجتمع الغربي (الأمريكي الشمالي) وليزوّدوا بالطاقة حركة الثقافة المضادة.

### فريدريك ويل: المفارقة المنطقية في موضوع الترجمة

بينما يمكن أن يُشخَّص عمل ريتشاردز في الترجمة على أنه امتداد لمذهبه في النقد الأدبي، فإن النظرية الأدبية عند فردريك ويل ـ والتي هي ابتداءً غير مختلفة عن نظرية ريتشاردز ـ قد تغيّرت كثيراً بسبب عكوفه على الترجمة. إن نظرية ويل في الترجمة هي حالة عرضية كحالة كثير من أنصار المقاربة التي تبنتها الورشة الأمريكية. بدأ ويل عمله مدرساً للكلاسيكيات في جامعة تكساس، حيث أسّس مجلة **أريون** (*Arion*) بالاشتراك مع ويليام آروسميث (William Arrowsmith)، ومن ثم احتل مكانه في الجبهة الأمامية من معسكر الترجمة حين قبل منصب المدير لورشة الترجمة في جامعة أيوا عام 1964. وفي عام 1965 أسّس مجلة **مايكروميغاس** (*Micromegas*)، وهي مجلة اختصّت بالترجمة الأدبية، حيث ركّز كل عدد من أعدادها على الشعر في بلد من البلاد المختلفة. وقد أثار النص النظري الأول له، وهو **الأدب بطناً لظهر** (*Literature Inside Out*) ـ الذي نشر عام 1966 ـ أسئلة حول التسمية (Naming) والمعنى. ومال ـ بطريقة غير مباشرة ـ إلى إمكان اعتبار الترجمة صيغة من صيغ التسمية (A Form of Naming)، وصناعة القص (Fiction-Making)، والدراية[47]. أما كتابه الثاني: **السكين في الحجر** (*The Knife in the Stone*) الذي صدر عام 1973، فقد عالج ممارسة

(47) Frederic Will, *Literature Inside Out; Ten Speculative Essays* (Cleveland: Press of Western Reserve University, 1966), p. 15.

الترجمة علاجاً مباشراً، وبعض أجزائه هي إعادة تعبير عن تجربة الورشة التي أدارها في أيوا.

وعلى الرغم من أن النص الأول الذي كتبه ويل لم يعكف على مشكلات الترجمة خاصة، فقد ظهرت فيه فروض نظرية معينة ذات علاقة بالموضوع. لقد التقط مشروع ويل ما أغفله مشروع ريتشاردز، فهو يستخدم عقائد النقد الجديد في محاولة للتوفيق بين النظريات النقدية التي ظهرت مؤخراً. إن ويل في مقالته الأولى «من التسمية إلى صناعة القص» (From Naming to Fiction-Making) ـ في كتابه **الأدب بطناً لظهر** ـ يبدو متفقاً مع نظرية النسبية الثقافية (Cultural Relativism). ولأنه يؤمن بأن اللغات المختلفة تبني الوقائع بطريقة منفصلة، وأن ما تشير إليه أي كلمة معيّنة لا يمكن تحديده تحديداً دقيقاً، نراه يضع موضع المساءلة نظريات الترجمة التي قامت على أساس الإشارة إلى واقعة موضوعية قائمة في الوجود. ويذهب ويل إلى أن الواقعة الخارجية يمكن تعلّمها من خلال ما نطلقه عليها من أسماء. ومن ثم، فإن اللغة ـ إلى حدّ معيّن ـ هي صانعة الواقع. كذلك ينأى ويل بنفسه عن النظريات التي تفترض وجود تصور جامع لموضوعات وموتيفات رئيسة (Themes and Motifs)، والتي لا تعد صناعة الرمز جزءاً من النشاط الإنساني. فوق ذلك، يرى ويل في الوقت نفسه أن معرفة الجوهر (Knowledge of Essence) أمر ممكن: «الحب هو جوهر الذات (The Core of the Self)، وهو الموضوع الأساسي (Theme) لجهودها»، وهو في حد ذاته سلطة يمكن لها أن تجتذب الواقعة الخارجية «إلى بؤرة الوعي»[48]. وعملية التسمية هي عند ويل النشاط الأساسي للإنسان. ولو أننا فقدنا القدرة على التسمية

(48) المصدر نفسه، ص 9.

لكان من الممكن أن نبقى في درك التوحش. وهكذا ـ كما يرى ويل ـ تتحمل اللغة طابعنا المميز، وإيقاعنا وأمانينا، وتكشف عن ذواتنا الداخلية الحقيقية. ويواصل ويل فيقول:

«إن جهد الذات في عملية التسمية ليس مجرد لعبة لفظية، ولكنه جزء من جهدها الكلي لترجمة ما هو خارجي إلى ما هو إنساني، وهذا الموقف ناشئ من وحدة الذات (Unity of the Self). وفي مثل هذه الوحدة فإن كل التعبيرات عن الحركة ـ اللبّ (Core-Movement)؛ أي: عن الذات، تحمل الطابع المميز لهذه الحركة. إن كل تعبير يحمل الطابع المميز لهذا اللبّ»[49].

وفي مقابل وجود حقيقة خارجية موضوعية يمكن ترجمتها عبر الثقافات، يفترض ويل وجود جوهر مركزي مشترك للتجربة والانفعالات الإنسانية، يمكنه تجاوز الطبيعة الوسيطة للغة، واجتذاب «الواقعة الخارجية» إلى المركز. إننا نترجم ذواتنا إلى اللغة. وعملية التسمية لا تمنحنا بالضرورة أي استبصار في ما يتعلق بالواقعة في الخارج (وهو ما تشير إليه اللغة)، ولكنها تساعدنا على أن نفهم بطريقة أفضل ذواتنا الداخلية.

وقد تكفلت المقالة الثانية «الأدب والمعرفة» (Literature and Knowledge) بتقديم مزيد من التدقيق لسلطة هذا الفهم الداخلي والمعرفة، حيث يظهر تأثير ريتشاردز في كل موضع منها. إن الأدب ـ في رؤية ويل ـ «يجسد الحق والمعرفة» أيضاً[50]. كما تبنت المقالة معتقد «النقد الجديد» بوحدة النص الأصلي؛ إذ يذهب ويل إلى أن العمل الأدبي «هو حدث قولي ذو وحدة عميقة يَحْصُل داخل

(49) المصدر نفسه، ص 13.

(50) المصدر نفسه، ص 17.

ذات، والكلمات التي تؤلف العمل الأدبي، والتي كانت بالغة الأهمية بالنسبة لـ «باوند»، تداخلت في الكل عند ويل، وهي ـ على نحو ما ـ شيء واحد بالمعنى الحرفي. ومستويات المعنى ـ وقد عدّد منها ويل خمسة ـ هي: المعجمي، والسياقي، والرمزي، والتأويلي، والتلاوين السمعية والبصرية الداخلية المصاحبة؛ هذه المستويات الخمسة تُحسب عنده شيئاً واحداً[51]. وبرنامج ويل ـ شأنه شأن برنامج ريتشاردز ـ هو برنامج إرشادي، لا من حيث تنشئة نقاد أكفاء للأدب فحسب، ولكنه أيضاً إرشادي قائم على أساس هدف أكبر ذي نزعة إنسية.

إن الأدب، ـ عند ويل ـ «لا يمنحنا القوة على الفهم» فحسب، ولكنه يخدمنا بوصفه وسيلة لفهم قوة غيبية عليا. ويعتقد ويل اعتقاداً ظاهراً أن القدرة على فهم شيء ما مساوية تماماً لـ «معرفة» هذا الشيء. مع ذلك، فقد رأينا أن لدى ويل شكوكاً في قدرتنا على معرفة الواقعة الموضوعية، وهو ينتهي بسؤال بلاغي: «ما عسى أن تكون المعرفة ـ حتى بالعالم الطبيعي أو الإله ـ إلا أن تكون هي القدرة على فهمهما؟»[52]. إن الأعمال الأدبية تقدم لنا طرزاً نظرية (Models) يمكننا بها أن نقوم بتوضيح (To Clarify) عالم الواقع اللاعقلاني الذي نكابده بوصفه «فوضى يختلط فيها المدى، والحدث، والشخصية»، ومن ثم فإن الأدب يعمق حيواتنا ويثريها، كما أنه يمنحنا فهماً أفضل لذواتنا الحقيقية.

ويقوم ويل بعد ذلك بإعادة فحص لنظريته بعد تجربته مع ورشة الترجمة في جامعة أيوا، وبعد أن أتم قراءة باوند. وعلى الرغم من

---

(51) المصدر نفسه، ص 18.

(52) المصدر نفسه، ص 24.

أن ويل يحتفظ في نصه النظري التالي: **السكين في الحجر** بالمفاهيم الميتافيزيقية، فإن كثيراً من أفكاره الرومانسية عن الحب، ومعتقداته ذات النزعة الإنسية في قوة القلب تتبدد أشتاتاً، ويصبح مفهومه للنص أقل من أن يكون كلا محتبكاً موحداً، وهو يستبدل بهذا المفهوم للنص مفهوماً آخر؛ إذ يراه متداخل النسيج مع الواقع، وخاضعاً للاستخدام والتغيّر واختلاف التأويلات. ويستخدم ويل في كتابه: **السكين في الحجر** الترجمة لتكون «أرضية الاختبار» لنظريته، وهدفه الواضح في ذلك هو أن يقوم بتجسيد المعتقدات الميتافيزيقية التي أدخلها إلى المشروع؛ يقول:

> «إن قابلية اللغات للترجمة المتبادلة (Inter-Translatability) هي الأرضية الراسخة للاختبار، وأرضية البرهنة على وجود جسم مثالي واحد للأدب. وإذا كان ثمة معنى لفكرة وجود مثل هذا الجسم، فإن هذا المعنى سيكشف عن نفسه من خلال ذلك، بوصفه جهداً يُبْذَل لمعادلة أدب إحدى اللغات بأدب لغة أخرى»[53].

هكذا تشمل المعارضة من جديد من تراودهم الشكوك في إمكانية الترجمة، ومن يضعون موضع المساءلة مفاهيم الأدبية (Literariness)، ومن يرون في مفهوم الإشارية مفهوماً إشكالياً. ويذكر ويل اسم سارتر (Sartre) وميد (Mead) اللذين يفترضان في نظرياتهما وجود ذوات (Selves) باطنة؛ ليست واعية بالجوهر الجامع في التجربة الإنسانية، ولكنها ـ بمصطلح ويل ـ بلا أساس (Groundless)، ومركبة تركيباً اجتماعياً (Socially Constructed)، على الترتيب. ويميل ويل ـ من خلال اختبار الترجمة ـ إلى دحض

(53) Frederic Will, *The knife in the Stone. Essays in Literary Theory*, De Proprietatibus Litterarum. Series Minor; 9 (The Hague: Mouton, 1973), p. 42.

فرضية «النسبية»، وإظهار أن الأرضية المشتركة الجامعة الواحدة ـ تلك التي تنتمي إلى الجسم المثالي للأدب المتفرد ـ هي في الحقيقة التي تحظى بالترجمة المتبادلة. غير أن ويل حين وضع برهانه موضع الاختبار، فإن ذلك لم يثبت صحة فرضياته المسبقة الأولى، ولكنه حمله على أن يعدل تصوره للترجمة بطريقة يمكن أن تكون ذات أهمية بالنسبة إلى النظرية المعاصرة.

يتضمن الاختبار الأول لـ «ويل» ـ وقد رواه لنا في مقالته «واحدية الأدب» (Oneness of Literature) ـ تجربة شخصية جرت له إبان رحلته إلى المجر، حيث عكف بالاشتراك مع شاعر آخر على ترجمة مجموعة قصائد للشاعر غيولا إيليس (Gyula Illyes). وعلى الرغم من أن ويل يعترف في المقالة بأن معرفته بالأدب المجري عملياً لم يكن لها وجود، فإنه يعرف بالفعل أن النص الذي في يده ـ وهو ترجمات لقصائد غيولا إيليس قام بها كاتب آخر ـ هي ترجمات سقيمة (Poor Translations). «وكيف كان ذلك؟»؛ لأنها تتضمن القليل مما «يشعر» بوجود شبه بينها وبين الشعر الإنجليزي[54]. وها نحن أولاء نرى أن مقاربة ويل ممعنة في الذاتية، وهي محكومة إلى أبعد حد برؤيته المتسامية (Transcendental) لقوة الشعر. كان ويل قادراً على أن «يستشعر مِنْ وراء» الترجمة والأصل صيغةً مثالية ما للقصيدة، هي جزء من الجسم المثالي للأدب. ولأنه ينتمي إلى تلك الطبقة المحظوظة بوصفه شاعراً ومترجماً في الوقت نفسه، ولأنه يتمتع أيضاً بقوة «الحب»، فهو يعتقد بقدرته على تجاوز جهله النوعي باللغة موضوع الحديث، وبالاستعمال العرفي غير المحدد لها، ويفوز بالنفاذ إلى هذا «الجوهر» الكامن وراء القصيدة. لقد ذهب

(54) المصدر نفسه، ص 42-43.

روبرت فروست (Robert Frost) إلى أن الشعر هو الذي يصبح مفقوداً في الترجمة[55]. أما ويل فعقيدته على النقيض من ذلك تماماً؛ والحقّ أننا إذا سلمنا بعدم معرفته باللغة المجرية فإن الجوهر ربما يكون هو الشيء الوحيد الذي يمكنه أن يترجمه. إن ويل يعتقد أن الشعر يصير قابلاً للتجلي (Intelligible)، وهو يعني بذلك أنه يستطيع تحقيق نوع من التسامي (Transcendence)، ونوع من الصيرورة الفوارة[56] (Becoming-salient). إن منهجية ويل ـ وهي منهجية دالة على اتجاه في ترجمة الأدب في أمريكا الشمالية ـ تتجنب بالفعل التنظير كله، وتعود إلى المقاربة المعتمدة على الذوق السليم العملي (Practical Common Sense) التي تثق بالحدس (الحب (Love) أو النشوة (Ecstasy)) بالمعنى في تلك القصائد.

وبعيداً كل البعد عن تقديم استبصارات نظرية جديدة نجد نظرية ويل لا تعكس في هذه المرحلة إلا النظريات التقليدية الميتافيزيقية عن قوة الشعر. وربما يحسب ويل أن «نجاحه» في الترجمة يعيد التمكين لهذه النظرية، ولكنها بالنسبة إلى أولئك الذين لم يتقبلوها «تتكشف» عن ضعفها. ويقع التغير الأول في نظرية الترجمة لدى ويل في مقاله «الترجمة وحدود الفهم الثقافي المتبادل» (Translation and the Limits of Inter-Cultural Understanding) من كتابه: **السكين في الحجر**. وعلى النقيض من كثير من المترجمين الأنجلو ـ أمريكيين، يركز ويل على الحقبة التي هي مفتاح التغيّر في مسيرة باوند ما بين عامي 1912 و1914، وهي التي بدأ فيها باوند يتخذ من الحركة الدّوامية (Vorticism) منظوراً لتفكيره، حيث صار أكثر

(55) Robert Frost, *Robert Frost on Writing*, Compiled by Elaine Barry (New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, [1973]), p. 159.

(56) Will, Ibid., p. 50.

اهتماماً بالفنون البصرية والفنون الجميلة. ويقتبس ويل قول باوند من مقاله «كيف بدأت» («How I began»):

«لقد توصّلت إلى قرار. . . بأن عليّ أن أميزَ المحتوى المتحرك (Dynamic Content) من القشرة الخارجية، وأيَّ أجزاء من الشعر تكون غير قابلة للتلف، وأي الأجزاء التي لا ينبغي أن تضيع في الترجمة، ثم إن عليّ أن أتبين أمراً آخر ـ يكاد لا يقل عن ذلك في الأهمية ـ وهو: ما المؤثرات التي يمكن الوقوع عليها في لغة ما بعينها، وتكون هي وحدها غير قابلة البتة للترجمة؟!»[57].

وتواصل الفرضيات المسبقة الأولى لـ «ويل» تأثيرها على قراءته لـ «باوند»؛ فعلى سبيل المثال، يدلل ويل ـ مستشهداً بترجمات باوند الصينية ـ على أن باوند قادر على القفز إلى ما وراء الكلمات على صفحة الورق من أجل «استشعار الإحساس في الأصل»، وحينما يقول باوند حرفياً إن «الكلمات» تشبه أقماعاً من الصلب، نجد ويل يقول ـ بدلاً من ذلك ـ إن باوند يشير بذلك إلى اللبّ (Core)، أو إلى «المحتوى المتحرك».

وعلى الرغم من الفرضيات الجمالية المسبقة، يستخدم ويل أيضاً مقولات باوند في هذه المقالة نفسها لكي يثير قضية معرفية مهمة، أعني قضية المفارقة المتعلقة بالمترجم (Translator's Paradox) وهي: كيف يمكن أن نتعرف شيئاً ونحن بالفعل لا نعرفه؟ وما يلي ذلك يحدد معلماً دالاً على تغيّر في المقاربة النظرية عند ويل. إن ويل ـ من أجل التماس حل لهذه المشكلة المعرفية ـ يولي وجهه شطر عالِمي اللسانيات ناعوم تشومسكي

---

(57) Ezra Pound, «How I Began,» *T. P.'s Weekly* (London) (6 June 1913),
مذكور في: المصدر نفسه، ص 59.

ونوربرت فيينر (Norbert Weiner)؛ إذ يذهبان إلى أن علاقة البنية الباطنة (Deep Structure) ـ التي يفترضان وجودها خلال اللغات ـ بالبنية الظاهرة (Surface Structure) ليست إلا علاقة غير مباشرة، وهنا توجد فرصة كبيرة لوقوع الخطأ، حين يحاول المرء أن يصل من خلال البنية الظاهرة إلى الخلاصة الحقيقية[58] (Real Argument). ثم إن ويل يشير إلى دونالد مكّاي (Donald Mackay) المنظِّر في مجال الاتصال، وهو واضع الفرضية القائلة بأن «كل فرد هو نسق مــن الأهــداف الــمــوجــهــة» (Each Individual is a Goal-Directed System)، وأن الاتصال يكتسب معناه حين يرى شخص ما كيف يحاول الآخرون التأثير في السلوك من خلال نسق المعتقدات التي يؤمنون هم بها. أما الوحدة الاجتماعية (Social Unit) التي تتشكل عن طريق مثل هذا التفاعل بين أنساق الأفراد فتصبح نسقاً من البحث عن الهدف (Goal-Seeking System)، له كينونته الذاتية[59] (In its Own Right). ثم يحاول ويل أن يعيد تفسير أفكاره الظنيّة الأولى عن باوند: فإذا نُظِر إلى قصيدة **لي بو** على أنها نشاط يقع في إطار مجمل تركيبة الأهداف الخاصة بـ لي بو (LiPo)، وأن لي بو قد وجّه نفسه نحو محيطه الثقافي، وحاول أن يغيّر أو يؤثر في ذلك المجتمع نفسه، حينئذ يكون باوند ـ بمقتضى ذلك على سبيل التوسع ـ محاولاً لأمرين: **أولهما** المثول داخل عالم لي بو، و**الثاني** التأثير بنفسه على الأحداث المعاصرة. ونظراً لأن باوند عاكف على الترجمة، فإن عليه أن يفسر أهداف لي بو، كما أنه من خلال الزجّ بنفسه وفكرته الخاصة عن العلاقات الأدبية في هذا الموقف التاريخي المختلف، عليه لذلك أن يشكل وحدة اجتماعية (Social Unit)،

(58) Will, Ibid., pp. 69 - 72.

(59) المصدر نفسه، ص 74-75.

أعني أن يشكل منظومة علاقات جديدة بالمفهوم الذي يتبناه مكّاي. وينتهي ويل إلى نتيجة فحواها «أن الأفكار الخاصة بمفهوم «الذات» و«الآخر» ليست بتلك الأفكار المتصفة بالتوحد أو الصلابة»؛ إنها أفكار متشابكة في ما بينها، تختص بكينونات متشابكة (أو كينونات تجريدية (Abstraction Entities)). وتظلّ المفارقة قائمة، ولكنها نفسها مترجَمة؛ «فالذات (Self) ـ التي هي معنى من بين الأشياء الأخرى التي يتحول إليها المرء من خلال الآخرين ـ تؤوب عائدة من ذلك الآخر الذي هي متماهية معه على نحو ما»[60].

ويبدو التغير في منطق البرهان عند ويل أكثر ظهوراً في المقالة الأخيرة من كتابه: **السكين في الحجر**، وهي التي اتخذ لها عنواناً يجسد المفارقة: «الخونة الأمناء» (Faithful Traitors). والعنوان تلاعب بالقول الإيطالي الشائع: أيها المترجم، أيّها الخائن! (Tradutore, Traditore). والمقالة ـ باختصار ـ مراجعة لتجربته التدريسية في أيوا. لقد اتضح لـ «ويل» خلال مسيرة نشاطه في مجال الترجمة الفعلية ـ أن ما يقوم بترجمته فيه القليل مما يتعلق بمعنى النص، والكثير مما يتصل بطاقة التعبير، أي بكيفية التعبير عن المعنى في اللغة. لقد وجد نفسه يستخدم نظرية باوند على صورة ما، وأنه يتبنى فرضية النسبية الثقافية التي كانت يوماً ما ممعنة في الإشكالية، بردّها لتدور حول نفسها، لا ليعارض بها ممارسته، ولكن لتسهم بوصفها جزءاً حاضراً دائماً على قدم المساواة. وما دامت اللغة تفتقد التحديد، وما دمنا لا نملك على الإطلاق حرية الوصول إلى المعنى المستخفي وراء اللغة المعنية، فذلك أكثر الأسباب وجاهة لكي نكون أحراراً، وأن نمنح ثقتنا لا لما تقوله اللغة، ولكن لما تفعله اللغة.

(60) المصدر نفسه، ص 76.

إن المفهوم التقليدي للترجمة على أنها عملية ترحيل أو نقل هو مفهوم بالغ المحدودية، ويفضي بالترجمة إلى السقوط في مقولات «المكافئات الخاطئة» (Faulty Equivalences)، وإلى جعل الترجمات مجرد «نسخ» (Versions) عن الأصل. إن ويل يناصر ـ على الضد من ذلك ـ مقاربة لا تترجم ما يعنيه العمل، ولكنها تترجم طاقة العمل، و«القوة الدافعة» (The Thrust of the Work) فيه، ومن أجل ذلك لا وجود لطريقة في الترجمة توصف بالصواب (Correct)؛ يقول ويل:

«الترجمة في صميمها هي العملية التي يمكن بها للقوة الدافعة المستكنة (Thrust) في الأعمال القولية للإنسان أن تنقل، وأن تتواصل، وأن يسمح لها بالاستمرارية. وتمثل أعمال الأدب أمثلة عالية المستوى من حيث التنظيم لمثل هذه القوة الدافعة. وهذه الطائفة من الأعمال تفرض نفسها عبر الزمان من ثقافة إلى ثقافة»[61].

ومصطلح «القوة الدافعة» (Thrust) يعبّر عن مفهوم جديد في الحِجَاج، وهو ليس شيئاً تمثله اللغة بذاتها، ولكنها مصطلح سكّه ويل، واستمده مباشرة من مقالات أوزيريس لـ «باوند». فبالإضافة إلى أنه ديونيسي (Dionysian)، يشير أوزيريس إلى مبدأ الذكورة المنتجة في الطبيعة، وقد تضاءل النظر إلى الترجمة على أنها «نقل» (Carrying Over) للمضمون، بل هي استمرارية للمضمون (Carrying On) من داخل اللغة. إن النصوص في الترجمة تولد من جديد، وتمنح حياة جديدة، ويجري تحفيزها بطاقة جديدة. أما المفارقة التي يتضمنها عنوان المقال، فإنها تجد حلاً لهاً في الفكرة القائلة بأن المترجم يمكن أن يكون أكثر أمانة للمعنى الحقيقي للنص (True

(61) المصدر نفسه، ص 155.

(Meaning بأن يكون غير ملتزم التزاماً أميناً بالمعنى المتعين (Specific Meaning) في لغة النص (أي المعنى الإشاري (Indicative) في نظرية ريتشاردز).

هنا يدخل ويل أرضاً خطرة؛ إذ يمنح الشاعر رخصة «شعرية» يُجري بمقتضاها التغييرات الضرورية التي يُبقي بها على شيء توصل إليه أصلاً عن طريق الحدس. وتثير هذه المنهجية غضب معظم المنظّرين المعاصرين في مجال الترجمة، ولا سيّما الدارسون واللسانيون، لأنها تأتي على النقيض من تعريفهم الترجمة بأنها تحويل رسالة من شفرة إلى أخرى. وأيّاً ما كان ما يمكن قوله خلافاً لذلك عن ويل، فإنني أود أن أنوه بالطبيعة المركبة لهذا الفكر المتميز، وأن أقدّر عملية إعادة التعريف التي قام بها. لقد أعاد ويل تعريف المعنى لا على أنه شيء مستكن وراء الكلمات أو النص، ولا على أنه «جوهر» (Essence) بالمعنى الميتافيزيقي التقليدي، ولكن على أنه شيء مختلف، إنه قوة دافعة أو طاقة، هو شيء يجمع في آن واحد بين كونه غير محدّد (Indeterminate) وبلا أساس (Groundless) (كما هو عند سارتر)، وأنه كلي (جامع) وأصيل (كما هو عند ديكارت). وإمكانية الترجمة راجعة (عند ويل) إلى سببين: **الأول** وجود الجوامع الحيوية وجوداً ثابتاً، واستمرار وجود القوة الدافعة، و**الثاني** ما تتصف به اللغة من كونها عصيّة على الاختراق. ويبدو أن ويل يجد في الترجمةِ المفارقةَ التي تتمتع بها اللغة؛ مفارقةَ اجتماع الإمكان والاستحالة، وهي مفارقة لا تقف عند حدود تعريف الترجمة، ولكنها تتجاوز ذلك إلى تعريفنا بكيفية التوصل إلى معرفة أنفسنا من خلال اللغة.

وهكذا نجد التناقض في الموقف الأخير لـ «ويل» مختلفاً عن التناقض الماثل في حجاج ريتشاردز؛ فبينما وجد ريتشاردز نفسه

يحارب ضد وجود التناقض، ويحاول أن يحل المشكلة بتضييق بؤرة النظر وتركيزها على ما ينبغي فحصه، وبجلاء قواعد الفحص ـ نجد ويل يوسع من محدداته ليستوعب التناقض، ويردّ التناقض ليعمل بنفسه في نفسه. إن صعوبة فهم نص ويل راجعة إلى أنه يحاول أن يقول شيئاً غامضاً من خلال تصوراته الميتافيزيقية الخاصة. ونهاية مقالته عن ورشة الترجمة في أيوا تحكمها حاجة ويل إلى إنهاء القول بإحكام، كما تحكمها أفكاره عن الشعر التي تكاد تكون رومانسية، وفرضياته الجديدة عن اللغة. ويقول ويل إن الورشة كانت تضم «عملاً جَماعياً يتجه نحو اللغة الواحدة التي تتوسط جميع اللغات القومية أو تقع بينها (وهنا تسقط كل المجازات المكانية)»[62]، ولكنه يواصل بعد ذلك فيقول في أسلوب مغاير لما سبق:

«إننا بطبيعة الحال لم نكن نضع في اعتبارنا لغة متوسطة أو نقية أو كاملة بالمعنى الحرفي لهذه الأوصاف، ولكننا نعني دائماً اللغتين (س) و(ص)، حيث نحاول أن نترجم من إحداهما إلى الأخرى. غير أن الأفق النظري الذي جعل القول بفكرة تقاطع المناطق اللسانية أمراً ممكناً هو الاقتناع بوجود مخزون واحد للمعنى، أي قرين ثالث (Tertium Quid) تستمد منه اللغتان (س) و(ص) كلتاهما، وتغتذي كلتاهما منه على قدم المساواة، والذي يكون ضماناً بطريقة ما لكلتيهما في تأسيس علاقة كل منهما بالأخرى»[63].

إن نشاط الترجمة ـ بالنسبة إلى «ويل» ـ يُظْهر للمترجم أن اللغة تجمع في آن واحد بين الاستقرار وعدم الاستقرار، وأن النصوص يتداخل نسيجها في الواقع وفي تراث التخيل (Tradition of

(62) المصدر نفسه، ص 158.

(63) المصدر نفسه، ص 158.

Fiction)، وأن الإنسان ـ بوصفه نسقاً مركباً ـ محكوم باللغة وبأنساق الخطاب، كما أنه قابل لخلق اللغة أو علاقات جديدة في الحاضر. إن اللغة دائماً تشير إلى شيء (آخر)، سواء أكان الشيء هو الواقع أو مفهوماً ميتافيزيقياً ما. واللغة الإنسانية هي دائماً وبالضرورة ابتكارية، وقابلة للإضافة، وقابلة لأن يعاد وضعها باستمرار في سياقات مختلفة بدوالّ مختلفة. إن الذي يجعل الترجمة أمراً ممكناً بالنسبة إلى «ويل» (الجوامع الكلية (Universals)/ البنى الباطنة (Deep Structures)) هو الذي يجعلها أيضاً أمراً غير ممكن (اللحظة المحددة/ البنى الظاهرة). هكذا تشير اللغة دائماً إلى الوراء وإلى الأمام، واقعة في فخ التناص. إن المفاهيم الأيديولوجية المحافظة والمتحيزة لدى ويل لا تخدم إلا في إضفاء الغموض على الفرضيات المثيرة (وربما نقول: التقدمية) في موضوع نظرية الترجمة، وهي الفرضيات التي توصل إليها ـ إلى حد كبير ـ من خلال قراءته «باوند»، وعمله في ورشة الترجمة الأمريكية.

## عملية الترجمة الأدبية

على الرغم من أن الممارسين للترجمة في الورشة يستلهمون باوند ـ بوصفه رجلاً حرر الترجمة من قيود الحَرْفية ـ فإنهم نادراً ما يواجهون نظرية باوند أو أي نظرية جمالية أخرى مواجهة مباشرة. ويتيح لهم هذا الوضع المجافي للتنظير تحقيق المواءمة مع نظرية باوند، محررة إياهم من المنهجيات التي تمنح الأفضلية للتوافق الحَرْفي، كما يخولهم هذا الوضع رخصة الإعلاء من شأن أي مظهر من مظاهر النص الأصلي عندما يشاؤون. ويصلح التفسير الذي يسوقه الشاعر والمترجم روني آبتر (Ronnie Apter) لنظرية باوند لأن يكون مثالاً لذلك. وآبتر هو مؤلف كتاب **الحفر من أجل الكنز: الترجمة بعد باوند** (*Digging for the Treasure: Translation after Pound*)

(1984). ويشـرح آبـتـر هذه النقـطـة في تفسيره، فهو لا يزال يفكر من منظور ما هو أمين (Faithful) (ويسميه الفيكتوري (Victorian))، وما هو حر (Free) (ويسميه الحديث (Modern)). ويستخدم آبتر ـ إذن ـ باوند ليؤيد دفاعه عن المقاربة الحرة، وينتهي إلى النتيجة الآتية:

«لقد حررت ابتكارات باوند المترجمين المحدثين من عبودية الالتصاق بالمدلول لذات المدلول، وبالقافية لذات القافية، وبالوزن لذات الوزن، ولجأوا ـ بدلاً من ذلك ـ إلى منظومة متآلفة (Battery) من الاستراتيجيات المعدة لإنجاز غرض محدد (Ad Hoc) (وهي في الغالب استراتيجيات اقترحها باوند)، ولإعمالها في النص الأصلي، محاولين بذلك أن يقدموا رؤية نقدية بصيرة للسبب الذي من أجله اكتسبت القصيدة الأصلية هذه الأهمية بالنسبة إليهم»[64].

ولم تكن استراتيجيات باوند يقيناً من النوع الذي يقال فيه إنها معدة لغرض محدّد (Ad Hoc). وحينما شرد روز عن صراط الاستراتيجية الأولى أغلظ باوند له القول. ومن الصحيح أنه لم يكن نصيراً لفكرة المدلول لذات المدلول، ولكن هذا لا يقتضي فتح المجال على مصراعيه لأي استبصار حدسي أو استبصار يتلقاه صاحبه بوحي إلهي أيضاً. والمشكلة في ما قام به آبتر وغيره من جهد للتوفيق بين رؤيتهم ونظرية باوند في الترجمة هي أنهم يستمدون هذا التوفيق من ترجمات باوند المبكرة من الأدب البروفنسالي (Provinçal)، ومن مقالاته الأدبية الأولى، وكتاباته في مرحلة انتمائه إلى الحركة

(64) Ronnie Apter, *Digging for the Treasure: Translation after Pound*, American University Studies. Series IV, English Language and Literature; v. 13 (New York: P. Lang, 1984), p. 75.

التصويرية. وقد قام هذا كله على أساس من الحدس الجمالي ووثبات الخيال الشعري. الا أن آبتر لم يرجع إلى مقالات باوند عن الحركة الدوّامية، ولا إلى أي نقد تناول فيه التصوير الزيتي أو الفنون التشكيلية، ولا إلى **الأناشيد** (Cantos)، ولم يشر إلى ذلك إلا إشارات عرضية في الحواشي. ويبدو ـ نتيجة لذلك ـ أن الخلاصة التي انتهى إليها آبتر قد تأثرت بالاستراتيجيات المرتبطة بالأغراض الخاصة (Ad Hoc) والغامضة، تلك التي دعمها الذوق المعاصر في أمريكا في ما يتعلق بالشعر والترجمة، وأن تأثر خلاصته بهذه الاستراتيجيات كان أعمق من تأثرها بالاستراتيجية المحددة التي تطلبها باوند، وعرّفها تعريفاً محكماً.

وإذا كانت نظرية باوند لم تؤخذ مأخذ الجد عند الكتّاب المبدعين والمترجمين في أيامنا هذه، فما المقدمات النظرية لمنهجية الورشة؟ أول كل شيء هو أن ما تبنّوه من نظرية باوند أساساً هو ذوقه المتمثل في غياب الزخارف، والتزام البساطة في الكلام، والشعر الذي يكتب كما يكتب النثر. وبينما أوثر أنا أيضاً هذا الاتجاه، فإن ثمة شيئاً من التأسيس النظري لمثل هذا الإيثار، كما أن الذوق السائد ربما يكون شيئاً مختلفاً. وعلى الرغم من أن ظاهرة «الكلام البسيط» (Plain Speech) تبدو ظاهرة أمريكية أصيلة، وهي بعبارة أكثر صراحة ظاهرة «ديمقراطية» ـ فإن خطر الإشادة بموقف قومي إنما يكمن في تثبيته دعائم المؤسسات الأدبية. إن ما كان ثورياً ومبتكراً في عصر باوند ـ من حيث الذوق ـ قد أصبح الآن هو الاتجاه السائد. وقد مُنِـحَ المترجمون رخصة تسمح لهم بأن يختاروا بالحدس قصائد جيدة من لغة أخرى دون معرفة منهم باللغة أو الثقافة الأصلية، وما داموا يتمتعون بشيء من الحساسية الشعرية، والذائقة الجيدة المحكومة الآن بالكلام البسيط وغياب الزخرف، فإن

ترجماتهم تحظى بالقبول. وقد كانت مجلة **مايكروميغاس** (*Micromegas*) مجرد مجلة واحدة تعكس هذا الاتجاه. وعلى حين يشتمل كثير من أعدادها على مختارات وترجمات بأقلام مترجمين راسخين في العلم، نرى أعداداً أخرى تتضمن ترجمات لكتّاب من ذوي المعرفة المحدودة بالمهارات اللغوية، ويبدو أن البراعة في اللغة الأجنبية ليست متطلباً مؤهلاً للدخول إلى الورشة، فالمعايير الأهم هي الحساسية الشعرية، والقدرة على الكتابة بلغة إنجليزية جيدة.

والظاهر أن باوند ـ بسبب مهاراته اللغوية الواسعة ـ ربما كان يحدس بوجود لغة كونية جامعة من نوع ما، ويوجد هذا الافتراض القائل بمثل هذه اللغة الجامعة على نطاق واسع بين مترجمي الأدب من الأمريكيين. والحق أن باوند كان قد تعلم لغات التراث الإغريقي ـ الروماني الغربي؛ إذ كان ملِمّاً بشيء من اليونانية، وعلى معرفة أوثق باللاتينية، ويتمتع بطلاقة اللسان في البروفنسالية والإيطالية، وكان على معرفة ممتازة بالفرنسية والإسبانية. أما إجادته للإنجليزية/ الأمريكية فقد كانت إجادة أسطورية. وقد طاف عقله في حرية عبر تاريخ تطور الثقافة الغربية، واستطاع أن يعالج بتفكيره لغات مختلفة، وأنساقاً فكرية تنتمي إلى حقب تاريخية معيّنة. وكان باوند يقضي أكثر حياته محاولاً نزع الأسطورية عن تراث قام الدارسون الغربيون بإضفاء العظمة والصبغة المادية عليه، وأن يعيد كتابة تاريخ الأدب ليجعله أقرب تناولاً. ومما يؤسف له أن كثيراً من المترجمين ـ في ما يبدو ـ شعروا أنهم قادرون على أن يعرفوا بالحدس لغة بعينها وتراثاً بعينه، وأنهم يمتلكون الإذن بالدخول إلى عالم الأسطورة من غير معرفة باللغة، فضلاً عن المعرفة بالسياق التاريخي/ الثقافي الذي تمكن باوند منه. وقد عالج هذه الظاهرة في الغرب مقال ميلان كونديرا (Milan Kundera) الذي نشر في **دورية نيويورك تايمز**

**لمراجعة الكتب** (*New York Times Book Review*)، وجاء فيه:

«في عامي 1968 و1969 تُرجمت رواية «النكتة» (*The Joke*) إلى كل اللغات الغربية. غير أنه في فرنسا، ويا للعجب لِمَا حدث! أعاد المترجم كتابة الرواية بإضفاء الزخارف اللفظية على أسلوبي. وفي إنجلترا اقتطع الناشر كل الفقرات التأملية، واستبعد الفصول ذات الصلة بعلم الموسيقا، وغيّر نسق الأجزاء، أو قل: أعاد تأليف الرواية. وفي بلد آخر لقيت مترجم روايتي، وهو رجل لا يعرف كلمة واحدة من اللغة التشيكية. قلت له: «إذن كيف ترجمتها؟» قال: «بقلبي»، ثم أخرج صورة لي من حافظته»[65].

من الواضح أن النظرية التي تقول بأن مثل هذه الترجمة ممكنة هو فرض ينتمي إلى الأفلاطونية وليس إلى باوند. إنها تسمح لمترجمين لا حظّ لهم من التمكن في لغة بعينها أن يترجموا، وأن يستخدموا النُّسخ الأدبية كما تستخدم قصاصات الترجمة الحَرْفية لتدريب الطلاب، ثم إنهم من هذه القصاصات يتعرفون على «الجوهر» (Essence) عن طريق الحدس، وتراهم في الوقت نفسه يتوسلون إلى باوند لكي يمنح عملهم هذا شهادة الحداثة.

بمثل هذا المنهج المعمول به في الورشة، حيث لا تستخدم إلا قصاصة ترجمة، وكاتب مبدع ـ وفي معظم الحالات يكون المترجم كاتباً مبدعاً أو يزعم أنه كذلك ـ أقول: بمثل هذا يكاد يكون كل شيء ممكناً. وإليكم مثالاً واحداً مما تقوم به ورشة الترجمة الأمريكية، حيث تُمارس الترجمة من لغات لا يعرفها أحد. لقد قامت أنجيلا إليستون (Angela Elston) بنشر هذا المثال في مقال لها بعنوان

(65) Milan Kundera, «Key Words, Problem Words, Words I Love,» *New York Times*, 6/3/1988, p. 1.

«مختارات الرافعة الذهبية في الترجمة» (The Golden Crane Anthology of Translation). هناك قصاصة تتضمن معلومات شبيهة بتلك التي أتيحت لـ «باوند» حين ترجم: **يلو كرين بافيليون**(*) (*Yellow Crane Pavilion*) لـ «تسو هاو» (T'sui Hao). أُرسِلت هذه القصاصة إلى عدد من الكتّاب المبدعين يتجاوز العشرين، معظمهم معدود من الشعراء المترجمين المتمكنين في أمريكا أو إنجلترا، وقد طُلِب إليهم أن «يترجموا» القصيدة. وقد اشتملت القصاصة المرسلة على القصيدة الأصلية، مع ترجمة كلمة بكلمة، وترجمة للسطر الشعري، وملاحظات على الشكل، واللغة، والأسطورة. ولقد كانت النتائج على درجة هائلة من التباين: فروق دلالية، وتغيّرات نحوية، وتغيّرات في علاقات المتواليات الأفقية (Linear Changes)، وصور مستبدلة، وابتكارات مضاعفة في الصيغ، وانحرافات استعارية، بل حصل التباين حتى في الشكل الطباعي للحروف ورسم الكلمة على صفحة الورق. من المؤكد أن هذا التنوع في الصيغ الفردية يلقي بظلال الشك على أي طراز نظري للترجمة يحدد وصفة للكيفية التي ينبغي أن يترجم بها نص أدبي، ويستوي في ذلك أن يكون طراز ريتشاردز أو أي باحث آخر. وعلى الرغم من أن هذا التمرين قد استخدم قصاصة شبيهة بتلك التي كانت لدى باوند من مجموعة فينولوسا، فإن باوند لا بد من أن تأخذه الرجفة من هذه النتائج؛ فعلى حين كانت بعض القصائد في ذاتها تتمتع بدرجة عالية من الإبداع، كانت صلتها بالنظرية التي دعا إليها باوند جد ضئيلة.

وتذهب إليستون في المقالة التي صاحبت الترجمات إلى أن

(*) من أقدم المباني الأثرية في الصين على نهر يانغتسي، وكان موضوعاً أثيراً في قصائد كثير من الشعراء (المترجم).

المعنى يمكن أن يعبّر عنه بعدد من الطرق المختلفة؛ فالقصاصة تعطينا المحتوى الذي يمكن من خلاله أن نرى المعنى، بل إن إليستون تذهب إلى ما هو أبعد، فترجح أنه ربما كان العمل من قصاصة الترجمة الحَرْفية هو «الأسهل»، لأنها أنجزت بالفعل جانباً من العمل، بالفصل بين ما هو قابل للترجمة وما ليس قابلاً لها؛ وعلة ذلك أن المرء إذا كان عارفاً بالأصل فإنه سينزع بالتأكيد إلى أن يحاكي بعض سماته الصياغية كالأسلوب، والنغمة الموحية (Tone) والموسيقى، وتكرار الأصوات. أما إذا عكف المترجم على العمل من قصاصة الترجمة هذه على غير معرفة منه بالسمات الصياغية، فإنه لن يقع من ثَمَّ في التكلف[66]. هكذا تعكس إليستون على حين غفلة منها نظرية باوند في الترجمة؛ وذلك أن الأسلوب، والنغمة الموحية، والموسيقا، وتكرار الصوت كانت في الحقيقة، وعلى وجه الدقة، هي السمات التي حازت القيمة العليا عند باوند. إن إليستون ـ وهي تكتب عن العملية التي صاحبت إنجاز ترجمتها لقصيدة «أنغام طائر الكركي الحزين» (The Brown Crane Blues) تذكر عقب الترجمة أنها شاورت باحثاً في اللغات الآسيوية، غير أنّها وجدت أن معظم المعلومات التي أعطاها إياها لم تكن من النوع الذي يمكن أن يبقى في الترجمة! وبذلك نكون أمام تناقض جديد مع نظرية باوند، تلك النظرية التي أكدت أهمية المعلومات الثقافية في تحديد ما هو ضمني مستكن، أي لعبة الكلمات، في السياق.

وهناك إلماعات يمكن تبيُّنها أحياناً تشير إلى فهم أكثر دقة لنظرية باوند في الترجمة، وذلك في كلمات التقديم، والمقدمات

---

(66) Angela Elston, «The Golden Crane Anthology of Translation,» *Modern Poetry in Translation* (London), no. 39 (Spring 1980), p. 16.

التي كتبت للنصوص المترجمة المنشورة في أمريكا. وتركز مثل هذه المقالات ـ بوجه عام ـ على مشكلات الترجمة من لغة إلى أخرى، ولكن و. س. ميروين (W. S. Merwin) ـ على سبيل المثال، وهو الذي كان قد استغرقته غالباً قضايا اللغة والثقافة للنص المصدر ـ يعطينا هذه الرؤية البصيرة في مقدمته لكتاب **ترجمات مختارة، 1968-1978** (Se*lected Translations, 1968-1978*)، فيقول:

«لكننا إذا أخذنا كلمة مفردة من أي لغة، وحاولنا إيجاد المكافئ الدقيق لها في لغة أخرى. . . فعلينا أن نعترف بأن هذا لا يمكن أن يكون. ربما تشترك الكلمتان في دلالة التعيين الأساسية (Denotation). لكن كوكبة المعاني الثانوية، وحركة دوائر التداعيات، والأصداء الراجعة إلى التاريخ الاشتقاقي، والصوت وما يختص به من مستويات التداعي ـ كل ذلك ليس له مكافئ؛ لأن إيجاد مثل هذا المكافئ ليس ممكناً. إلا أننا حين نواصل المحاولة سنصل إلى نقطة نجد فيها أن بعض المتواليات في اللغة الأولى تعبر عن وحدة ذات طبيعة حركية (Dynamic Unit)، أي بقايا بدائية للصيغة. هنا يبدأ شيء من طاقة اللغة الأولى في التجلي، لا في الكلمات المفردة، ولكن في كنف العلاقة التي تربطها»[67].

في ما تقدم يمكن أن نتلمس آثاراً لنظرية مستمدة من ريتشاردز وباوند وويل. إن ميروين ليس من السذاجة أيضاً بحيث يرجح إمكان وجود قراءة موحدة، كما أنه كان ذا وعي مرهف أيضاً بمواطن الاختلاف التي تتحدى الترجمة، والظلال الدقيقة التي تهرب من المترجم، والإيحاءات المفقودة. غير أنه ـ في الوقت نفسه ـ على

(67) William Stanley Merwin, *Selected Translations, 1968-1978* (New York: Atheneum, 1979), p. viii.

وعي أيضاً بأن عملية الترجمة فيها ذلك الشيء المبيّن عنه نفسه، وهو أن ما تقوله اللغة قليل، وما تفعله اللغة هو الأكثر، أي أن الكلمات تتشرب نوعاً من الطاقة خلال حياتها السياقية والتناصية.

هكذا نرى أن ما يبرز للعيان من الإسهام الذي قدّمته أمريكا الشمالية لنظرية الترجمة الأدبية المعاصرة هو دون أن يكون نظرية مُبِيْنَة متماسكة قائمة على أساس عقلاني سليم، وأن أكثر إسهامها قد تمثل في منظومة جديدة متكاملة من القضايا. وينظر هذا الإسهام إلى الترجمة لا من حيث هي هويات ومكافئات بقدر ما هي تداعياتٌ لغوية، وتأثيل تاريخي، وتصدياتٌ ما كان في الإمكان أن تُرى أو تُسمع في العادة لو لم تكن مقابلات لترجمتها.

وتستلزم العملية التي تلقى التأييد بوجه عام، الاستسلام لصوت «آخر» من نوع ما، والاستماع إلى طاقة اللغة، والسماح للتداعيات الثانوية والمهمشة والمنسية بأن تظهر على السطح، وهي التي تُستخدم من ثَمّ لإضفاء العمق والرنين على صور الترجمة. أما توثيق مفهوم الطاقة في اللغة، أي توثيق الكلمات في ملابستها للفعل (Words in Action)، فهو أمر صعب إن لم يكن محالاً. ومع ذلك، فهناك ضرب من التأليف يظهر الآن في الولايات المتحدة، ربما بدأ بكتاب جون فيلشتينر (John Felsteiner)، الذي عنوانه: **ترجمة نيرودا: الطريق إلى ماتشو بيتشو** (*Translating Neruda: The Way to Macchu Picchu*) (1980). ويواصل هذا الضرب من التأليف مسيرته من خلال دراسة روبرت بلاي (Robert Bly)، وعنوانها: «مراحل الترجمة الثمان» (Eight Stages of Translation) (1984)، وكتاب إدوين هونيغ (Edwin Honig) بعنوان: **الصوت الآخر للشاعر: محادثات في الترجمة الأدبية** (*The Poet's Other Voice: Conversations on Literary Translation*) (1985). وهذا الجنس من التأليف يحاول أن يزوّدنا برؤية مستبصرة لعملية الترجمة. ويواصل

دانيال فيسبورت الذي يشارك في إدارة ورشة الترجمة في أيوا هذا الخط الفاحص للترجمة في كتابه **ترجمة الشعر: المتاهة المزدوجة** (*Translating Poetry: The Double Labyrinth*) (1989)، والكتاب مجموعة من المقالات كتبها مترجمون يرتبط بعضهم ارتباطاً وثيقاً بالمقاربة التي تتبناها ورشة الترجمة الأمريكية، وفي هذه المقالات يكشف مؤلفوها عن رؤى ثاقبة معيّنة، وكذلك عن الطرق المسدودة التي واجهتهم خلال عملية الترجمة. ويشتمل النص على عدد من مسوّدات النص المترجم، حيث يتلاعب المترجمون بالصيغ المختلفة التي تتيحها إمكانات اللغة قبل التوصل إلى الصورة الأخيرة من الترجمة؛ كما يحوي أيضاً تعليقاً على بعض المواضع التي كان الاختيار فيها أكثر صعوبة.

وإنه لمن المبكر جداً الخروج بنتائج من مثل هذه الوثائق، كما أننا لا نزال في احتياج إلى المزيد. غير أن بداية الإسهام المتفرد الذي قدمته في أمريكا مقاربة الورشة الأمريكية هو أمر مشهود: إنها نظرة أولى في داخل الصندوق الأسود للعقل البشري حين يعمل ويعيد العمل في أثناء ممارسة نشاط الترجمة. وبما أن كثيراً من القرارات تتصف بصبغة ذاتية واضحة، وغالباً ما تكون غير واعية، فإن تحليل هذه العملية الخاصة بالترجمة كان ولا يزال أوفر الفروع نصيباً من الإهمال في مجال نظرية الترجمة. ويبدو أن الترجمة في هذه البلاد ـ من الوجهة التاريخية ـ هي التي تدمر نفسها؛ فهي تتوارى في تضاعيف العملية، كما لو كان النص المترجم يظهر للعيان في صورة عمل أدبي حائز على هذه الصفة لذاته في اللغة المستقبِلة. والحق أن الاهتمام في الدوائر الأمريكية انصبّ على العمل الذي تم الفراغ منه، وهو الذي يقوم بوظيفة العمل الأدبي في الثقافة المستقبلة ـ ولذلك تظهر الترجمات نفسها غالباً على أنها مكتفية

بنفسها، وأنها تجتذب الاهتمام إلى نفسها أو إلى المترجمين ـ ولم يكن ذلك بسبب ما تتمتع به من دقة وجودة سبك، ولكن لما تشتمل عليه من فروق وعدولات. وهناك يوجد نوع من النشاط يعمل في النصوص بالفك والتركيب والإحلال، والنشاط القائم على تهجين بعضها ببعض (Cannibalistic Activity)، وقليل من المترجمين من لا يصنع هذا الصنيع.

ومع مثل تلك النصوص التي جمعت في نشرة فيسبورت تبدو للعيان ثغرة صغيرة تفضي إلى أسلوب من التفكير جديد، ونجد أن ما يحيط بنا من الأسئلة هو أكثر مما لدينا من الأجوبة. و**أوضح** القضايا التي علينا أن نعالجها هي تعريف مصطلح «الترجمة» نفسه. إن مصطلح «النقل الإبداعي» (Creative Transposition) الذي وضعه جاكوبسون ـ مع التأكيد على صفة الإبداع ـ يبدو مصطلحاً ذا فعالية أقوى[68]. وأما القضية **الثانية** فلا تزال تنطوي على مشكلة معرفية. فإذا تقبّل المرء مقاربة باوند للترجمة الأدبية، فما المراد بالمدلولات (Referents)؟ أهي المعنى (Meaning)؟ أم أنها الأشياء (Things)؟ إن الطاقة في اللغة (Energy) تبدو تسمية بالغة الغموض لأي مفهوم حين يتعلق الأمر بأي نوع من أنواع الفحص العقلاني. وهل المعايير جميعها ذاتية؟ وهل يمكن أن نسم نظرية باوند بأنها نظرية مادية؟ ثم، بأي شيء يتقيد المترجم: بالنص الأصلي المكتوب؟ أم بشيء يسمعه أو يحدس به؟ هل للترجمة علاقة من نوع ما بالهوية (Identity)؟ ويبرز مزيد من الأسئلة حين يحاول المرء تعميم المقولات المتصلة بالمنهجية، فهل هناك قواعد تحكم عملية توليد

(68) Roman Jakobson, «On Linguistic Aspects of Translation,» in: Reuben Arthur Brower, ed., *On Translation*, Harvard Studies in Comparative Literature; 23 (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1959), p. 238.

النص المترجم (Generation)؟ ما المتطلبات اللازمة للمترجم في حدها الأدنى؛ من حيث المعرفة بلغة النص الأصلي والثقافة التي ينتمي إليها؟ وأخيراً، تثير المقاربة التي تبنتها ورشة الترجمة في أمريكا الشمالية كثيراً من الأسئلة في ما يتعلق بطبيعة معايير التقويم: هل تعتمد جميع المعايير بالكلية على الذوق السائد في الثقافة المستقبِلة؟ إن كثيراً من الكتب، والمجموعات المختارة، والمقالات الموجودة تعكف على واحد أو أكثر من الأسئلة السابق ذكرها، وكثيراً ما يكون عكوفها مصحوباً بقدر كبير من التأمل النافذ. ومع ذلك، فإن هذه النصوص تنزع إلى المنحى التوجيهي أكثر مما تنزع إلى المنحى التحليلي، وتجعل أكبر تركيزها على التقنيات الخاصة بحل المشكلات، وعلى حِرْفيّة الترجمة أكثر من تركيزها على النظرية.

وهناك مفارقة في الأمر؛ ذلك أن أنصار ورشة الترجمة في أمريكا الشمالية ـ لأنهم يفتقدون النظرية المؤسسية الواضحة بالفعل، ولأنهم يركزون على عملية الترجمة، كما أن أسئلتهم تَنْجُم عن مثل هذا المنظور ـ فلعل هذا كله يكون سبباً في أن أنصار هذا الاتجاه ربما يجدون أنفسهم بالفعل في وضع يساعدهم على الإسهام في المناقشات المتعلقة بآخر التطورات في مجال نظرية الترجمة. وعلى الرغم من أن شيئاً من جماليات «النقد الجديد» لا يزال يشكل أساس الإسهام في أمريكا الشمالية، فإن على المرء أن يعترف بأن كثيراً من الصيغ التقليدية في الأجناس، وفي طريقة تمثيلها، قد جرى تدميره بصورة أو بأخرى ـ في ما يبدو ـ على يد هؤلاء الشعراء/ المترجمين. إن الحدود والقيود نفسها التي حدّت أو قيدت نشاط الترجمة، هي التي تساعد على إمكان ظهور تراكيب لغوية جديدة، ومن ثم على إضفاء الجاذبية على الترجمة بوصفها أسلوباً قائماً بذاته

بالنسبة إلى هذا الجيل من شعراء أمريكا الشمالية.

ويبيّن ويل أنه في مثل هذا الموقف يبرز إخفاق الاستعارات المكانية، كما تبرز الآفاق المنهجية الجديدة. كذلك تحتاج النظرية الشاملة إلى أن تتوفر على القيام بحركة مزدوجة؛ حركة تعمل على استدامة معتقدات جمالية معيّنة، كما تعمل في الوقت نفسه على تدمير تلك المفاهيم نفسها.

## لورنس فينوتي: عودة من جديد إلى تأمل الترجمة

حاولت في هذا الفصل توضيح المقدمات النظرية التي تقف وراء الموقف النقدي المجافي للتنظير، والذي يعتنقه كثير من مترجمي الأدب والقائمين على تدريسه في الولايات المتحدة. وحاولت أيضاً أن أحلّل المبادئ المؤسِّسَة التي أراها وكأن أعرافها تمتد في النزعة الإنسيّة وتراث «النقد الجديد»، لكي أبيّن كيف تمكِّن هذه المبادئ للفرضيات السائدة، أو تزوّدها باستبصارات جديدة. ورأيي أن الترجمة الأدبية في الولايات المتحدة هي في الغالب جَمْعٌ بين أمرين متزامنين هما: التمكين للصيغ المهيمنة وتدميرها في آن، وذلك بالنسبة إلى النصوص الأدبية بوجه عام، ومن ثم بالنسبة إلى الإسهام في البحوث الجارية حول التطور اللساني والأدبي والثقافي.

والحق أني لست وحيداً حين أعاود التفكير في الترجمة على المساحة التي تشغلها هذه السطور. وربما كان لورنس فينوتي هو أعظم دارسي أمريكا الشمالية تأثيراً في الدراسات الترجمية في العقد الأخير. وفينوتي هو المحرر المشرف على المصنف الرائد: **تأملات جديدة في الترجمة: الخطاب، والذاتية والعقيدة** (*Rethinking Translation: Discourse, Subjectivity, Ideology*) (1992)، وهو أيضاً

مؤلف لكتابين أساسيين في الترجمة، هما كتاب: **خفاء المترجم: تاريخ للترجمة** (*The Translator's Invisibility: A History of Translation*) (1995)، وكتاب: **فضائح الترجمة: نحو نظام أخلاقي للاختلاف** (*The Scandals of Translation: Towards an Ethics of Difference*) (1998)، كما أنه مصنف كتاب: **نصوص مختارة في الدراسات الترجمية** (*The Translation Studies Reader*) (2000).
وإسهامات فينوتي في مجال الدراسات الترجمية متعددة: و**أولها**، وربما كان أهمها، أنه ينتقد الأسس المتسمة بالنزعة الإنسية، تلك التي تميز الجانب الأعظم من الترجمة الأدبية في الولايات المتحدة، ويبيّن كيف تمكّن هذه الأسس للمعتقدات والأيديولوجيات السائدة في البلاد. وهو - **ثانياً** ـ يزوّدنا بمنظومة جديدة من المصطلحيات والطرق المنهجية لتحليل الترجمات. وأخيراً، يقدم منظومة من الاستراتيجيات البديلة التي يتمنى على المترجمين أن يحاولوها.

والأطروحة الأساسية عند فينوتي هي أن الترجمة تميل إلى أن تكون ممارسة غائبة (Invisible) في الولايات المتحدة، وهو يعني بقوله «غائبة» أن المترجمين يميلون إلى أن يَطمسوا ذواتهم في أعمالهم، فهم يتخلون عن صوتهم الخاص؛ إما لصالح صوت المؤلف، وإما لصالح أساليب الاستقبال السائدة في الثقافة، وإما لصالح هذين الأمرين معاً. كذلك يرى فينوتي أن الدارسين في مجال نقد الترجمات يميلون إلى تجاهل القرارات وجهود الوساطة التي يقوم بها المترجمون، وهم يعلقون على النصوص ـ بدلاً من ذلك ـ كما لو كانوا يملكون الإذن بالدخول المباشر إلى المؤلف الأصلي.

إن معيار الحكم بنجاح الترجمة هو أن تُقْرأ «بطلاقة»، لتوحي في مظهرها بأنها ليست بترجمة، والمعتقد الثقافي السائد ـ كما سبق أن أشار إليه فريدريك ويل ـ هو أن أفضل المترجمين يتمتعون بالقدرة

على أن يصلوا إلى نوع من الدلالة الجامعة في المعنى، وعلى أن يعكسوا ـ في شفافية ـ هذا الجوهر في النصوص المترجمة. وهذا المعتقد الذي تشترك فيه شبكة من المحترفين في مجال صناعة الترجمة، تشمل الناشرين والمحررين والمراجعين والقراء، بل تشمل كذلك المترجمين أنفسهم، إنما يرسخ أفكاراً تقليدية شبه رومانسية ـ بكل ما تعنيه الكلمة ـ عن مفهوم التأليف، وتصورات أفلاطونية محدثة عن تركيب صورة تعيد إنتاج الأصل[69].

ويرى فينوتي أن المشكلات التي ترتبط بمثل هذا الموقف ذات طبيعة مزدوجة؛ فهي **أولاً** تهمش المترجمين الممارسين، وتجعلهم خاضعين للمؤلف، وتعرّف ممارستهم بأنها تالية وثانوية، وتضعها من حيث التصنيف في مرتبة أدنى بكثير من الكتابة الإبداعية الرفيعة والتحليل الأدبي المعمق. وهي **ثانياً** ـ وربما كان هذا هو الأهم ـ تطمس الفروق اللسانية والثقافية في النص الأجنبي، وهو ما يزعم فعل الترجمة نفسه أنه ينقله إلى الثقافة المستقبِلة. إن المترجمين حين يعيدون كتابة النص وفقاً لما هو سائد في الثقافة المستقبِلة من أساليب، وحين يكيفون الصور والاستعارات في النص الأجنبي طبقاً لأنساق المعتقدات التي تفضلها الثقافة المستهدَفة، فإنهم حينئذ لا يكبّلون أنفسهم بالأغلال من حيث الاختيارات التي يعتمدونها لإنجاز مهمتهم فحسب، ولكنهم أيضاً مرغمون على تحريف النص الأجنبي، لينسجم مع الصيغ والأفكار في الثقافة المستقبِلة.

إن الأصداء الناتجة من مثل هذه الشبكة في صناعة النشر، والتي تشترك في هذه النظرة إلى الترجمة هي أصداء بعيدة المدى؛

---

(69) Lawrence Venuti, ed., *Rethinking Translation: Discourse, Subjectivity, Ideology* (London; New York: Routledge, 1992), pp. 3-5.

فمثل هذا النوع من الترجمة يتولد عنه فعل من أفعال التدجين (Domestication)، وجعل ما هو أجنبي مألوفاً، ويزوّد القراء بخبرة يتعرفون فيها على ثقافتهم هم في ما هو أجنبي، ويشرّع ـ في رأي فينوتي ـ لنوع من الثقافة الإمبريالية، يحمي تراتبية الطبقة الاجتماعية، ويدافع عن استمرارية التصورات السياسية والدينية، ويساعد على تبادل المنفعة، والاستهلاك الاقتصادي. وتحاول عملية إعادة النظر في الترجمة التي قام بها فينوتي أن تتوصل إلى ما هو حبيس مسكوت عنه؛ ذلك الكامن وراء الشطر الأكبر من الترجمة الأدبية في الولايات المتحدة. يضاف إلى ذلك أن مشروع فينوتي يذهب إلى ما هو أبعد، وذلك لأنه مشروع سياسي أيضاً. إنه يستخدم قضايا اللغة والخطاب والذاتية بالاعتبار الأيديولوجي، وعلاقتها بالبنى الاجتماعية، ولديه تصورات محددة عما هو محافظ، وما هو تقدمي. وهو يشكك في مفاهيم الأصالة والتأليف الإبداعي الذي يضع الترجمة في مرتبة تالية بالنسبة إلى النص الأصلي، معتقداً ـ على العكس ـ أن كليهما مشتق من أصل، وفاقد للتجانس[70]. ويشكك فينوتي أيضاً في الأفكار المتساهلة عن التكافؤ، مسلماً بالفرضية القائلة بأن أنواع الخطاب المتعددة والتي ينضوي تحتها أي نص تقف عائقاً دون قبول الأفكار القائلة بالتوافق البسيط بين المتكافئات. وعلى العكس من ذلك، يرى فينوتي في كل فعل من أفعال الترجمة فعلَ تغيير وإبداع، وهو نادراً ما يكون شفافاً عاكساً، كما أنه فعل تأويلي بلا جدال. إن الترجمات هي نصوص مركبة مليئة بإيحاءات التناص، والإشارات الضمنية المتعددة، وهي تنطوي على ألوان من الخطاب والمواد اللغوية تضع أمام المترجمين

---

(70) حول «التقويضية»، انظر: الفصل السادس من هذا الكتاب.

اختيارات متنوعة تدعم أو تقاوم بها الرؤى الأدبية والأيديولوجية المهيمنة.

إلا إن فينوتي يزوّدنا بما هو أكثر من نظرية. إن ما أرى فيه إسهامه الأكبر في مجال الدراسات الترجمية هو أنه يمدّنا أيضاً بنموذج لتحليل الترجمات، شارحاً كيف تشارك هذه الترجمات في التطور الثقافي. وهو يفعل ذلك لا بالرجوع إلى مقدمات المترجمين، والمقابلات والمحاضرات فقط؛ إذ إنه وجد ذلك مما ينتمي إلى الأدب المحض، ولكنه يقدم منهجاً للدراسة المقارنة، وللتحليل التشخيصي (Symptomatic Analysis). إن النزعة الإنسية في التحليل تميل إلى لفلفة تعدد ألوان الخطاب، والإشارات الضمنية المتعددة ـ مفترضة وجود توحد دلالي ماثل في قلب النص ـ ومن ثم تنزع إلى إبراز الجانب التواصلي الصريح والشفاف في هذا الجوهر المتوحد. أما التحليل التشخيصي، فإنه لا يقف عند قراءة ما هو واقع تحت النظر المباشر، بل يتجاوزه إلى قراءة ما هو كثيف معتم وغير منظور. وهو يكشف عن ألوان الخطاب والتعارضات المتصادمة في النصوص المترجمة. ويشير فينوتي إلى هذه العملية بوصفها تحليلاً لـ «المتبقي» (The Remainder)، وهو مصطلح يستمده من جان ـ جاك لوسركل في كتابه: **عنف اللغة**[71] (*The Violence of Language*) الذي يشير به إلى الكشف عمّا يتجاوز الاستعمال الشفاف للغة[72].

---

(71) Jean-Jacques Lecercle, *The Violence of Language* (London; New York: Routledge, 1990), p. 182.

(72) Lawrence Venuti: *The Translator's Invisibility: A History of Translation*, Translation Studies (London; New York: Routledge, 1995), p. 216, and *The Scandals of Translation: Towards an Ethics of Difference* (London; New York: Routledge, 1998), p. 10.

وفي كتابه: **خفاء المترجم** يضرب فينوتي مثلاً لهذا المنهج الذي يعتمد التحليل التشخيصي بفحص ترجمات نصوص سيغموند فرويد (Sigmund Freud) في الطبعة المعتمدة (Standard Edition). لقد كان النمط الثقافي لنصوص التحليل النفسي حينئذ يبرز أهميةَ علميةِ الخطاب، ويميل ـ من الوجهة الأسلوبية ـ إلى التجريد والحياد والرصانة إلي حد بعيد. غير أن مشكلة المترجمين هي أن نصوص فرويد كانت في الغالب بسيطة ودارجة، وتستخدم لغة هي أقرب إلى لغة الحياة اليومية العامة منها إلى لغة التنظير والثقافة الرفيعة. هكذا نجد كلمة مثل «Parapraxis» حين تأتي مقابلاً للكلمة الألمانية البسيطة «Fehlleistung» والتي تعني ـ على جهة التقريب ـ ما يقابل الوظيفة المعيبة (Faulty Function) تبرز أمام القارئ في حالة من عدم الانسجام بينها وبين سائر النص. وعند قراءة مثل هذه الحالات التي تمثل خروقاً للانسجام الأسلوبي بطريقة تحليلية تشخيصية، نجد أن فينوتي يورد عدداً من الكلمات: «Cathexis» مقابلاً لكلمة طاقة «Energy»، وكلمة «Libidinal» في مقابل كلمة «جنسي» (Sexual). وهو إذ يستمد هذه الأمثلة من نقد برونو بيتيلهايم (Bruno Bettelhaim) لمن ترجموا فرويد، في كتابه: **فرويد وروح الإنسان** (*Freud and Man's Soul*) (1983)، يفضح أسرار عملية الترجمة، مبيناً كيف يكشف المترجمون ـ بوعي أو بغير وعي ـ عن انتماءاتهم من خلال الخيارات الأسلوبية[73]. وعلى حين أنه كان عجولاً في تسمية مثل هذه الاختيارات الواردة في الترجمة «تشويهاً» (Distortion) و«خيانة» (Betrayal) لجوهر فكر فرويد، يؤثر فينوتي أن يرى في ما اتخذه المترجمون من قرارات جزءاً من قوى ثقافية كبرى تفعل فعلها في الخفاء، وأن هذه القرارات لا تعود إلى خيانة

---

(73) Venuti, *The Translator's Invisibility: A History of Translation*, pp. 25-29.

مترجم فرد، بقدر ما تعود إلى رغبتهم في رؤية فرويد مقبولاً داخل إطار الخطاب الطبي المعياري. إن المترجمين بمثل هذه الخيارات قد ساعدوا على منح المشروعية لهذا الخطاب، وشاركوا في توفير الملاءمة بين التعريف الناشئ للتحليل النفسي وما هو سائد في الولايات المتحدة. هكذا يرى منهج فينوتي أن الخيارات التأويلية محكومة إلى حد بعيد بسلسلة عريضة من المؤسسات الاجتماعية والثقافية، وأن المترجمين ليسوا على وعي بكثير منه، وأن إنفاق النقاد زمناً طويلاً لكي يلاحظوا مثل هذه المظاهر من عدم الانسجام، هو حقيقة كاشفة عن المدى الذي بلغه التواطؤ الثقافي. وفينوتي ـ مع ذلك ـ حين يبرز مواطن الفجوات أو التناقضات في الترجمة، والمواطن التي أسرف فيها المترجمون إسرافاً شديداً في استمداد الأساليب والقيم المهيمنة في الثقافة المستقبِلة، والمواطن التي نأوا بأنفسهم فيها عن هذه الأساليب؛ إنه حين يفعل ذلك يحقق رؤية أوضح لعملية الترجمة، ويكشف اللثام عن خدعة الشفافية والتكافؤ، ويبيّن كيف أن المترجمين مستغرقون استغراقاً عميقاً في البنية الثقافية.

وبالإضافة إلى ما زوّدنا به فينوتي من منهج جديد لتحليل الترجمات، فإنه يقدم أيضاً وصايا لمن يمارس الترجمة، وهي وصايا تطورت لتصبح أكثر أجزاء نظرية فينوتي إثارة للجدل، وهو ما يسميه في أحيان مختلفة «تغريب الترجمة» (Foreignizing Translation) و«الأمانة المستفزة» (Abusive Fidelity) (وهما مصطلحان يستعملهما فينوتي مجتمعين أو متبادلين: and/ or). ويعني فينوتي بالتغريب أيَّ استراتيجية للترجمة تقاوم التدجين (Domestication) والسلاسة (Fluency) والشفافية (Transparency)[74]. أما «الأمانة المستفزة»،

(74) المصدر نفسه، ص 148 وما بعدها.

فيعني بها شيئاً يكاد يكون هو عين ما تقدّم، حيث يتوخى المترجم إعادة إنتاج ما يشتمل عليه النص الأجنبي من سمات «تستفز» (Abuse)، أو تقاوم الصيغ أو القيم السائدة في الثقافة المستقبِلة، وهو ما يتيح للمترجم أن يكون وفياً للنص ـ المصدر (Source-Text)، على أن يظل مشاركاً في التأثير على التغير الثقافي في اللغة المستهدَفة[75] (Target Language).

والآن، ما السمات التي يشدّد فينوتي على اقتراحها ليقوم المترجم الممارس بإعادة إنتاجها؟ إنها ـ على جهة التدقيق والضبط ـ تلك السمات التي تُكَوِّن علامة دالة على الاختلاف اللساني والثقافي. إن فينوتي (بهذه الرؤية) تجتذبه استراتيجيات ما بعد البنيوية (Post-Structuralism)، تلك التي تدفع إلى مقدمة الصورة لُعْبة الدالّ (Signifier)، والتلاعب بالألفاظ (Puns)، والتعبيرات المولدة (Neologisms)، والإغراب اللفظي (Archaisms)، واللهجات (Dialects)، والتهكم اللاذع (Satire)، وشظايا التراكيب النحوية (Fragmented Syntax)، والأشْكال التجريبية (Experimental Forms)، وكل ذلك يفضي في النهاية إلى إنتاج نصوص تتسم بالتقطع والتشظي، ولا تبلغ مبلغ النصوص المنسبكة في وحدة متجانسة. إن استخدام مثل هذه التقنيات في الترجمة تفضح خدعة الشفافية، وتجعل من عمل المترجم عملاً بادياً للعيان، وتشجع ـ نتيجة لذلك ـ على إعادة النظر في الوضع الثانوي للمترجم، والمرتبة المتأخرة التي يحتلها. وكذلك من المفارقة أن هذه التقنيات تُبقي على العناصر المهمة في النص ـ المصدر التي تجري في الغالب تسويتها

---

(75) المصدر نفسه، ص 182-183، و Venuti, ed., *Rethinking Translation: Discourse, Subjectivity, Ideology*, pp. 12-13.

وإسقاطها وتكييفها (أو الاكتفاء بتكييفها)، بحيث يكون من غير الممكن التعرف عليها. هذه التقنيات ـ بحكم ماهيتها ـ مناقضة كل المناقضة للاستراتيجيات التي تؤثرها ورشة الترجمة في أمريكا الشمالية؛ إذ إنها تفضل الوحدة (Unity) وجودة السبك (Cohesion)، وتحقيق المشابهة (Similarity)، والسلاسة (Fluency)، ووقوع النص موقع القبول (Acceptability). وعلى الرغم مما حققته أفكار فينوتي من نجاح على النطاق العالمي، فإن أفكاره قد جرى نبذها وتجاهلها على نطاق واسع في ورش الترجمة، ولدى الدوائر العاملة في مجال الترجمة الأدبية في الولايات المتحدة، ويعيش المترجمون الممارسون زمناً صعباً للإفلات من قيود الاستراتيجيات والالتزام بالمفهوم التقليدي للأمانة.

ويأتي الجانب الأكبر من قوة الدفع التي حفزت فينوتي إلى تطوير مثل هذه النظرية من عمله الخاص مترجماً وناقداً لـ «إيغينيو أوغو تارشيتي» (Iginio Ugo Tarchetti) (1839 ـ 1869) وهو كاتب من ميلانو من كُتّاب القرن التاسع عشر، استخدم في كتاباته الإبداعية استراتيجيات التغريب. وقد شدّ تارشيتي انتباه فينوتي بموقفه المتمرد؛ فقد كان عضواً في جماعة من الكتاب تسمى «المشعّثون» («Scapigliatura» أو«Dishevelled»)، تعارض القيم البورجوازية في أساليب الحياة والكتابة. وخلال هذه الحقبة كان المعيار الأدبي المتحكم بالنسبة إلى القص (Fiction) نوعاً من الواقعية البورجوازية المحافظة، أما تارشيتي، فقد فضّل عليها الحكايات القوطية الغرائبية المتحركة (Gothic, Fantastic, Phantasmagoric Tales) كتلك التي كتبها هوفمان (Hoffmann)، وإدغار آلان بو (Edgar Allan Poe)، وجيرارد دو نيرفال (Gerard de Nerval)، وتيوفيلي غوتييه (Theophile Gautier). وهناك أمر يجعل من دراسة تارشيتي موضوعاً

آسراً؛ هو أنه مزج بين الترجمة والتعديل التوفيقي في عمله الإبداعي، طامساً الحدود بين هذين الجنسين من الكتابة، ومضمناً عمله كثيراً من وسائل الخوارق والمفارقة والتعجيب[76] (Estranging).

ويمثل تحليل فينوتي للترجمة التي أنجزها تارشيتي لنص ماري ولستونكرافت شيلّي (Mary Wollstonecraft Shelley) الذي عنوانه **الميت الخالد** (*Immortal Mortal*) ـ هذا التحليل، يمثل ـ على وجه الخصوص ـ نموذجاً مفعماً بالنظر الثاقب. لقد نشر تارشيتي النص على أنه من عمله الخاص[77]، ولم يقرنه باسم شيللي على أنها مؤلفته، ولكن قرنه ـ بدلاً من ذلك ـ بملاحظة تقول إن الحكاية «من الإنجليزية»[78]. ولم يتناول تارشيتي بالتغيير إلا عناصر ثانوية، مثل اسمين لاثنين من الشخصيات، وبعض التواريخ. ويرجح فينوتي أن هذا الانتحال (Plagiarism) من خلال الترجمة هو مثل للاتجاهات غير الملتزمة التي تميز بها «المشعّثون» في استهزائهم بالـمِلْكية البورجوازية، وما تظهره من آداب الكياسة والاحتشام. كذلك يعمد تارشيتي إلى توسيع حدود الخطاب الحكائي الإيطالي المقبول بافتراض وجود حكاية إيطالية قوطية أصيلة. أما العناصر الأخرى التي حظيت بالإبراز في ترجمة تارشيتي، فتشمل استعمال لهجة فصحى (Standard Dialect) ليتحدى بها اللهجة التوسكانية السّائدة (Tuscan Dialect)، والتأكيد على العناصر الخارقة، والإبقاء على النقد النسوي الذي تضمنه نص شيللي لصورة نظام السلطة الأبوية الذكورية (Patriarchal Gender Representation). ويطلق فينوتي على هذه العناصر تسمية «العناصر المستفزة» (Abusive) التي تمثل دور الناقد

---

(76) المصدران نفسهما، 159 وما بعدها و196 وما بعدها على التوالي.

(77) Venuti, *The Translator's Invisibility: A History of Translation*, p. 162.

(78) المصدر نفسه، ص 162.

للثقافة الإيطالية، ولصيغة الحكاية الواقعية المفضلة في هذه الثقافة. ومن المفارقات أن ترجمة تارشيتي إنما تمارس الاستفزاز في المقام الأول بسبب «وفائه» للنص الإنجليزي الأصلي، وبسبب استعمالها للهجة الإيطالية الفصحى (Standard Italian)، وتكرارها الخوارق الموجود في الأصل، و«إبقائه» على الآراء النسوية.

وينطبق نقد فينوتي لممارسات الترجمة في إيطاليا خلال القرن التاسع عشر إلى حد بعيد على الموقف الراهن في الولايات المتحدة، وتقدم مقترحاته بإعادة النظر في الترجمة بدائل يجري وضعها موضع الاعتبار على يد مترجمين ممارسين، مثل سوزان جيل ليفين (Suzanne Jill Levine) وكارول ماير (Carol Maier). كما يجري إدماجها على استحياء في الممارسة التدريسية في بعض الأماكن مثل كينت ستيت (Kent State)، وسوني بنغهامتون (Suny Binghamton)، وفي جامعة ماساشوستس أمهرست (Massachusetts Amherst). أما مقترحاته الداعية إلى الدراسة التشخيصية للترجمة، فقد كانت أقل فاعلية، على الرغم من الحاجة الملحّة إليها. إن الدراسات الترجمية في حدّ ذاتها لا وجود لها في الولايات المتحدة، وعلى الرغم من أن الجمعية الأمريكية للدراسات الترجمية (American Translation Studies Association (ATSA)) موجودة حقّاً، وأن لها مجموعة نقاشية على الإنترنت، كما أنها عقدت لقاءً واحداً في مؤتمر سنوي أخير للجمعية الأمريكية للمترجمين (American Translators Association (ATA)) ـ أقول: إنه على الرغم من ذلك كله، فإن الجمعية الأمريكية للدراسات الترجمية موجودة أساساً في حالة من حالات انقطاع التواصل، وأن ما تم إنجازه من عمل جاد في مجال دراسات الحالة هو جد قليل. وفينوتي خبير ـ بوجه خاص ـ في تصوير الكيفية التي يتبعها أساتذة الأدب،

ولا سيّما الذين يُدرِّسون الأدب العالمي باللغة الإنجليزية وأقسام اللغات ـ في قمع الترجمة حين يُدرِّسون النصوص المترجمة، تاركين الأفكار تسبح سباحة حرة، ومتجاوزين الحدود القومية، والفروق الثقافية[79]، وتكشف اقتراحاته ـ التي أُسِّسَت تأسيساً عميقاً على تقاليد مذهب آلتوسير (Althusser) في النقد الأدبي ـ كيف تقوم الأشكال المختلفة للاستقبال في شتى الثقافات بتشكيل الترجمة، وحيازة الرضا في أي وقت. إن منهج فينوتي يمد بالبديل المنعش دراسات الحالة الإمبريقية شبه العلمية، تلك التي يؤثرها الباحثون في مجال الدراسات الترجمية في بلجيكا وهولندا، أو نظرية النسق المتعدد المستخدمة لدى الباحثين الإسرائيليين[80].

غير أن ثمة قضايا تبقى من الوجهة النظرية تتعلق بالمقاربة التي يدعو إليها فينوتي، فعلى الرغم من أنه يميل إلى نظريات ما بعد البنيوية، ويبعثر الإحالات إلى دريدا وسيكسوس (Cixous) ودي مان (de Man) وديلوز (Deleuze) وغواتاري (Guattari) في مواطن شتى من نصوصه، فإن مفردات ما بعد الحداثة ربما تكون خادعة. ذلك أن نظرية فينوتي هي أقرب إلى الحداثة منها إلى ما بعد الحداثة، و«البديل» الذي يطرحه لا يزال غير منفك عن الجدل بين طرفين تقليديين هما: «الترجمة الأمينة» و«الترجمة الحرة»، وهو الجدل الذي كان وسماً مميزاً للترجمة لآلاف السنين. وفينوتي ـ في تأريخه الترجمة في أمريكا الشمالية، وهو الذي أورده مختصراً في كتابه: **خفاء المترجم**، يعلن صراحةً تفضيله مترجمين من أمثال باوند (انظر

---

(79) Venuti, *The Scandals of Translation: Towards an Ethics of Difference*, pp. 92-93.

(80) انظر الفصلين الرابع والخامس من هذا الكتاب.

كلامنا المتقدّم)، ودودلي فيتس (Dudley Fitts) (مترجم النصوص الكلاسيكية)، وسيليا ولويس جوكوفسكي (Celia and Louis Zukovsky) (مترجِمَا شعِر كاتولّوس (Catullus))، وبول بلاكبورن (Paul Blackburn) (مترجم شعراء البروفنسال، ثم جوليو كورتازار (Julio Cortázar)، وكان أولئك جميعاً مناطاً للمدح من فينوتي بسبب استراتيجياتهم التغريبية، وإن كان يزعم أيضاً أن هؤلاء مترجمون هامشيون (Marginal). وربما كان وصفهم بأنهم «مثيرون للجدل» (Controversial) هو المصطلح الأنسب في تسميتهم، وذلك لأن خياراتهم اللغوية والجنسية والسياسية التي مالوا إليها في ترجماتهم كانت مصدر تحدٍّ وإزعاج، وكانت خياراتهم اللغوية والثقافية مناط نقد في كثير من المراجعات الأكاديمية. أما من جانب الكتّاب الإبداعيين والمترجمين الممارسين، فإن ترجماتهم كانت ذائعة الصيت وبالغة التأثير. وتعكس الاستراتيجيات التي استخدموها التقاليد التي اشتهرت بها النصوص الحداثية، وتتمثل هذه الاستراتيجيات في إبراز الحيوية والطاقة، وغياب الإشارات الجمالية لصالح ما هو مادي، والصراحة الجنسية، واستخدام المفردات القاموسية المتنوعة، والألفاظ الدارجة (Colloquialisms) واللهجات الخاصة (Vernacular)، والعناية بالموسيقا والنغمة المميزة (The Tone)، واستعمال الغريب من الكلمات (Archaisms)، والمصطلح الأجنبي.

وبالإضافة إلى ما تقدّم يعرض فينوتي صيغتين للترجمة (Paradigms)، تسمى **إحداهما** الصيغة السّلسة (Fluent)، و**الثانية** صيغة التغريب (Foreignizing). وتميل إحداهما إلى ما هو مقبول في الاستعمال من العبارات اللغوية والثقافية والصور. أما الثانية فتميل إلى استعمال المُسْتَفز (Abuses)، والتدقيق في اختيار البدائل. ولا توجد

عند فينوتي ـ في ما يبدو ـ أرض وسطى بين الصيغتين. وفي ما يتعلق بتاريخ الترجمة في الولايات المتحدة يودّ فينوتي أن يصنف عدداً من المترجمين على أساس انتمائهم إلى الصيغة المؤثرة للسلاسة، غير أنهم ليسوا جميعاً ممن يُقبَل في حقهم هذا التصنيف؛ ذلك أن طائفة كبيرة منهم ـ تشمل فليشتينر (Felsteiner)، وكونتس (Kunitz)، ومروين (Merwin)، وبلاي، وفيسبورت، وأوستر (Auster)، وفيلبور (Wilbur) ـ كل أولئك لا يتفقون مع فينوتي على استراتيجياته المفضلة، ولكنهم ناجحون تماماً ـ وعلى طريقتهم الخاصة ـ في استيراد الآراء والمفاهيم الأجنبية. أضف إلى ذلك أن كثيراً من المترجمين الذين يزعم أنهم مهمشون، ومستفزون، إنما يستلهمون تقاليد ذات تاريخ طويل في استعمال الترجمة، من أجل تحدّي معايير المجتمع المستقبِل للترجمة، وكثير من المقترحات التي طرحها فينوتي على المترجمين الممارسين تذكِّر بتأثيرات الاغتراب عند دارسي بريخت، أو عناصر التغريب (Ostranenie) عند الشكلانيين الروس بأكثر مما تذكّر بوسائل ما بعد الحداثة التي يُلمِّح إليها.

بيد أن إسهام فينوتي على الصعيد السياسي هو إسهام له شأن ملحوظ، ذلك لأن ما أنجزه هو نقض للمصطلحات المستخدمة في الجدل. إن جميع المدافعين عن سلاسة الترجمة، والذين لا يضمون في صفوفهم النقاد الجدد وأنصار باوند فقط، بل يضمون أيضاً أتباع نايدا والمترجمين الوظيفيين[81] ـ كل أولئك ادّعوا الدقة والأمانة، وجعلوهما جزءاً من ترسانة الدفاع عندهم. وقد كان مترجمون من أمثال باوند وفيتس وآل جوكوفسكي وفينوتي يوضعون موضع النقد؛

(81) انظر الفصل الثالث من هذا الكتاب.

لأنهم يُخِلّون بالأمانة اللغوية، وينتهكون الحدود، ويدخلون الفساد على بعض أنواع الحقائق الجوهرية والمعاني الثوابت. والحق أن نظرية فينوتي تبيّن أن معالجة الترجمة باعتبارها تعاملاً أميناً مع لُبٍّ أساسي من نوع ما قد أفضت إلى فساد كبير؛ فالتراكيب النحوية، والأساليب الغريبة جرى نفيها لتبدو مماثلة تمام المماثلة للإنجليزية، وجرى تحريف الاستعارات والصور لتوافق النسق المفهومي لدينا. إن القيم الثقافية جرى حذفها أو تكييفها لتناسب طرائقنا في التفكير، كما أن الصيغ المبتكرة ـ على وجه الخصوص ـ قد عولجت بحيث تظهر وكأنها صيغ شائعة في الممارسة العامة في الولايات المتحدة. وقد سبق باحثو الستينات والسبعينات في مجال الدراسات الترجمية فينوتي إلى هذه الأفكار من طرق كثيرة[82].

وما إن تهدأ حدّة الجدل حول دعوة فينوتي إلى إعادة النظر في الترجمة، حتى يجد كثير من أفكاره طريقه إلى ورشة الترجمة في أمريكا الشمالية، فالمترجمون المعتبرون عنده هم ذوو مكانة مقدورة في برامج الكتابة الإبداعية. وكثير من مشاهير المترجمين يشرعون في تجريب أفكاره، يضاف إلى ذلك أن اتِّباع أفكاره على النطاق الدولي يبدو قوياً إلى حد بعيد، ولا سيّما في أوروبا وأمريكا اللاتينية، وسيتبعها في ذلك على الفور صناعة النشر المنفتحة الآن بصورة متزايدة التماساً لطرق جديدة لاجتلاب الاختلاف الثقافي إلى المجتمع الأنجلو ـ أمريكي، وهم يمارسون بالفعل التجارب مع صيغ جديدة لتقديم الترجمات؛ بما في ذلك استعمال مادة تكميلية ملحقة مثل كلمات التقديم، والمقدّمات، والمراجَعات، والحواشي لتعين القارئ على التكيّف مع الأفكار والبنى الأجنبية. إن المقاربة التي

(82) انظر الفصلين الرابع والخامس من هذا الكتاب.

يتبناها فينوتي تضع الخطوط العامة لأولى خطوات إعادة النظر في الترجمة، كاشفة اللثام عن فرضيات معينة، آمنت بها مؤسسات تقوم بتوجيه الترجمة، وفاتحةً الطريق أمام مقاربات جديدة يقوم بها (فينوتي) وآخرون.

# الفصل الثالث

## الترجمة «عِلْماً»

لعلّ أفضل تشخيص للمقاربة العامة كما طبَّقتها ورش الترجمة في أمريكا الشمالية هو أنها ـ وهي تقوم بفتح آفاق جديدة ـ اتسمت بالسذاجة النظرية (Theoretical naïveté)، والمنهجيات الذاتية التي تميل إلى تدعيم أية قيم نظرية يعتنقها أفراد المترجمين. ويلخّص جوزيف غراهام (Joseph Graham) الإسهامات النظرية للمقاربة التي خلصت إليها الورشة قائلاً:

«إن معظم ما كتب في موضوع الترجمة يُسْلم عند تمحيصه من أجل استصفاء الجوهر النظري إلى أقل القليل؛ وذلك لأنه مكتوب دائماً على نَحْو ما نُطق به في الورشة. إن النوادر الشخصية والنصائح يمكن أن تقدم بعض المساعدة الجيدة، ولكنها ـ يقيناً ـ لا تقدّم النظرية المحبوكة والمتسقة التي تتطلبها الترجمة»[1].

---

(1) Joseph F. Graham, «Theory for Translation,» in: Marilyn Gaddis Rose, ed., *Translation Spectrum: Essays in Theory and Practice* (Albany: State University of New York Press, 1981), p. 23.

وليست هذه المشكلة ظاهرة معاصرة في أمريكا الشمالية فحسب، ولكنها مشكلة كانت مصدر إزعاج لنظرية الترجمة على مدى تاريخها. لقد مَارَسَ الناس الترجمة، ولكنهم لم يكونوا بحال على ثقة كبيرة بما كانوا يمارسونه. وخلال الستينات والسبعينات من القرن العشرين في الولايات المتحدة استمرت ورشة الترجمة على الممارسة نفسها، ومن الواضح أن الحاجة كانت ماسّة إلى مقاربة ذات نصيب كبير من النسقية (Systematic). وكان الاختصاص الذي بدا أنه يمتلك الأدوات اللغوية والنظرية الضرورية التي تعكف على فحص المشكلة هو اختصاص اللسانيات (Linguistics). وحتى قرابة أوائل الستينات كانت اللسانيات قد تميزت بغلبة البحث الوصفي. وفي هذا النوع من الدرس جرى البحث التفصيلي في أنظمة نحوية مفردة دون أن تخضع هذه الأنظمة للمقارنة في ما بينها، ومن ثم كانت قليلة الجدوى ـ من الوجهة النظرية ـ بالنسبة إلى المترجمين. غير أن الظهور المتزامن لنظريتين في النحو قد غيّر مسار نظرية الترجمة، ولا يزال لهاتين النظريتين تأثيرهما الفاعل إلى اليوم. ولعلّ ذروة النظريات المتطورة يمكن أن تتمثل في كتاب ناعوم تشومسكي: **التراكيب النحوية** (*Syntactic Structures*) (1957)، وكتاب إيوجين نايدا الذي عنوانه: **رسالة ومهمة** (*Message and Mission*) (1960)، وكذلك كتابه الآخر بعنوان: **نحو علم للترجمة** (*Toward a Science of Translating*) (1964)، وكتاب تشومسكي الآخر: **مظاهر نظرية النحو** (*Aspects of the Theory of syntax*) (1965). لقد منح النحو التوليدي التحويلي ـ مع ما اكتسبه من شرعية في حقل اللسانيات ـ الاعتماد (الصدقية) والتأثير لمشروع نايدا في «علم» الترجمة. نهضت نظرية نايدا على أساس من ترجمته **الكتاب المقدس**، وظهرت فرضياته النظرية الأولى للعيان في مقالات كُتبت في الخمسينات، مُضمَّنة في كتابه: **رسالة ومهمة**. وعلى الرغم من أن

تشومسكي نشر صورة غير نهائية من نظريته تحت اسم: **التراكيب النحوية** في هولندا عام 1957، فإن نايدا يزعم أن نظريته في الترجمة كانت على درجة طيبة من التطور بالفعل قبل الصيغة التي قدمها تشومسكي، وساق نايدا أدلته على ذلك في مقال بعنوان: «إطار لتحليل نظريات الترجمة وتقويمها» (A Framework for the Analysis and Evaluation of Theories of Translation)، وفيه يقول:

«قبل صياغة تشومسكي النحو التوليدي ـ التحويلي كان نايدا قد تبنى بالفعل مقاربة تعتمد في جوهرها على مفهوم البنية الباطنة لمعالجة مشكلات معينة في التفسير. وقد دعا في مقال له بعنوان «منهجية جديدة في تفسير الكتاب المقدس» (A New Methodology in Biblical Exegesis) (1952) إلى إجراء التحويل الارتدادي (Back-Transformation) لبنى ظاهرة معقدة، تطفو فوق سطح مستوى باطن (Underlying Level)، حيث تكون العناصر الأساسية المكوّنة لهذا المستوى الباطن هي الأشياء (Objects)، والأحداث (Events)، والمجردات (Abstracts)، والعلاقات (Relations)»[2].

وعلى الرغم من الزعم بالنقيض، فإن نظرية نايدا قد تبلورت بإضافة المكوّن التحليلي الذي قال به تشومسكي إليها؛ إذ إن نايدا قرأ كتاب تشومسكي: **التراكيب النحوية** في صورة مُستنسَخ قبل صدوره بعامين. وبتبني نايدا مقدمة تشومسكي المنهجية، وقواعده التحويلية، ومصطلحاته، اشتد عود نظرية نايدا، وأصبح كتابه **نحو**

(2) Eugene Albert Nida, «A Framework for the Analysis and Evaluation of Theories of Translation,» in: Richard W. Brislin, ed., *Translation: Applications and Research*, Contributors R. Bruce W. Anderson (New York: Gardner Press, 1976), p. 71.

**علم للترجمة** الذي هو ثمرة ذلك التبنّي ـ بمنزلة **الكتاب المقدس**، لا بالنسبة إلى ترجمة **الكتاب المقدس** فحسب، ولكن بالنسبة إلى نظرية الترجمة على وجه العموم.

كان عمل نايدا في مجال ترجمة **الكتاب المقدس** ـ بادئ الأمر ـ أقرب إلى التوجه العملي منه إلى التوجه النظري، وكان النموذج التاريخي الذي استمده لتحقيق استراتيجياته متّسماً بشيء من المحدودية، وتهيمن عليه ترجمات **الكتاب المقدس**. وكان وراء تطوير نايدا نظريته حافز شخصي هو نفوره مما رأى فيه صحوة كلاسيكية في القرن التاسع عشر، والتشديد على الدقة الفنية، والالتزام الصارم بالصيغة، وحرفية النقل للمعنى. وقد كان أبرز الممثلين لهذه الحركة في الإنجليزية هو ماثيو أرنولد (Matthew Arnold) الذي بدت مقاربته بالنسبة إلى ذائقة نايدا متحذلقة، وذات طابع مدرسي واضح، كما أنها تثقل كاهل القارئ بكثير من المطالب حتى يغدو خبيراً بالثقافة الأصلية. ويرى نايدا أن حَرْفيّة أرنولد قد أثرت سلباً على ترجمة **الكتاب المقدس** في أوائل القرن العشرين، فكتب نايدا يقول: «ربما كانت الكلمات (يعني في النسخة الأمريكية المعتمدة من **الكتاب المقدس** (American Standard Version of the Bible) كلمات إنجليزية، ولكن النحو ليس كذلك، كما أن المغزى (Sense) فيها مفقود تماماً»[3]. وأرى أن ما ذهب إليه نايدا في مناقضته مقاربة أرنولد محكوم بذائقته، وبالرأي العام، وبالعوامل الاقتصادية التي ترتبط بمشروعه (وهو التحول بالناس إلى اعتناق المسيحية)، وأن مقاربته تضمر في طويتها معتقداً رائجاً في المسيحية الإيفانجليكية

---

(3) Eugene Albert Nida, *Toward a Science of Translating, with Special Reference to Principles and Procedures Involved in Bible Translating* (Leiden: E. J. Brill, 1964), pp. 20-21.

(Populist Evangelical Christian) (وموقفاً معادياً للنزعة التأملية)، وهو معتقد مؤسس على أن الكلمة ينبغي أن تكون قريبة المأخذ من جميع الناس.

وعلى الرغم من احتلال كتابه: **نحو علم للترجمة** موقعاً متواضعاً بوصفه «مرشداً عملياً» (Practical Handbook) في حقل من حقول اللاهوت يسمى «علم التبشير» (Missiology)، فقد تمتع ـ نظراً لضخامة عدد الأمثلة التي يتضمنها ـ بموقع مؤثر في حقل آخر، وأعني بذلك حقل الترجمة. ولقد تولد عن ترجمة **الكتاب المقدس** وفرة من المواد في مزيد من اللغات تفوق أي ممارسة أخرى في مجال الترجمة، ذلك لأنها تتمتع بتاريخ طويل، وأنها وصلت إلى كثير من الشعوب في عدد كبير من الثقافات المتنوعة، وأنها شغلت مزيداً من المترجمين ذوي الخلفيات المتباينة. وإذا نحن تحدثنا كذلك عن ترجمة الكتاب المقدّس من زاوية أجناس القول، وجدناها قد مسّت جميع الحقول، فنحن واجدون داخل النص فقَراً من الشعر والنثر، ومن السرد والحوار، ومن قصص الوعظ والاعتبار والتشريع. إن هذا الكم الوافر من الأمثلة التي تتمتع بالشفافية واتساع المجال قد جعل من ترجمة **الكتاب المقدس** جزءاً ضرورياً من أي دراسة لنظرية الترجمة، بل لعلها أشبه ما تكون بالمقاربة العملية الحافلة بالنوادر التي تميزت بها نظرية الترجمة الأدبية في أمريكا الشمالية.

ولقد حاول نايدا ـ عن وعي منه بأن أي مقاربة ذات توجه عملي هي مقاربة ذات طبيعة غير نسقية ـ أن يضفي المصداقية العلمية على منهجيته، وأن يطبقها على الترجمة في عمومها. غير أن معتقداته الدينية، وأهدافه التبشيرية ـ وهو يحاول أن يجمع الناس على عقيدة مشتركة في كلمة الرب المقدسة ـ ظلت كمينة في الإطار العلمي، وإن لم يفصح عنها بالقول الصريح. وبالنظر إلى ما تحظى به الرسالة

الأصلية في أية ترجمة لـ **الكتاب المقدس** من أهمية نظرية، كان المبدأ الأساسي الحاكم على نظرية نايدا مُعَدّاً من قبل، ألا وهو: أن تكون الأولية لتوصيل روح الرسالة الأصلية عبر الثقافات في كل مكان. إن الصيغة المتعيّنة التي تظهر فيها الرسالة هي أمر غير ذي أهمية، ما دام معنى تلك الرسالة واضحاً. لقد بدا تشومسكي وكأنه مبعوث العناية الإلهية لـ «نايدا»؛ إذ لم يَعُدْ مشروعه ـ بعد أن ضَمّنه الإطار النظري لتشومسكي ـ موجهاً إلى رفاقه من المبشرين فحسب، ولكنه حاول أن يمهد به السبيل لقاعدة عريضة من الجمهور، وكان عمله هو الأساس الذي قام عليه حقل بحثي جديد في القرن العشرين هو «علم» الترجمة.

ولم تكن نظرية التراكيب النحوية والنحو التوليدي التي جاء بها تشومسكي نظرية في الترجمة؛ ولم يكن مقصوداً بها أن تكون كذلك، بل إن تشومسكي ـ في الحق ـ قد حذّر من تطويع نظريته بمثل هذه الطريقة. والصيغ الكلية (الجامعة) (Universal Forms) التي فتن بها تشومسكي لديها الكثير مما له صلة بالقواعد التي تُبنى عليها النظم النحوية، أي القواعد السابقة على أي تصور لبنية باطنة محددة لجملة بعينها، في لغة بعينها. وتشتمل نظرية تشومسكي على مستويات ثلاثة من الصياغة التصورية (Conceptualization): (1) مكوّن ـ أساس، يتألف من قواعد بنية العبارة (Phrase Structure Rules)؛ وهذه القواعد يتولد منها (2) بنية باطنة (Deep Structure)، تتغيّر بدورها عبر القواعد التحويلية إلى (3) بنية ظاهرة (Surface Structure). ولكن نايدا يقوم بتبسيط الطراز الذي اقترحه تشومسكي، ولا يتبنى إلا الجزأين الأخيرين من الطراز ليضفي المصداقية على العلم الذي استنبطه، كما أن طراز تشومسكي في الوقت نفسه يقدّم نفسه أداة طيعة لمثل هذا التطويع الخاطئ على يد

المنظّرين في حقل الترجمة. ولو لم يكن نايدا قد قام بصياغته على هذا النحو لكان من الممكن أن يقوم به غيره. ومن الطريف أن فريدريك ويل أيضاً تلقَّى عمل تشومسكي بالقبول بوصفه مثالاً آخر يعد بإمكان «القابلية للاختراق المتبادل (Mutual Interpenetrability) في كل اللغات»، ويَرْسُم حدود ما هو قابل للترجمة (Limits of Translatability)، أو «ما هو مُسْتَعْلٍ يتجاوز القابلية للترجمة»[4] (Transcendable). ولقد عمل النحاة التحويليون على لغات متنوعة، ودَلّوا باستمرار على وجوه الشبه التركيبية عبر اللغات، وفتنت مثل هذه الوجوه المتماثلة تشومسكي أيضاً، وإن كان قد حذّر مرة أخرى من الخروج بنتائج من ذلك؛ إذ كان على علم بأن عدد اللغات كبير جداً إذا ما قيس بوجوه الشبه التي عثر عليها، وبأن البنى الباطنة ليست بحاجة إلى أن تشبه أي بنية ظاهرة موجودة.

وعلى الرغم من أن النظريتين قد جرى تطويرهما لأسباب متباينة، فإن كلتيهما تفترض وجود كيان باطن محكم موحد، قائم وراء أي مظهر تتجلى فيه اللغة؛ وكانت مصطلحات «اللّب» (Core)، والنواة (Kernel)، والبنية الباطنة (Deep Structure)، والماهية (الجوهر) (Essence)، والروح (Spirit)، مصطلحات مستخدمة عند نايدا، وكلها مستمد من تشومسكي. وعلى حين نأى تشومسكي بنفسه عن استعمال مصطلح «نواة» (Kernel) (وهو مصطلح لا يزال موجوداً في كتابه: **مظاهر**، ولكنه يؤدي دوراً تتضاءل قيمته باطراد) ـ نجده لا يزال يستخدم مفاهيم مثل «المكون ـ الأساس» (Base-Component)، و«الجوامع الشكلية» (Formal Universals) التي هي فطرية (Innate)

---

(4) Frederic Will, *Shamans in Turtlenecks*, Costerus; New Ser.; v. 47 (Amsterdam: Rodopi, 1984), p. 86.

عند البشر، ومخترقة لحدود الثقافات. ولقد تقدّم تشومسكي ونايدا كلاهما بدعاوى ميتافيزيقية عن موضوع البحث بالنسبة إلى نظريتيهما، كل منهما على حدة؛ فدعمت لسانيات تشومسكي بنى العقل، وغيّرت مركز تركيز اللسانيات في العصر الحديث. أما نايدا، فقد دعمت نظريته في الترجمة البنى الباطنة المشتركة بالنسبة إلى اللغات جميعاً، ووجدت سبلاً لتحويل هذه الكيانات في ما بين اللغات المختلفة. إن كلتا المقاربتين تريد أن تعرض ضروباً مختلفة من الموضوعات، واضعة إياها في مركز الاهتمام: **إحداهما** تدلل على وجود قواعد جامعة للنحو وصيغ معجمية جامعة، وأما **الأخرى** فتطرح دعاوى ميتافيزيقية بوجود رسالة إلهية أصلية، وكلتا النظريتين: اللسانية، ونظرية الترجمة، قد أعيد تنشيطها بالنظريات الخاصة بكل منهما. إن مفاهيم تشومسكي عن الطراز الثنائي للبنية الباطنة والبنية الظاهرة، وقواعده التحويلية ـ على الرغم من أنها مستخرجة بطريقة مؤسسة على لغة واحدة (Monolinguistically) ـ قد قدمت نفسها لتشكّل مسوغاً تقوم عليه نظرية في الترجمة. وسواء قَبِل المرء معتقدات تشومسكي في ما يتصل بالكيفية التي بني عليها العقل البشري أم لم يقبلها، فإن بُناه الباطنة التي افترَضَ فيها احتواءها على جميع المعلومات التركيبية النحوية، وكذلك المعلومات الدلالية اللازمة لإجراء تحويلها تحويلاً صحيحاً إلى بنى ظاهرة؛ كل ذلك قد قدم نفسه تقديماً جيداً إلى المترجم الممارس الذي يحاول أن يعمد إلى صورة لرسالة «مضمرة» (Underlying)، فيقدمها في لغة ثانية.

وأود الآن أن أضع موضع المساءلة الدعاوى الخاصة بموضوع علم الترجمة نفسه الذي نحن بصدد بحثه. تُرى هل جرى تحديد الموضوع؟ إن نايدا يدلي بدعاوى نظرية، ولكن هل هناك عاملٌ مسكوتٌ عنه يؤثر على نظريته؟ ما الفرضيات المضمرة؟ وهل يمكن

أن يوجد «علم» للترجمة؟ إن العلم الذي أتى به نايدا لا يمكن التهوين من شأنه ـ من حيث أهميته في الحقل ـ ذلك أن المقاربة التي تبنّاها رائجة في قاعات الدرس في ألمانيا والولايات المتحدة، وقد أصبح علم الترجمة في ألمانيا (Übersetzungswissenschaft) ـ خلال السبعينات والثمانينات ـ هو المقاربة الحاكمة على تدريس الترجمة على كلا المستويين: المستوى المفهومي، ومستوى الممارسة. أما في الولايات المتحدة، فقد ظهرت بظهور علم نايدا كتب دراسية، ومعاهد لسانية، ودوريات تهيمن الآن على الدرس الأكاديمي، ووظفت ثروة من المادة اللغوية، وأعداد هائلة من الأمثلة، والآلات، وأجهزة الحاسوب، والمعادلات الرياضية توظيفاً متعمداً في ما يبدو، لكي تعمي على شيء ما بالغ الهشاشة في هذا العلم؛ وأعني به مقدماته النظرية. وإنني أودّ أن أبيّن أن علم الترجمة هو في ذاته نشاط مزدوج، فهو في أثناء عملية الكشف عن معلومات جديدة وحل مشكلات الترجمة، يتستر في الوقت نفسه على حقائق أخرى متأصلة في طبيعة الموضوع الذي تجري دراسته. وإذا كانت الترجمة بالضرورة تفسد عملية تحولها في نفسها إلى مؤسسة (Its Own Institutionalization)، فإن محاولة صناعة علم من حقل الترجمة تعزز ـ إذن ـ بالفعل برنامجاً نظرياً مختلفاً عن البرنامج المقصود أصلاً.

## ناعوم تشومسكي: البنى «المضمرة»

نحو تشومسكي هو أعقد من أن يختصر في الجدل البحثي حول مستويين من البنى: البنية الباطنة في مقابل البنية الظاهرة، ذلك أن طراز تشومسكي يشتمل على عدة مستويات، يتصف مستوى القاعدة السفلى من بينها بأنه مستوى شديد الغموض؛ إذ هو «عنصر أولي» (Initial Element) (وقد تخلى عنه بعد كتابه: **التراكيب النحوية**

فـي عام 1957، ولكنـه بسـبــب هــذا الغـياب نفسـه يبـدو بــارزاً ظاهراً)، ثم يلي ذلك المكوّن ـ الأساس (Base-Component) الذي يتألف من نوعين من قواعد إعادة الكتابة (Rewriting Rules) هما: قواعد بنية العبارة (Phrase Structure Rules)، وهي قواعد مشتركة بين اللغات جميعها، ثم القواعد المعجمية (Lexical Rules) التي هي مشتقة أيضاً من مقولات جامعة (Universal Categories). وتقوم قواعد بنية العبارة بتوليد البنية الباطنة للجملة، التي تشتمل ـ طبقاً لرؤية تشومسكي حينئذ؛ أي في أثناء عكوفه على إنجاز كتابه: **مظاهر نظرية النحو** ـ على جميع المعلومات الخاصة بالبنية النحوية والدلالية التي تحدد معناها. ثم تأتي أخيراً قواعد التحويل (Transformational Rules)، لتقوم بتعديل البنية الباطنة تعديلاً يفضي إلى البنية الظاهرة التي هي كل الجمل المشمولة في لغة بعينها. هكذا تتجذر في نظرية تشومسكي حركة مزدوجة: من الأساس (Base)، إلى البنية الباطنة عبر قواعد بنية العبارة، ومن ثم تبدأ من البنية الباطنة إلى الظاهرة عبر قواعد التحويل. ويرى تشومسكي أن قواعد بنية العبارة تمثل أفعال العقل البشري الفطرية وغير الواعية، والبنية الباطنة تحدد المعنى المضمر المستخفي تحت الجمل (Meaning Underlying Sentences)، وأن البنية الظاهرة تحدد الصوت[5].

ولقد أثار كثيرون اعتراضات فلسفية في وجه فرضيات تشومسكي عن العقل البشري و«الكيفية» التي يَعْرف بها اللغة. وينضاف إلى ذلك مساءلة مفاهيم مثل: السليقة (Innateness)،

(5) Noam Chomsky, *Aspects of the Theory of Syntax*, Massachusetts Institute of Technology. Research Laboratory of Electronics. Special Technical Report; no. 11 (Cambridge, MA: M.I.T. Press, [1965]), p. 22.

والحدس (Intuition) والمعرفة الضمنية («Tacit» Knowledge)، فإن بعض النّقاد لم يجدوا في دليل تشومسكي ما هو مُقنع كل الإقناع. ومن المفارقة أن الدليل الاختباري (الإمبريقي) الذي ساقه تشومسكي على بنية اللغة لم يكن مؤسساً على لغة حية ـ أي كيف يستعمل البشر اللغة استعمالاً فعلياً في موقف اجتماعي ـ ولكنه مؤسس على جمل لا وجود لها إلا في حالة مثالية؛ يقول تشومسكي:

> «إن النظرية اللسانية معنية أولاً وقبل كل شيء بإنسان مثالي في سلوكه اللغوي تكلماً وسماعاً، يعيش في جماعة لغوية متجانسة تمام التجانس، وهو عارف بلغته تمام المعرفة، ولا يتأثر في ممارسته لهذه المعرفة في أثناء أدائه اللغوي بظروف لا صله لها بالصحة النحوية؛ مثل محدودية الذاكرة، والارتباك، والعوارض التي تتوزع اهتمامه وانتباهه، ولما يمكن ارتكابه من أخطاء عشوائية أو مميزة . . . ذلكم هو الموقف ـ كما يبدو لي ـ لدى مؤسسي اللسانيات العامة الحديثة. ولم يطرأ بعد من الأسباب المقنعة ما يؤدي إلى تعديل هذا الموقف»[6].

ويبدو النص لأولئك الذين يقرأونه الآن مثقلاً بالافتراضات، فهناك «المتكلم ـ السامع المثالي» و«الجماعة اللغوية المتجانسة» و«المعرفة التامة باللغة» و«الظروف التي لا صلة لها بالصحة النحوية»، وهي افتراضات خضعت جميعها للمساءلة خلال العقدين الماضيين. ويذهب ميشيل فوكو (Focault) إلى أن الأمر لا ينطوي على خلافات فلسفية بشأن الفرضيات المتعلقة بـ «الطبيعة البشرية» (Human Nature) فقط، ولكن هناك فجوة بين الأجيال تتعلق بكيفية فهم «الذات/ المتكلم» (Subject)، وبعبارة أكثر تحديداً فهم «الذات

(6) المصدر نفسه، ص 3-4.

المتكلمة المبدعة»[7] (Creative Speaking Subject). لقد أضفى تشومسكي صفة المثالية على الذات المتكلمة، وخوّلها قدرات متفردة في ما يتصل بقدرتها الإبداعية على استعمال اللغة. أضف إلى ذلك أن هناك استعمالات معينة تشتمل على العوارض والأخطاء، وزلاّت اللسان التي لا يستوعبها الطراز النظري عند تشومسكي، بحكم عملية إضفاء المثالية على الذات المتكلمة، ولكنها ـ في فهم فوكو للذات «المتكلمة» و«للطبيعة» المضمرة ـ أمثلة لها مثل ما للصياغات «الصحيحة» من الأهمية.

وعلى الرغم من هذا النقد، توسع علماء الترجمة في استخدام تشومسكي لإثبات وجود حقيقي لدعاواهم، وقد كان ذلك بسبب ما تميز به تشومسكي من نزعة إنسيَّة وانتماء إلى البرنامج الديكارتي، وبسبب طرازه النظري القائم على التقابل بين البنية الباطنة والبنية الظاهرة. وبينما نجد تشومسكي نفسه قد مال في جداله إلى مقاومة استغلال عمله وتطويعه بهذه الطريقة، فإن أحداً لا يسعه أن يتجاهل هذه المادة العلمية ذات الكيان المتماسك. فها هو ذا جورج شتينر، الذي يقدم أحد الأمثلة على ذلك في كتابه الشامل: **ما بعد بابل** (*After Babel*) (1975)، حيث عالج نظرية الترجمة، يرى من الأهمية بمكان ضرورة التوسع في التعامل مع نظرية تشومسكي وما يربطها من علاقات بفهم الترجمة. وهناك عالمان من علماء الترجمة قد تبنّيا طراز تشومسكي واتخذاه أساساً لنظريتيهما. فأما إيوجين نايدا، الذي ذهب إلى أن علم الترجمة عنده مؤسس على طراز شبيه بطراز

(7) Noam Chomsky and Michel Foucault, «Human Nature: Justice Versus Power,» in: A. J. Ayer [et al.], *Reflexive Water: The Basic Concerns of Mankind*, Edited by Fons Elders, Condor Book (London: Souvenir Press, 1974), p. 164.

تشومسكي القائم على المقابلة بين البنية الباطنة والبنية الظاهرة، فربما يكون قد تناول عمل تشومسكي بالتبسيط، وأساء تطويعه من أجل أغراضه الخاصة. وأما فولفرام فيلس، وهو عالم ألماني رائد من علماء الترجمة، يجادل عن طرازه بأنه ليس مؤسساً على عمل تشومسكي، فربما يكون قد أخذ غير متعمد عن تشومسكي أكثر مما هو راغب في الإقرار به.

وتدور المشكلة الرئيسة حول «العمق» (Depth) الذي هو صفة للخصائص الشكلية، وما إذا كانت البنية ـ الأساس، أو بنية العبارة، ملكاً مُشاعاً بين اللغات. وبينما يقف تشومسكي في حجاجه إلى جانب وجود جوامع شكلية مشتركة بين اللغات جميعاً، نراه مؤمناً بأن هذه الخصائص الشكلية تمضي إلى ما هو أبعد غوراً من البنية الباطنة لأي جملة متعينة في أية لغة متعيّنة، وأنها ليست مختصة بلغة بعينها[8].

وربما ظنّ نايدا أن البنية الباطنة الواحدة يمكن أن تكون أساساً مضمراً للجملة في لغتين متعيّنتين، لكن تشومسكي ـ على الرغم من ذلك ـ لا يدّعي أن البنى الباطنة من الجوامع، بل إن الشكل في اللغة المعينة ـ عند تشومسكي ـ لا يعادل بالضرورة الشكل في لغة أخرى. وقد فطن تشومسكي إلى ما تتضمنه أطروحته بالنسبة إلى نظرية الترجمة، فنصح محذّراً:

«إن وجود جوامع شكلية مستقرة على مستوى بعيد الغور . . . يقتضي أن تكون جميع اللغات مشتركة في طراز واحد، ولكنه لا يعني وجود التوافق بين اللغات المخصوصة نقطة بنقطة؛ إنه لا

(8) Chomsky, Ibid., p. 117.

يعني ـ على سبيل المثال ـ إيجاب وجود إجراء من نوع ما للترجمة بين اللغات يمكن قبوله عقلاً»[9].

وبينما افترض تشومسكي أن القواعد التوليدية مستقرة في صميم ما تتمتع به الطاقة اللغوية البشرية، وسلّم بأن الأدوات الشكلية يمكن أن توجد مستترة وراء جميع اللغات، فإنه لم يقفز إلى استنتاجات مؤسسة على ارتباطات قائمة بين لغتين فقط، ولم يفترض أن النحو المخصوص بلغة ما يمكن أن يعمل بشكل منهجي ناجح بالنسبة إلى لغة أخرى. إن البنى الظاهرة ليست بالضرورة شبيهة بمبانيها الباطنة المضمرة. غير أن نايدا تجاهل هذا التحذير، واشتق إجراءً للترجمة مؤسساً على تصور عام بالغ التبسيط لنظرية تشومسكي، وهو تَصوّر يركّز تركيزاً أساسياً على البنية الباطنة، والقواعد التحويلية، والبنى الظاهرة ـ التي هي متماثلة بين اللغات المختلفة ـ بأكثر مما يركز على القواعد الباطنة الأبعد غوراً، والخاصة ببنية العبارة (Deeper Phrase Structure)، تلك القواعد التي تسمح بوجود تنوع تركيبي حقيقي كما تؤدي إلى الفروق الظاهرة في اللغات البشرية.

وحين ننظر إلى الموضوع بعين المترجمين الممارسين، سنجد أن المشكلة مع الطراز التوليدي التحويلي هي أنه طراز مفرط في المثالية، وأن ثمة طلاقاً بينه وبين جميع مشكلات الترجمة، بدءاً بمشكلات المبتكرات الجديدة اللغوية المعاصرة (Contemporary Neologisms)، وانتهاء بالحوشي الغريب، وبأسماء الأعلام إلى الاستعارات، وبالخصائص المميزة لمستويات الاستعمال الراقية (High Registers) إلى «الأخطاء»، وجميع هذه «المشكلات» العنيدة التي تجعل من الترجمة عملاً مستحيلاً وآسراً في آن. إن دعوة كوين

(9) المصدر نفسه، ص 30.

إلى وضع فكرة الترادف نفسها (Synonymity) موضع المساءلة تضرب على وتر له أصداؤه، وربما كانت أوثق اتصالاً بعمل الممارسين من نظرية في اللغة تقوم على افتراض وجود بنى جامعة بين اللغات. والمنهجية اللسانية التي تعزل طرازها النظري عن اللغة المنطوقة هي منهجية مفرطة في المثالية، وربما تكون ممعنة في صبغتها «التنظيرية» بأكثر مما تتطلبه ذائقة المترجم عند الكثيرين. وربما يكون في الإمكان ـ من الوجهة الرياضية ـ إنشاء نسق يمكن فيه لعدد محدود من القواعد أن يولد عدداً غير محدود من التجليات الظاهرة (Manifestations)، غير أن ذلك ربما يكون برهاناً على أن اللغة تقوم بعملها بطريقة تختلف عن طريقة الرياضيات، وأن الدارس للسانيات التوليدية التحويلية ـ مهما يكن حظه من الدقة في وصف القواعد التوليدية المنتجة للبنى الظاهرة ـ فإن جوانب أخرى من اللغة ستظل تسقط منه في الشقوق الماثلة بين الخطوط المولِّدة للمنتَج. إن حقيقة اشتمال اللغة المنطوقة على أخطاء وتغيرات بديلة (Shifts)، وزلاّت لسان وفجوات، تخبرنا بشيء ما عن المعنى، وبشيء ما عن الطبيعة التركيبية للغة. ويمكن للمرء ـ على سبيل الافتراض ـ أن يذهب إلى أنه لا وجود لجملة على الإطلاق بريئة كل البراءة من الخطأ، وأن اللغة تستمد طاقتها نفسها من هذه الخاصية الأصيلة فيها، وهي خاصية عدم الاستقرار. ومن ثم كان اتجاه النحو التوليدي التحويلي إلى تجاهل كل الأخطاء، أو اعتبارها منبتَّة الصلة بالصحة النحوية ربما كان يلف بالغموض بنية اللغة بقدر ما يكشف عنها.

وعلى الرغم من أن نظرية تشومسكي قد أحدثت ثورة في حقل اللسانيات، وأن كثيرين يعدُّون عمله النظري أحد الإسهامات الأساسية في فكر القرن العشرين، فإن كثيراً من الكتّاب المبدعين، ومنظِّري الأدب، والمترجمين الممارسين قد ظلوا يتخذون منها موقفاً

متحفظاً فاتراً؛ ذلك أنهم يعترضون على أمثلته، ويشككون في فرضياته، ويرتابون في دعوى العلمية عنده. وهم منزعجون إزاء إجراءاته الاختبارية (الإمبريقية)، كما أنهم ـ على وجه الخصوص ـ في ريب من جدوى الطراز التوليدي التحويلي لدراسة الأدب. وفي سلسلة الأسئلة التي أثارتها باربرا هيرنشتاين سميث (Barbara Herrnstein Smith) مؤشر دالّ على أن حجج تشومسكي لم تكن مقنعة لكل أحد؛ وهي تقول:

«هل اللسانيات اختصاص متسق ومتجانس بصورة مطلقة؛ [أي لا مجال فيه للتغيرات الفردية]؟ والسؤال تحديداً هو: هل هو اختصاص معادل للنحو التوليدي التحويلي؟ وإذا لم يكن ذلك كذلك، فهل نظرية تشومسكي في اللغة ونهج النحاة التوليديين التحويليين في دراستها هو الطراز الوحيد، أو هو أنسب الطُرز لنظرية الأدب، ولممارسة دراسته؟ وهل تتمتع الفرضيات والإجراءات والمفاهيم والنتائج اللسانية نفسها ـ على أي حال ـ بالثبات والتمكن بما يجعلها بريئة في داخلها من المشكلات، وغير عرضة للنقد من خارجها، حتى يكون من المستحسن أن ينصح منظرو الأدب بتبنيها وتطبيقها من غير تبصر؟»[10].

وعلى الرغم من التحفظات التي عبّر عنها الكتّاب المبدعون ومنظرو الأدب، ومترجمو الأدب، وعلى الرغم من التحذير الذي نبّه إليه تشومسكي نفسه، فإن ثمة متخصصاً واحداً في الترجمة وجد في فرضيات تشومسكي ومناهجه أمراً شديد الجاذبية، وشرع في بناء علم للترجمة حول الطراز الذي قدمه تشومسكي. وصارت النظرية ـ كما استبان في نهاية الأمر ـ أكثر المقاربات تأثيراً في الحقل لعقود لاحقة.

(10) Barbara Herrnstein Smith, *On the Margins of Discourse: The Relation of Literature to Language* (Chicago: University of Chicago Press, 1978), p. 178.

## إيوجين نايدا: تطبيق النحو التوليدي على الترجمة

إذا كان الأساس النظري عند تشومسكي أفلاطونياً، فإنه عند نايدا بروتستانتي. ومن الممكن أن تُعرَض الفروض المسبقة التي اعتمد عليها عمل نايدا عرضاً وافياً بتحليل النص الذي أصدره عام 1960 بعنوان: **رسالة ومهمة**، وهو الصورة الممثلة لمرحلة ما قبل تشومسكي من كتابه: **نحو علم للترجمة**. كان نايدا آنئذ لا يزال يكتب للمبشرين لا للمترجمين. وهكذا، بينما كان نايدا يولي وجهه شطر التحليل العلمي «مقتحماً لأرض جديدة بأدوات جديدة»[11] لتوصيل العقيدة المسيحية ـ بقيت مناقشة الدوافع اللاهوتية مستعلنة. ولقد كانت الأطروحة الأساسية في الكتاب هي أن مترجمي **الكتاب المقدس** لا ينبغي لهم أن يسلموا سلفاً بأن الاتصال حاصل، ولكن عليهم أن يحققوا التوصيل، مستخدمين جميع مصادر اللسانيات ونظرية الاتصال لتعينهم في إنجاز مهمتهم. وقد استرفد نايدا خبرته الواسعة في العمل، وهي خبرة أظهرت له أن إخفاق الرسالة الدينية في تحقيق الاتصال مردّه إلى اختلاف السياقات الثقافية والرؤى في العالم. ومن ثم انتهى نايدا إلى أن المعنى لا يمكن أن ينفك عن التجربة الشخصية والإطار المفهومي عند الشخص الذي يتلقى الرسالة، وكانت النتيجة التي توصل إليها هي أن الأفكار «يجب أن تعدّل» بحيث تناسب الخريطة المفهومية للتجربة في كل سياق مختلف[12].

هنا يظهر وجه الاختلاف الأول بين فلسفة نايدا وفلسفة تشومسكي جلياً ومن غير جهد؛ فتجربة نايدا العملية في تقديم أفكار

---

(11) Eugene Albert Nida, *Message and Mission; the Communication of the Christian Faith* (New York: Harper, [1960]), p. xvii.

(12) المصدر نفسه، ص 87.

جديدة إلى ثقافة بعيدة عن ثقافته، قد أبرزت حقيقة مهمة، هي وجوب اشتمال إطاره النظري على السياق الثقافي الذي سيجري فيه الاتصال، وهو جانب غائب في طراز تشومسكي. وعلى الرغم من أن نايدا يؤيد حجته الداعية إلى مثل هذا الطراز بالرجوع إلى نظرية الاتصال وعلم التحكم الذاتي (السبرنطيقا) (Cybernetics)، فإن استيعاب هذا المكوّن المخصوص يتجاوز الدوافع النفعية (البراغماتية)؛ إنه ذو جذور عميقة في الفرضيات الدينية المسبقة عند نايدا. ولهذين السببين مجتمعين: اللاهوتي والنفعي، يُظهر نايدا اهتماماً قوياً باستجابة الشخص المستقبل للاتصال. إن نايدا يرى أن غايات العقيدة المسيحية هي أقرب إلى الغايات السلوكية منها إلى الغايات المعرفية (الإيبستيمولوجية)، ومن ثم كان هدف نايدا هو إحداث التأثير المناسب، وهو هدف سيبدأ حواراً لا بين المستقبِل والنص أو الرموز، ولكن بين المستقبل والرب (God). والاتصال بالنسبة إلى البروتستانت هو معادل للقوة (Power)، ومركز الاتصال في **الكتاب المقدس** ليس لها من التعلق بالمشكلة المعرفية إلا القليل، من حيث علاقة الكلمة بالحقيقة التي وراءها، لكن لديها الكثير مما تفعله بالحدث (Event)، أعني حدث انتقال سلطان الكلمة[13].

وإذن، فإن نايدا من الوجهة النظرية لا يرفع من شأن العلامة (Sign) كما يفعل تشومسكي وكثير من اللسانيين البنيويين، ولكن الميزة عنده هي في الاستجابة إلى العلامة؛ فإذا استطاعت ترجمته أن تستثير الاستجابة التي يريدها الرب، فإنها حينئذ تكون ترجمة ناجحة. إن الكلمات والرموز ليست إلا مجرد علامات تصنيفية (Labels)، وهكذا يهبط شكل الرسالة في سلم الأهمية إلى مكانة ثانوية. لقد

(13) المصدر نفسه، ص 224.

أسقط نايدا الاعتبارات اللاهوتية من إصداره الثاني من كتاب: **نحو علم للترجمة**، ولكني أذهب في حجاجي إلى أنها ماثلة ضمناً في كل مكان من الكتاب. وعلى حين يهبط تشومسكي بقيمة المقاربة اللسانية عند سابير/ وورف (Sapir/ Whorf)، حيث أحس أنها جد مخصوصة بالاعتبار الثقافي (Too Culture-Specific)، فإن نايدا يستوعبها داخل إطار أكبر. وتشومسكي يفحص المعنى الملازم للعلامة المقطوعَ الصلة بالسياق الثقافي، أما نايدا فشغله الشاغل ليس بالمعنى الذي تحمله العلامة، ولكن بالكيفية التي تؤدي بها العلامة وظيفتها في مجتمع بعينه. ويدّعي نايدا أن هذا «التعريف الوظيفي للمعنى» هو علامة تفَوُّق على التعريفات الذهنية (Mentalistic) أو التصويرية (Imagistic) للمعنى، تلك التي كانت قد أصبحت علامة مميزة للبحوث الفلسفية التقليدية. وإذا تقبل المرء ما وصف به تشومسكي نفسُه خاصية علمه بأنه علم ذهني على سبيل التوسع، فإن الاهتمامات المقاماتية عند نايدا تظهر وكأنها على الأقل انحراف عن جميع الأفكار التقليدية للبنية الظاهرة.

وعلى الرغم من أن مفهوم نايدا للمعنى ربما يكون مختلفاً اختلافاً جوهرياً عن مفهوم تشومسكي للبنية الباطنة، فإن الجوانب المقاماتية عند نايدا ليست مفارقة لمفهوم تشومسكي عن البنية الباطنة؛ إنها فقط تشكل إضافةً إلى هذا المفهوم، فالجانب المقاماتي من المعنى جُعل عاملاً داخلاً في البنية، لا على مستوى الظاهر، ولكن على مستوى الأساس (Base)، وقد نتج من ذلك أن صار الأساس عند نايدا ذا طبيعة مزدوجة: تتألف من لبّ (Core)، هو التراكيب النحوية، ومن التجربة الإنسانية الجامعة (Universal). ولكي ينجز نايدا هذه المناورة الصعبة، كان عليه أن يوسع من طبيعة اللبّ في نظريته حتى يشمل التجربة الجامعة عند استقبال الرسالة. ويذهب نايدا إلى أن البنية الباطنة للغة ـ وهي مؤلفة من العلامة في السياق ـ

يمكن الاستدلال عليها من خلال دراسة اللغة والثقافة، ومن خلال تفسير هذه العلامات عبر السنين، وحينئذ فقط يمكن تحديد الاستجابة المناسبة لتلك البنية، كما يمكن تحويل هذه الاستجابة المناسبة إلى استجابة جامعة (Universalized). ويبني نايدا نظريته على مقدمة تقول بأن رسالة النص الأصلي ليست قابلة للتحديد فحسب، بل يمكن أيضاً ترجمتها حتى يكون استقبالها هو «الاستقبال نفسه الذي يحصل الوعي به لدى المستقبلين الأصليين». أضف إلى ذلك أن المصدر ـ لكونه هو الرب ـ هو مصدر واحد بلا ريْب، ولذلك فإن مقصود الاتصال يمكن أيضاً الاعتماد عليه بوصفه مقصوداً ثابتاً. إن نظرية نايدا لا تبرز التوافق على مستوى الشكل، ولكنها تبرز التكافؤ على مستوى الوظيفة؛ إنها لا تبرز المعنى الحرفي بل التكافؤ الديناميكي، لا تبرز «**ما تقوم**» اللغة بتوصيله، بل تبرز «**الكيفية**» التي يتحقق بها الاتصال.

وقد فُهمت نظرية نايدا على أنها خطوة إلى الأمام، لأنها تقوم بتحليل العوامل في سياق الرسالة، ولكننا نرى هنا أنها ليست أقل تجريداً من نظرية تشومسكي. إن «الرسالة في السياق» أو «الرسالة واستقبالها» قد انتزع كلاهما من التاريخ، وفُهم على أنه موحد وجوهر قائم بذاته، وتَحَوَّل إلى مفهوم غير ملابس للزمان. إن النص المترجم في رأي نايدا ينبغي أن يُنتج استجابة في الثقافة الحاضرة هي في أساسها «شبيهة» بالاستجابة لدى المستقبلين «الأصليين»، وإذا لم يحدث ذلك فعلينا أن نقوم بـ «إجراء تغييرات في النص» لنتوسل بذلك للوصول إلى الاستجابة الأولى[14]. وينتقل بنا ذلك إلى نتيجة مؤداها هو إعادة تعريف ما هو مقصود بالتكافؤ (Equivalence)؛ إن

(14) Eugene Albert Nida and Charles R. Taber, *The Theory and Practice of Translation*, Helps for Translators; v. 8 (Leiden: E. J. Brill, 1969), p. 202.

الترجمات التي تركز على مجرد نقل الرسالة يطلق عليها نايدا الآن تسمية «التكافؤ الشكلي» (Formal Equivalence)، أما الترجمات التي تركز في تلك الرسالة على إنتاج التأثير المكافئ على المستقبِل، فإنها الآن تسمى بـ «التكافؤ الديناميكي» (Dynamic Equivalence). يقول نايدا: «في مثل هذه الترجمة لا يُعنى المرء كثيراً بالمواءمة بين رسالة اللغة المستقبلة ورسالة اللغة ـ المصدر، بل تكون العناية بالعلاقة الديناميكية؛ ذلك أن العلاقة بين المستقبل والرسالة ينبغي أن تكون في جوهرها هي كالعلاقة القائمة بين المستقبلين الأصليين والرسالة سواء بسواء»[15].

وأنا أذهب في حجاجي إلى أن مثل هذه النظرية مستمدة في القليل منها من المبادئ العلمية، وهي في أكثرها ثمرة لطبيعة نزعاته الدينية. إن الفرضية الموجودة ضمناً ـ والتي أسقطها نايدا من صيغته العلمية ـ ذاتُ شبه لافت بالعقيدة البروتستانتية في ما يتعلق بالاتصال بوجه عام، ومن ثم فإن الترجمة عند نايدا تصير إعادة تعبير عن سلطان الكلمة (على الناس)، والترجمات المعاصرة هي دائماً في موضع المقارنة بطراز نظري لازمنيٍّ (Timeless) تحكُّمِّي مقطوع به سلفاً (A Priori)، سبق فيه تحديد المعنى والاستجابة تحديداً تاماً على يد المترجم، أو لنقل إذا شئنا مزيداً من الدقة، على يد عالِم اللاهوت. وإذن فهذه الترجمات المعاصرة قد انتُزعت من التاريخ، وتُرجمت في سياق جديد، وأريد لها أن تعمل بـ «الطريقة نفسها». إن التجلي الظاهري لا يعني في الحقيقة شيئاً عند نايدا، والتغيرات الداخلية على النص والكلمات والاستعارات كل ذلك مسموح به، ما

(15) Nida, *Toward a Science of Translating, with Special Reference to Principles and Procedures Involved in Bible Translating*, p. 159.

دام النص في اللغة المستهدَفة يؤدي وظيفته على النحو الذي يؤدي به النص وظيفته في اللغة ـ المصدر.

لقد قام نايدا بإعادة تحديد المعنى باعتبار وظيفته، وبتجريد المفهوم إلى درجة يمكنه بها أن يفترض شرعية وجود وضع بنيوي جامع (Universal)، وما دام قد فعل ذلك فإن تطويع طراز تشومسكي بما يشتمل عليه من القول بالبنى الفطرية للعقل، وقواعده «التوليدية» للتحويل، واختزاله العلامات الظاهرية بحيث تحتل موقعاً سطحياً ـ كل ذلك سيأتي بالتبعية بطريقة طبيعية. ومع السلطة التي جاء بها طراز تشومسكي اللساني وزوّد بها مشروع نايدا يستطيع هو الآن أن يوحي بأن عمله التبشيري قد آل إلى تحليل موضوعي «علمي» لمشكلة الترجمة. ويواصل نايدا، فيضع قائمة ببعض الجوامع التي أمكن له أن يحددها عن طريق استخدام «التحويل الارتدادي» (Back-Transforming)، وتشمل هذه الجوامع: تراكيب المسند إليه ـ المسند (Subject-Predicate Constructions)، والفروق الشكلية بين الأسماء والأفعال، والبنى الأساسية التي بوساطتها تتحدد النزعة إلى التعبير عن الأشياء (Objects) بالأسماء (Nouns)، وعن الأحداث بالأفعال[16] (Verbs). وبعد أن يصنف نايدا وجوه الشبه هذه ينتهي إلى النتائج الآتية:

«يمكن أن يقال ـ لذلك ـ إنه عند المقارنة بالممكنات النظرية لتنوعات المباني تُظهر اللغات وجوه شبه مدهشة، تشمل على وجه الخصوص: (1) مباني نووية (Kernel Structures) متشابهة بدرجة لافتة، منها تنشأ كل المباني الأخرى عن طريق تبادل المواقع (Permutations)، والإحلالات (Replacements)، والزيادات (Additions)، والحذوف (Deletions). (2) أن اللغات

---

(16) المصدر نفسه، ص 66-68.

في أبسط مستوياتها التركيبية تشتمل على درجة عالية من التوازي بين أقسام الكلم من حيث الشكل (أي: الأسماء، والأفعال، والصفات. . .إلخ)، وأقسام الوظائف الأساسية في التراكيب المحولة: الأشياء، والأحداث، والمجردات، والعلاقات»[17].

وعلى الرغم من بعد شقة الخلاف بين نايدا وتشومسكي، من حيث الاهتمام والأهداف، فإن الرجلين يصلان إلى نتائج متشابهة، إذ يفترض كلاهما وجود بنى باطنة تمثل أساساً مضمراً لكل البنى الظاهرة، كما أن المصطلحية المستخدمة واحدة إلى أبعد حد مع استعمال النويّات (Kernels)، والتراكيب المُحَوَّلة (Transforms). وعلى الرغم من أن نايدا ليس مستعداً تماماً لأن يعترف اعترافاً كاملاً بدعوى تشومسكي أن هذه المباني النووية هي من الجوامع ـ إذا ما أخذنا بالمصطلحية التي يستخدمها للتعبير عن اكتشافها، وأعني بذلك قوله: «لافتة» (Remarkable) و«مدهشة» (Amazing) ـ أقول: إنه على الرغم من ذلك فإن نايدا ـ في ما يبدو ـ يضفي على هذه المباني وضعاً خارقاً للطبيعة في إطار مقاربته «العلمية».

وهناك على أي حال، فروق ذات أهمية بالغة بين نظريتي تشومسكي ونايدا من شأنها أن توضح كيف أن طراز نايدا هو صورة مبسطة من طراز تشومسكي، وأنه مطوّع تطويعاً خاطئاً إلى حدٍّ بعيد، لكي يجري تطبيقه على الترجمة. إن في قلب نظرية نايدا نسقاً من المركّبات النووية التي يشتق منها جميع ما سواها[18]. وقد انتصر لمفهوم الجمل النووية هاريس (Harris)، وتبناه تشومسكي في الطُرز النظرية الأولى من نحوه التوليدي التحويلي، غير أن تشومسكي أحسّ أن المفهوم مُلْبس إلى حدّ ما، وكان أن اختفى المفهوم سريعاً

(17) المصدر نفسه، ص 68.

(18) المصدر نفسه، ص 68.

إبان ظهور كتابه: **مظاهر**. ومع أن مفهوم الجمل النووية عند تشومسكي يكتسب «دلالة حدسية مهمة»، فإنه ليس بالمفهوم الذي يؤدي «دوراً فارقاً في توليد الجمل أو تفسيرها»[19]. ويبدو أن نايدا يخلط بين مفهوم الجمل النووية والمكون ـ الأساس -Base) (Component الذي يتألف من مباني العبارة (Phrase Structures). وليس باستطاعة المرء على الإطلاق أن يستخلص ما يعنيه بمثل هذه الإشارات. إن المكون ـ الأساس عند تشومسكي يسمح بتنوع لانهائي للتجليات الظاهرة، وهو مفهوم آمن به تشومسكي بوصفه مكوّناً أساسياً لخاصية الإبداعية التي تتكشف على يد الذات المتكلمة.

كذلك، فإن الفروق بين النظريتين من الوجهة المنهجية ظاهرة؛ ذلك أن نايدا يُؤْثر العمل في اتجاه متراجع إلى الخلف، يبدأ من ظاهر النص الأصلي وينتهي إلى بنيته الباطنة، ويحول تلك البنية الباطنة إلى البنية الباطنة في اللغة الجديدة، ثم يقوم بتوليد البنية الظاهرة في اللغة الثانية. إنه ـ بعبارة أخرى ـ يفترض وجود حلٍّ للشفرة وإعادة للتشفير لا يصيب اللغة الأصلية فيها تغيير على الإطلاق. ويلخص نايدا منهجيته في الترجمة على الوجه الآتي:

«إنها قادرة بكفاءة من الوجهتين العلمية والعملية على: (1) أن تختزل النص ـ المصدر إلى أبسط مكوناته النووية من جهة التركيب، وأوضحها من جهة الدلالة. (2) أن تحول المعنى من اللغة ـ المصدر إلى اللغة المستقبلة على مستوى بسيط من حيث التركيب. (3) أن تولد التعبيرات المكافئة أسلوبياً ودلالياً في اللغة المستقبِلة»[20].

---

(19) Chomsky, *Aspects of the Theory of Syntax*, p. 18.

(20) Nida, Ibid., p. 68.

إن العمل بطريقة الارتداد إلى الخلف، واختزال النصوص إلى جمل تركيبية بسيطة، وإلى أكثر النوويات وضوحاً؛ كل ذلك ليس إجراءات تشومسكية، كما أنه يلمح إلى التطويع الخاطئ لطراز تشومسكي؛ وذلك لأن مباني تشومسكي قلّما تكون بسيطة أو واضحة، كما أن استعمال مفهوم كمفهوم التحويل الارتدادي (Back-Transforming) أيضاً من أجل الكشف عن جوامع التراكيب النحوية (Syntactics) والجوامع الدلالية (Semantics)، يثير أسئلة حول مفهوم نايدا للقواعد التحويلية في عمومه. وعلى الرغم من أن تشومسكي يرجّح ترجيحاً مؤكداً أن القواعد التحويلية ليست قواعد خطّية (Non-Linear)، فإن تحسُّباته للحالات المحتَمَلة في عملية حلّ الشفرة وإعادة التشفير تشوّه صورة نظريته. إن نايدا، مَثلُه مَثل المترجمين الممارسين الآخرين، يحُلُّ شفرة ثم يعيد التشفير، وهو غالباً ما «يختبر» عمله عن طريق الترجمة إلى لغة مستهدَفة، ثم يعكس الترجمة إلى اللغة ـ المصدر[21]، ولكن القول بأن مثل هذه المنهجية هي مستمدة من تشومسكي، أو إعادة صياغة مثل هذه الممارسة في مصطلحات تشومسكية، يشوّه نظرية النحو التحويلي.

كيف إذن يمكن للمعنى ـ من وجهة نظر نايدا ـ أن يتحدد، إذا لم يتم ذلك التحديد باستخدام مناهج لسانية مقبولة؟ إن نايدا يقول في قسم جعل عنوانه «متطلبات أساسية للمترجم» (Basic Requirements of the Translator):

«إن على المترجم ألا يقف عند حدود فهم المحتوى الواضح للرسالة، بل عليه أن يفهم دقائق المعنى، والقيم الشعورية الدالة للكلمات، والسمات الأسلوبية التي تُعيِّن «النكهة والإحساس»

(21) المصدر نفسه، ص 66-69.

(Flavor and Feel) في الرسالة. . . إن عليه ـ بعبارة أخرى ـ أن يجمع بين معرفة اللغتين أو اللغات المشمولة في عملية الترجمة، والدراية التامة بالموضوع المعنيّ»[22].

ها هي ذي المعتقدات الدينية عند نايدا تنزع إلى أن يكون لها دورٌ فاعل في صياغة مقاربته العلمية. إنه يبدو ـ بحق ـ وهو يخلط بين دور المترجم ودور المُبشِّر. والحق أنّ الفرق بين التفسير (Exegesis) والترجمة يأخذ في التلاشي من نظرية نايدا؛ وذلك لأن الكيفية التي تنقل بها الرسالة، وما يبقى من الصياغة الأصلية يبدو أقل أهمية من الشرح نفسه.

وبالإضافة إلى تمتع المترجم بمعرفة تامة بالمصدر، يتطلب نايدا من المترجم أن يكون له روح التقمص الوجداني (Empathetic Spirit) التي للمؤلف، وأن تكون له القدرة على تلَبّس شخصية المؤلف من حيث السلوك والكلام وطرائقه «بأقصى ما يستطيعه من قدرة على الإيهام بالحقيقة»[23] (Utmost Verisimilitude)، ويمضي نايدا في حجاجه، فيرى أن على المترجم أن يُعجَب بالمؤلف، وأن يكون له الخلفية الثقافية نفسها التي للمؤلف، والموهبة نفسها (بحيث لا تزيد ولا تنقص)، وأن يمنح قارئه المتعة نفسها التي يتيحها الأصل. إن فكرة «التقمص الوجداني» عند نايدا تقترب من الفناء التام في مقصود المؤلف الأصلي والاعتماد عليه، وما لم يتم تلبية هذه المتطلبات فإن الرسالة الأصلية تضيع من المترجم، كما ستضيع منه الكيفية التي تؤدي بها الرسالة وظيفتها. والمشكلة مع مثل هذا المتطلب هي عين المشكلة التي يشير إليها نقّاد الأدب على أنها

---

(22) المصدر نفسه، ص 150-151.

(23) المصدر نفسه، ص 151.

خداع القصد (Intentional Fallacy)، وهو أن ما يقوله العمل وما يقصده المؤلف أمران مختلفان. إن مثل هذا التقمص الذي يبدو أن نايدا يفضله ربما يقوم بإضفاء الغموض على ما يجري ترجمته. لذلك تبدو نظرية نايدا في الترجمة صادرة في الأقل منها عن بواعث علمية، وأنها في الأكثر تأكيد إيجابي للعمل المقصود بالترجمة. إن الترجمة بهذا مُعادلة للكشف، حيث تكشف للعيان تلك الرسالة الأصلية التي تتخذ الآن وضع النموذج الأعلى (Archetypal Status).

إنني أذهب في حجاجي إلي أن العلاقة بين المؤلف والنص هي علاقة معقّدة، وتنطوي على إمكانية الخداع، وأن اختزال العمل إلى «مباني بسيطة» (Simple Structures) هو تشويه للعمل لا ريب فيه، وأن نقل هذه المباني البسيطة من البنية الباطنة في لغة ما إلى لغة أخرى ـ عبر اللغات والزمان ـ ربما كان من المحالات. إن نايدا ـ حتى في نظريته المبسّطة ـ لا يخبرنا بالكيفية التي يتم بها نقل البنية الباطنة. وإذا سلمنا بالأهمية التي يحظى بها «التقمص الوجداني» في الطراز النظري، فإن الحدس ينبغي أن يدخل إلى المعادلة في مكان ما، وتصبح العقيدة، والفناء في العمل، والثقة المطلقة هي ـ على وجه اليقين ـ الوسائط النظرية الأساسية. وأنا أرى أن المركز، أو البنية الباطنة، أو معنى النص، يمكن أن يكون غائباً على الدوام؛ فالنص كائنةً ما كانت كثافته، والتفسير كائناً ما كانت درجة وضوحه، لا يبلغ أي منهما مبلغ الكمال بحال، وستظل هناك دائماً فجوات، ومجال لاختلاف التأويل، ولتباين التلقي، وهنا في هذا المكان تكمن طاقة النص. إن نايدا سوف ينكر بالتأكيد هذا الأمر بوصفه مسألة عقيدة، مفترضاً ـ على النقيض ـ وجهة النظر المعاكسة؛ أي أن الرسالة الأصلية يمكن تحديدها، وأنها لا تتغير. ومع ذلك، فلأن نايدا يشتغل على الكلمات ـ حتى وإن كانت الكلمة في حالتنا هذه

هي «كلمة الرب» (Word of God)، وكذلك بسبب هذه الحقيقة بذاتها، وهي أنه يشتغل على اللغة ـ أقول: إنه لهذين السببين سيكون حاضراً على الدوام عدم الجزم بتعيين المعنى الناشئ عن المجاز (Metaphoric Indeterminacy)، والتغير التاريخي. وليس ثمة بحال نص يمكنه أن يفسر عملية التلقي الخاصة به. إن نظرية نايدا في الترجمة تريد أن تفك مغاليق النص، وأن تعده ليكون جاهزاً للاستهلاك. وهو يريد أن يفسر النص كما يريد أن يصفه، تماماً على نحو ما تريد نظرية تشومسكي أن تفسر المباني اللغوية بالإضافة إلى وصفها. غير أن نايدا لا يثق بقدرة القراء على حل شفرة النص لأنفسهم، ومن ثم هو يفترض قارئاً مطلق السلطة، ومن الأفضل أن يكون هو المبشر/ المترجم المثالي الذي سيقوم بالعمل من أجل القارئ. إن هدفه ـ حتى مع **الكتاب المقدس** ـ هو أن يبدّد الغموض، وأن يكشف مواطن اللبس، ويختزل التعقيدات لصالح بساطة الاستهلاك.

من بين أهداف كتاب نايدا: **نحو علم للترجمة** أيضاً إعادة تعريف المبادئ التي جرى استخدامها لضبط التحكم في دقة الترجمة والحكم عليها. وقد درج التصنيف من الوجهة التقليدية على الاحتفاظ بوصف «الأمينة» (Faithful) للترجمات الحَرْفية؛ تلك التي تُعلي من قدر الشكل (Form)، وأن يُستخدم وصف «الحرة» (Free) لتعَيَّن به الترجمات التي تُعلي من قدر المضمون (Content). ونايدا يفضّل الصنف الأخير، ومن المفارقات أنه قد عكس الاستعمال التاريخي للمصطلح «أمينة» الذي يستخدمه هو الآن ليخص به مقاربته الديناميكية. وهو يذهب في حجاجه إلى إثبات أن المترجمين الشكليين الذين هم معنيون أساساً بوجوه التوافق ـ كأن يترجموا شعراً بشعر، وجملة بجملة، ومفهوماً بمفهوم ـ هؤلاء هم عرضة

لارتكاب الأخطاء التي تسيء تأويل «مقصود المؤلف»، وأن من الراجح أن يختاروا تفسيراً هو «دون المناسب من بين عدة ترجمات ممكنة»، كما أنهم أكثر عرضة لـ «تحريف المعنى»[24]. لقد حدث انعكاس في المصطلحية في سياق حجاج نايدا الذي يوجز فيه أسباب إيثاره للمكافئ الديناميكي. إن نايدا يحس أن المترجم الديناميكي قادر على أن يكون أكثر أمانة من المترجم الحَرْفي عن طريق نوع ما من الوعي بالمعنى في النص الأصلي هو أكمل وأدعى للرضا[25]، ومن ثم نراه غالباً ما يترك ذلك المعنى بكراً، بينما يقوم بتزويده خفية بالإيضاحات من خلال عمليات الإضافة والإسقاط والتحويل. لقد تبيّن فريدريك ويل ـ على الأقل ـ ما تنطوي عليه الترجمة من تعارض، وواجه مشكلة «الأمين الخائن» برؤية مستبصرة جديدة، أما نايدا فإنه لا يرى هذا التعارض، ويودّ أن يزعم لمنهجية فضلاً على منهجية أخرى، مستبقياً للمشكلة القديمة، مشكلة الثنائية المتقابلة بين الأمينة والحرة؛ تلك الثنائية التي أحس شتنير أنها كانت صفة مميزة لكل نظرية في الترجمة تنتمي إلى حقبة ما قبل البنيوية. إن آفاق نظرية نايدا في الترجمة ـ وقد استهدفت إيضاح الرسالة والاستجابة في الأصل ـ أفضت بلا ريب إلى تشويه جوهر الدلالة التي تزعم أنها تريد الحفاظ عليها، ما دامت ترجمته ـ من حيث هي تفسير ـ تلف النص الأصلي بالغموض إلى درجة يصبح معها النص غير متاح للقارئ المعاصر.

ومحاولات نايدا إعادة تعريف المصطلحية، وتقديم وَصْفة لتحقيق الترجمة الدقيقة كافية أيضاً في الكشف عن أولوياته النظرية، فنحن نرى أنه يُسلِّم بوجود «معنى ما مضمر في النص الأصلي»،

---

(24) المصدر نفسه، ص 191-192.

(25) المصدر نفسه، ص 192.

وأن هذا المعنى ليس بعيد المنال. وبالنظر إلى أهمية استبقاء هذا المعنى، فإن الشكل الذي تتخذه الرسالة يصبح مناطاً للتضحية به، وبذا تهبط التجليات الظاهرة للرسالة إلى مكانة ثانوية. ولأن تشومسكي يركز على المباني التأسيسية المضمرة في المباني الظاهرة، لذلك فإن نظريته مركّبة على هذه الشاكلة، جاعلة بذلك «المنطقَ» الذي يحكم الطرازين النظريين متماثلاً. إن كلتا النظريتين: نظرية نايدا ونظرية تشومسكي تتسم بالانعكاس الذاتي(*) (Self-Reflective)، والفارق الأساسي بينهما هو أن الصيغ الجامعة عند تشومسكي توجد على مستوى أعمق وأكثر تجريداً (وأقل نصيباً من الفهم) من نوويات نايدا. عند هذا الحد تنتهي وجوه الشبه؛ فحين كان تشومسكي يكتب، كانت قواعد التحويل في مرحلة بالغة التردد، حيث لا مكان لإجراء حقيقي في مجال الترجمة، إلا الإجراء القائم على مقارنة نقطة بنقطة في حقول محدودة، وهي المقاربة التي ينبذها علم نايدا.

ونخلص مما تقدم إلى المحصلة الآتية: على حين يبدو كتاب نايدا: **نحو علم للترجمة** ذا أسس مكينة في اللسانيات الحديثة، فإن المسكوت عنه، والماثل على الدوام هو نص بروتستاني خبيء (Subtext). إن نايدا يعتقد ـ وهو ما ذهب إليه حجاجه في كتابه: **رسالة ومهمة** ـ أن الكلمات هي في الأساس لافتات تصنيفية[26]، وإذا كانت الكلمات في حاجة لأن تغيّر أو تستبدل لكي يمكن تفعيل الاتصال، فحينئذ ينبغي تكييفها وتعديلها بحيث تنسق مع هذا الهدف.

---

(*) أي أنّها تحاكم براهينها على أساس من فروضها ومصطلحيتها (المترجم).

(26) Nida, *Message and Mission; the Communication of the Christian Faith.*

إن الرموز القولية ليست إلا تسميات ذات أصل بشري، أما «الرسالة» فمصدرها علوي. والنصوص على درجة متساوية من المرونة، وهي تكيّف نفسها في صيغ مركبة من غير أن يعرض تغيير للمقصود الأصلي، فقد ترجمت كلمة «Lamb» [حَمَل] إلى «Seal» [فقمة] وإلى «Pig» [خنزير] وإلى «أشكال» (Forms) و«تسميات» (Labels) أخرى كثيرة من أجل نشر كلمة الرب. والعمل التبشيري يقوم على تأسيس نقطة من أي نوع للتماس، ثم الشروع في البناء انطلاقاً منها. إن نايدا لا يفترض سلفاً أن هذه الرسالة العليا الأصيلة (Originally) موجودة فحسب، ولكنه يفترض أنها أبدية وسابقة في الوجود على اللغة، وهو افتراض ملازم له على الدوام، وذو تأثير قوي على العلم الذي ابتناه. إنه «يَعْرِف» (Knows) الرسالة من هذا المصدر العلوي، ويعرف كيف يُفْترض في الناس أن يستجيبوا لها، وهو لا يثق بالقراء أن يقوموا هم بتجهيز عقولهم للتلقي، ولكي تتحقق الاستجابة المقصودة، يُرَخِّصُ لنفسه القيام بالتغيير والتدبيج (Streamline) والتبسيط، كما يُجري حذف جميع الفروق المحتملة من مواطنِ غموضٍ، أو إلغازٍ، أو زلاتٍ فرويدية؛ التماساً لاستجابة موحدة تتجاوز التاريخ. إن هذه المنهجية ربما كانت عظيمة الجدوى للقائمين بالترجمة في مجال الدعاية والإعلان، كما يبدو أنها صالحة للعمل جيداً مع ضروب معينة من الأديان، لكن مظاهر محدوديتها داخل إطار علم للترجمة هي من الأمور الواضحة. إن نايدا يقدم طرازاً ممتازاً للترجمة يتضمن معالجة لنص يخدم مصالح عقيدة دينية ما، ولكنه يخفق ـ بوجه عام ـ في تقديم قاعدة لما يرى فيه الغرب «علماً».

## فولفرام فيلس: علم الترجمة في ألمانيا

مع أن عمل نايدا في الترجمة هو الأقوى تأثيراً في ما يتصل

بترجمة **الكتاب المقدس**، فإنه يتمتع كذلك بنفوذ أكاديمي مثير للدهشة في مجال اللسانيات والترجمة خارج سياق **الكتاب المقدس**. ولم يتحقق لنظرية نايدا أوسع تطبيقاتها تفصيلاً، لا في إنجلترا ولا في أمريكا؛ ولكن تحقق له ذلك في ألمانيا، حيث يهيمن علم الترجمة (Übersetzungswissenschaft) على تدريس الترجمة في أماكن مثل جامعة سارلاند (The Saarland) في ساربروكين (Saarbrücken). وأستطيع أن أبيّن نفوذ نايدا أوضح بيان بتحليل عمل فولفرام فيلس (Wolfram Wilss) الذي يدرّس في ساربروكين، ولعلّ خير نصوصه تعبيراً عن جهده في النظرية والممارسة هو كتابه: **علم الترجمة: مشكلات ومناهج** (*Übersetzungswissenschaft: Probleme und Methoden* (1977), *The Science of Translation: Problems and Methods* (1982)). والعلم الذي يتبناه فيلس لا يزال في صورة تجريبية ـ إذ هو يوثق بحثه بقليل من الأمثلة، وهي أمثلة مستمدة من لغتين فقط (هما الإنجليزية والألمانية). كذلك لا تزال الدراسات تنطوي على كثير من التناقضات التي لا تجد حلاّ، كما أن مجمل النسق لا يزال يفتقد المعايير التقويمية. ومع ذلك، فقد تمّ لـ «فيلس» إنجاز ما يكفي من العمل، من حيث التحليل اللساني لأمثلة معينة ثنائية التحديد (Specific Pair-Bound Examples) ذات توجه جُمْليٍّ أو نصي. وكان هذا بالنسبة إلى «فيلس» كافياً للخروج بقدر معقول من الأحكام العامة عن المقاربات المنهجية والفلسفية الملائمة بالنسبة إلى علم يعالج الترجمة. وسوف أركز على فرضياته النظرية المسبقة، ما ظهر منها وما بطن، وأتبين كيف أن هذه المقدمات تعكس إلى حدّ كبير مقدّمات شبيهة بتلك التي يتبناها تشومسكي ونايدا، ثم أقوم بفحص مفهومه للتكافؤ في الترجمة؛ هذا المفهوم الذي يعكس أيضاً نزعة نحو القول بوجود خصائص جامعة (Universalization)، على الرغم من دعاوى الانتساب للوصفية (Descriptive).

وينقسم علم الترجمة عند فيلس إلى ثلاثة أفرع من البحث متعالقة؛ وإن كان مستقلاً بعضها عن بعض: (1) توصيف لـ «علم عام» (General Science) موضوعه الترجمة، ويتضمن نظرية الترجمة. (2) «دراسات وصفية» (Descriptive Studies) تتعلق بالظواهر الاختبارية (الإمبريقية) للتكافؤ في الترجمة. (3) «البحث التطبيقي» (Applied Research) في مجال الترجمة؛ وهو يحدد صعوبات معينة في الترجمة، ويقترح الطرق التي يمكن بها حل مشكلات محددة. فأما العلم العام (1) فقد اتجه بمعظم ثقله إلى المقدمات المنهجية المتعلقة بلسانيات النص (Text - Linguistic Premises)؛ تلك التي تصنف النصوص تصنيفاً موضوعاتياً (Thematically)، ووظيفياً (Functionally)، فعلى المترجمين أن يمتلكوا ما يسميه فيلس الكفاءة التحليلية في التعامل مع النصوص (Text-Analytical Competence). وأنماط النصوص تصنّف هي نفسها إلى «نصوص مهيأة للترجمة بدرجة أعلى» (More Translation Oriented)، و«نصوص مهيأة للترجمة بدرجة أقل» (Less Translation Oriented). وأما الدراسات الوصفية (2) فتميل إلى التركيز على المكافئ المقاماتي (البراغماتي) للنص (Text-Pragmatic Equivalence)، أو الأمثلة التي تستدعي المنظومة نفسها من الأفكار والمفاهيم. ويتضمن منهج «فيلس» جانبين: الترجمة الأحادية اللغة[*] (Intralingual Translation) ـ أي إعادة صياغة المعنى لنص أصلي ما، والترجمة البينية[**] (Interlingual Translation) ـ أي نقل المعنى إلى اللغة المستهدَفة، وهي تُولي أكبرَ قدر من الأهمية للاستجابة النفسية. وأما «البحث التطبيقي» (3) فيقدّم تأمّلات عملية فاحصة لصعوبات معيّنة في الترجمة،

(*) داخل اللغة الواحدة (المترجم).

(**) ما بين اللغات (المترجم).

ويحاول أن يطرح حلولاً لها باستخدام نوع من المقاربة يعتمد منهجية تقوم على «وسائل توصل إلى غاية» (Means-to-an-End). ويضاف إلى ما تقدّم أن هذا الفرع من برنامجه يحاول أن ينشئ إطاراً مرجعياً لتحليل الأخطاء، كما يحاول أن يقدم بنية تفسيرية وتقويمية لتقدير الجودة، أو على الأقل لتقدير البدائل المقبولة. ومن بين هذه الأفرع الثلاثة في مشروع «فيلس» يبدو البحث التطبيقي أقلها حظاً من التحديد، كما أنه الفرع الذي يثير معظم الأسئلة. ويعترف فيلس بأن على علم الترجمة عنده ـ فوق ذلك ـ أن يعرف كثيراً من صعوبات الترجمة، كما أنه ينطوي أيضاً على مشكلات من جهة إيجاد إطار تقويمي موضوعي.

أما الفرعان: النظري والمنهجي فهما أكثر تطوراً؛ وسأشرع الآن في فحصهما بمزيد من التدقيق. يستفتح فيلس كتابه: **علم الترجمة** (*The Science of Translation*) فيقول: «يُنْظر إلى اللسانيات الحديثة على أنها اختصاص اتصالي في المقام الأول، ويمكن تتبع هذا التطور إلى الزمن الذي بدأ فيه هذا الاختصاص كسر حالة الاختناق التي صنعها التوليديون»[27]. وهكذا يصدر مشروع فيلس عن ردّ فعل مضاد لنظريتين لسانيتين سائدتين؛ هما اللسانيات الوصفية (Descriptive Linguistics) والنحو التوليدي، على الرغم من وجود مباينة شديدة في الأسس النظرية بين النظريتين. ومن السهل أن نتفهم الإعراض عن بعض المقاربات مثل البنيوية التصنيفية (Taxonomic Structuralism) التي تقف عند مجرد الوصف للمباني الظاهرة في لغات محددة، وتبدي اهتماماً ضعيفاً بالترجمة. بيد أن أسباب فيلس لمعارضة النحو التوليدي هي أقل وضوحاً إلى حدّ ما. إنه يذهب في

(27) Wolfram Wilss, *The Science of Translation: Problems and Methods*, Tübinger Beiträge zur Linguistik; 180 (Tübingen: G. Narr, 1982), p. 11.

حجاجه إلى أن ثمة مشكلة مماثلة تصدق على النحو التوليدي التحويلي، كما تصدق على اللسانيات البنيوية. وهو يحتج بأن التوليديين يستخدمون نفس الأدوات المنهجية نفسها المتاحة للنزعة «العلمية المغالية» (Scientistic Science)، ويلتمسون إنتاج «وصف صريح بطريقة رياضية للعمليات الذهنية، تسمح بمعالجة التحقق والإثبات معالجةً إمبريقيةٍ»[28]. بالإضافة إلى ذلك، يعترض فيلس على النحو التوليدي التحويلي، لأنه نحو تهيمن عليه بنية التركيب النحوي للجملة (Syntax)، فهو لا يستوعب اللسانيات النفسية (Psycholinguistics)، بل إنه لا يدرس إلا أنظمة لغوية مفردة، ولا يقدم أي طراز نظري لساني للعلاقات اللغوية البينية (Inter-Lingual Relations). إنه يتجاهل مشكلات التلقي، كما أنه يتجاهل وظيفة الرسالة في سياقها الأصلي[29]. ويرى فيلس أن تشومسكي يقف في معسكر البنيويين والاختباريين (Empiricists) نفسه؛ لأنه لا يرى الجذور المثالية والأفلاطونية في نظرية تشومسكي. ويذهب فيلس في بعض المواطن إلى أن نظرية تشومسكي اللسانية يحكمها نسق «شبه سيبرينتيكي آلي الضبط» (Quasi - Cybernetic Automatic Control)، وأن «المكون التوليدي في نظرية تشومسكي اللسانية... هو ميكانيكي بالكلية وليس ذهنياً»[30] (Ultimately Mechanistic, not Mentalistic). لقد هوجم تشومسكي من كثرة كاثرة من اللسانيين بسبب افتقار نظريته إلى المكونات الدلالية والمقاماتية (البراغماتية)، حتى إن فيلس ـ بسبب قيامه بتحليل وحدات نصية بالإضافة إلى تراكيب جُمْلية ـ لا يبدو مدركاً لحقيقة ما يفعله؛ فهو يتبنى إطاراً

(28) المصدر نفسه، ص 67.

(29) المصدر نفسه، ص 68-70.

(30) المصدر نفسه، ص 15.

مماثلاً، يقوم على ثنائية التقابل بين البنية الباطنة والبنية الظاهرة، وأن إطاره هذا ذو أساس نظري منطقي مُعادلٍ لتلك الثنائية.

ومن المفارقات أن فيلس يختار اللجوء إلى النموذج الذهني (Mentalistic Paradigm) ليعزز به «العلم» الذي يتبناه. وهو يقول إن علم الترجمة ليس علماً «تقنينياً» (Nomological) محكم الإغلاق، ولكنه علم معرفي (Cognitive) تأويلي (Hermeneutic)، ذو طبيعة استدعائية (Associative). ومن ثم، فإن هذا العلم لا يحتاج إلى أن يلبّي مطالب الموضوعية و«المناهج الإجرائية المتحررة من الأحكام المبنية على القيم» (Value-Free Procedural Methods) إلا «إلى درجة محدودة»، وهي المطالب التي تشكل خصائص مميزة لمنهجية البحث في العلوم الطبيعية. وقد أتاح ذلك لـ «فيلس» حرية التماس سوابق لمقاربته في نظريات ما قبل البنيوية عن اللغة، تلك التي قامت على أساس تصور إنسيّ مثالي للفهم (Humanist/ Idealist)، وأن يتبنى التمييز القائم على المقابلة بين الكفاءة والأداء /Competence) (Performance بالطريقة التي حددها تشومسكي، وأن يتلقى بالقبول التعديل الذي أجراه نايدا على مفهوم الكفاءة ليستوعب فيه المكوّن السياقي. إن الضامن للترجمة عند فيلس هو وجود جوامع البنية الباطنة: البنية التركيبية النحوية (Syntactic)، والدلالية، والأشكال الجامعة، علاوة على لبّ يمثل التجربة المشتركة، ويصبح علمه بسيطاً يتمثل في خلق مكافئات تركيبية نحوية ودلالية، ومكافئات على مستوى التّلقي. إن «العلم» لدى فيلس هو أشد قرباً من علم تشومسكي حتى بأكثر مما في وسعه الإقرار به؛ يقول فيلس:

«إن قابلية أي نص للترجمة يضمنها وجود مقولات جامعة في علم النحو (Syntax)، وعلم الدلالة، والمنطق (الطبيعي) للتجربة، وإذا ما أخفقت الترجمة ـ على أي حال ـ في أن تثبت

أنها كفء للأصل من حيث الجودة، فإن السبب (في العادة) لن يكون نقص الكفاية في القوائم النحوية والمعجمية في تلك اللغة المستهدَفة المعينة، بل إن مرجعه بالأحرى إلى محدودية قدرة المترجم على تحليل النص»[31].

هكذا يمكن للطلاب ـ بالتدريب الصحيح في معهده ـ أن يوسعوا من قوائم المكافئات الصحيحة، وأن يرهفوا حدسهم التأويلي، وينتجوا الترجمات ذات الجودة العالية. ويذكرنا هذا الوضع التعليمي عند «فيلس» بمشروع الورشة عند آي. أ. ريتشاردز؛ ذلك أن كليهما يعكف على تعليم الطلاب كيف يفسرون النصوص تفسيراً صحيحاً.

ويهيئ لنا فحص تاريخ نظرية الترجمة عند فيلس إطاراً يمكن في داخله أن نفهم فرضياته المسبقة فهماً أفضل. إن فيلس يمر مروراً سريعاً على الرومان، والإغريق، وشيشيرون (Cicero)، وجيروم (Jerome)، ولوثر (Luther)، ملِّخصاً كل نظرية من نظريات هؤلاء في ما هو أقل من الفقرة. ثم يزودنا بتحليل مفصل لاثنين من المنظِّرين الألمان هما: فريدريك شلايرماخر (Friedrich Schleiermacher) وفيلهيلم فون همبولت (Wilhelm von Humboldt). استمد شليرماخر أهميته بالنسبة إلى العلم الذي وضعه فيلس من تمييزه النوعي بين الترجمة «الدقيقة» «(True Translation) والترجمة الآلية (Mechanical)، وإقراره بشرعية الحاجة إلى علم يمكن أن يترجم الفن، وضرورة وجود المترجم القادر على تحقيق الوثبة التأويلية إلى الرسالة الأولى وإنجاز الترجمة الصحيحة (Proper) للمعنى (وهذا هو مصطلح شليرماخر). إن مشروع فيلس التعليمي

(31) المصدر نفسه، ص 49.

يعزز التمييز اللساني في اللغة الألمانية، بين مفهومين لا تُميِّز الإنجليزية بينهما، وهما: الترجمة (Übersetzen) Translation))، والتفسير (Dolmetschen) Interpretation)). ولم يجر إلا حديثاً، بتحضيض من مدرسة ليبتسغ (Leipzig School)، إدخال المصطلح «Translation» ليستوعب الأمرين كليهما: فعل الترجمة والتفسير (Act of Translating and Interpreting).

ثم يُبرز فيلس من بعد ذلك أهمية إسهام همبولت في نظرية الترجمة. وهو على وعي بالتناقضات التي يشتمل عليها حِجاجُ همبولت في ما يتعلق بالترجمة. إن همبولت لم يؤمن بوجودٍ مسبقٍ مقطوع به لأنساق مفهومية جامعة تتخطى حدود اللغات المفردة. وكذلك كان فيلس أيضاً على وعي بأن مثل هذا التفكير سيفضي إلى إنكار المكافئ الوظيفي، إن لم يكن إلى نفي وجوده أصلاً، مع أنه المفهوم الذي يمثل حجر الزاوية بالنسبة إلى علم نايدا، ولعلمه هو. وعلى الرغم من أن همبولت يرى أن اللغات متباينة تبايناً أساسياً، وأن الترجمة مستحيلة ـ فإن فيلس يجده أيضاً يصوغ دعاوى تقول بأن «الاستعداد الفطري الطبيعي للغة هو خاصية جامعة (Universal)، وأن كل اللغات ينبغي أن تمسك في داخلها بمفاتيح لفهم كل اللغات»[32]. ويستنتج فيلس أن الترجمة ممكنة، لأن العملية التأويلية تعطينا إذناً بالعبور إلى هذه الجوامع، وأن إمكانات التوليد للجوامع تمكِّن اللغات من تجاوز الحدود الاجتماعية والثقافية المخصوصة. وينتهي فيلس في حماسة بالغة إلى نتيجة تقول: «إن الاحتياطي

---

(32) مذكور في: المصدر نفسه، ص 36، و Rolf Kloepfer, *Die Theorie der literarischen Übersetzung. Romanisch deutscher Sprachbereich*, Freiburger Schriften zur romanischen Philologie; Bd. 12 (München: Wilhelm Fink Verlag, 1967), p. 55.

التوليدي لهذه الإمكانات من الضخامة بحيث يمكِّن أي جماعة لغوية من أن تستوعب بكفاءة أيّاً من الأوضاع العامة في حياتهم، بل جميع هذه الأوضاع، بما في ذلك ما يقع خارج نطاق تجربتهم الاجتماعية الثقافية»[33]. ويرى فيلس أن آراء همبولت هي أقرب إلى الحجة المزدوجة المتزامنة منها إلى التناقض، مستنتجاً أن كلا الوضعين صحيح؛ أي أن الجوامع توجد على مستوى باطني أعمق، أما المباني الظاهرية فيستثني بعضها بعضاً. وهو يذهب في حجاجه إلى أن القرابة موجودة بين الطرفين، إذ إن المباني الصَّميمية (Core Structures) لها القدرة على توليد المباني الظاهرة. وبدلاً من أن يحطم فيلس أغلال نحو تشومسكي التوليدي نراه يتبنى بالفعل التمييز الذي أقامه تشومسكي بين الكفاءة والأداء، وبين البنية الباطنة والبنية الظاهرة.

هكذا تمتد جذور نظرية الترجمة عند فيلس في تربة الفلسفة المثالية الألمانية، وتنهض على الأسس الآتية: (1) مفهوم للغة جامعة تتألف من صيغ جامعة، ولبّ من التجربة المشتركة. (2) اعتقاد بأن نقل البنية الباطنة ممكن من خلال العملية التأويلية. (3) مكوّن توليدي يترجم في ما بين اللغات من الأساس [الباطن] في أي لغة إلى السطح [الظاهر]. (4) تصنيف طبقي نوعي للنصوص (Qualitative Ranking)، يبدأ من مستوى راق يضم الفن والنصوص العلمية، إلى مستوى أدنى يشمل نصوص تصريف الأعمال التجارية والنصوص النفعية العملية. وتقوم منهجية فيلس في البحث على ردّ النص الأصلي إلى محتواه الموضوعاتي (Thematic Content)، وإلى نمطه النصي (Text Type) من خلال ترجمة ارتدادية «داخل لغته»

(33) Wilss, Ibid., p. 36.

(Intralingual Back Translation). وبإعادة صياغة المعاني، يقوم فيلس بعزل مواطن الاختلاف، والألعاب اللفظية المميزة، والمدلولات الضمنية للنصوص بحسب ورودها في التاريخ، أو قل إنه بالأحرى يقوم بتصنيف النصوص باعتبارين: **الأول** باعتبار نماذجها البدئية (Archetypically)، و**الثاني** باعتبار لازماني (Ahistorically). ويكشف الفرع البحثي من علمه بوضوح عن هذه المنهجية؛ يقول «فيلس»:

«ينبغي للبحث في الترجمة أن ينشئ إطاراً مرجعياً ينظر إلى النصّ على أنه تشكيل ذو توجه اتصالي (Communicatively-Oriented) له ثلاثة أبعاد: موضوعاتي، ووظيفي، ونصي ـ مقاماتي، ويمكن أن تستخرج هذه الأبعاد الثلاثة من البنية الظاهرة للنص»[34].

إن النصوص يجري تصنيفها في فئات تبعاً لأنماط مثالية، وعلاقات مركبة يتم اختزالها في معادلات مستنبطة بطريقة اختبارية (Empirically)، وتُصنَّف هذه النصوص تبعاً لأجناس (Genres) القول والموضوعات (Themes) تصنيفاً كلياً جامعاً (Universal). وهذه الموضوعات يعاد تجميعها وتعبئتها في لغة مختلفة وسياق مختلف، ولكنها تخضع لإعادة التصميم، بحيث تحدث الأثر نفسه الذي لها في النص الأصلي. وتقع طرق التنميط التي يعالج بها فيلس النصوص فريسة لما يسميه النقاد «الخداع الاختباري» (Empirical Fallacy). ذلك أن المقولات التصنيفية المستنبطة اختبارياً لا يراها أحد على الإطلاق؛ إنها لا توجد إلا على صورة تركيب مثالي من نوع ما في خيال شخص ما، وهي تشبه تماماً في ذلك الكفاءة (Competence) عند تشومسكي، تلك التي لا تتجلى

(34) المصدر نفسه، ص 116.

مطلقاً، ولكنها تستنبط. لقد صُمِّم النسق لكي يحدّد ويصف منتجات منجزة، وليُعدّ تلك المنتجات لتكون جاهزة للاستهلاك في أزمان وأماكن متباينة. إن مثل هذه المقاربات التي تتوخى إيجاد مقاربات جامعة (Universalizing Approaches) تنزع إلى صرف النظر عن الأشياء التي يستعصي استيعابها داخل مقولاتها، ومن أمثلة ذلك التناقضات والمفارقات والمبتكرات النافرة (Distancing Devices)، تلك التي هي جزء لا يكاد يخلو منه نص. كذلك تنزع المرجعيات الموضوعاتية، والمتعلقة بأجناس القول فيها ـ حين تكون من النوع المركب ـ إلى التهذيب أو الإقصاء تماماً. أضف إلى ذلك أمراً آخر ـ وهو لا يثير الدهشة ـ وهو أن فيلس ينهي تأريخه [النظرية الترجمة] بتصريح متفائل يقول: «إن أي شيء يمكن أن يعبر عنه بأي لغة»، وأن هذه الفكرة جدّ رائجة في اللسانيات الحديثة»[35]. والذي يؤسف له أن ما تم اختزاله وقمعه لكي يتحقق هذا النجاح الشامل، ربما تكون أهميته بالنسبة إلى معنى النص كأهمية المحتوى الذي أُخضع للتصنيف الموضوعاتي.

ونحن إذا أجرينا فحصاً لبعض أولئك اللسانيين «المحدثين» الذين يستدل «فيلس» باعتناقهم هذه الفكرة الواسعة الانتشار، فسينكشف لنا أنهم لا ينتمون على الإطلاق إلى حقبة ما بعد تشومسكي. إن فيلس يعترض على مدرسة سابير/ وورف الفكرية، تلك التي تنكر وجود مقولات جامعة مقطوع بها سلفاً في الفكر، والتي نرى لدى أتباعها رأياً متشكّكاً في إمكانية اشتراك لغتين في تجربة ذات لبّ مشترك. ولكي يستبعد فيلس هذا الأسلوب في البرهان نراه يعمد أولاً إلى الاستشهاد بتشومسكي، ثم بإريك. هـ.

(35) المصدر نفسه، ص 48.

لينيبرغ (Eric H. Lenneberg)، وهو صاحب كتاب: **الأسس البيولوجية للغة** (*The Biological Foundations of Language*) (1967) الذي افترض وجود جوامع بيولوجية في اللغة. ويرجح فيلس أن رأي تشومسكي/ لينيبرغ في الجوامع اللغوية «نابع من فرضيات لم ينل منها الشك إلى الآن، وهي وجود جوامع دلالية ونحوية بما في ذلك الجوامع المقاماتية (البراغماتية)، وأن ذلك يعدّ صحيحاً في كثير من اللغات الطبيعية، إن لم يكن فيها جميعاً»[36]. بعد ذلك يستشهد فيلس بـ «إرفين كوشميدر» (Erwin Koschmieder) الذي ذهب في كتابه: **محاضرات في النحو العام** (*Beiträge zur allgemeinen Syntax*) (1965)، إلى أن المدلول (Signified) ليس مساوياً بالضرورة لمعنى النص[37]. وينتهي فيلس إلى نتيجة تقول: إن أطروحة النسبية عند سابير/ وورف هي الآن فرضية تتصف بالمبالغة إلى حد كبير، وليس لها ما يدعمها (هذا إن كانت أصلاً قابلة للدعم)[38]، بل إن فيلس في موضع من حجاجه يلمح إلى أن أطروحة سابير/ وورف هي في باطنها أطروحة «عنصرية» (Racist)، وذلك بالإشارة إلى مقال لـ «أوتو كيد» (Otto Kade) عنوانه: «هل كل شيء قابل للترجمة؟» (Ist alles übersetzbar?)، ليؤيد به هذا الحجاج التحريضي السياسي؛ يقول:

«حين أجزم بأن الترجمة الكاملة ليست ممكنة، فإني أجزم بأن لغة ما (أعني اللغة التي أترجم إليها) لا تستطيع التعبير عما عُبِّر عنه بالفعل في لغة أخرى . . . ويتضمن ذلك نسبة تصنيف قيمي ما إلى أولئك الذين يتكلمون بها، وبذلك نجد أنفسنا نسلك

---

(36) المصدر نفسه، ص 39.

(37) المصدر نفسه، ص 43.

(38) المصدر نفسه، ص 43.

سبيلاً لا شبهة فيها إلى أيديولوجية رجعية عنصرية»[39].

إن الانتقال من فحص الأسس النظرية السائدة في المجال إلى مثل هذه الاتهامات لا تقتصر دلالته على ما يستثمره فيلس من آراء في «علمه» فحسب، ولكنه يشير كذلك إلى تخوفه من أن رأي سابير/ وورف قد يكون على درجة من الذيوع تفوق ما يرغب هو في الإقرار به.

وفي الختام يبدو حجاج فيلس مؤسساً في القليل منه على البرهان العلمي، وفي الكثير منه على الحدس؛ إذ هو يجزم بأن أياً ممن يعالجون «حقائق الترجمة» في إمكانهم أن يدركوا بالحدس صدق دعاواه. إن فيلس ـ باستدعائه دعاوى منظِّري الترجمة من أمثال فريدريك ويل ـ يذهب إلى أن البنية الباطنة للغة (التي يُدخل فيها هو العلامة [اللغوية] في السياق) يمكن أن تتحدد (من خلال الثقة بالتأويل)، وأن تُحوّل إلى «جميع» اللغات في أي سياق معاصر. وعلى ذلك، فإن البنية الباطنة عند فيلس ليست بأقل تجريداً من نظيرتها عند تشومسكي أو نايدا. لقد أخذ فيلس فكرة الجوامع عن نظرية تشومسكي، ثم أضاف إليها المكوّن التجريبي من نايدا، وهو ينهي قسمه الخاص باللسانيات الحديثة مقتبساً من مقال نايدا (1969) «علم الترجمة» (Science of Translation) الذي يذهب فيه إلى أن الفكرة الانطباعية التي تقول بأن الاتصال بين اللغات ممكن دائماً هي فكرة تقوم على عاملين «أساسيين» هما:

(1) أن وجوه التشابه في اللغة مردّها إلى «اللب المشترك للتجربة البشرية».

(39) Otto Kade, «Ist alles übersetzbar,» *Fremdsprachen*, no. 4 (1964),
مذكور في: المصدر نفسه، ص 47-48.

(2) أن وجوه التشابه الأساسية توجد «في المباني النحوية للغة، ولا سيّما على ما يسمى بمستوى النواة (Kernel)، أو اللب»[40].

وهكذا تنزع «علوم» الترجمة التي جرى وصفها حتى الآن في هذا الفصل إلى أن تكون «علوماً» مؤسسة نظرياً على فرضية عن طبيعة اللغة لا يمكن التحقق من صدقها بطريقة اختبارية (إمبريقية). أما من الوجهة المنهجية، فإن تلك «العلوم» تميل إلى التمادي في إضفاء صفة الجوامع والأحكام العامة إلى درجة تفضي إلى إلغاء ما هو متفرد ومختلف وجديد من الأفكار، بالطريقة التي تعبّر به اللغات عنها. أما من حيث ما تفترضه من معايير للتقويم، فإنها تحتم أن يكون المترجم هو السلطة، وتعرض عن الوثوق بقدرة القرّاء على القيام بتفسير النص لأنفسهم. وأخيراً فإن تلك «العلوم» ـ بمبالغتها في الاعتماد على فكرة البنية الباطنة، سواء أكانت مباني نحوية جامعة، أو مباني دلالية أو مقاماتية ـ إنما تقوم بالتهوين من شأن منتجاتها الخاصة بها، أي أعمال الترجمة، ومن شأن الإسهامات التي يمكن لفعل الترجمة أن يقوم به تجاه تقدم النص الأصلي وتطوره.

## النظريات الوظيفية في البلاد الناطقة بالألمانية

تطور عمل فيلس على مدى العقدين الماضيين، ولا سيّما دراساته الوصفية التي تعكف على بحث حالات ثنائية التحديد (Pair-Bound)، وتكتشف الإمكانات المتعددة لترجمتها. وإذا سلّمنا بالأسس النظرية التي قام عليها علمه، ينبغي ألا نعجب من كونه قد بدأ في استكشاف العوامل الذهنية (Mental Factors) التي تفسر

---

(40) Eugene Albert Nida, «Science of Translation,» *Language* (Washington), vol. 45, no. 3 (September 1969), p. 483.

مذكور في: Wills, Ibid., p. 49.

الاستقبال الأول، ومن ثم تفسر الترجمة الكفء؛ ذلك لأن عمليات الحدس، وما يعقب الحدس من اتخاذ القرار، والعوامل الإبداعية؛ كل ذلك لا يتنافى مع مقاربة كانت متسمة دائماً بالنزعة الإنسية. لقد تحول فيلس إلى الاهتمام بعلم النفس المعرفي (Cognitive Psychology) والسلوك البشري اهتماماً كبيراً؛ لأن النتائج التي توصلت إليها الدراسات الوصفية قد أجبرته على إجراء التعديل على الفرع العام من علمه. إن الذي بدا جليّاً هو ضخامة درجة التنوع في النصوص المترجمة، وهو ما رأى فيلس أن أقله ناشئ عن خطأ من مترجم جيد التدريب، وأكثره ناشئ عن السياقات الثقافية المتباينة التي يجد فيها المترجمون أنفسهم، كما يجدون فيها قراراتهم الإبداعية والممعنة في الذاتية. لقد كان المكوّن الثقافي حاضراً دائماً في عمل نايدا، ولكن فيلس يوسع من دائرة الاعتبارات الحافّة «غير الأدبية» (Extraliterary Considerations) بحيث تشمل العوامل الثقافية، وهي عوامل لا تؤثر على المنتج النهائي فقط، ولكنها تمثل عبئاً على عملية اتخاذ القرار. وأيضاً، فإن العامل «الذاتي» (Subjective) كان دائماً جزءاً من طراز تشومسكي، الذي أبرز أهمية القوة الإبداعية الكامنة في اللغة البشرية. غير أن العامل الذاتي كان غائباً إلى حد كبير عن الأعمال في السنوات العشر الأولى من مجموعة أعمال فيلس في فرع «البحث التطبيقي»، حيث كان عمله موجهاً إلى التماس أفضل حل «موضوعي» ممكن للمشكلة الثنائية التحديد (Pair-Bound Problem).

وليس ثمة موطن يظهر فيه اقتراب فيلس من نايدا بأوضح مما يظهر في حجاجه ضد طغيان الطُرز النظرية المؤسسة على فرضيات سابير/ وورف في مجال الترجمة، تلك التي وقف منها موقف المعارضة منذ سنوات خلت. وعلى الرغم من أن المادة التي تجمعت على طول العقود الماضية تشير إلى أن المنظِّر في مجال الترجمة

ينبغي عليه أن يضع في حسابه السياقات الثقافية المتنوعة التي تحيط بالمترجم في أثناء قيامه بعمله، إلا أن فيلس يعد فرضيات سابير/ وورف نسخة أصولية (Radical) من مذهب النسبية اللغوية الثقافية (Linguo-Cultural Relativism)، وهو لا يزال يزعم أنه «ما من أحد في عالم البحث الترجمي يمكن أن يصادق على هذه النسخة الأصولية»[41]. ويواصل فيلس فيقول: «إنني شخصياً لا أرى أن الأشياء كلها محددة تحديداً لغوياً ثقافياً، بل أعتقد جازماً أن للترجمة جوانب كثيرة تتخطى حدود الثقافات، وأنها في واقع الأمر جوانب جامعة». ولكي يقيم الدليل على صدق فرضيته يستشهد فيلس من جديد بـ «نايدا»، ولكنه في هذه المرة يستشهد بكتابه: **ترجمة المعنى** (*Translating Meaning*). ويذهب نايدا في كتابه هذا إلى أن أحد الأسباب التي تتيح إمكان الاتصال ما بين اللغات هو أن «ما يجمع الناس على تنوع ثقافاتهم هو أعظم بكثير مما يفرقهم»، و«أن مظاهر التطرف الشديد في السلوك والمواقف موجودة في العادة حتى في داخل الثقافة الواحدة بأكثر مما هي موجودة في ما يسمى بالسلوك المعتاد أو المعياري، إذا ما قورن هذا بذاك»[42].

ولعل العمل الذي قام به فيلس ـ معتمداً على اللسانيات الحديثة، واللسانيات النفسية ـ لإعادة دراسة الحدس والإبداع البشريين في الترجمة هو أكثر أعماله الأخيرة طرافة من الوجهة النظرية. لقد خصّص فيلس نصف كتابه: **التعرّف والترجمة**

---

(41) Wolfram Wilss, «Towards a Multi-Facet Concept of Translation Behavior,» *Target* (Amsterdam), vol. 1, no. 2 (1989), p. 134.

(42) Eugene Albert Nida, *Translating Meaning* (San Dimas, Cal.:English Language Institute, 1982), p. 9.

مذكور في: المصدر نفسه، ص 135.

(*Kognition und übersetzen*) (1988) لهذا الموضوع؛ حيث يتجلى في الكتاب تفكيكٌ لطائفة من الأفكار العويصة في مجال علم الترجمة. ويقول فيلس في كتابه أن الحدس هو النقيض لتصورات النماذج الأولى (Prototypical Concepts)، وأنه ينبغي على المترجمين أن يولوا وجوههم ـ بصورة نسقية ـ شطر خطة مفهومية، ولكن عليهم مع ذلك أيضاً أن يتخذوا مواقعهم خارج المناهج والمعايير التي تحظى بالقبول في مجال الترجمة، وأن يمارسوا الحدس بجهات النص، وهو سلوك يراه فيلس «مغامراً»، ولكنه دائماً جزء من العملية. وينتهي فيلس إلى أن التحليل النسقي والحدس كليهما في حاجة إلى التكامل؛ فالإجراء الأول إجراء نسقي، أي أنه يحدّد بنية النص بفحص ما لا حصر له من التفاصيل عبر آليّة التجريد. ولكن فيلس يسلم بأن هذا الإجراء ليس هو الوحيد الذي يمكن تخيّله، وأنه في الغالب إجراء لا يُمارَس[43]. كذلك يذهب فيلس إلى أن الحدس يقوم بدور حتى في المقاربة العقلانية النسقية للترجمة، وذلك في الكيفية التي يفكر بها المرء، وفي صياغة الحلول. وهكذا، على حين يظل فيلس صادق الالتزام بالمبادئ التي أجاد تأسيسها في كتابه: **علم الترجمة** (*Übersetzungswissenchaft*)، نجد عمله الأخير يتسم بأنه ذو نهاية مفتوحة جداً؛ إذ يحلل المكوّنات الثقافية، والعوامل الإبداعية بطريقة تجعل من الفحص العلمي عملية معقّدة.

وعلى حين ظلت الجوانب الإبداعية إلى أمد طويل معترفاً بها خارج نطاق البرهنة في مجال البحث العلمي، فإن بعض الدارسين الألمان من أمثال هانز هونيغ (Hans Honig) وبول كوسماول (Paul Kussmaul) قد قاموا بتطوير مناهج للقيام بمثل هذه المهمة تحديداً؛

---

(43) Wills, Ibid., pp. 142 - 143.

ففي مقال بعنوان: «نظرية التخطيط عند هولمز، ومشهد العمليات الذهنية في الترجمة»[44] (Holmes's 'Mapping Theory' and the Landscape of Mental Translation Processes) (1991) يناقش هونيغ ما توصل إليه من نتائج تضمنها «سجّل وقائع التحدث جهراً» (Talk-aloud Protocol)؛ حيث يتحدث المترجمون جهراً على شريط تسجيل في أثناء قيامهم بترجمة وثيقة ما، كاشفين عن العمليات الذهنية الجارية في أثناء اشتغالهم بالعمل. لقد اكتشف هونيغ أن كثيراً من الاستراتيجيات التي يجري تعليمها للمترجمين تكبح بالفعل هذه العملية، وكثيراً ما تحملهم على التضحية بالإبداع من أجل سلوك مكتسب في الغالب بالتعلم. ويميل هونيغ إلى أن الأحكام غير المنضبطة وغير الواعية والحدسية تكون في الغالب ذات أهمية تفوق الخيارات المعرفية والمنضبطة والعقلانية. وفي دراسة عنوانها «الإبداع في عملية الترجمة: مقاربات اختبارية» (Creativity in the Translation Process: Empirical Approaches) (1991) قام كوسماول بمزيد من التطوير لهذا الطراز النظري، بحيث يتحدث اثنان من المترجمين جهراً في أثناء قيامهما بترجمة نص واحد، ويقومان بإنشاء حوار ثنائي (Dialogue) عن العمليات الذهنية وهما مشتغلان بالعمل؛ فبينما ينشئ الحديث الفردي (Monologue) بيئة اصطناعية ـ حيث يتحدث المترجمون إلى أنفسهم حديثاً يخضع من ثم لأمانة المترجمين أنفسهم ـ ينشئ طراز الحوار الثنائي جواً طبيعياً يمكن الاعتماد عليه. هنا يكتشف كوسماول من جديد أن التداعيات شبه الواعية

(44) Hans G. Hönig, «Holmes's 'Mapping Theory' and the Landscape of Mental Translation Processes,» in: Kitty M. van Leuven-Zwart and Ton Naaijkens, eds., *Translation studies: The State of the Art*, Approaches to Translation Studies; v. 9 (Amsterdam: Rodopi, 1991).

(Subconscious Associations) لها غالباً من القيمة ما يفوق الحلول العقلانية. وكثيراً ما يتعرض المترجمون لحالات انغلاق ذهني، ولكي يتحرروا من إسار هذه اللحظات تراهم في حاجة إلى التخيل وقدح الأذهان (Brainstorm)، وإلى تحويل انتباههم عن المهمة التي تشغلهم في اللحظة الحاضرة. ويرى كوسماول أن الاسترخاء والتحرر من الموقف التعليمي ـ في ما يبدو ـ يعين المترجمين على اكتشاف حلول أكثر ملاءمة، وينتهي كوسماول إلى ترجيح اعتبار القدرة على اللعب الحر باللغة، وعلى توليد أعداد وافرة من التداعيات، والخيارات، والاحتمالات بما هي جزء لا يتجزأ من عملية إنتاج ترجمات جيدة، وهي النظرية التي جرى إحكامها في كتاب: **تدريب المترجم** (*Training the Translator*) (1995).

وتتبع «مدارس» أخرى في ألمانيا مقاربة اختبارية مماثلة لدراسة الترجمة وتعليمها؛ فمدرسة ليبتسغ (Leipzig School) ـ التي بدأت في أواسط الستينات من القرن العشرين ـ حقّقت تطوراً بعيداً، ذلك أن العمل الباكر الذي قام به أوتو كيد مثل كتابه: **المصادفة والحتمية في الترجمة** (*Zufall und Gesetzmassigkeit in der übersetzung*) (1968) ـ الذي هو نص يستحق اليوم أن نتأمله من جديد ـ هو عمل يختلف اختلافاً كبيراً عن المقاربة الحاضرة. لقد تقبل كيد سلّما متدرجاً عريضاً إلى حد ما من أجناس القول (Textgattungen) (ليس بالضرورة متدرجاً في صورة أنماط (Types)، ولكنه مصنف باعتبار الجنس القولي (Generically))، وقد جرى توحيد هذا السلم التدريجي تبعاً للشكل (Form) والمضمون (Content)، وربما يكون أكثر توافقاً مع خطوط مفهوم وحدة النص الأصلي (Unity of the Original Text) الذي طرحته مدرسة «النقد الجديد». بيد أن الاهتمام الأساسي عند كيد كان أكثر تركيزاً حينئذ على الوحدة [التحليلية]، أو مستوى «الكلمة»؛ حيث اقترح أربعة «أنماط» (Types) من التوافق

هي: كلمة تكافئ كلمة «تكافؤ تام» (Totale (One-to-one) Äquivalenz)، وكلمة تكافئ أكثر من كلمة «تكافؤ اختياري» (One-to-Many) (Fakultative Äquivalenz)، وكلمة تكافئ جزءاً من كلمة «تكافؤ تقريبي» (Approximative (One-to-a-Part of One) Äquivalenz)، وكلمة ليس لها مكافئ «تكافؤ صفري» (One-to-None) (Null Äquivalenz). وبعد أن يجزّئ المترجم النص إلى أُطُر أو وحدات (Units)، يكون عليه أن يلتقط «المكافئ الأفضل» (Optimal Equivalent) من مجال متنوع من المكافئات أو الخيارات، وحينئذ يسير بناء الوحدات نحو إيجاد كُلٍّ متكامل. وهذه المقاربة ـ باهتمامها بالتفصيل، وتركيزها على أطر مرجعية صغرى ـ لا تبدو بعيدة الشبه عن تلك المقاربة التي ربما يكون قد اقترحها باوند.

ولما كانت اللسانيات «الحديثة» قد صارت أكثر انتشاراً على مستوى العالم؛ فإن مدرسة ليبتسغ تطورت، وتحول تركيزها على المقاربة القائمة على التكافؤ بين كلمة وكلمة إلى نموذج أقرب إلى التحويلية. وفي مقال بعنوان «الثابت والمقاماتية» (Invarianz und Pragmatik) نشر في عام 1973، ناقش أولبرخت نويبيرت (Albrecht Neubert) «المشكلة الرئيسة» (Central Problem) في علم الترجمة. لقد افترض نويبيرت وجود «ثابت» (Invariant) في المقارنة بالنسبة إلى الترجمة، وأن هذا «الثابت» يكون مؤسساً على الأصل، ويسمى «نمط النص» (Text Type)، وقال إن السنن التي تحكم استعمال اللغة تشير إلي أنه في أي موقف اتصالي يمكن أن يتوقع المرء نمطاً نصياً ذا خصائص مميزة، وأن هذا النمط النصي هو ثابت ينتمي إلى اللغة ـ الأصل[45]. وأضاف نويبيرت إلى ما تقدم أن «الثابت» في

(45) Albrecht Neubert, «Invarianz und Pragmatik,» papier presenté à: *Neue* =

النمط النصي ـ وهو الذي تُعيِّن المقاماتيةُ وعلمُ الدلالة محدداتِه ـ يسمح أيضاً بوجود تنوعات للمنتَج المعين، وبذلك تصبح مشكلة الترجمة هي مشكلة إجراء أفضل مقارنة ممكنة[46]. ويبدو هذا الطرح شديد الشبه بالنحو التحويلي، وحين يُسْأل نويبيرت: وكيف يمكن للترجمات أن تكون؟، فإنه يجيب: إنها تصبح ممكنة على وجه الدقة بسبب وحدة المباني الباطنة التي تجمع بينها، وأن عملية التفسير على مستوى البنية الظاهرة في أجزائها النحوية ـ المعجمية ووظيفتها المقاماتية، إنما تستمد من تلك البنية الباطنة الواحدة[47].

وقد أفضت هذه العودة من نويبيرت إلى اللسانيات الحديثة به إلى إنشاء ما أصبح يعرف باسم «الطراز النظري النازل» (Top-Down Model) في الترجمة؛ ففي دراسة له بعنوان: «النسبية المترجِمية» (Translatorische Relativitat) يقول: إن الوحدة الأساسية في الترجمة هي مجمل النص (The Entire Text)، ومنها يُجري المرء تقديراته في اتجاه عكسي ليصل إلى القضية الكلية في النص (The Global Proposition)، ومن ثم تُجزَّأ إلي وحدات دلالية مفردة، تكون أصغر وقابلة للترجمة[48]. هنا نلاحظ تغيراً طفيفاً في

---

= *Beitrage Zu Grundfragen Der Übersetzungswissenschaft Materialien D. II. Internat. Konferenz Grundfragen D. Übersetzungswiss. an D. Sekt. Theoret. U. Angewandte Sprachwiss. D. Karl-Marx-Univ. Leipzig Vom 14.-17. Sept 1970*, Hrsg. Walter Graul [et al.], Beihefte zur Zeitschrift Fremdsprachen; 5-6 (Leipzig: Verlag Enzyklopädie, 1973), p. 16.

(46) المصدر نفسه، ص 19.

(47) المصدر نفسه، ص 20.

(48) Albrecht Neubert: «Translatorische Relativität,» in: Mary Snell-Hornby, ed., *Übersetzungswissenschaft, eine Neuorientierung: Zur Integrierung von Theorie und Praxis*, Uni-Taschenbücher; 1415 (Tübingen: Francke, 1986), p. 101, and *Text and Translation*, Herausgegeben von Gert Jäger und Albrecht Neubert, =

المصطلحية؛ فالنص المتوحد يُفهم الآن على أنه ينطوي على نوع من الخاصية «الفسيفسائية» (Mosaic)، وهي مرونة تتيح له أن يُترجَم إلى ضروب من النصوص المستهدَفة النسبية (Relative Target Texts). ويقدم نويبيرت مصطلح «النسبية المترجِمية» (Translatorial Relativity) في عملية إعادة التركيب، ليدخل في الحساب وجود عملية «إبداعية» عند النقل من النص ـ المصدر، إلى النص المستهدَف. غير أن هذه «النسبية» خادعة، إذ إنها مقطوعة الصلة بفرضيات سابير/ وورف، بل إن الأمر على النقيض، إذ يذهب نويبيرت إلى أن تلك النسبية مستمدة من تعدد الاحتمالات التركيبية الممكنة، وأن هذا التعدد ملازم للأصل وغير منفك عنه[(49)]. هذا الطراز النظري الذي يضع مخططه نويبيرت يذكرنا بطراز آخر لـ «جيمس هولمز» (James Holmes)، بعنوان: «عن المواءمة وصناعة الخرائط» (On Matching and Making Maps) (1973 ـ 1974)، ومضمونه ما يأتي: إن المترجم ما إن يقع اختياره على كلمة بعينها، أي على تركيب بعينه حتى نرى سائر النص يتبع قالباً منسوقاً نسقاً واضحاً، أي شبكة من الوحدات ـ كلمات، وجُملاً، ومقتطفات من النص ـ تقوم ببناء النص بطريقة محتبكة. غير أن اللغة التي يعرض فيها نويبيرت طرازه ـ خلافاً لـ «هولمز» ـ تتنوع ما بين لغة الخطاب اللساني ولغة التصورات الغائمة التي تقع خارج نطاق المعاينة والاختبار (Transcendental Visionary Notions). إن نويبيرت يتحدث ـ من جهة ـ عن المكافئ النصي باعتبار وجود قضية كبرى (Macroproposition) تطابق المحتوى الدلالي للنص ـ المصدر،

---

Übersetzungswissenschaftliche Beiträge; 8 (Leipzig: Verlag Enzyklopädie, 1985), = p. 135.

(49) Neubert, «Translatorische Relativität,» p. 97.

والتي يجري من ثم تجزيئها على نسيج من الكلمات تنتظم في مبان نحوية[50]. لكنّ حجاجه ـ من جهة ثانية ـ يقبل بما هو دون الصبغة العلمية؛ إنه يتصور النص الأصل «جزيرة من الثبات» (Island of Invariance)، ويتحدث عما يمكن وصفه بانبثاقة أو قفزة تأتي من النص ـ الأصل. ويذهب نويبيرت إلى أن «الاحتباك المفهومي الجيد» (True Coherence) (باعتبار تميزه من السبك الصياغي في البنية الظاهرة (Cohesion)) هو بالفعل المعيار بالنسبة إلى قطاعات كبرى من النص، وأن الاختيارات التي تَعنُّ للمترجم هي اختيارات مقررة سلفاً[51].

وبسقوط الجدار الفاصل بين شطري ألمانيا، ونظام الحكم السابق في جمهورية ألمانيا الديمقراطية، انتشر باحثو ليبتسغ على نطاق واسع. وكان من حسن الحظ أن حطّ نويبيرت رحاله في جامعة كنت ستيت (Kent State University)، حيث يعمل عدد من دارسي الترجمة من ذوي التدريب الجيد، ومن بينهم غريغوري شريف (Gregory Shreve) وكارول ماير وآخرون. وقد اشترك نويبيرت وشريف في تأليف كتاب بعنوان: **الترجمة بما هي نص** (*Translation as a Text*) (1992)، حيث ناقشا كثيراً من الأفكار المتعلقة بالطُرز اللسانية ـ النصية (Text-Linguistic)، واللسانية ـ الاجتماعية (Socio-Linguistic)، واللسانية ـ النفسية (Psycho-Linguistic). وقام المؤلفان بتطبيق الدرس المعرفي (Cognitive Research) على عملية الترجمة بالنسبة إلى الطرز اللسانية ـ النصية، دون أن يغضّوا النظر عن طراز «المشكلة والتماس الحل» (Problem-Solving Model). وعلى حين

(50) المصدر نفسه، ص 95.

(51) المصدر نفسه، ص 92، و Neubert, *Text and Translation*, p. 81 ff.

ركز المؤلفان في الجانب الأكبر من كتابهما على المباني النحوية وعملية التوصل إلى «المحتوى الفكري» (Ideational Content)، وإعادة تلك الأفكار في لغة ثانية، نراهما ينظران إلى المترجم على أنه وسيط في عملية اتصال ثنائية اللغة، ويدخلان بعض المفاهيم مثل «إدارة الموقف»[52] (Situation Management) بهذا تكون النظرية موجهة نحو الممارسة (Practice-Oriented) إلى حدّ بعيد، محاولة بذلك السير في اتجاهين: وصف عملية الترجمة، والإبانة عن الكيفية التي يمكن أن يكون بها الدرس الأكاديمي للترجمة عوناً عملياً على تدريب المترجمين.

وهناك مقاربة هي أوثق ما تكون صلة بمدرسة ساربروكن (Saarbrücken School)، ومدرسة ليبتسغ (Leipzig School) كلتيهما، وهي ما أصبح يعرف بالمقاربة الوظيفية (Functional Approach). مارس هذه المقاربة كثير من الدارسين في البلاد الناطقة بالألمانية، من بينهم كاثرينا رايس (Katharina Reiss)، وهانز فيرمير (Hans J. Vermeer)، وماري سنيل ـ هورنبي (Mary Snell-Hornby)، وكريستيان نورد (Christian Nord)، وجوستا هولز ـ مانتاري (Justa Holz-Mänttäri) في كتابهم: **الاحتمالات وحدود نقد الترجمة** (*Möglichkeiten und Grenzen der Übersetzungskritik*) (1971). وتذهب كاثرينا رايس إلى أن ذلك النوع من المقاربة الخطية (Linear Approach) الذي تبنّاه بعض الدارسين مثل أوتو كيد كان عائقاً لا

---

(52) Albrecht Neubert and Gregory M. Shreve, *Translation as Text*, Translation Studies; 1 (Kent, Ohio: Kent State University Press, 1992), pp. 85-86.
قارن مع: Robert De Beaugrande and Wolfgang Ulrich Dressler, *Introduction to Text Linguistics*, Longman Linguistics Library; Title no. 26 (London; New York: Longman, 1981), p. 168.

مساعداً على تطوير «علم تنميط للنص» (Text Typology) بطريقة تناسب إنجاز عملية الترجمة[53]. وتستمد رايس عملها مما شهده فرع المقاماتية في اللسانيات من تطورات، وتقيم الأنماط الخاصة بها على أساس من «وظيفة» اللغة (Function of the Language) في النص. وباستخدام ما أنجزه كارل بوهلر (Karl Bühler) من عمل في كتابه: *Sprachtheorie* (1965)، تقسم رايس اللغة التي هي موضوع البحث إلى وظائفها: وظيفة التمثيل (Representational)، ووظيفة التعبير (Expressive)، ووظيفة الاستمالة (Appellative). وعلى حين تتقبل رايس القول بأنه من النادر أن يمثل نص واحد وظيفة واحدة فقط من بين هذه الوظائف، فإنها تميل إلى القول بأنه ـ حتى في الأشكال المختلطة ـ يكون ثمة وظيفة واحدة هي المهيمنة[54]. وبناء على ذلك، تقوم رايس بتوزيع الأدوار المناسبة على النصوص، فتصنفها على التوالي إلى نصوص تعلي من أهمية المحتوى أو المعلومة (Inhaltsbetonte)، ونصوص تعلي من أهمية شكل اللغة (Formbetonte)، ونصوص تعلي من أهمية استمالة القارئ (Appellbetonte).

ويبلغ عمل رايس ذروة نضجه في الكتاب الذي أنجزته بالاشتراك مع هانز فيرمير، بعنوان: **أساس لنظرية الترجمة العامة** (*Grundlegung einer allgemeinen Translationstheorie*) (1984)، وهو الذي أصبح النص الأساسي للمقاربة الوظيفية في مجال الترجمة. وبتوسيع مفهوم نايدا عن التكافؤ الديناميكي، بحيث تصل حدوده إلى مستويات جديدة من المرونة والقابلية للتكيف، قام الدارسون الوظيفيون ـ وهم أقوى

(53) Katharina Reiss, *Möglichkeiten und Grenzen der Übersetzungskritik* ([München]: M. Hueber, [1971]), p. 28.

(54) المصدر نفسه، ص 32.

الجماعات المنظّرة تأثيراً في ألمانيا والنمسا وأجزاء من فنلندا ـ خلال العقد الماضي بالتكيف الجيد مع السوق العالمية الجديدة. وعلى الرغم من أن معظم الكتَاب ليس متاحاً إلا في الألمانية فحسب، فإن هناك نسخاً مختصرة من كتاب: **أساس لنظرية الترجمة العامة** موجودة بالفنلندية (1985)، وبالإسبانية (1996). وقد ألّف فيرمير مقالة بالإنجليزية يوجز فيها الخطوط العامة لنظريته تحت عنوان: «الغايات والتفويض في فعل الترجمة» (Skopos and Commission in Translational Action) (1989). كما كان خيرَ معين للناطقين بالإنجليزية الملخصُ الذي نشرته كريستيان نورد لهذه النظرية في كتاب: **الترجمة نشاطاً غنائياً: شرح المقاربات الوظيفية** (*Translation as a Purposeful Activity; Functionalist Approaches Explained*) (1997).

لقد كان أهم مظهرين للتحول في التطورات النظرية في نظرية الترجمة على مدى العقدين الأخيرين هما: (1) التحول من النظريات الموجهة إلى النص ـ المصدر (Source-text Oriented Theories) إلى النظريات الموجهة للنص المستهدَف (Target-text oriented Theories). (2) التحول إلى استيعاب العوامل الثقافية بالقدر الذي تحقق للعناصر اللسانية في الطُرز النظرية المستخدمة للتدريب على الترجمة. وقد كان المناصرون للمقاربات الوظيفية رواداً في هذين المجالين. ويفهم المنظرون الوظيفيون الترجمة على أنها فعْلٌ (Action) يقوم به شخص له هدف اتصالي معين، وهو ما أطلقت عليه رايس وفيرمير مصطلح (Text's «Skopos»)[55]. ولأن تحقق

(55) وهي كلمة يونانية بمعنى «القصْد والهدف والوظيفة»، انظر: Katharina Reiss und Hans J. Vermeer, *Grundlegung einer allgemeinen Translationstheorie*, Linguistische Arbeiten; 147 (Tübingen: M. Niemeyer, 1984), p. 96.

الملاءمة في شكل الاتصال هو دائماً ذو علاقة بإنجاز الهدف المقصود، لذلك تكتسب الثقافة المستهدَفة أهمية حاسمة. يقول فيرمير: «إن قاعدة «الغاية» يمكن أن تُقرأ على الوجه الآتي: «تَرْجِمْ أو فسِّرْ أو تَكلّمْ أو اكتبْ، بطريقة تُمكِّن نَصّك أو ما تنجزه مترجماً من القيام بوظيفته في الموقف الذي يستخدم فيه، ومع الراغبين في استخدامه، وتحديداً بالطريقة التي يرغبون بها للنص أن يمارس وظيفته»[56]. وتلخص كريستيان نورد قاعدة «الغاية» بعبارة «الغاية تُبرر الوسيلة»[57] ودون إلحاح على ترجمة واحدة متّصفة بالكمال أو على استراتيجية معينة من أي نوع، يطالب الوظيفيون المترجمين ـ بطريقة نفعية عملية (Pragmatic) ـ بالسعي الدائب من أجل إيجاد أفضل الحلول في إطار الظروف الفعلية القائمة. إن في إمكان المترجمين أن يختاروا جانب الوفاء لروح النص ـ المصدر، أو استراتيجية ترجمة كلمة بكلمة، ويمكنهم أن يزيدوا أو ينقصوا أو يغيّروا المعلومة بقدر ما يرونه مناسباً، اعتماداً على الظروف الثقافية وحاجات الجمهور/ أو المستهلك. والحق أن الوظيفيين ينزعون إلى إضفاء الغموض على الحدود التعريفية لمفهوم الترجمة نفسها. إن فيرمير يتحدث ـ في ما سبق ـ فيقول: «ترجم/ فَسِّر/ تكلم/ اكتبْ» باعتبار أن هذا كله يشكل مفهوماً متصلاً. كذلك نجد جوستا هولز ـ مانتاري، وهي باحثة وظيفية ألمانية تدرِّس في فنلندا، تتجنب استعمال مصطلح «مترجم» تجنباً مطلقاً، وتراه محدوداً للغاية، وأنها في كتابها: **فعل الترجمة: النظرية والأسلوب** (*Translatorisches Handeln; Theorie und*

(56) Vermeer, 1989, p. 20, Quoted in: Christiane Nord, *Translating as a Purposeful Activity: Functionalist Approaches Explained*, Translation Theories Explained; 1 (Manchester, UK: St. Jerome Pub., 1997), p. 29.

(57) Nord, Ibid, p. 29.

(*Methode* (1984)، تستخدم مصطلح «موصِّلو الرسالة» (Botschaftstrager)، وهو المصطلح الذي تحسّ أنه مستوعب لأنواع من أجناس الاتصال ما بين الثقافات، بما في ذلك النصوص المصحوبة بوسائط أخرى؛ كالصور والأصوات والحركات الجسمية.

كان ظهور النظرية الوظيفية في الترجمة علامة على لحظة مهمة في تطور نظرية الترجمة، وذلك بكسرها سلسلة قديمة امتدت إلى ألفي عام لنظرية تدور حول محور ما هو «أمين» في مقابل ما هو «حر». ويمكن للمقاربات الوظيفية أن تتخذ ما شاءت من الهيئات، غير أنها تظل صحيحة بالنسبة إلى النظرية ما دامت المقاربة التي وقع عليها الاختيار ملائمة للغرض المتوخى من الاتصال. ومثال ذلك أن بعض النصوص ـ مثل النصوص التي توصف بها المنتجات ـ تتطلب الوصف كلمة بكلمة. وهناك نصوص أخرى ـ كالنصوص الإعلانية ـ قد ترجح الأخذ بمقاربة أكثر حرية. إن المقاربة الوظيفية تسمح للمترجم بأن يقرر المنهج الذي يمكن أن يكون ذا أداء أفضل في الموقف المتعيّن. وهكذا يتمتع المترجم/العامل في الحقل الثقافي بجواز المشاركة النشطة في إنتاج النص النهائي. إن المقاربة الوظيفية ـ في الحقيقة ـ ترى في المترجم محترفاً في مجال الشؤون العابرة للثقافات، وليس ناقلاً آلياً وهامشياً. والمترجمون في رأي هولز ـ مانتاري هم خبراء في الاتصال ما بين الثقافات، وهم شركاء مسؤولون في أحداث الاتصال. وإذا ما قورن المنظّرون الوظيفيون بغيرهم من المنظّرين الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب، وجدنا أنهم هم الذين بذلوا غاية وسعهم في التمكين للمترجمين، رافعين إياهم إلى مكانة مساوية للمؤلفين والمحررين والعملاء، مانحين إياهم الثقة لاتخاذ القرارات الحكيمة المناسبة التي تحقق مقصود الاتصال العابر للثقافات على أفضل وجه.

والشيء الوحيد الذي ألحّ عليه الوظيفيون ـ في ما يبدو ـ هو وجوب أن يكون النص ـ عند تلقّيه بعد الترجمة ـ طبيعياً، سلساً، محبوكاً. وهو ما أكّد أهميته أيضاً نايدا بمفهومه عن المكافئ الديناميكي. ويعتمد هذا الاحتباك ـ في رأي رايس وفيرمير ـ على تصور المترجم لـ «غايات النص» الذي هو مناط العمل[58]، وقد ثبّتا معاً ما سمّياه «الاحتباك النصي» (Textual Coherence) في ما بين النصوص ـ المصادر، والنصوص المستهدفة. ووَسْم الاختيار بأنه «صائب» أو «خاطئ» هو أمر يُحكَم به وفقاً لاتساقه مع فهم المترجم له بوصفه كُلّاً متوحداً. وهنا يُستدعى المفهوم التقليدي للأمانة ـ وهو المفهوم الذي على أساسه يقوم التحليل. فإذا كان اشتقاق النص المستهدَف من النص ـ المصدر متسقاً مع «الغاية» الأصلية، فإن ذلك يسمى اشتقاقاً أميناً، ويحظى بالقبول بوصفه ترجمة جيدة. ومن ذلك يتبيّن أن معظم عمل رايس قليلاً ما يستهدف النظرية، وكثيراً ما يستهدف تطوير معايير للتقويم يمكن منها الحكم على جودة النص المترجم.

في هذا الموطن توجد واحدة من مشكلات كتاب: **أساس لنظرية الترجمة العامة** الذي هو نتاج تأليف مشترك. إن فيرمير الذي اضطلع بتأليف الشطر الأول منه يتسم باتجاه أوضح إلى ما هو استشرافي ونظري، على حين تبدو رايس، مؤلفة الشطر الثاني أكثر اهتماماً بالمُنْتَج والتقويم. كذلك يبدو أن لدى كل منهما مفاهيم شديدة الاختلاف في تعريف المصطلح ـ المفتاحي نفسه، وهو مصطلح «الغاية» الذي اختلط أمر تتبعه على الباحثين. إن فيرمير يبلغ حداً يرى فيه أن العنصر الأساسي في تشكيل المقاصد ينبغي أن

(58) Reiss und Vermeer, *Grundlegung einer allgemeinen Translationstheorie*, p. 114.

يوجد دائماً في الثقافة «المستقبِلة» («Receiving» Culture). أما في تقويم رايس، فيبدو أن المكوّنات معتمدة على تعيين أنماط النص ـ المصدر (Source-Text Typologies) بما في ذلك عامل الجذب في النص وهدفه، وعلى إعادة تركيب تلك العناصر في الثقافة المستقبِلة. وتتحدث رايس في الشطر الثاني الخاص بها من الكتاب عن النص المترجم الذي يخدم عين الوظيفة الاتصالية أو الوظائف التي يخدمها النص ـ المصدر، وهكذا يُحافَظُ على «ثبات الوظيفة بين النص ـ المصدر، والنص المستهدف»[59]. ومع ذلك، تبقى عالقةً تلك القضايا التي تتعلق بالنظرية التي تؤكد المطالبة بأحد الأمرين أو كليهما، وهما: الثبات التاريخي والثقافي، والتي تشير إلى الوظيفة الاتصالية الواحدة مجتمعتين أو منفردتين في كلا النصين: النص ـ الأصل، والنص المستهدَف[60]. وينضاف إلى ذلك أن المُنَظِّرين من أمثال فينوتي ممن يفضلون استدماج الوسائط التي تدخل الاضطراب على سلاسة النص واحتباكه المفهومي ينأون بأنفسهم عن المقاربة الوظيفية.

ويبدو أن «نورد» نفسها لا تستشعر كثيراً من القلق من عدم الاتساق في ما يتعلق بمصدر «الغاية» في النص المترجم؛ فهي تقول في فصل بعنوان «نقد» (Criticism)، في كتابها: **الترجمة نشاطاً غنائياً: شرح المقاربات الوظيفية**:

«إذا كنت على صواب في فهمي لـ «فيرمير»، فإن رأيه هو أن «الغاية» (الذي هو مفهوم سكوني (Static)) قائم على وجه اليقين في الثقافة المستهدفة، وهو يحدّد الموقف الذي سيكون فيه استقبال

(59) المصدر نفسه، ص 140، مذكور في: Nord, Ibid, p. 36.

(60) انظر الفصلين الرابع والخامس من هذا الكتاب.

النص. أما الغرض (Purpose) (وهو مفهوم متحرك [ديناميكي]) فإن له ـ من الوجهة الأخرى ـ أصلاً في الموقف ـ المصدر. إنه «المحرك» (Drive) الذي يوجه الشيء لكي ينتقل في اتجاه الهدف. وفي معظم الأحوال لا يكون لهذا الفارق الدقيق أهمية جوهرية، وهو ما يمكن أن يفسر استعمال فيرمير للمصطلحين على جهة الترادف»[61].

ولمثل هذا البيان دلالته على الطبيعة المقاماتية للوضع النظري الوظيفي، فليس ثمة استشعار لكثير من القلق من جرّاء التعارضات، وغالباً ما تكون تعارضات لغوية. إن فيرمير لا يقف عند معاملة مصطلح «Skopos» (غاية) (Goal) ومصطلح «Zweck» (غرض) (Purpose) على أنهما مترادفان، بل يتجاوز ذلك إلى الخلط بين مصطلحات من مثل: «Ziel» (هدف) (Aim) و«Funktion» (وظيفة) (Function)، و«Absicht» (قصد) (Intention) بطريقة تقوم على تعالق التداخل، وقد زادت أمور هذه المصطلحات جميعها تعقيداً بترجمتها لمن لا يستعملون اللغة الألمانية.

وأياً ما كان الأمر، فإن المكونات «المقاماتية» التي جرى دمجها على يد المناصرين للمقاربة الوظيفية كانت إضافة مرحَّباً بها في الدراسات الترجمية؛ فعلى حين دعا كثير من المنظرين طويلاً إلى دمج العوامل غير الحافّة (اللسانية) (Extra-Linguistic Factors) في المعادلات الخاصة بالترجمة، فإن قلة منهم هم الذين عثروا على الطُرز النظرية المناسبة لهذه المهمة، ولكن الوظيفيين يضيفون العوامل الثقافية على نحو يتميز بالسهولة والجودة. ويمكن للبعض أن تبدو إضافتهم واضحة؛ فالعميل الذي يُؤجِّر مترجماً له غاياته

(61) Nord, Ibid, p. 115.

المحددة التي هي في حاجة لأن توضع موضع الاعتبار، والجمهور المستقبِل له توقعاته المعينة التي هي في حاجة لأن يتوجه إليها النص بالخطاب. إن الترجمة شكل من أشكال الفعل، وهي تفاعل اتصالي. وربما كان أوفر الإضافات إلى الطراز نصيباً من الابتكار هو ما يسمّيه الوظيفيون «المبادر» (The Initiator) لعملية الترجمة، وهو قد يكون شخصاً أو جماعة أو مؤسسة، وقد يكون له غايات أو أهداف تختلف اختلافاً كبيراً عن مؤلف النص ـ المصدر، ومستقبِل النص المستهدَف، والمترجم. والمبادر مسؤول إلى أبعد حد عن تعيين المترجم، ومسؤول غالباً عمّا يدفع له من مقابل مادي. ويُضمِّن الوظيفيون أي طراز من طرزهم النظرية تقريباً ما صار يعرف باسم «مذكرة الترجمة»[62] (Übersetzungsauftrag) («Translation Brief»)، وتسمى أيضاً بأسماء متنوعة تختلف باختلاف المنظّرين: «تكليف» (Assignment)، «تفويض» (Commission)، «تعليمات» (Instructions)، وتحديدها أمر موكول للعميل إلى حد بعيد. وتمدّ هذه المذكرة المترجم بأكبر قدر ممكن من التفاصيل المتعلقة بالغرض، والمخاطَب، والزمان، والمكان، والمناسبة، والوسيلة مما ينبغي للترجمة أن تتبَعه. وهكذا، فإن المبادرة تتحكم غالباً في غايات الترجمة وليس في غايات المؤلف أو المستقبِل أو المترجِم. والحق أن هذا المفهوم وثيق الشبه بمفهوم «الراعي المتحكم» (Patronage) عند أندريه لوفيفر[63] (André Lefevere).

وإذاً، فإن مفهوم «الغاية» ليس ماثلاً في النص ـ المصدر أو النص المستهدَف لثقافة ما، ولكنه ـ على الأحرى ـ موضوع مناقشة بين العميل والمترجم، مع الإحالة ـ في المناقشة ـ إلى النص ـ

(62) المصدر نفسه، ص 30.

(63) انظر الفصل الخامس من هذا الكتاب.

المصدر والجمهور المستقبِل جميعاً، بل إنه حين لا يكون ثمة وجود لمذكرة ترجمة معبّر عنها تعبيراً رسمياً، فلا بد من وجود مذكرة غير منطوقة سيكون المترجمون المحترفون قادرين على استنتاجها من خلال تجربتهم. ولعلّه مما ينبغي ألاّ يكون مثار دهشة ما قد تمتعت به النظرية الوظيفية من نجاح طوال العقد الماضي، فهي تُقدم عوناً جيداً، ولا سيّما في ترجمة النصوص الخاصة بالأعمال الاقتصادية، مثل نصوص الإعلانات والنشرات الفنيّة (Brochures)، وتوصيف المنتجات، وشؤون التسويق. كذلك تقدم هذه النظرية عوناً جيداً في مجال السياسة. ويحب المؤيدون حالياً لها أن يبيّنوا الكيفية التي يكون بها مثل هذا الشكل من أشكال الترجمة متمماً للتشكيل الثقافي، فتستشهد نورد بالموقف في جنوب أفريقيا، حيث قامت الترجمة بدور نشط في صناعة الأمة الأفريقية الجديدة. إن الترجمة لم تقتصر على قيامها بالدور الفاعل في الحملة الناجحة للمؤتمر القومي الأفريقي ((African National Congress (ANC)) في الانتخابات الديمقراطية الأولى، حيث ترجمت جميع مواد حملتهم إلى تسع لغات أفريقية، بل تجاوزت ذلك إلى القيام بدور في العمل الإداري للحكومة الجديدة، في عدد من المجالات: كالمال، والقانون، والتأمين، والصحة، والتعليم، والخدمة الاجتماعية. وتستشهد نورد بالباحثين: أ. ك. ووكر (A. K. Walker)، وآليت كروجر Alet (Kruger)، وآي. سي. آندروز (I. C. Andrews)، إذ يقولون في دراسة لهم بعنوان: الترجمة بوصفها تحويلاً: عملية تكيف لغوي وثقافي (Translation as Transformation: A Process of Linguistic and Cultural Adaptation):

> «لكي نُعلِّم المترجمين الذين نعدهم للمستقبل كيف ينتجون ترجمات تحظى بالقبول، نحن في حاجة إلى أن نكون قادرين على الاستعانة بإطار عمل من نمط خاص، لا يعتمد على

تعريفات صارمة للأمانة (Faithfulness) [ولكنه خلافاً لذلك] يكون على درجة كافية من المرونة، تتيح استخدامه في أي مهمة من مهمات الترجمة يمكن أن تعرض للمترجم، سواء أكانت ترجمة تقليدية أو إعادة صياغة»[64].

وبناء على الانتفاع بمثل هذه المقاربة في عالم الاقتصاد والسياسة يبدو مستقبل المقاربة الوظيفية مضموناً. وقد أدت هذه المقاربة إلى قيام برامج تدريبية موسعة، حتى يكتسب المترجمون الأدوات الثقافية والحاسوبية التي تتيح لهم ممارسة هذا الشكل من أشكال فعل الاتصال عبر الثقافات. غير أن المقاربة الوظيفية ربما تظلّ مثار قلق بالنسبة إلى من يزعجهم تفشّي بعض القيم المعاصرة الموحَّدة، وقبولها غالباً دون إخضاعها للنقد. وكما كان لدى نايدا دوافع تبشيرية تقف وراء مفهومه عن «المكافئ الديناميكي»، ووراء تصوره الخاص به عن «علم» الترجمة، فكذلك يبدو أيضاً أن للمقاربة الوظيفية رسالة ترويجية للمبيعات تقف وراء مفهومها عن «المكافئ الوظيفي». إن المسكوت عنه وراء المقاربة الوظيفية هو أوثق ارتباطاً بالمصالح الاقتصادية للمؤسسات ذات النفوذ القوي على المستوى الاجتماعي والتجاري. وربّما يستمتع المترجمون الممارسون لتلك المقاربة بنفوذ أكبر، وبأجر متزايد، ولكنهم مع ذلك سيجدون أنفسهم وقد ضحّوا باستقلالهم، وصاروا على الهامش بالنسبة إلى المبادرين، ومؤلفي مذكرات الترجمة، والوسطاء عند تحديد الغاية من النص.

---

(64) A. K. Walker, A. Kruger and I. C. Andrews, «Translation as Transformation: A Process of Linguistic and Cultural Adaptation,» *South African Journal of Linguistics* (Bloemfontein, South Africa), Supplement 26 (1995), p. 106, Quoted in: Nord, Ibid, pp. 136-137.

والطرز النظرية الوظيفية هي موضوع للمراجعة المستمرة والتحسين من جهة ما تحققه اللسانيات والعلوم الأخرى من تقدم. وترى ماري سنيل ـ هورنبي ـ مؤلفة كتاب: **الدراسات الترجمية: مقاربة تكاملية** (*Translation Studies: An Intergrated Approach*) (1988) ـ أن مقاربة «تنميط النص» (Text-Typology) التي طرحتها رايس ممعنة في الصرامة والمعيارية، وتقترح بديلاً لها مقاربة أكثر مرونة تطلق عليه مصطلح «التنميط البدئي» (Prototypology). وتقدم سنيل ـ هورنبي طرازاً نظرياً طبقياً (Stratified) شديد التعقيد، ينطوي على مستويات رأسية وأفقية متراكبة، يمضي تنازلياً من مستوى عام (مستوى أكبر) (Macrolevel) إلى مستويات أكثر تعيّناً (مستويات صغرى)[65] (Microlevels). وتقيم سنيل ـ هورنبي دعاواها، مستدعية ما استشهد به فيلس من أقوال لينيبرغ وتشومسكي ـ على ما يمكن أن يسمى «قاعدة رورش/ برلين» (Rorsch/ Berlin Foundation). أما نظرية رورش ـ وهي النظرية التي مارست تأثيرها على الدراسات الدلالية في أمريكا الشمالية ـ فتقوم أساساً على «تفنيد» النظريات الكلاسيكية في التصنيف، وقد تمخضت عن نظرية في «التصنيف الطبيعي» (Categorization)، في شكل «أنماط بدئية» (Prototypes)، وهو نسق شبه جشطالتي (Gestalt-like system)، ينطوي على «لب صلب» (Hard Core) مع «أطراف باهتة الملامح»[66] (Blurred Edges).

وعلى حين أن هناك باحثين قد تعترضهم بعض المشكلات إزاء

---

(65) Mary Snell-Hornby, *Translation Studies: An Integrated Approach* (Amsterdam; Philadelphia: J. Benjamins Pub. Co., 1988).

(66) Eleanor H. Rosch, «Natural Categories,» *Cognitive Psychology* (San Diego), vol. 4, no. 3 (May 1973),

مذكور في: المصدر نفسه، ص 27.

ما تقوم به سنيل ـ هورنبي من طمس لمفاهيم جوهرية معينة، فإن مقاربتها التي تتسم بقدر وافر من المرونة تتيح لها أن تهتم بالمشكلات التي كثيراً ما تتخطى حدود نطاق الطُرز التقليدية المستخدمة في تحليل الترجمات، ومن أمثلة ذلك أن الاستعارات والتوريات والتلاعب بالألفاظ كثيراً ما تتحدى «القواعد» (Rules) التي يعتمدها الوصف اللساني القارّ، والطُرز النظرية التحويلية. إن الاستعارات يشار إليها غالباً على أنها «لغة معدولة» (Deviant Language)، وذلك بسبب عدم التزامها بالقواعد الخاصة بقيود الاختيار. ويتيح طراز سنيل ـ هورنبي للباحث أن يحلل الجانب الإبداعي في الترجمة، وما لا نهاية له من أنواع العلاقات المغرية بالملاحقة، تلك التي تتخذ لها مكاناً ما بين القاعدة والمعيار، والتحقق على تفاوت حظها من التفرد[67] (More or Less Idiosyncratic Realization). كذلك يتيح لها طرازها أن تراعي العوامل الحافة (غير اللسانية)، والعوامل الثقافية التي ما كان للدرس التقليدي أن يستوعبها؛ ذلك لأن هذه العوامل شديدة التعقيد والتنوع بالنسبة إلى طرزها النظرية. إن أهمية التفاصيل المفردة ـ أي الوحدات التي تتشكل من الكلمات والعبارات والجمل والفقرات والنصوص ـ إنما تتحدد اعتماداً على صلتها بالسياق الأكبر؛ سياق الموقف الاتصالي والثقافة. والحق أن سنيل ـ هورنبي هي واحدة من رواد «المنعطف الثقافي» (Cultural Turn) في الدراسات الترجمية، حيث تذهب في دراسة لها بعنوان: «إعادة تشفير لساني أم تحويل ثقافي؟ دراسة نقدية لنظرية الترجمة في ألمانيا»[68] (Linguistic Transcoding

---

(67) Snell-Hornby, Ibid., p. 51.

(68) Mary Snell - Hornby, «Linguistic Transcoding or Cultural Transfer? A Critique of Translation Theory in Germany,» in: Susan Bassnett and André Lefevere, eds., *Translation, History, and Culture* (London; New York: Pinter Publishers, 1990).

or Cultural Transfer? A Critique of Translation Theory in Germany) إلى أن دارسي الترجمة يتخلون عن موقفهم ذي القناع العلمي (Scientistic Attitude)، ويتقدمون بخطواتهم إلى الأمام، من النص بوصفه وحدة ترجمة (Translation Unit) وصولاً إلى «الثقافة».

ومن غريب المفارقات أن المشكلة التي تواجهنا مع «علوم» الترجمة هذه جميعاً، ومع الطُرز النظرية الوظيفية أنها موجهة في المقام الأول إلى تدريس المترجمين أو تقويم الترجمات، ومن ثم ما كان لهذه الطرز النظرية أن تتحرر من إسار طبيعتها التقنينية. كذلك تنزع هذه «العلوم» والطرز النظرية إلى الاعتماد بقوة على ثنائيات ممعنة في التقليدية، وهي الثنائيات التي يذهب شتينر إلى أنها قد نُسخَت بالمقاربات البنيوية الحديثة في دراسة اللغة. وإذا كان من الممكن تقصي أثر الاتجاهات اللسانيات الحديثة حتى نصل بها إلى تشومسكي، فإننا سنكون أساساً في صحبة نظرية ديكارتية، على الرغم من التنقيحات التي أدخلت عليها لكي تتقبل العناصر الدلالية والمقاماتية. وبعبارة أخرى أقول: إن «علوم» الترجمة الراهنة، وبرامج التدريب الوظيفية لا تزال إلى حد بعيد قائمة على أساس مفاهيم لها جذورها في الدين والمثالية الألمانية، والأنماط الأصلية (Archetypes)، واللغة الجامعة (Universal Language)، ثم إن لها جذورها ـ مؤخراً ـ في القوى الاقتصادية. إن المقاربة التي تعتمد ثنائية البنية الباطنة/ البنية الظاهرة يبدو أنها تفترض دائماً وجود ثابت افتراضي من نوع ما (Hypothetical Invariant)، سواء كان هذا الثابت قائماً في النحو أو الدلالة أو الوظيفة، وهو عندها ثابت متسق ومتوحد، ويُنْظر إلى المترجمين الأكفاء والنّقاد المتمكنين على أنهم يملكون القدرة على النفاذ إليه. وعلى الرغم مما حققته هذه

المقاربات من تجاوز للجدل حول ثنائية الترجمة الأمينة والترجمة الحرة، فإنها لا تزال تنزع في بعض المواطن بطبيعتها إلى الاتجاه نحو المصدر، ثم تخلع على هذا الأصل ضرباً من التركيب أو المعلومات يمكن به ـ تبعاً لذلك ـ أن يعاد تشفيره في اللغة الأخرى التي ينبغي على المترجم أن يظل أميناً عليها. وتذهب هذه المقاربات بعيداً في مفارقتها للعلمية، حتى إنها تنزع إلى اعتناق تصور للترجمة يتسم بالتجاوز والمثالية الحالمة (Utopian). إنها تقوم أساساً بفحص ما هو موجود في فراغ لا يمكن التحقق منه؛ أعني أنها تفحص الصندوق الأسود في عقل الإنسان، ثم تصوغ بيانات ضافية لا تتناول القدرة على الترجمة فحسب، بل تتناول أيضاً الكيفية التي ينبغي أن تحصل بها تلك العملية. هذا ـ على وجه التحديد ـ هو ما حذّر منه تشومسكي، غير أن هذا أيضاً هو الذي كان.

ومن بين الجماعات التي هي في شك من مثل هذه المقاربات المعيارية والتقنينية جماعةٌ من الباحثين تأسست ابتداءً في بلجيكا وهولندا. لم تقنع هذه الجماعة حتى الآن بالمصطلحية والمخططات المعقدة التي تنطوي عليها اللسانيات الحديثة، ولا بالتعريفات المرسلة لمفهوم التكافؤ الديناميكي أو الوظيفة الديناميكية. لقد قرر المنتمون إليها ـ بدلاً من الاستغراق في تأمل العمليات الذهنية، والتراكيب الفطرية ـ أن يفحصوا «الواقع» (Reality)، أعني أن يفحصوا النصوص الواقعية في الثقافة المستهدفة، وهي التي تسمى ترجمات على لسان جماعات ثقافية خاصة، وأن ينطلق تحليلهم من هذه البداية. كان هدفهم ـ ولا يزال ـ على مدى العقود الثلاثة الماضية هو أن يؤسسوا صيغة أقل اتصافاً بالتقنينية لدراسة الترجمة، وهم ـ من الوجهة النظرية ـ يغيّرون محور تركيز الدراسة، من الترجمات الافتراضية المثالية إلى النصوص الفعلية التي تمارس

وظيفتها بما هي ترجمات في أي مجتمع متعيّن، مهما كانت هذه النصوص غير منضبطة. وعلى الرغم من أن الدراسات الترجمية ونظرية النسق المتعدد قد نشأ كل منهما على حدة في بقعتين مختلفتين من العالم، فإن الاتجاهين قد صارا إلى ارتباط وثيق من الصعب أن تفصم عراه. وهكذا سيقوم الفصلان الآتيان بتتبع تطور الدراسات الترجمية منذ سنوات تشكيلها الباكرة في الفصل الرابع، وصولاً إلى توحّدها بنظرية النسق المتعدد في الفصل الخامس.

# الفصل الرابع

## بواكير الدراسات الترجمية

كان ثمة أسلوبان يهيمنان على البحث في حقل الترجمة خلال السبعينات من القرن العشرين: **أولهما** أسلوب البحوث التي تركز تركيزاً أساسياً على الشواغل الأدبية، نابذة الفرضيات النظرية المسبقة، والقواعد المعيارية، والرطانة اللسانية. و**ثانيهما** أسلوب البحوث التي تركز على المسائل اللسانية، مطالبة بمقاربة «علمية»، ونابذة الحلولَ المجافية للمنطق، والتخمينَ الذاتي. وقد عمد الجانبان إلى العكوف على عدد محدود من أنواع النصوص لعرض منهجياتهما بطريقة تظهر أفضل مزاياها، ناظرين إلى كل عمل للآخر وإلى إنجازاته بعين الشك. وهكذا قام المترجمون الأدباء بإقصاء أي تحليل لساني علمي، كما قام اللسانيون بإقصاء التحليل الأدبي غير العلمي. وكان أن تدخل في هذا الموقف الذي يتصف بالمواجهة حفنة من شباب الباحثين معظمهم من هولندا وبلجيكا. ففي دراسة بعنوان: «الدراسات الترجمية: اسمها وطبيعتها» (The Name and Nature of Translation Studies) لـ «جيمس هولمز»، نجد المؤلف وقد نأى بنفسه عن «نظريات» الترجمة التي لا تعكس في الغالب إلا موقف

الكاتب والمقاربة التي يتبناها، وعن «علوم» الترجمة التي ربما تكون غير ملائمة لفحص نصوص الأدب، وقام بسكِّ مصطلح «الدراسات الترجمية» (Translation Studies) ليكون عَلَماً على مقاربة جديدة غير ذات انتماء إلى أي منهما[1].

بعد ذلك بسنوات قليلة قدّم أندريه لوفيفر مُختَصَراً للمشكلة النظرية، ففي دراسة له بعنوان «الترجمة: محور نمو المعرفة الأدبية» (Translation: The Focus of the Growth of Literary Knowledge) ذهب لوفيفر إلى أن الخصومة بين الحزبين المتعارضين ـ وقد سماهما حزب التأويليين (Hermeneutic)، وحزب الوضعيين المحدثين (Neopositivistic) ـ قامت على أساس من «سوء الفهم المتصلب المتبادل»[2]. وادعى لوفيفر أن المقاربة التأويلية للترجمة استخدمها في الأساس آحاد من المفكرين كانوا يحاولون أن يتوصلوا دون استعانة بغيرهم إلى أفكار وحقائق صادقة صدقاً كلياً، وإلى أشكال نحوية نزعت إلى الصبغة غير العلمية. وقد أقاموا نسق الأفكار لديهم على فرضيات معرفية تجاوزها التاريخ بثلاثة قرون، ويظهر في السنوات القريبة الأخيرة من مكتشفات التخصصات الأخرى ما يعارضها[3]. أما الوضعية المنطقية (Logical Positivism) ـ وهي

(1) James S. Holmes, *The Name and Nature of Translation Studies (APPTS, Amsterdam Publications and Prepublications in Translation Series)* (Amsterdam: Translation Studies Section, Department of General Literary Studies, University of Amsterdam, [1972; 1975]), p. 8.

(2) André Lefevere, «Translation: The Focus of the Growth of Literary knowledge,» Paper Presented at: *Literature and Translation: New Perspectives in Literary Studies: With a Basic Bibliography of Books on Translation Studies*, Edited by James S. Holmes, José Lambert and Raymond van den Broeck (Leuven: Acco, 1978), p. 8.

(3) المصدر نفسه، ص 9.

الاستراتيجية المهيمنة التي استخدمها الباحثون البنيويون في مجال الترجمة، وعلماء نحو النص، والسيميائيون ـ فقد اختزلت دراسة الأدب في أنه لغة مُعَدَّة لتكون موضوعاً للعلم الفيزيائي، وأسست الحقائق على مادة صلبة، وقواعد يحكمها التوافق (Correspondence) Rules، وافترضت وجود مُثُل العلم التي كانت أَحَدية[*] (Monistic) واختزالية (Reductionistic)، ومادية[4] (Physicalistic). كذلك ذهب لوفيفر إلى أن نظريات الترجمة التي تقوم على مثل هذه المقاربات لا تعزز نمو المعرفة الأدبية، ولكن لها بطبيعة نزوعها مصالح ثابتة، أيديولوجية بقدر ما هي متوحدة. وقد وقفت هذه المصالح عائقاً دون إنجاز توصيف لنظرية في الترجمة تتصف بالكفاءة. ويصور لوفيفر المشاعر التي ميزت التدخل الهولندي/ البلجيكي في هذا المجال، فقال:

«هنا تكمن الفضيحة الكبيرة للأدب بوجه عام، ولما وراء الأدب [الترجمة والتفسير] بوجه خاص. إن أولئك الذين يزعمون أن لهم اهتماماً مهنياً بالمعرفة الأدبية، بدلاً من أن يفضحوا ويدمروا الأيديولوجيات التي تُفْسد وتستعبد، نراهم مشغولين بصياغة أيديولوجياتهم الخاصة في إطار تقليدي آمن، وهم يحسبون أرباحهم»[5].

كان الباحثون في البلاد المنخفضة (Low Countries) على اهتمام باللسانيات (العلمية)، وبالترجمة الأدبية (غير العلمية) في آن، ولم يتبيّنوا سبباً لحاجة كل منهما إلى إقصاء الآخر على سبيل

---

(*) أي لا تقبل مبدأ التجزِئة (المترجم).

(4) المصدر نفسه، ص 12-13.

(5) المصدر نفسه، ص 22.

الاستبدال. ولكي يتخلص لوفيفر من المفاهيم الجامدة المتصفة بالمثالية، والتي تشكل خاصية مميزة للمقاربات السابقة في معالجتها للترجمة، اقترح أن تغيّر الدراسات الترجمية تركيزها على ما هو نظري في البحث، وأن تؤسس بحثها على «مفهوم تطوري مجاوز للعلم» (Metascience)، لا على أساس المفهوم المنطقي الوضعي، ولا المفهوم التأويلي [الهيرمنيوطيقي][6].

إن الأمم الصغيرة التي تتألف من أعداد قليلة من البشر يتكلمون لغات ثانوية «محدودة الانتشار والتأثير» (Minor Language) أخذ أهلها في الاعتماد على الترجمة من أجل تسيير أمور معاشهم التجارية والسياسية والثقافية، ومن ثم لا ندهش حين نرى الباحثين من مثل هذه البلاد لا يعرفون الكثير عن الترجمة فحسب، بل ربما يهيئون أنفسهم أيضاً ـ وعن طيب خاطر- لمواجهة مواقف الصدام. وإذا وضعنا في اعتبارنا الموقع الجغرافي لهذه البلاد في مفترق الطرق بالنسبة إلى الحياة الثقافية الأوروبية، لم يكن من العجيب أيضاً لفكرة جديدة، أو لرؤية جديدة على الأقل ـ تدور حول ما يواجه نظرية الترجمة من مشكلات ـ أن تجد غذاء لها بين الشباب والناشئة. وربما تكون الترجمة مجالاً بحثياً هامشياً في بلاد تتمتع بكثافة سكانية كبيرة ذات لغة واحدة. أما في بلجيكا وهولندا، فإن حقل الترجمة ربما يُوَحِّد بين النظريات المتنوعة للترجمة، أو يكون وسيطاً بينها على الأقل. وبعيداً عن الاستثمار الأيديولوجي الذي طَبَع بطابعه تاريخ نظرية الترجمة في كل مكان، ظهرت في البلاد المنخفضة مقاربة من نوع جديد.

بدأت الدراسات الترجمية بدعوة إلى تعليق مؤقت للمحاولات الساعية إلى وضع تعريف لنظرية الترجمة، لتبدأ أولاً محاولة لمعرفة

---

(6) المصدر نفسه، ص 7.

المزيد عن إجراءات الترجمة. وبدلاً من الانصراف إلى حل المعضلة الفلسفية عن طبيعة المعنى، يتحول الباحثون في الدراسات الترجمية إلى الاهتمام بالكيفية التي ينتقل بها المعنى. وكانت أوضح الخصائص تمييزاً للحقل الجديد هي إصراره على الانفتاح على المقاربات التخصصية المتكاملة (Inter-Disciplinary Approaches)، إذ جمعت هذه الدراسات بين الباحثين في العمل الأدبي والمناطقة، وبين اللسانيين والفلاسفة، وبذلك تراجعت أهمية الحدود الفاصلة بين الثنائيات المتعارضة من مثل: الخطأ والصواب، والشكلي والديناميكي، والحَرْفي والحر، والفن والعلم، والنظرية والممارسة، وما عاد يُنظر إلى الترجمة على أنها إما حقل أدبي (Literary)، وإما حقل غير أدبي (Non-Literary)، ولكن الترجمة هي هذان كلاهما، ووضعت أسئلة جديدة في ما يتعلق بموضوع الفحص، وطبيعة عملية الترجمة، وكيف تكون الوساطة، وكيف تؤثر العملية على ما هو أصل (Original Work) (أعيد تعريفه بأنه النص ـ المصدر -Source) (Text، وعلى ما هو مستقبِل (أعيد تعريفه على أنه النص المستهدَف (Target-Text))، بل إن التمييز بين الكاتب الأصلي Original) (Writer والمترجم استُدْعِيَ ليكون موضوعاً للبحث، ولم يكن موضوع الدراسة هو لب «المعنى» الغائب، ولا «المبنى اللغوي» الباطن، ولكنه النص المترجم نفسه.

ولم تكن مثل هذه المقاربة خلواً من النظرية، وكان من بين أهداف هذه المرحلة المبكرة من الدراسات الترجمية صياغة نظرية عن الترجمة. غير أن هذا الحقل الجديد تميز في بداية الأمر بتردده في إقحام فرضيات مسبقة، وبفحصه الدقيق لكل الفرضيات في مقابل التوصيفات المنجزة للترجمات الفعلية، والدراسات التاريخية للحالات. ويلخص لنا أندريه لوفيفر من جديد الغايات

النظرية للحقل تلخيصاً دقيقاً، فيقول:

«الغاية من هذا الاختصاص إنتاج نظرية شاملة يمكن استخدامها مرشداً لإنتاج الترجمات. ويكون تحصيل النظرية بتطورها تطوراً مصاحباً لمسار حجَاجي لا يستلهم الوضعية الجديدة ولا التأويلية. وتتحقق النظرية عن طريق إحكامها قياساً إلى خلفية من تواريخ الحالات، وباختبارها الدائم بالقياس إلى هذه الخلفية. وإذن لن تكون النظرية جامدة، ولكنها تتطور وفقاً للإجماع النشط من باحثين أكفاء يؤلفون منتدى للمنافسة. ولا يبعد أن نتصور أن في إمكان النظرية المُحْكَمة بهذه الطريقة المساعدةُ على صياغة نظرية أدبية أو لسانية، تماماً كما أنه لا يبعد أن نتصور إمكانية حدوث تطور في الثقافة المستقبِلة ناشئ عن الترجمات التي تصاغ وفقاً للتعليمات الإرشادية الوقتية عندما تُفْرضُ على النظرية»[7].

لقد قام لوفيفر وزملاؤه الهولنديون/ الفلمنكيون بتشغيل نظام الفكر في الاتجاه المعاكس، فبدلاً من اعتماد نظريات قائمة سلفاً عن الأدب واللسانيات، وتطبيقها على الترجمة، آثروا أن يفحصوا الحقل أول الأمر بما يختص بالترجمة، ثم يطبقوا تلك المعرفة على النظرية الأدبية أو اللسانية. ونتيجة لذلك حاول الباحثون في الدراسات الترجمية أن يتجنبوا القواعد الإرشادية الثابتة وغير القابلة للتغيير والمفروضة سلفاً، وأن يظل الحقل مفتوحاً بصفة دائمة للتقويم الذاتي والتطوير. وقد اعترفت هذه المقاربة المتنوعة بأن الموضوع الذي يجري فحصه ليس شيئاً ثابتاً قائماً في عالم الواقع حتى يمكن فحصه

---

(7) André Lefevere, «Translation Studies: The Goal of the Discipline,» Paper Presented at: *Literature and Translation: New Perspectives in Literary Studies: With a Basic Bibliography of Books on Translation Studies*, p. 234.

فحصاً علمياً، كما أنه ليس من موضوعات الحقائق العليا (Transcendental) التي لا تخضع في إدراكها للنظر العقلي التجريبي حتى يمكن الكشف عنه بطريقة روحية باطنية. إن الأمر على العكس، فموضوعات الدراسة هي الترجمات نفسها، التي هي بحكم ماهيتها وساطات بين أطراف (Mediations)، وهي خاضعة للمعالجة النظرية، وللمعايير الفنية السائدة في آن، كما رآها لوفيفر، وفي إمكانها أن تؤثر بطريقة تبادلية على هذه المعايير نفسها التي هي حاكمة عليها. ومن غايات هذا الفصل أن أبين كيف زحزحت الدراسات الترجمية المشكل المعرفي في ما يتعلق بما تمثله الترجمة، وذلك بالنظر إلى النص على أنه مُنْتَج ومنتِج معاً، وأن دوره في الوساطة هو أكثر من مجرد نقل آني (Synchronic) للمعنى عبر الثقافات. إنه يقوم بالوساطة على المستوى الزماني التعاقبي (Diachronically)، كذلك، في إطار تقاليد تاريخية متراكبة.

ومن غريب المفارقات أن عملية تجاهل وجود نظرية أدبية قائمة، وتركيز الدراسة على وضعية نصوص تاريخية مهمشة، قد كشف بالفعل عن أمر لا يقتصر اتصاله بالنظرية الأدبية على طريق التماسِّ معها فقط، ولكنه ذو علاقة أساسية بها. واستطاع الباحثون الفلمنكيون والهولنديون بتدخلهم هذا ـ عن طريق ما طرحوه من أسئلة جديدة وتغييرهم محور الدرس ـ أن يثيروا مشكلات متراكبة في وجه النظرية الأدبية، ومن ذلك أهمية التطبيقات في نطاق النظرية، والاعتماد الثقافي المتبادل بين الأنساق الأدبية، وطبيعة التداخل النصي التي لا تمتاز بها الترجمة فحسب، بل هو طبيعة ملازمة للنصوص جميعها. إن نشاط الترجمة قد يكون هامشياً، ولكن المشكلات النظرية التي يثيرها الممارسون للترجمة هي مشكلات حاسمة بالنسبة إلى أي نظرية أدبية متكاملة.

ولم يتحقق إرساء قواعد حقل جديد في مجال التحليل الأدبي

بين عشية وضحاها، ذلك أن بواكير الدراسات الترجمية ـ كما سأدلل على ذلك في ما بعد ـ يمكن التماس جذورها في الشكلانية الروسية (Russian Formalism). كما أن أسلاف الجيل الحاضر من الباحثين الفلمنكيين والهولنديين ـ ومن بينهم باحثون من التشيك والسلوفاك ـ قد تربوا تربية علمية جيدة في المدرسة الشعرية الروسية. وقد حضر باحثان من هولندا، هما جيمس هولمز وفرانز دي هان (Frans de Haan)، مؤتمراً عن «الترجمة بما هي فن» (Translation as an Art) عقد في براتيسلافا في أيار/مايو من عام 1968، وساعدا (بالمشاركة مع أنطون بوبوفيتش (Anton Popovič) في تحرير وقائع المؤتمر ونشرها في مجموعة بعنوان: **طبيعة الترجمة**[8] (*The Nature of Translation*). وآمل أن أبيّن كيف أن الدراسات الترجمية ـ على الرغم من دعاوى تجنبها فرض القواعد، والتحرر من قيود إصدار الأحكام، قد عكست ميولاً حداثية معينة. وبالإضافة إلى ذلك اعتمدت الدراسات الترجمية ـ في الوقت نفسه ـ على رؤية للنصوص بوصفها ديناميكية ومُنتِجة وليست جامدة أو ثابتة، ومن ثم أسهمت هذه الدراسات في إعادة تقويم طبيعة اللغة على نحو ما هو حاصل الآن، في حالة ما بعد الحداثة. وسأتتبع في الفصلين الآتيين تطور الدراسات الترجمية، بدءاً من العمل التجريبي المبكر على يد الباحثين الفلمنكيين والهولنديين، ووصولاً إلى وضع نسقٍ مستوعِب ـ يسمى النسق المتعدد ـ على يد الحلقة الإسرائيلية. وقد تأسس بحثنا على نصوص كتبها ثلاثة من الباحثين التشيكيين والسلوفاكيين، هم جيري ليفي (Jiří Levý)، وفرانتيشيك ميكو (František Miko)،

(8) *The Nature of Translation. Essays on the Theory and Practice of Literary Translation*, Edited by James S. Holmes; Associate Editors Frans de Haan and Anton Popovič (The Hague: Mouton, 1970).

وأنطون بوبوفيتش، وهم باحثون يمتازون بأن عملهم لم يقف تأثيره الحاسم فقط عند ما يَسَّروه لنا من فهم للعمل الذي أنجزه مجموعة الباحثين في اللغة الهولندية، ولكنه تجاوز ذلك إلى إحداث الانتقال بالشكلانية الروسية إلى صيغة البحث الراهنة في مجال الترجمة.

## جيري ليفي والروابط التشيكية والسلوفاكية

لكي أعيّن محددات المناقشة التالية، سأحاول في إيجاز أن ألخص بعض المعتقدات الأساسية للشكلانية الروسية، مؤسساً تحليلي في المقام الأول على مقالة بوريس م. إيخينباوم (Boris M. Ejxenbaum) التي عنوانها: «نظرية المنهج الشكلاني» (The Theory of the Formal Method) في كتاب: **قراءات في الشعرية الروسية**[9] (*Readings in Russian Poetics*)، كما سأناقش علاقات هذه المعتقدات بالدراسات الترجمية. حاول الشكلانيون الروس أول الأمر أن يفرزوا ويحددوا ما سمّوه «الأدبية» (Literariness) بقصر تركيزهم على ما رأوا فيه حقائق أدبية، فاصلين بين الصنعة الأدبية وسائر

(9) Boris Ejxenbaum, «The Theory of the Formal Method,» Translated by I. R. Titunik, in: Ladislav Matejka and Krystyna Pomorska, eds., *Readings in Russian poetics: Formalist and Structuralist Views*, Michigan Slavic Contributions; 8 (Ann Arbor, Mich.: Michigan Slavic Publications, 1978); Stephen Bann and John E. Bowlt, eds., *Russian Formalism: A Collection of Articles and Texts in Translation*, 20th Century Studies (Edinburgh: Scottish Academic Press, 1973); Victor Erlich, *Russian Formalism: History, Doctrine*, 3rd ed. (New Haven: Yale University Press, [1981]), and Robert Louis Jackson and Stephen Rudy, eds., *Russian Formalism: A Retrospective Glance: A Festschrift in Honor of Victor Erlich*, Yale Russian and East European Publications; no. 6 (New Haven: Yale Center for International and Area Studies, 1985).

التخصصات الأخرى؛ مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، وتاريخ الثقافة. ونُظر إلى التخصص، وأيضاً إلى النصوص التي تُدْرس، على أنها تتمتع باستقلالية خاصة بها. وقد كان لهذه الفكرة أهميتها بالنسبة إلى الجيل الحالي من الباحثين المترجمين المعنيين بما يمكن للترجمة الأدبية أن تسهم به في نظرية الترجمة، وذلك لأنها تُمكّنهم من تركيز فحصهم على السمات المحددة للنصوص الأدبية على وجه الدقة، وليس على أفكار غيبية تدور حول طبيعة الأدب والمعنى. لقد تجنب الشكلانيون الروس الجدل المتعلق بالبنية الباطنة ليفحصوا ـ بدلاً من ذلك ـ النصوص الفعلية، ودقائق السمات في النصوص. وانتهى توجُّه الشكلانيين إلى تحديد الأدبية بهم إلى محاولة تعيين السمات التي تكفل اختلاف النصوص الأدبية عن سائر ما عداها من نصوص، والتي تجعل من هذه النصوص شيئاً جديداً وإبداعياً ومبتكراً.

كذلك نأى الباحثون في مجال الدراسات الترجمية بأنفسهم عن النظريات، من مثل ما طرحه تشومسكي ونايدا، إذ كانت تلك النظريات أكثر اهتماماً بالمكوّنات التوليدية في البنية الباطنة منها بخصائص البنية الظاهرة الفعلية، وأولت الشكلانية والدراسات الترجمية عنايتها للسمات المميزة في البنية الظاهرة، وقامت بتحليلها للتعرف إلى الخصائص التي تعين الوضعية الأدبية. لقد هبط الشكلانيون الروس بالمفاهيم الموضوعاتية (Thematic Concepts) ـ لدى استعمالهم إياها ـ إلى منزلة دنيا، وصرفوا جل عنايتهم إلى المفاهيم الإنشائية (Compositional Concepts)، وذهبوا إلى أن الأفكار المجردة تبدو واحدة في الغالب على مدى التاريخ، وأن المهم هو «الكيفية» التي تم بها التعبير عن المفاهيم الموضوعاتية. وقد استخدمت الدراسات الترجمية المفاهيم الموضوعاتية على هذه الشاكلة، وتحوّلت بها من الموقع الأساسي والحاكم إلى كونها

مفهوماً يعتمد على الثقافة واللغة، حيث تكون هذه المفاهيم مركوزة مترسخة. وربما كان أهم مظاهر الشكلانية، وأقلها قابلية للفهم هو بعدها التاريخي. وتميل حملات الهجوم على المدرسة إلى نقد معتقداتها «المنحلة» (Decadent) التي تنضوي تحت شعار «الفن للفن» (Art- for-Art's-Sake)، وافتقادها المحددات التاريخية. غير أن الشكلانيين الروس لم يقفوا عند التحليل الآني للنصوص (Synchronically)، ولكنهم حاولوا من المنظور الزماني التعاقبي (Diachronically) أن يتفهموا كيف تكون علاقة النصوص بالتراث الأدبي الذي يحكمها. وهكذا قام التحليل الشكلاني بدمج العوامل الداخلية (Intrinsic) والخارجية (Extrinsic)، لكي يحدد الإسهام المميز للنص في صياغة أي تقليد أدبي متطور، والمسافة التي تفصل هذا الإسهام عن هذا التقليد.

بيّن الباحثون في حقل الدراسات الترجمية بالفعل الأثر الزماني التعاقبي للنصوص المترجمة في نوعين اثنين من أنواع التقاليد: **أولهما** الثقافة ـ المصدر، و**ثانيهما** تقاليد الثقافة المستهدَفة. وقد حاول الباحثون في الدراسات الترجمية ـ باقتراضهم جانباً آخر من جوانب الشكلانية الروسية، وهو التعجيب (Defamiliarization) (Ostranenie) ـ أن يقيسوا علاقة النص بتراثه، وربما كان هذا الجانب هو الأشهر والأيسر تقبلاً في هذا الاتجاه. ونظراً إلى أن الشكلانيين الروس لم يضخموا من قيمة المحتوى، أو المعنى، أو الفكرة الأصلية للعمل، فقد ركزوا على الجوانب التي لا يتحقق فيها التجانس، والتي تمنح النص خصوصيته واختلافه، وتجعل منه شيئاً طريفاً على نحو يفارق المألوف.

وقد سارت الدراسات الترجمية في الطريق نفسه، فأعرضت عن الاتجاه إلى التركيز على المعنى، وتحديد المحتوى الأصلي (وهو ما

رأيناه من قبل في بعض النظريات كنظرية نايدا)، وإعداد النص ليكون سهل الاستهلاك لدى القراء في الثقافة المستقبِلة. وإذا كان ثمة من شيء يحسب لها، فإن الدراسات الترجمية في بواكيرها قد أوصت بأن «يحتفظ» العمل في الترجمة بالوسائل التي تكسبه التعجيب، وإذا كان من الممكن أن تُنقَل الوسائل الموجودة إلى اللغة الثانية، فإن المترجم في احتياج إلى اختراع الجديد منها. إن أسماء الأعلام ـ على سبيل المثال ـ كانت على الدوام مصدر إزعاج للمترجمين، وذلك لأنها تميل دائماً إلى أن تكون ذات معنى خاص ومميز على نحو نفتقده لا محالة في الترجمة، ومن ذلك أسماء الأماكن التي يكون لها في الثقافة ـ المصدر خصوصيتها من حيث الإيحاء أو الموقع أو التاريخ.

وأخيراً، فقد بقي الشكلانيون الروس على انفتاحهم أمام الجديد من المشكلات، كما أن منهجيتهم يمكن تطبيقها على الشكلانية نفسها، وقد ألحوا على أن مجال اختصاص الدرس الأدبي في حاجة إلى أن يكون اختصاصاً متطوراً، وهذا هو ذا إيخينباوم يقول على سبيل المثال:

«إننا لا نمتلك نظرية من النوع الذي يمكنه أن يحقق الانتشار بوصفه نسقاً صارماً سابق الإعداد؛ ذلك لأن النظرية والتاريخ عندنا مندمجان، ليس في ما نبشر به من أفكار فقط، ولكن في ما نمارسه أيضاً. لقد تعلّمنا جيداً من التاريخ أننا لا نستطيع أن نعمل في غياب التاريخ»[10].

وقد أعان ما قام به باحثو الدراسات الترجمية من دمج للتاريخ في نموذجهم النظري على أن يطبقوا نظريتهم في داخل الحقل على

---

(10) Ejxenbaum, Ibid., p. 35.

قدر تطبيقهم إياها خارجه، ومنحهم القدرة على أن يعكفوا على فحص القضايا على النحو الذي أثيرت به في دراستهم هم، وفي دراسات الحقول الأخرى. ولقد تميّزت بواكير الدراسات الترجمية بروح الكشف، والتطور، والتطبيقات المتعددة. بيد أنهم أيضاً قد قصروا مجال بحثهم على نصوص مترجمة محددة، وربّما يفسر ذلك أيضاً ما بدا من تردد أعضاء هذا الاتجاه في الادعاء باحتمال وجود علاقة أوسع مدى للدراسات الترجمية بنظرية الأدب على وجه العموم. إن باحثي هذا الحقل ربما يكون قد غلب عليهم الوقوع في مأزق من جهتين: فهم يحاولون أن يُعرِّفوا ويحدِّدوا حقل البحث من جانب، وهم كذلك ـ من جانب آخر ـ على وعي في سريرتهم بأن الاستبصارات والاكتشافات القيمة ذات العلاقة بنظرية الأدب المعاصرة إنما تتحقق عندما يدرس المرء نصوصاً مترجمة حقيقية.

تطورت جماعة الباحثين التشيكيين والسلوفاكيين في مجال الترجمة عن الشكلانية الروسية، ومن بينهم جيري ليفي وفرانتيشيك ميكو وأنطون بوبوفيتش، ولكنهم كانوا في آن واحد يعكسون في فكرهم بعض المعتقدات السابق ذكرها، ويعرضون عن بعض. لقد أعرضوا يقيناً عن المفهوم الذي ينظر إلى الأدب على أنه أعمال أدبية مستقلة ذاتياً ومعزولة عن سائر العالم، وهو اتجاه كان سارياً بالفعل خلال المراحل الأخيرة من الشكلانية. ومن بين الأسباب التي جعلت من نص ليفي ـ وعنوانه: **الترجمة الأدبية** (*Uměni překladu*)، وقد ترجم إلى اللغة الألمانية بعنوان: *Die literarische Übersetzung*[11] ـ نصّاً ذا فائدة للدراسات الترجمية، أنه عمد تحديداً إلى معتقدات

(11) Jiří Levý, *Die Literarische Übersetzung: Theorie einer Kunstgattung*, Trans. Walter Schamschula (Frankfut am Main: Athenäum, 1969).

الشكلانية الروسية، فأخذها وطبّقها على موضوع الترجمة، وبيّن كيف أن القوانين البنيوية الشكلانية قد اتخذت موقعها في التاريخ، ودخلت في تفاعل مع مظهرين من مظاهر التراث الأدبي في آن: تراث الثقافة ـ المصدر، وتراث الثقافة المستقبِلة.

ولقد تكشفت الجذور الشكلانية لدى ليفي منهجيته اللسانية الدقيقة التي تميز بها مشروعه. كان منطلق ليفي من التعريفات التي أرساها زميله رومان جاكوبسون لتمييز المفاهيم في مجال الترجمة، وكان جاكوبسون قد غادر موسكو للمساعدة في تأسيس المدرسة اللسانية في براغ. وقد ضمّن هذه التعريفات دراسته التي عنوانها: «عن الجوانب اللسانية في الترجمة»[12] (On Linguistic Aspects of Translation) (1959). نظر البنيويون في براغ إلى النصوص على أنها قائمة في حالة اندماج داخل شبكات سيميوطيقية، وإلى اللغة على أنها شفرة (Code) أو كُـلٌّ مركبٌ من عناصر لغوية تتوالف وفقاً لقواعد معينة. وهكذا تحتل كل كلمة موقعها في علاقتها بالأجزاء المكوّنة الأخرى من النص نفسه «آنيّاً» وفي علاقتها بالكلمات الأخرى في النصوص التي تشكل التراث الأدبي «زمانياً». كذلك دمج ليفي أيضاً الاعتبار التفسيري (Interpretive Aspect) في نظريته عن الترجمة، مؤسساً هذا الاستنتاج على أطروحات ويلارد كوين (Willard Quine) التي تقرر أن في الإمكان تفسير معنى الترجمة تفسيراً منطقياً. ولا تنطوي نظرية كوين على انتقال ميتافيزيقي مفاجئ إلى الباطن وإلى المعنى الأساسي الموحد للنص، ولكنها نظرية تم بناؤها بإحكام وتلَبُّث (Carefully and Slowly)، وليس من الضروري

---

(12) Roman Jokobsan, «On Linguistic Aspects of Translation,» in: Reuben Arthur Brower, ed., *On Translation*, Harvard Studies in Comparative Literature; 23 (Cambridge, MA: Harvard University Press, 1959).

أن يكون ذلك على أساس مقابلة كلمة بكلمة، أو جملة بجملة ـ إذ إن المترادفات وأمثلة القياس تميل دائماً إلى الاحتفاظ بقدر معيّن من اللبس ـ ولكن بالقدرة على التعرف إلى المعنى من خلال المجاميع التركيبية (Structural Groupings)، وعلى هذا ذهب كوين في مقال له بعنوان «المعنى والترجمة» (Meaning and Translation) إلى أن المترجم يستطيع أن يصل إلى «فرضيات ظنية جدلية للتحليل» (Analytic Hypotheses) يمكن اختبارها في النهاية بالاحتكام إلى شبكة من الجمل الجاهزة (Standing Sentences)، وكذلك إلى مترادفات تكون موضع اتفاق[13].

بعد أن قام ليفي بإرساء الأبعاد السيميائية التي تقوم بدور مؤثر في مسار الترجمة، وبعد افتراضه وجود المكون التفسيري الذي يمكّن المترجم من الإمساك بالمعنى في النص الذي هو موضوع الدراسة ـ أقول: بعد ذلك كله، كان ليفي في وضع يمكنه من طرح منهجيته في الترجمة. يضع ليفي على رأس اهتماماته في الطراز الذي يطرحه عدم إهدار الجودة الأدبية في العمل. ولكي يضمن ليفي نقل خاصية «الأدبية» (Literariness)، عمد إلى دقائق السمات الشكلية في أسلوب المؤلف الأصلي، تلك التي تمنح العمل الفني شخصيته الأدبية المميزة، فأبرز إلى مقدمة الصورة الجانب الاتصالي الجدير بالإبراز فيها. وقد أقام ليفي هذا الجانب من نظريته في الترجمة على أساس جانب آخر اقترحه أحد الأعضاء المؤسسين للحلقة اللسانية في براغ، وهو فيليم ماثيسيوس (Vilém Mathesius) الذي سبق إلى ذلك في عام 1913، فكتب يقول: إن الغاية الأساسية من الترجمة الأدبية هي تحقيق الأثر الفني نفسه الذي للأصل، سواء باستخدام وسائل

(13) Willard van Orman Quine, «Meaning and Translation,» in: Brower, Ibid., Quoted in: Levý, Ibid., p. 20.

واحدة أو وسائل مختلفة، فالترجمة التي يعتدّ بها للشعر تثبت أن التوافق في التأثير الفني هو أهم من الوسائل الفنية المتكافئة. وأضاف ماثيسيوس أن ترجمة الوسائل الفنية المتماثلة أو شبه المتماثلة تفضي في الغالب إلى ترجمة تكون لها تأثيرات مختلفة على القارئ[14]. لقد رأى ليفي ـ كغيره من الشكلانيين ـ في اللغة نسقاً سيميائياً ذا جانبين: آني، وزماني تعاقبي. كذلك ارتفع ليفي بالموضوع الأدبي إلى المكانة العليا، معتقداً أن «الأدبية» يمكن استنتاجها وتعريفها على أساس منطقي. وهكذا كانت نظريته أقل احتفاءً بـ «المعنى» أو «الموضوع مُمَثَّلاً» (Object Being Represented) في اللغة الثانية، ولكنه ركّز ـ بدلاً من ذلك ـ على الأسلوب، أي على السمات الأدبية للنص التي تجعل منه نصّاً أدبياً. وقد عبّر رومان جاكوبسون في مقاله الشهير «ما الشعر؟» (What is Poetry?)، الذي نشر بالتشيكية (1933 ـ 1934) عن القيمة التي يوليها الشكلانيون للخاصية «الشعرية» المميزة للعمل، فقال:

> «الوظيفة الشعرية (Poeticity) هي كما أكد «الشكلانيون» عنصر فذ، وهي العنصر الذي لا يمكن اختزاله آلياً في عناصر أخرى. . . ومن الممكن فرزها وإضفاء الاستقلال عليها كغيرها من الأدوات الفنية في الرسم التكعيبي مثلاً. . . إن الوظيفة الشعرية ليست إلا جزءاً من بنية مركبة، ولكنها الجزء الذي يقوم بتحويل العناصر الأخرى بالضرورة، والذي يحدد بالاشتراك معها طبيعة الكُلّ»[15].

---

(14) Vilém Mathesius, «O Problémch českého překladatelství [Über die Probleme des tschechischen Übersetzerwesens],» *Pfehled*, no. 11 (1913), p. 808.

(15) Roman Jakobson, «What is Poetry,» Translated by M. Heim, in: Ladislav Matejka and Irwin R. Titunik, eds., *Semiotics of Art: Prague School Contributions* (Cambridge, MA: MIT Press, 1976), p. 174.

واعتقاد الشكلانيين بأن الوظيفة الشعرية كانت خاصية شكلية، وأن من الممكن فرزها من العمل، هو اعتقاد حاسم بالنسبة إلى تفهُّم نظرية ليفي عن الترجمة. لقد اعتقد ليفي أن بإمكانه أن يحدد منطقياً المظاهر التي تجعل من النص عملاً فنياً، وأن يَفْصل هذه الجوانب عن المحتوى والعالم ونظام اللغة، وأن يُحِلَّ محلها عناصر أسلوبية من لغة مختلفة، وهي عناصر جرى استخلاصها من كل ما عداها بما يساوي عناصر اللغة الأولى، ثم يصل بذلك إلى عمل فني يقف على قدم المساواة مع العمل الأصلي. ويتوصل ليفي إلى نتيجة بناها على تعليقات ماثيسيوس وجاكوبسون التي سبق ذكرها، وهي أن نظرية الإحلال بين العناصر الأسلوبية قد قامت على أساس موضوعي[16].

وعلى حين قامت نظرية تشومسكي بتحليل البنى الباطنة، ولا سيّما عناصرها النحوية، قامت نظرية ليفي بفحص البنية الظاهرة والعناصر الأسلوبية. وقد استخدمت كلتا النظريتين اللسانيات والمناهج «العلمية» في التفسير، لكي تساعدها على أن تستخلص من اللغة الجانب الذي أحست أنه يتمتع بالأولية. ومن خلال عملية ليفي لفرز السمات «الشعرية» نشأت بطريقة تزامنية نظرية فرعية طريفة (Subtheory). إن المرء حين يقدم السمات التركيبية والأسلوبية على غيرها، يؤخر بذلك أهمية «المحتوى» العام للنص، وذلك لأن المحتوى ليس ثابتاً، ولكنه ـ بطريقة تتغير من لحظة إلى أخرى ـ مشروط بالنسق الدال الذي يُعبِّر عنه. غير أنه إذا كان العمل يجري في إطار نسق علاماتي مفرد، فإن المحتوى يمكن أن يجعل الأمر يبدو وكأن كليهما يعزّز الآخر، منتجاً ذلك «العمل المتوحد» (Unified Work) المفعم بـ «الأدبية». أمّا حين يتخذ العمل موقعه

---

(16) Levý, *Die Literarische Übersetzung: Theorie einer Kunstgattung*, p. 21.

داخل أنساق دالة مركبة، أو على الأقل داخل نسقين في حالة الترجمة من لغة إلى لغة، حينئذ تبدو للعيان طبيعة الشيء المُعَبَّر عنه، وما تتسم به من عدم الاستقرار وسرعة الزوال. إن الترجمة ليست عملاً متوحداً، ولكنها عمل مفعم بالتوتر والتناقضات، ذلك أن المحتوى يجري بناؤه بطريقة تخضع للتناص، ويتمثل ـ إذا صح التعبير ـ في أفقين في وقت واحد: من منظور النسق الدالّ الأصلي، ومن منظور النسق الخاص باللغة الثانية.

وبينما يعترف ليفي في كتابه: **الترجمة الأدبية** بوجود مثل هذا التوتر نجده قد هوّن من خطر المشكلة، وذهب إلى أنه كلما كانت الترجمة أفضل كانت ذات قدرة أعلى على تجاوز مواطن الصدام والتراكيب المتناقضة[17]. عند هذه النقطة في مسار نظريته نجد أن النص الفرعي (Subtext) الذي كان قد نشأ في أثناء الحجاج، أعني بذلك النص المتعلق بما يحدث للمحتوى، يصبح أمراً مشكلاً. لقد أراد ليفي أن يبرهن على أن النص المترجم ينبغي أن يكون متسقاً ومتوحداً، وأن التناقضات يمكن حلّها، وأن عملية الإحلال الموضوعي للمكافآت أمر ممكن. إنه يقول ـ على سبيل المثال ـ بأن الترجمة، على الجملة، تتحقق بصورة أكمل بقدر ما تحسن تجاوز ما هو ملازم لطبيعتها من تناقضات[18]. ويفضي هذا إلى نتيجة تشبه إلى حدّ بعيد ما توصّل إليه مترجمو الأدب من الأمريكيين، ومفاده أن الطريقة الصحيحة أو «الأمينة» هي التي تؤثر «الدقة في إعادة خلق الجمال الفني» (Exact Recreation of Aesthetic Beauty) في اللغة الثانية[19].

---

(17) المصدر نفسه، ص 72.

(18) المصدر نفسه، ص 73.

(19) المصدر نفسه، ص 68.

ثمة إذن مفارقة غريبة؛ فبدلاً من بناء نظرية في الترجمة تخفف من حدّة هذه المشكلة المتأصلة ـ أعني مشكلة إيجاد الطريقة التي يمكن بها إنجاز تلك المهمة، مع التسليم بأن النص المترجم هو لقطة مليئة دائماً بالمتناقضات ـ أقول: بدلاً من ذلك الذي تقدّم، نجد نظرية ليفي تعزّز أيضاً منتَجاً ثانوياً من منتجات الشكلانية. فبالإضافة إلى الوعي بعلاقة التوافق بين العلامة والشيء، هناك وظيفة ضرورية معاكسة توجد متزامنةً في العملية، ونعني بها أن العلاقة بين العلامة والشيء هي علاقة يشوبها القصور دائماً. إن المحتوى متذبذب دائماً، ومتغيّر دائماً، ويتم بناؤه عن طريق الخطاب في تدفق لا يتوقف، وأنه لا «يبدو» ثابتاً إلا مؤقتاً من خلال تركيبه التخييلي الجمالي.

ونظراً إلى أن للترجمة مرجعيتين على الأقل، فإن المعنى لا يمكن أن يبدو ثابتاً. إن الذي يتجلى في العملية وفي ناتج الترجمة هو نفسه هذا الحراك ما بين المفاهيم، وافتقاد الاستقرار في العلامات، والتطور المتلاحق للعلاقة القائمة بين الأمرين. وربما يبدو أن نظرية ليفي في الترجمة تتطلب المستحيل؛ وأعني بذلك أنها تسعى إلى إيجاد معايير موضوعية يمكن بها فحص عدد من اللغات للقيام بفرزٍ وتصنيفٍ للسمات الشكلية الشعرية الجديرة بالاهتمام، والتي يتحول بها التعبير المعتاد إلى تعبير فني، ثم إنها تسعى من بعد ذلك إلى إنشاء صيغ تجعل من إحلال تلك العناصر بعضها مكان بعض أمراً ملائماً للترجمة.

غير أن العمل في هذا الحقل المنضبط إلى درجة يبدو معها مستحيلاً قد بدأ، وسأعود إلى العمل الذي أنجزه فرانتيشيك ميكو بوصفه مثلاً واحدا، لأشرح العملية من خلاله. لقد ضمَّن ميكو مقاله «نظرية التعبير والانتهاك» (La Théorie de l'expression et la

traduction) تقريراً عما أحرزه من تقدم، معرّفاً فيه بما سماه «المقولات التعبيرية في اللغة» (Expressive Categories) (السمات أو الصفات التعبيرية (Expressive Features or Qualities))، وهي تلك التي تمنح اللغة خاصيتها الفنية[20]. وقد بدأ ميكو بوضع تعريفات تُميِّز بين التعبير مطلقاً (Expression as a Whole)، والخاصية التعبيرية المميزة (Character)، والسمات التعبيرية (Expressive Features). ذلك التمييز له أهميته، لا لأنه يجلو سوء التفسير المحتمل لعمله فقط، ولكن لأسباب تنظيرية أيضاً. يشارك ميكو الشكلانيين تمييزهم بين الشكل (Form) والمحتوى (Content)، أو بين الشكل والموضوع (Theme)، ويجعل الأهمية في المقام الأول للعناصر اللغوية، ذلك لأن الموضوع الذي يجري علاجه مشروط بالبنية اللسانية للغة، ومتشكل بواسطتها. ولكي نحدد ما نعنيه بالتعبير المطلق (Expression as a Whole)، وهو الذي يحكم الوظيفة الشعرية، على المرء أن يفحص التفاصيل الصغرى، التي ـ إذا ما تمّ تجميع بعضها إلى بعض في بنية مركبة ـ فإنها تحدد أسلوب العمل الفني. أما السمات التعبيرية (Expressive Features)، فإنها تتشكل بعضها مع بعض في صورة تراتبية [هرمية] لكي تؤلف معنى العمل وقيمته. ومع التسليم بالعقيدة الأساسية القائلة بأن اللغة تحدد المحتوى، طرح ميكو سؤالاً يقول: ما الذي يحدث حين يغيِّر

---

(20) František Miko: «La Théorie de l'expression et la traduction,» papier presenté à: *The Nature of Translation. Essays on the Theory and Practice of Literary Translation*, and *Estetika výrazu. Teória výrazu a štýl*, Kabinet literárnej komunikácie Pedagogickej fakulty v Nitre. štúdie (Bratislava: [Slovenské pedagogické nakladatel'stvo], 1969), and František Miko and Anton Popovič, *Tvorba a recepcia: Estetická komunikácia a metakomunikácia*, Okno; zv. 22 (Bratislava: Tatran, 1978).

شخص ما نسق اللغة؟ هل يضيع كل شيء؟ لقد اتخذ ميكو موقفاً مضاداً من هذه النتيجة، معتقداً أن باستطاعته أن يحدد، ويضع قائمة بنَسقٍ من السمات التعبيرية يكون مستقلاً عن أي أسلوب خاص، وهي سمات يمكن أن تتغير بالتبادل عند الضرورة في أثناء فعل الترجمة. ولقد أشار ميكو إلى ما عليه هذه المشكلة من صعوبة وتعقيد، ولا سيّما في ما يتصل بترجمة النصوص الأدبية، ولكنه دلّل على ضرورة حلّها. وذلك لأن البديل ـ وهو القيام باستبدال مترادفات بمترادفات، أو تراكيب نحوية بأخرى في الموضوعات المتشابهة ـ قد ثبت تاريخياً أنه عمل قاصر.

ويرى ميكو أن أفضل طريقة لتحديد السمات التعبيرية هي الربط بين تلك السمات الأسلوبية لنص معين والخصائص المميزة المماثلة التي تستعمل في التراث الأدبي. في هذا المكان الواقع بين النص وتراثه يمكن أن تتحدد الصفات الذاتية للأسلوب: الانفعالية (Emotional)، واللامعقولية (Irrational)، والتعبيرية (Expressive) ـ وكذلك الخصوصيات المميزة للأسلوب: السخرية (Irony)، والتجريد (Abstraction)، والإيجاز (Brevity)، والطرافة (Joviality). وليس ثمة طريق آخر يمكن بها فهم وظيفة النص الأصلي، أو يمكن بها التوصل في النهاية إلى الترجمة الملائمة إلا من خلال مثل هذا التحليل التاريخي. إن مشكلة الترجمة ـ في رأي ميكو ـ إما لسانية خالصة، وإما أسلوبية خالصة. ومشكلة تحصيل الانسجام في الأسلوب هي مشكلة دقيقة، لأن الظلال الفارقة رهيفة، ولكنها ذات أهمية أساسية، ذلك لأن مثل هذه العناصر إذا سقطت من الترجمة فقدت الترجمة «أدبيَّتها»، والأدبية هي الخاصية نفسها التي توليها الشكلانية الروسية أعظم قيمة. إن إضافة الأفق التاريخي ـ وإن يكن أفقاً أدبياً خالصاً ـ هو أمر مهم بالنسبة إلى تطور الدراسات الترجمية،

وذلك لأن الأفق التاريخي لا يزوّد الباحث بأساس للمقارنة فحسب، ولكنه يتضمن تطوراً زمانياً تعاقبياً للغة. ومن غريب المفارقات أن الباحثين الذين ينتمون إلى الترجمة الوظيفية الحديثة يفترضون أن باستطاعتهم الوصول إلى وظيفة النص الأدبي في تراثه الأصيل دون اللجوء إلى مثل هذا التحليل التاريخي[21].

والآن! إلى أي مدى ذهب ميكو بالقائمة التي يقدمها؟ لقد تقدم بها بما يكفي لتأسيس تراتبية (هيراركية) داخل نسق لتستوعب خصائص التعبير. كذلك حدّد مفهوم مقولات معيّنة يدّعي أنها غير قابلة لمزيد من التمايز. ويعترف ميكو بأن المهمة مستحيلة، ومع ذلك فإنه قد أنجز ما يكفي من البحث الذي يمكنه من التوصل إلى طائفة محدّدة من النتائج[22]. لقد استطاع أن يقيم معادلة بين خصائص تعبيرية مميزة، وأنماط معيّنة من الكلام في الصحافة، والآداب العامة، والخطب، وفي النصوص الأدبية، ومثال ذلك أن مقولات التعبير المميزة للنصوص الأدبية لا تشمل مقولتي: الجمالية (Aesthetic)/ الانفعالية (Emotional) فقط، ولكنها تضيف إليهما التنوع (Variability) والغموض (Ambiguity)، وافتقاد التوازن (الحلول غير المتحققة Disequilibrium)، وكذلك الحلول التقليدية، بل يصل الأمر في بعض الحالات إلى اللاعقلانية (مثال ذلك: نصوص تيار الوعي (Stream of Consciousness)). وذهب ميكو إلى أن تلك العناصر يمكن فرزها وتحليلها وترجمتها باستخدام منهجية تتوصل إلى الوظيفة، وليس إلى المكافئات الحرفية. ومقولات ميكو هي مناط تغير متواصل ـ على امتداد الزمن ـ بتحولات التاريخ، وقد

(21) انظر القسم أعلاه.

(22) Miko, «La Théorie de l'expression et la traduction,» pp. 67-70, and Miko and Popovič, Ibid.

كان على وعي جيد بأن السمات الأسلوبية مفتوحة غالباً لتفسيرات مختلفة كلّما تغيّرت الظروف الاجتماعية، ومن ثم تتغيّر وجوه الملاءمة بالنسبة إلى خصائص تعبيرية بعينها. إن البحث المفصّل لما هو خصيصة مميزة في سياق التاريخ من الضروريات، إذ يجعل من الترجمة أمراً يعتمد على المقدرة التفسيرية بقدر ما يعتمد على المقدرة اللسانية والإبداعية للمترجم. وقد انتهى ميكو إلى أن تصور «الأسلوب» الذي توصل إليه هو مفهوم وظيفي يستخدم المقولات اللسانية، ولكن استخدامه إياه ليس ـ بالضرورة ـ على الوجه المستخدم في اللسانيات، ولكنه استخدام مبني على تعريف للمقولات التعبيرية، يعتمد خاصية «الارتباط» في ما بينها (Correlative)، ولم يغب عن نظره مطلقاً أهمية الجانبين: الاستبدالي (Paradigmatic)، والنظمي (Syntagmatic) في تحليل نسق السمات التعبيرية (The Expressive System)، مُدْخِلاً في حسابه الجانب التطوري والاجتماعي في الأسلوب[23].

ويبدأ مشروع أنطون بوبوفيتش من حيث تَوقَّف عمل ليفي وميكو، فقد بدأ العملَ المقارنَ الذي بمقتضاه يتم تحديد مواطن التوافق والتخالف الواردة عند ترجمة العمل، ويشرح العلاقة بين العمل المترجم والأصل. وبدلاً من التوصية باتباع تقنية تستبعد الخسائر، وتلطف من حدة التغيرات، تقبَّل بوبوفيتش الحقيقة القاضية بأن الخسائر والمنافع والتغيرات جميعاً هي جزء ضروري من العملية، بسبب الاختلافات المتأصلة بين الثقافتين في القيم العقلية والجمالية. وفي مقال له بعنوان: «مفهوم «التغيير البديل في التعبير» في تحليل الترجمة» (The Concept «Shift of Expression» in

(23) Miko, Ibid., p. 73.

(Translation Analysis) قدم بوبوفيتش مصطلحاً جديداً يشخّص به خصائص هذه العملية، فقال:

«أي منهج من مناهج الترجمة هو ـ مُفْرداً ـ محكومٌ بوجود التغييرات البديلة (Shifts) أو غيابها في الطبقات المتنوعة التي تتألف منها الترجمة، وكل ما يظهر على أنه جديد بالقياس إلى الأصل، أو يخفق في الظهور حيث كان ينبغي توقعه، ينبغي تفسيره على أنه تغيير بديل»[24].

لقد سبق للتغييرات البديلة أن كانت موضع الملاحظة، ولكنها عزيت دائماً إلى التشويه المتعمد من جانب المترجم أو عدم كفاءته، أو لغياب التوافق اللساني بين اللغتين، أما بوبوفيتش فقد وسّع من أفقه النظري بتحليل التغييرات البديلة من منظور الاختلاف في القيم الثقافية والمعايير الأدبية. وبدلاً من أن يتهم بوبوفيتش المترجمين بالجهل، أو انعدام الأمانة، نراه يذهب إلى أن المترجمين يلجأون تحديداً إلى إحداث التغييرات البديلة، لأنهم يحاولون أن يترجموا محتوى الأصل ترجمة أمينة على الرغم من وجود الفوارق بين اللغات. والتغييرات البديلة ـ بذلك ـ لا تكشف عن قصور الترجمة، ولكنها تكشف عن شيء يتعلق بالخاصية الجمالية الأولية في الأصل. لقد انتهى مشروع ليفي بالنص على قاعدة تقول: إنه إذا بطل عمل سمة تعبيرية ما في الثقافة المستقبِلة كان على المترجم إذن أن يُحلّ محلها سمة جديدة، بل إن عليه أن يبتكرها بحيث لا تُفتقد الخاصية الأدبية في جُمَلها. أما بوبوفيتش، فقال مستنتجاً من خلال استقراءاته:

«كل تصور للترجمة يتمتع بأي قدر حقيقي من الأهمية

---

(24) Anton Popovič, «The Concept 'Shift of Expression' in Translation Analysis,» Paper Presented at: *The Nature of Translation. Essays on the Theory and Practice of Literary Translation*, p. 78.

والاتساق يجد مَجلاه الأساسي في التغييرات التعبيرية البديلة؛ أي في اختيار الوسائل الجمالية، والنواحي الدلالية في العمل. من ثم يمكن أن نتوقع في الترجمة ـ وهذه قاعدة غالبة ـ تغييرات بديلة معينة، لأن قضية التطابق (Identity)، والاختلاف (Difference) في علاقتها بالأصل لا يمكن مطلقاً أن تُحلّ من غير أن تخلّف بعض «البقايا» (Residue). إن التطابق لا يمكن أن يكون السمة الوحيدة التي تميز العلاقة. ولا مفر من هذه النتيجة حين ندخل في الحساب قوة العوامل التاريخية، واستحالة تكرار فعل الترجمة بما هو عملية إبداعية»[25].

وبقبول الحقيقة القاضية بأن ثمة عناصر معيّنة ستسقط في الشقوق حين يتحرك المرء من أحد أنساق الخطاب إلى نسق آخر، لم يبحث بوبوفيتش عما هو متطابق، بل عمّا ليس متطابقاً، وهو يلتقط هذه «البقية» ليفحصها بمزيد من الدقة. وتكشف الجملة الأخيرة في الاقتباس السابق عن نبذ بوبوفيتش للفكرة القائلة بأن المكافئات الحَرْفية والوظيفية ممكن وجودها، ومع ذلك نراه يحتفظ بالسمات الشكلية بوصفها جزءاً من النسق الذي يقترحه لكي يبيّن فروق الترجمة وسطوة التاريخ.

وكما آمن ميكو بأن الظلال الدقيقة والرهيفة للتعبير كانت هي المفتاح الموصل إلى تحديد مجمل الخاصية الفنية في العمل، كذلك آمن بوبوفيتش بأن المفتاح الموصل إلى فهم الوسائل الجمالية الأساسية في الترجمة إنما يكمن في تحليل التغييرات البديلة لهذه الظلال نفسها. وفي نظرية بوبوفيتش ـ حيث يكون للفروق أهمية مساوية تماماً للمتكافئات ـ تنضوي الشواغل المتعلقة بالتقابل بين ما هو أمين وما هو حر، في كنف هذا الأفق، فكلاهما دائماً نسبي

(25) المصدر نفسه، ص 81.

يعتمد على ما في حوزة المترجم من فرضيات جمالية. وقد شرح بوبوفيتش ذلك فقال:

«ليس من مهمة المترجم أن يتماهى مع الأصل، فذلك لن يؤدي إلا إلى ترجمة صريحة (Transparent Translation). إن للمترجم حقه في أن يختلف اختلافاً أساسياً، وفي أن يكون مستقلاً. وبين الجوهر الدلالي الأساسي في الأصل وبديله في بنية لسانية أخرى ينشأ نوع من التوتر الجدلي ممتداً وملازماً لمحور الأمانة ـ الحرية»[26].

هناك طرق متنوعة للترجمة، وعلى حين تبدو إيثارات بوبوفيتش الخاصة انعكاساً مرآوياً لإيثارات ليفي، فإن الطراز النظري عنده يستسلم لما تقرره الفرضيات الجمالية المسبقة لدى المترجم، تلك التي تنشِّط التغييرات التعبيرية البديلة. وتَقرأ نظرية بوبوفيتش التغييرات البديلة قراءة تشخيصية (Symptomatically) لكي تعيّن الفرضيات الأدبية السائدة الحاكمة على الترجمة. ومع نظرية بوبوفيتش يمكن للناقد أن يتتبع المسارات التي تخلِّفها التغييرات البديلة في العمل المترجم، والتي توصل إلى ما تشتمل عليه الثقافة المستقبِلة من معايير ثقافية حاكمة على ذلك النص.

وبدلاً من أن يفترض بوبوفيتش التوحد الأسلوبي مع الأصل غاية للترجمة قَبل باستحالة إنجاز نص مكافئ، ووضع نظرية لا تنتقد عدم التطابق فيه ولكنها تفسّره، ومن خلال تحليل التغييرات التعبيرية البديلة، وتحليل العلاقة بين لغة العمل الأصلي والعمل المترجم يمكن أن يتكشف شيء ما عن عملية الترجمة من حيث طبيعتها المتسمة بالوساطة وعدم التجانس.

عند هذه النقطة يمكن إبداء كثير من الملاحظات في ما يختص

(26) المصدر نفسه، ص 80.

بإسهامات التشيكيين والسلوفاكيين في الدراسات الترجمية. و**أولى** هذه الملاحظات أن الانحياز الجمالي يكشف عنه نوع الترجمة الأثيرة لديهم، وأعني بها الترجمة التي تمارس وظيفتها بوصفها عملاً فنياً في الثقافة المستقبِلة، كما أن مطلب الحفاظ على الأدبية يحدّد المنهجية المفضلة. وأيّاً ما كان التصنيف المستوعب عند ميكو للسمات الأسلوبية «الموضوعيّة» فسيظل على الدوام قاصراً، كما سيظل تنظيمه ذاتياً إلي حدّ بعيد. إن الأطروحة القائلة بأن الميزة الفنية للعمل في عمومها محكومة حكماً صارماً بالخصائص التركيبية ربما تكون ملائمةً لفحص النصوص الحداثية أو المستقبلية التي تميز حقبة نشوء النظرية، ولكن الأسئلة تبقى واردة على ملاءمتها للنصوص التي تكتب خلال عصور تاريخية أخرى، فما الذي يمكن للنظرية أن تصنعه إذا عولجت بها النصوص الرمزية، أو نصوص الأمثولات (Allegorical Texts)، أو السرديات النثرية أو الشعرية، أو مسرح التهييج والدعاية (Agit-Prop Theatre)، أو الحكايات الشعبية (Folktales) التي تتطلب فهماً عاماً لما يرتبط بها من مرجعية؟ أضف إلى ذلك أن مثل هذا الإيثار ربما يؤثر في حقيقة الأمر على نصوص العالم الثالث التي تحظى بالترجمة إلى اللغات الغربية. إن الشكلانية الروسية تعيّن ما ينبغي تقييمه في النص من جوانب، ومن ذلك الشكل، والاكتفاء الذاتي في الإحالة (Self-Referentiality) وتقنية التضام (Technical Juxtaposition)، وهي تُقَوِّم الترجمة على أساس من قدرة النص المستهدَف على نقل تلك الخصائص الشكلية. بيد أن ثمة مقاربات جمالية مختلفة، وكذلك مراحل تاريخية وثقافات مختلفة، قد ترفع من قيمة جوانب أخرى من النص. وتعكس نظرية الترجمة المستمدة من الشكلانية الروسية بدقة وبطرق كثيرة، الوسائل التي تتميز بها المعايير الفنية الرائجة، والنظريات التفسيرية في زمان بعينه ومكان بعينه، وأعني بذلك المجتمع الأوروبي الحديث. ومن بين هذه الوسائل على

سبيل المثال وسائل التعجيب (Defamiliarization).

و**ثانية** الملاحظات هي أنه على الرغم من أن بوبوفيتش وسّع من المحددات في إحدى نظريات الحداثة ليوجه الدراسات الترجمية نحو وجهة جديدة، فإن الباحثين في الدراسات الترجمية تجنبوا التنظير في ما يتعلق بالعلاقة بين الشكل والمحتوى، وقد أخفقوا بذلك في القراءة التشخيصية لما تنطوي عليه نظريتهم ضمناً مما هو صالح لمنهجيتهم. وعلى الرغم من إنكارهم، وجدنا أن النص الأدبي يؤول إلى الانقطاع عن العوامل السياسية الاجتماعية الأخرى؛ فالكلمات لم تعد تحيل إلى الحياة الواقعية، ولكنها تحيل إلى كلمات أخر تستخدم في التراث الأدبي نفسه، وهكذا ينشأ نسق مبني على مرجعيته الذاتية المكتفية بنفسها، ومن ثم يعزز هذا النسق قيمه الخاصة به. هكذا يصبح الفن قائماً بذاته، إذ إن إدراك الأدبية في العمل مرتبط ارتباطاً مباشراً بالوعي بالشكل، وتلكم الخاصية، أعني خاصية جذب الانتباه إلى الذات هي التي تعلي النظريةُ من قيمتها، وتدعو إلى ترجمتها. وتتطلب المنهجيةُ من مستقبِل العمل أن يدرك هذه السمات الشكلية المحددة التي تطلق العمل بعيداً عن التراث، متطلبةً من جديد إدخال «القارئ الكفء» (Competent Reader) إلى الطراز النظري الذي اقترحوه للترجمة (نظرية ريتشاردز أيضاً توصي بمثل هذا القارئ المثالي). إن النصوص «الأدبية» تنطوي على خاصية سحرية تحيل إلى نفسها، وهي تلك الخاصية التي يلاحظها الشكلانيون، ويرفعون من شأنها، ويوصون بتخليدها. ولأن ليفي وغيره ينزعون إلى ما هو تقنيني، فإن الأسئلة المتعلقة بالأفق التقويمي تظل قائمة، فمن ذا الذي يحكم بكفاءة البدائل الأسلوبية؟ إن المطالب التي تثقل كاهل المترجم باهظة، إذ يَنبغي أن يجمع بين كفاءة الناقد الأدبي، والباحث التاريخي، واللساني المحترف، والفنان المبدع، وقليلاً ما يدهشنا أن الأفق التقويمي يطرح مشكلات، لأن

المتطلبات تتجاوز الوسع بالنسبة إلى مقدرة الإنسان الفرد.

وعلى الرغم من هذه التحفظات على العمل الذي قامت به المدرسة التشيكية والسلوفاكية، هناك بدايات لمنهجية وصفية ربما تكون ظاهرة للعيان. ومع أن النظرية ربما تكون أكثر صلاحية للعمل بالنسبة إلى النصوص الحديثة والمعاصرة، فإنها ليست بحال محدودة بهذا النوع من النصوص، ذلك أن منهجية التحليل النسقي للتغييرات البديلة يمكن تطبيقها على النصوص الرمزية، والواقعية، والمنظومة، والـحَرْفية البسيطة (Literal)، وكذلك على النظريات الصوتية في الترجمة (Phonetic Theories)، ومرجع ذلك تحديداً إلى أنها تبدأ باستيعاب الآفاق التاريخية والأيديولوجية بقدر ما تستوعب الآفاق الأدبية. والحق أن شرح التغييرات البديلة شرحاً شافياً وافياً (Adequately) يقتضي ألا تُحبَس المنهجية نفسها على التغييرات البديلة الحادثة في التقاليد الفنية، ولكن عليها أن تدخل في حسابها المعايير الاجتماعية المتطورة، والحوافز النفسية الذاتية كذلك، ولهذه الأسباب كان الفلمنكيون والهولنديون على الغاية من الاهتمام بالعمل إلى جانب زملائهم في وسط أوروبا.

## جيمس هولمز، وريمون فان دن برويك، وأندريه لوفيفر

على الرغم من أن تاريخ الدراسات الترجمية قصير نسبياً، فإن من الممكن بالفعل تقسيمها إلى حقبتين: مبكرة ومتأخرة؛ وستكون معالجة حقبة البواكير هي موضوع ما يتبقى من هذا الفصل، أما الحقبة المتأخرة ـ بعد أن انضمت إليها نظرية النسق المتعدد ـ فسيجري تحليلها في الفصل الخامس. ونظراً إلى عدم القدرة على فحص جميع الإسهامات التي قدمها أعضاء هذا الاتجاه في هذا الحقل الناشئ، سأستبدل بذلك فحص نصوص لثلاثة من الأعضاء

المؤسسين، وهم: جيمس هولمز الذي قدَّم إلى أوروبا الغربية، ولأول مرة، طريقاً جديداً لمناقشة الترجمة، وريمون فان دن برويك (Raymond van den Broeck) الذي واجه مشكلة التكافؤ في الترجمة من منظور الأفق الخاص بالدراسات الترجمية، وأندريه لوفيفر الذي تمتع بقدرة فذة على الإمساك بزمام الموقف النظري في المجموعة. وقد اشترك فان دن برويك ولوفيفر في تأليف النص الذي كتب باللغة الهولندية تحت عنوان: **دعوة إلى الدراسات الترجمية**[27] (Uitnodiging tot de vertaalwetenschap) أو (Invitation to Translation Studies)، وهو نص يمثل ذروة ما وصلت إليه المرحلة المبكرة. وأنا أعتزم أن أكشف عن حركة مزدوجة لهذه الصيغة؛ فبينما تحاول بواكير الدراسات الترجمية أن تتجنب التقنين، وتركز على الوصف الخالص، فقد آثرت الحركة منهجيةً للترجمة محكومة إلى حدّ بعيد بجذورها الممتدة في الشكلانية الروسية. يضاف إلى ذلك أنه بينما تحدُّ الدراسات الترجمية حقل البحث بحدود الترجمات الواقعية الماثلة، فإنها تنطوي على بذور نظرية شاملة؛ نظرية تتجه إلى ما هو واقع خارج المادة المحدودة بالضرورة، وهي في ذلك لا تحصر نفسها في ما يقع خارج نص واحد، أو في ما وراء تراث واحد، ولكنها تمتد إلى الظواهر التي لا تتبدَّى في صورةِ تحقُّقٍ نصّيٍ محددٍّ، والتي خفيت على التحليل التقليدي.

كان جيمس هولمز شاعراً مترجماً أمريكياً، درّس الترجمة في جامعة أمستردام حتى وفاته منذ أمد قريب. وربما كان عمله في وصف عملية الترجمة مستبعداً الأفكار التقليدية عن التكافؤ هو الذي يتحمل المسؤولية الكبرى في صياغة الحقل الجديد. وعلى حين

(27) Raymond van den Broeck and André Lefevere, *Uitnodiging tot de vertaalwetenschap* (Muiderberg: Coutinho, 1979).

تناثرت مقالاته الأولى في صورة إصدارات ليست بذات شأن، فقد جمع أكثرها في كتاب مختارات بعنوان: **مترجم!: مقالات في الترجمة الأدبية والدراسات الترجمية** (*Translated!: Papers on Literary Translation and Translation Studies*). وفي دراسته «أشكال ترجمة النظم وترجمة الشكل المنظوم» (Forms of Verse Translation and the Translation Verse Form). يمكن أن نرى المدخل لمصطلحية جديدة مصحوبة بمنهجية لمقاربة الموضوع. وكان أبرز التغييرات ظهوراً في مقاربة هولمز هو تعديله طبيعة مرجعية الإحالة؛ فقد ذهب هولمز إلى أن الترجمة لا تحيل إلى الموضوع نفسه القائم في عالم الواقع، والذي يحيل إليه النص ـ المصدر. إنها تحيل بالأحرى إلى صياغة لغوية. إن لغة الترجمة تختلف عن لغة الأدب الأول، ولكي يحدد هولمز هذا التمايز تبنّى مصطلح «اللغة على اللغة» (Meta-Language) الذي أخذه عن رولان بارت (Roland Barthes)؛ فقد قسم بارت الأدب إلى ضربين: الضرب الخاص بالشعر والقص والمسرح، وهو الذي «يتكلم على الموضوعات والظواهر»، كما أنه ـ سواء أكان مبناه على الخيال أم لم يكن ـ يعد بالنسبة إلى اللغة خارجاً عنها، وسابقاً لها؛ وهناك ضرب من الأدب لا يتعامل مع «العالم»، ولكن مع التشكيلات اللغوية التي يصوغها الآخرون. إنه قول على قول[28] (A Comment on a

(28) Roland Barthes, «Criticism as Language,» in: *The Critical Moment; Essays on the Nature of Literature* (London: Faber and Faber [1964]), p. 126, Quoted in: James S. Holmes: «Forms of Verse Translation and the Translation of Verse Forms,» Paper Presented at: *The Nature of Translation. Essays on the Theory and Practice of Literary Translation*, p. 91, and «Forms of Verse Translation and the Translation of Verse Forms,» in: James S. Holmes, *Translated!: Papers on* =

(Comment). وتوسع هولمز في تعريف مصطلح بارت الذي هو في الأصل محدود بالتعليق النقدي على الأدب فحسب ـ ليدخل فيه طائفة متنوعة من الأشكال التي هي من نوع «الأدب على الأدب» (Metaliterary forms)، وليست ترجمة النظم إلا واحداً من بينها.

يضاف إلى ما تقدّم أن هولمز قد ذهب إلى أن الترجمة المنظومة تختلف عن أشكال التعليق الأخرى أو أشكال اللغة على اللغة، وذلك لأنها تستخدم النظم وسيلة، طموحاً منها إلى أن تكون قصيدة بمقتضى أحقيتها الخاصة في ذلك. وبينما تعد ترجمة النظم نوعاً من «الأدب على الأدب» (Metaliterature)، إذ هي تعلق على نص آخر وتفسره، فإنها تولّد مدونة من «الأدب على الأدب» في ما يتعلق بأدبيتها الخاصة. وهكذا لا يعد الشيء الذي تحيل إليه الترجمة مختلفاً عن أنواع الكتابة الإبداعية الأخرى فحسب، ولكن نوع الأدب المكتوب عن الترجمة يختلف أيضاً عن أنواع الكتابات النقدية الأخرى، وهو ما يحتل به موقعاً متفرداً في عالم النقد الأدبي. إن ترجمة النظم ـ مُحيلةً ومُنتجةً في آن ـ هي تعليق نقدي على النص ـ المصدر، وهي تفضي مع ذلك إلى تفسير نقدي، وهذا التفسير النقدي ـ إذا صحّ التعبير ـ هو بمثابة نص أولي. يقول هولمز عن الطبيعة المزدوجة للترجمة:

«الترجمة كلها هي فعل تفسير نقدي، غير أنّ هناك ترجمات للشعر تختلف عن جميع ما عداها من الأشكال التفسيرية، من حيث إنها تستهدف أن تكون هي نفسها أعمالاً شعرية. وربما يكون عوناً لنا بالنسبة إلى هذه الأشكال الشعرية الخاصة ذات

---

*Literary Translation and Translation Studies*, with an Introduction by Raymond van = den Broeck, Approaches to Translation Studies; v. 7 (Amsterdam: Rodopi, 1988), p. 23.

الغرض المزدوج، أي بوصفها أدباً على أدب، وأدباً أولياً ـ ربما يكون من المفيد أن نقدم المصطلح الذي يُعيِّنها وهو «القصيدة على القصيدة»[29] (Metapoem).

وبناء على ما تقدّم من إعادة تحديد لترجمة النظم، ينبغي بالمثل أن يعاد تعريف النظرية. وهكذا أصبحت الدراسات الترجمية أقل احتفاءً بالتطابق وبالمشكلة القديمة المتعلقة بالإحالة، وأكثر عناية بتحليل أمرين: **الأول** تحليل العلاقة بين النص المترجم (بما هو نص ثانوي) والنص ـ المصدر، داخل إطار الممارسات القائمة على تعيين الدلالة، تلك الممارسات المتأصلة في ذلك التراث الأدبي الخاص. و**الثاني** تحليل العلاقة بين النص المترجم (بما هو نص أولي)، والممارسات القائمة على تعيين الدلالة في إطار تراث الثقافة المستهدفة.

كان هولمز أقل اهتماماً بالتطابق، وأكثر عناية بالعلاقة بين الترجمة وأنساق الدلالة الأخرى، ولذلك ظهر للعيان تغيير بالتبديل في مقاربته: إنه يشرع في وصف النصوص المترجمة، لا من أجل الخروج بدعاوى ذات طابع جامع (Universal) عن نصيب بعض الحلول الخاصة المقترحة لمشكلات الترجمة من الصواب أو «عدم الصواب»، ولكن بوصف لشتى المنهجيات في الحقل، وكيف جرى استخدامها تاريخياً. ولم تكن غايته من ذلك تأبيد بعض الدعاوى الميتافيزيقية عن طبيعة اللغة أو المعرفة التصورية (Conceptual Knowledge)، ولكن لكي يصل إلى فهم أفضل لشتى أنواع الترجمة، ولـ «القصائد على القصائد»، بما هي نوع فذ من الممارسة الدلالية.

---

(29) Holmes: «Forms of Verse Translation and the Translation of Verse Forms,» (1970), p. 93, and «Forms of Verse Translation and the Translation of Verse Forms,» (1988), p. 24.

حدّد هولمز أربعة أنماط من الترجمة، لكل منها علاقة مختلفة بالنص الأصلي، وينتمي كل منها إلى أنواع مختلفة من التقاليد. أما النمط **الأول** فيحتفظ بشكل النص الأصلي، وقد ذهب هولمز إلى أن التطابق في الشكل من المستحيلات، ولكن يمكن التصرف في النماذج (Patterns) بحيث تكون شديدة التشابه بعضها ببعض، كما يمكن تحقيق التناسب بين التراكيب الشكلية الأساسية في النظم. وضرب لذلك مثلاً محاكاة ريتشموند لاتيمور (Richmond Lattimore) الأوزان السداسية (Hexameters) في اللغة اليونانية كما استخدمها هوميروس. وأما النمط **الثاني** فيحاول أن يتبين وظيفة النص في الثقافة المستقبِلة، وأن يلتمس وظيفة موازية في تقاليد اللغة المستهَدفة، وإبداع أشكال مناظرة تخلق تأثيرات متشابهة. وضرب مثلاً لذلك ترجمة روبرت فيتزجرالد (Robert Fitzgerald) لـ «هوميروس» التي جاءت في شكل الشعر المرسل (Blank Verse). أما النمط **الثالث** فهو اشتقاقي مضموني (Content-Derivative) يأخذ المعنى الأصلي للنص الأول، ثم يتيح للنص أن ينمو بتشكله الخاص الفريد في اللغة المستهدَفة. وضرب مثلاً لذلك الترجمة التي أنجزها عزرا باوند لـ «هوميروس» في النشيد الأول (Canto)، وقد جاءت في شعر حُرّ، ذي بناء عضوي (Organic Free Verse). ويشتمل النمط **الرابع** على ما سمّاه هولمز «الأشكال المعدولة» (Deviant Forms)، فهو ليس مشتقاً من القصيدة الأصلية على الإطلاق، ولكنه يستبقي عامداً حدّاً أدنى من التشابه لأغراض أخرى لم يضرب هولمز لها مثلاً، ولكن ترجمة «مصرع ليكاون» من الكتاب الأول والكتاب الحادي والعشرين من **الإلياذة** التي قام بها روبرت لوويل يمكن أن تصلح لذلك مثلاً. وقد أحجم هولمز عن تفضيل أي من هذه الأنماط الأربعة، قائلاً إن كلاً منها يفتح بطبيعته أمام المترجم الذي يختاره إمكانات معينة، ولكنه يغلق إمكانات أخرى في

الوقت نفسه[30]. وإذا ما تعرّف القارئ على نمط الترجمة، وأمكنه الإمساك بالنظرية التي توافق النمط ـ عن وعي أو غير وعي من المترجم ـ فإن ذلك يتيح للقارئ أن يفهم ما يعنيه النص في الثقافة المستقبِلة.

وقد بلغ العمل المبكر عند هولمز ذروته في مقالته التي عنوانها: «الدراسات الترجمية: اسمها وطبيعتها»[31]، وهي المقالة التي اعتُبِرت بوجه عام البيان المؤسس بالنسبة إلى هذا الحقل، حيث وضع في هذه المقالة التخطيط لمجال هذا الاختصاص الجديد وبنيته. وأهم ما في الأمر أن هولمز يعُدّ هذه المقاربة ممارسة اختبارية إمبيريقية تقوم بفحص نصوص مترجمة بالفعل على الوجه الذي تبدو به في ثقافة معينة. ويقسِّم هولمز الدراسات الترجمية ـ بوصفها حقلاً من حقول الدراسة ـ إلى ثلاث مناطق تتركز فيها الدراسة: **أولاها** الفرع الوصفي (Descriptive Branch)، وهو وصف ظواهر الترجمة كما تتجلى بنفسها في العالم. **وثانيتها** فرع النظرية (The Theory Branch)، وهو إرساء المبادئ التي يمكن على أساسها تفسير هذه الظواهر. **وثالثتها** الفرع التطبيقي (The Applied Branch)، وهو استخدام المعلومات التي يتم الحصول عليها من الفرع الأول والفرع الثاني في ممارسة الترجمة، وتدريب المترجمين[32]. وهكذا يكون الفرع النظري تابعاً للفرع الوصفي، فعندما يتم وصف الحالات

---

(30) Holmes, «Forms of Verse Translation and the Translation of Verse Forms,» (1970), p. 97.

(31) Holmes: *The Name and Nature of Translation Studies (APPTS, Amsterdam Publications and Prepublications in Translation Series)*, and «Forms of Verse Translation and the Translation of Verse Forms,» (1988).

(32) المصدران نفسهما، ص 9-10 و71-72 على التوالي.

المدروسة، وتكون المادة الاختبارية (الإمبيريقية) قد جُمِعت، حينئذ يمكن للنظرية أن تتطور. إن غاية الغايات بالنسبة إلى الدراسات الترجمية هي تطوير نظرية للترجمة تتصف بالكمال وكلية الشمول؛ نظرية تشرف من «أعلى» على النظريات الجزئية القائمة التي استشعر هولمز أنها كانت غالباً شديدة الخصوصية من حيث المجال، وأنها لم تعالج إلا جانباً أو جوانب قليلة من الشاغل الأكبر. وقد أدرك هولمز في وضوح أن تطور النظرية في الواقع لن يكون أحادي الاتجاه، ولكنه في الغالب تطور من نوعي جدلي (Dialectical)، بالمعلومات التي يمدّ بها كل فرع من الفروع الثلاثة الفرعين الآخرين[33].

من المهم أن نلاحظ أن هولمز ـ في هذا البيان المؤسس ـ طالب بعدة مستويات من التركيز داخل كل فرع؛ فالفرع الوصفي عنده ـ على سبيل المثال ـ جرى تقسيمه بحيث يشمل ثلاثة مستويات من الوصف: ما يتوجه إلى المُنتَج (Product-Oriented)، وما يتوجه إلى الوظيفة (Function-Oriented)، وما يتوجه إلى العملية[34] (Process-Oriented). فالفرع الموجه إلى المُنتَج ـ وهو الفرع الذي صار أكثر الفروع تطابقاً مع الدراسات الترجمية في المرحلة المتأخرة ـ استلزم وصف الترجمة وصفاً اختبارياً يركّز على النص (Text-Focused)، وتَطلَّب ـ من ثم ـ مسحاً لمدوّنات ترجمية أكبر في حقبة معينة، أو في لغة، أو نمط من أنماط الخطاب. أما الفرع ذو التوجه الوظيفي (Function-Oriented) الذي قدّم المكوّن الثقافي ذا الأثر في استقبال النص المترجم، والفرع ذو التوجه العملياتي (Process-

(33) المصدران نفسهما، ص 20 و78-79 على التوالي.

(34) المصدران نفسهما، ص 12-14 و72-73 على التوالي.

(Oriented) الذي يفحص مشكلة «الصندوق الأسود» (Black Box) أو ما يجري في عقل المترجم، فقد صارا أقل أهمية بتطور الحقل.

أما أندريه لوفيفر، فقد أخرج نصاً عنوانه: **ترجمة الشعر: استراتيجيات سبع وخطة عمل**[35] (*Translating Poetry: Seven Strategies and a Blueprint*)، وفي هذه الدراسة كشف عن مقاربة مشابهة، فهو يتناول أحد النصوص ـ المصدر، أعني نص كاتولّوس (Catullus): القصيدة الرابعة والستين ـ ملتمساً لمقاربة ذات نصيب وافر من الاختبارية والموضوعية، فيصف سبعة أنماط مختلفة من الترجمة، مؤسسة على منهجيات متمايزة تتناغم معها، ويغلب على هذه المنهجية أنها حاكمة على عملية الترجمة، وكل واحدة من هذه المقاربات تفتح إمكانات معيّنة وتغلق أخرى على الوجه الآتي: (1) الترجمة الصوتيمية (Phonemic Translation) تقوم بمهمتها جيداً في إحياء القرابة الاشتقاقية التأثيلية بين الكلمات، ويتولد عنها كلمات تتمتع بالجرس الصوتي الموحي (Onomatopoeia)، ولكن ينشأ عنها التعتيم على المعنى. (2) الترجمة الحرْفية (Literal Translation) ربما تنقل إحساساً بالمحتوى الدلالي، ولكنها تفعل ذلك غالباً عن طريق تهريب المعنى من خلال الشرح، والتضحية بالقيمة «الأدبية». (3) الترجمة الوزنية (Metrical Translation) قد تحتفظ بالوزن، ولكنها تفسد النحو والدلالة. (4) الصيغ النثريةِ (Prose Versions) تتفادى الإحساس بتشوهات الدلالة، ولكن الشكل في ذاته يحرم النص من الجرس الشعري. (5) الترجمات المقفاة (Rhythming Translation) محكومة بكثير من القيود التي تنتهي بمعاني الكلمات إلى غير المقصود، كما أن النتيجة النهائية كثيراً ما تكون مملّة متزمتة

---

(35) André Lefevere, *Translating Poetry: Seven Strategies and a Blueprint*, Approaches to Translation Studies; no. 3 (Assen: Van Gorcum, 1975).

متحذلقة. (6) الشعر المرسل (Blank Verse) يحقق مزيداً من الدقة ودرجة عالية من الأدبية، غير أن الوزن المقحم يفرض على النص مظاهر الالتواء (Contortion)، والبسط (Expansion)، والقبض (Contraction)، جاعلاً من الترجمات «نُسخاً» فيها الحشو، وخَرَقُ الصناعة. (7) التفسير (Interpretation)، شاملاً الصور المستنسخة والمحاكاة، حيث يتم تفسير موضوع النص ليكون أيسر في التلقي، وربما يفلح هذا النوع في تحقيق ما يريد، ولكن على حساب بنية النص ونسجه.

وعلى حين كان لوفيفر يحاول مزيداً من الموضوعية والدقة التاريخية في وصفه ترجمات كاتولّوس، نراه لم يَكبح رغبته في الكشف عما يفضله. لقد وجد أن الفئة الأخيرة تستوعب أقل القليل في ما يتصل بترجمة محتوى النص. ويفضِّل لوفيفر نفسه الصيغة الثانية من صيغ هولمز، تلك التي تعلي من شأن وظيفة النص عند القراء الأصليين، ومع ذلك فإن المصطلحية التي اعتمدها لوفيفر: «الوصفة الجديدة» (New Prescription) تستدعي إلى الأذهان ما قام به نايدا وفيلس في المرحلة الباكرة؛ يقول لوفيفر:

> «إن مهمة المترجم هي على وجه التحديد أن ينقل النص ـ المصدر؛ أي تفسير المؤَلَف الأصلي لموضوع معين، معبَّراً عنه بعدد من التنوعات، إلى قارئ ليس له ألفة بتلك التنوعات، ويكون ذلك بأن يستبدل بتنوعات المؤلف مكافئات من لغة وزمان ومكان وتراث يختلف جميعها عن نظائرها في النص ـ المصدر. وينبغي أن تولى هذه الحقيقة أهمية خاصة، وهي أن المترجم عليه أن يضع في مكان «جميع» التنوعات المشمولة في النص ـ المصدر المكافئات التي لها»[36].

---

(36) المصدر نفسه، ص 99.

لقد أراد لوفيفر أن يصنع صنيع نايدا بأن يصنف النص بحسب موضوعه (Thematize the Text)، ولكنه أراد أن يقوم بذلك دون أن يكفكف من «أدبيته» متبعاً طريقة ليفي، وقد تحدث عن «استبقاء التشوهات» (Preserving Distortions)، ولكنه كان يعني بها «وسائل التعجيب» («Ostranenie» Devices) التي تبدو غريبة في الأصل، وإطلاقها من قيد التراث القائم، وخصوصية الزمان والمكان. إلا أن توصيته بإعمال منهج تاريخي بعينه (أي المنهج الخاص به) أدخلت الخلل على مشروع هو من جهات أخرى يتصف بالحساسية للتاريخ.

إن التناقض الذي يميز هذه المرحلة الباكرة من الدراسات الترجمية يكمن في أنها حاولت الجمع بين أمرين: موضوعية الوصف، وذاتية التوجيه. وتستبين هذه المشكلة بأوضح صورها حين نقارن بين عملين: **الأول** هو مفهوم هولمز لتكافؤ الترجمة، كما كشف عنه في مقاله: «في التوفيق وصناعة المخططات: من كرّاس مترجم»[37]، (On Matching and Making Maps: From a Translator's Notebook) الثاني عمل ريمون فان دن برويك في مقاله: «مفهوم التكافؤ في نظرية الترجمة: تأملات نقدية»[38] (The Concept of Equivalence in Translation Theory: Some Critical Reflections. لقد قامت النظرية التقليدية في الترجمة على أساس من مقدمات يوفرها المعنى الأصلي، وتدريب المترجمين لكي يفسروا

---

(37) Holmes: «On Matching and Making Maps: From a Translator's Notebook,» *Delta* (São Paulo), vol. 16, no. 4 (1973-1974), and «Forms of Verse Translation and the Translation of Verse Forms,» (1988).

(38) Raymond van den Broeck, «The Concept of Equivalence in Translation Theory: Some Critical Reflections,» Paper Presented at: *Literature and Translation: New Perspectives in Literary Studies: With a Basic Bibliography of Books on Translation Studies.*

المعنى تفسيراً صحيحاً بهدف إعادة إنتاجه إعادةً دقيقة، ويفضي ذلك إلى قواعد وقوانين تخص الإجراء المتّبع في الترجمة، بحيث يمكن ـ وفقاً لهذه القواعد والقوانين ـ مقارنة نواتج الترجمة، وتقييمها بطريقة «موضوعية» (Objectively). وبينما كان ريتشاردز ونايدا وفيلس مصرّين على اشتراط وجود المترجمين المثقفين لإنتاج مخرجات من الأصل، تشكل صورة مفردة موحدة محتبكة، أو ـ على الأقل ـ للتوصل إلى إجماع حول ما ينبغي أن يكون عليه المُخرج المفرد المثالي ـ أقول: بينما الأمر على هذه الحال مع أولئك الثلاثة ـ ذهب هولمز إلى أن اعتماد مثل هذه المقدمة نقطةَ انطلاقٍ يَغْفَل عن أمر أساسي في طبيعة الترجمة. لقد ذهب هولمز إلى أنه لا وجود على الإطلاق لقصيدة مترجمة تكون «مماثلة للأصل» (The Same as) أو «مكافئة له»[39] (Equivalent to)، ورجح هولمز أن تطلُّب التكافؤ يتجاوز القيود المقاماتية [البراغماتية] التي تحيط بالموقف؛ يقول هولمز:

«كَلِّف خمسة من المترجمين ترجمةَ قصيدةٍ، أي قصيدة، حتى وإن كانت شديدة الوضوح من حيث الالتزام بقواعد النحو، مطلقة الوزن، بسيطة الخيال، مثل قصيدة كارل ساندبيرغ (Carl Sandberg) التي عنوانها «ضباب» (Fog)، ولتكن الترجمة إلى اللغة الهولندية مثلاً. إن فرص التطابق بين أي اثنين من المترجمين الخمسة هي ضئيلة جداً بحق. ثم كلِّف خمسة وعشرون مترجماً آخر إعادَة تحويلِ الصيغ الهولندية الخمس عكساً إلى الإنجليزية، بواقع خمسة من المترجمين لكل صيغة، إن النتيجة ستكون ـ من جديد ـ تقريباً وعلى وجه اليقين هي

(39) Holmes: «On Matching and Making Maps: From a Translator's Notebook,» p. 67, and «Forms of Verse Translation and the Translation of Verse Forms,» (1988), p. 53.

ترجمات بعدد المترجمين؛ واعتبارُ ذلك من قبيل التكافؤ هو اعتبارٌ فاسد»[40].

لقد ألحّ هولمز على أن الدراسات الترجمية يجب أن تركز على عملية الترجمة بتحليل الاختيارات التي يقوم بها المترجم من بين ما لا حصر له من الممكنات، وفَوْرَ القيامِ بالاختيارات الأولى تَشْرَعُ الترجمة في توليد قواعدها الخاصة بها، محددة بذلك الاختيارات التالية. وقد قدم هولمز عنصرين ينبغي على نظرية الترجمة أن تتجنبهما في تاريخها، وهما: القرارات الذاتية (Subjective Decisions)، وعوارض المصادفة (Accidents). وحول الأخيرة يقول هولمز:

«قد يتفق للغتين أن «تتواشجا» في نقاط معينة، بمحض المصادفة، على نحو تبدو به الترجمة وقد تجاوزت المخاطر في المقطوعة كلها تقريباً. كل ذلك يحدث في حالات شديدة الندرة، ولكنه حين يكون ذلك، تكون الترجمة ـ في ما يبدو ـ هي التي تكتب نفسها تقريباً»[41].

لاحظ هولمز أن ثمة أمراً كان غالب الحصول، وهو أن عملية الترجمة تتضمن قرارات مبدئية تتحكم في القرارات التالية، ولا يخلو أي من الخيارات من أن تكون له تكلفة ما، وسيتعين أن تكون هناك تغييرات تصاحب الترجمة على طول مسارها، وستكون في الترجمة انزياحات مقصودة عن الأصل. وذهب هولمز ـ متأثراً إلى حدّ كبير بمقالة جيري ليفي: «الترجمة بما هي عملية اتخاد قرار»[42]

---

(40) المصدران نفسهما، ص 68 و53 على التوالي.

(41) المصدران نفسهما، ص 78 و59 على التوالي.

(42) Jirí Levý «Translation as a Decision Process,» in: Roman Jakobson, *To Honor Roman Jakobson. Essays on the Occasion of his Seventieth Birthday, 11 October 1966*, Janua Linguarum. Series Maior; 31-33, 3 vols. (The Hague: Mouton, 1967).

(Translation as a Decision Process) ـ إلى أن الترجمة تؤسس نسقاً هرمياً (هيراركيّاً) من المتقابلات (Correspondences)، يعتمد على اختيارات مبدئية معينة، تفرض بدورها تحركات تالية. مثال ذلك أنه إذا آثر المترجم اختيار خصائص تعبيرية على الرسالة الأصلية، أو آثر القافية والوزن على الشعر الحر (Free Verse)، أو آثر استخدام وظيفة «استمالة المتلقي» (Appellative Function) على المحتوى الدلالي، فإن هذه الخيارات في نهاية الأمر ستحدُّ وتحدِّدُ نوع المتقابلات المتاحة خلال مسار الترجمة في بقية النص. ومثل هذه القرارات لا يحكم عليها بالصواب ولا بالخطأ، ولكنها الأمران معاً، فهي دائماً تقيد وتطلق، وهي تسد مسارات واحتمالات معينة، ولكنها في الوقت نفسه تخلق علاقات وبدائل ممكنة جديدة.

أما فان دن برويك ـ كاتب المقدمة المثيرة لكتاب هولمز: **مترجم!: في الترجمة الأدبية والدراسات الترجمية**، ففي مقاله: «مفهوم التكافؤ في نظرية الترجمة» (The Concept of Equivalence in Translation Theory)، نجده يبدأ المقال متفقاً مع هولمز، إذ تجنب كثيراً من المصطلحات النظرية نفسها، تلك المصطلحات التي تميزت بها الترجمة على المستوى التقليدي، بل إنه اقتبس عن هولمز تجربته التي تنتج خمساً وعشرين ترجمة للنص الواحد، وانتهى إلى القول بأن «علينا مهما كلفنا الأمر أن ننبذ الفكرة القائلة بأن علاقة التكافؤ تنطبق على الترجمة»[43]. لقد استيقن فان دن برويك أن جميع الأفكار الظنية عن تعريف التكافؤ التي ساقها اللسانيون، ومنظرو الترجمة، والباحثون، والفلاسفة، وفقهاء اللغة، تنطوي على

---

(43) Broeck, «The Concept of Equivalence in Translation Theory: Some Critical Reflections,» p. 33.

معادلات كثيرة تتصف بالتخالف والتناقض، ولا سيّما عند تطبيقها على ظاهرة معقدة كالشعر في الترجمة. ويعارض فان دن برويك المصطلحية معارضة صريحة، بما في ذلك مصطلحات كالتماثل (Similarity)، والقياس (Analogy)، والوفاء (Adequacy)، والثبات (Invariance)، والتطابق (Congruence)، وكذلك ما تحمله هذه المصطلحية من تضمينات نظرية. غير أنه مضى في طريقه ـ من ثم ـ إلى حيث يعيد تعريف «التكافؤ»، لكي يسترده ويعود به إلى مفهومه الخاص عن «الفهم الحق» (True Understanding) للكيفية التي ينبغي على المرء أن ينظر بها إلى الترجمة الأدبية[44].

تأسست إعادة تعريف فان دن برويك للتكافؤ على سيميائية تشارلز ساندرز بيرس (Charles Sanders Pierce)، وفلسفة تشارلز ستيفنسون (Charles Stevenson)، ولسانيات ج. س. كاتفورد (J. C. Catford). وإذا شئنا اختصاراً، فإن فان دن برويك بدأ بإعادة تقويم التصور الخاص بالتقابل (Correspondence)، معتمداً على التمييز الذي اقترحه بيرس بين «الأنماط» (Types) و«التحققات» (Tokens)، والذي بمقتضاه يمكن لعدد من التحققات أن تشير إلى نمط واحد، ويُلتمس مثال ذلك في وجود صيغ متنوعة (أمثلة إضافية) (Additional Instances) للقصيدة الأصلية (المثال الأول) (Prime Instance)، مغيّراً محور التركيز في الدراسات الترجمية من فكرة «مقابلة الواحد للواحد» (One-to-One Correspondence) إلى فكرة «مقابلة الكثرة للواحد» (Many Correspondence-to-One)[45]. ثم قام فان دن برويك بالتوسع في فكرة «النمط» التي جاء بها بيرس

(44) المصدر نفسه، ص 29.

(45) المصدر نفسه، ص 34.

باستعارة مفهوم جامع من الفلسفة هو مفهوم «النمط الأكبر» (Megatype)، متوصلاً بذلك إلى نتيجة هي أن أي ترجمتين اثنتين إذا كان لهما «معنى واحد تقريباً» (Approximately the Same Meaning) يمكن تعريفهما بأنهما يمثلان «نمطاً واحداً كبيراً»[46] (The Same «Megatype»). وكما فعل هولمز، حدّد فان دن برويك موقع الترجمة بوضعها داخل شبكة من الأمثلة المتنوعة، في «نمط أكبر» أو في «مثال أول». أما المعنى، فقد تم اختزاله إلى تقديرات تقريبية (Approximations) تنطوي على شيء قابل للتحديد إلى حد ما، ولكنه يصاغ نصياً على الدوام في صورة تحققات (Tokens)، أو أمثلة إضافية (Additional Instances)، بيد أن برويك حافظ على مفهوم للمعنى ـ كما فعل الشكلانيون الروس ـ حيث نظر إلى المعنى على أنه خاصية من خصائص اللغة، وليس شيئاً خارجاً عنها. وهكذا تحدد «النمط الأكبر» بشبكة من التحققات، ومع ذلك أيضاً فهو متجاوز لتلك الأنماط، وبذلك يكون متجاوزاً للغة أيضاً. وقد توصل فان دن برويك ـ مستنداً إلى ج. س. كاتفورد ـ إلى تعريف للمعنى بأنه: «الشبكة الكلية للعلاقات التي يشترك فيها أي شكل لغوي»، كما تبنى تعريف كاتفورد للتكافؤ في الترجمة: «يُحكَم بوجود المكافئ في الترجمة عندما يمكن عقد علاقة بين نص أو مفردة في لغة المصـــــدر (Source Language (SL)) ولغة الهدف (Target Language (TL)) من جهة، والسمات نفسها ذات الصلة (أو بعض السمات على الأقل) التي تشكل حصيلة المقام من جهة أخرى»[47]. ويرى فان دن برويك أن تلك السمات ذات العلاقة لا شأن لها بالمرجعية الدلالية (Semantic Reference). ولكن لها الشأن

(46) المصدر نفسه، ص 34-35.

(47) المصدر نفسه، ص 38.

كل الشأن مع المرجعية النصية (Textual Reference). وقد أشار برويك مرة أخرى إلى كاتفورد، ذاهباً إلى أن «النصين لا ينبغي عزو العلاقة بينهما إلا إلى سمات الموقف الاتصالي التي تكون العلاقة بينها على المستوى الوظيفي[48] (Functionally Relevant). أما كاتفورد فذهب ـ على النقيض من فان دن برويك ـ إلى أن السمات ذات العلاقة على المستوى «الوظيفي» هي نسبياً غير محددة، وأنها مسألة تتعلق بوجهات النظر إلى حد كبير. يقول كاتفورد:

«يمكن أن نميز إذن بين السمات المقامية التي هي ذات علاقة على المستوى اللساني (Linguistically Relevant)، وتلك التي هي ذات علاقة على المستوى الوظيفي بأنها ذات علاقة بالوظيفة الاتصالية للنص في ذلك المقام. ولكي يكون هناك تكافؤ في الترجمة إذن ينبغي أن يكون النص في اللغة ـ المصدر واللغة المستهدَفة كلتيهما ـ على علاقة بالسمات ذات العلاقة الوظيفية في المقام. أما اتخاذ قرار بالنسبة إلى أي حالة معينة، لكي نحدد ما هو ذو علاقة وظيفية بهذا المدلول، فيجب ـ في حدود علمنا الآن ـ أن يبقى إلى حدّ ما مسألة رأي»[49].

غير أن فان دن برويك ـ من جهة أخرى ـ استشعر أن تلك السمات ذات التعلق الوظيفي يمكن تحديدها تحديداً دقيقاً، وأن تُقَيَّس (Standardized) وتُقيَّم، وقد توصل إلى نتيجة اتفق فيها مع لوفيفر، وهي أن مقصد المؤلف الأصلي ووظيفة النص الأصلي، يمكن تحديدهما وترجمتهما باستخدام طريقة للتنميط

(48) المصدر نفسه، ص 38.

(49) John Cunnison Catford, *A Linguistic Theory of Translation: An Essay in Applied Linguistics*, Language and Language Learning (London: Oxford University Press, 1969), p. 94.

وإبراز العبارات موجود في الأصل.

(Typologizing)، والتصنيف الموضوعي (Topicalizing) لكي يكون لهما «قيمة أدبية» مكافئة للنص ـ المصدر، وللوظيفة تبعاً لذلك. ثم انتهى فان دن برويك إلى نتيجة مضمونها أنه من الصحيح لذلك موافقة لوفيفر على أن الترجمة لا تكون كاملة «إلا إذا كانت ـ أو حين تكون ـ القيمة الاتصالية وعناصر الزمان، والمكان، والتراث في النص ـ المصدر كلها مجتمعة قد تم إحلال بدائل لها من أقرب المكافئات الممكنة في النص المستهدف»[50].

هكذا يكون المطلب الخاص بالحفاظ على الأدبية بأي ثمن ذا تأثير لا على المنهجية فحسب، بل على معايير التقييم أيضاً. لقد كانت المشكلة مع المقاربة التي تبنّتها الدراسات الترجمية في مرحلة البواكير عند هولمز ولوفيفر وفان دن برويك هي أنهم أبرزوا إلى مقدمة الصورة التنظيم الداخلي للنص، والإطار المتأصل فيه إلى درجة تلاشى معها المرجع (Referent) تلاشياً كلياً. ويتركز الجانب الأكبر من المشكلة في عدم الاتساق الذي شاب استعمال مصطلح «الوظيفة»، فحين يشير ميكو إلى كلمة «الوظيفة» نَجدُه يتكلم على سمة لسانية رهيفة في النص تمنحه صفة «الأدبية». إنه يَفْرز عناصر تركيبية مميزة في اللغة، ويقوم بوصفها، على أمل منه في أن يعيّن صيغة جدولية للعناصر الجامعة تصدق على جميع اللغات، آملاً بوجود جوامع للشكل تكون غير ملابسة للتاريخ، ومستقلة عن أي ثقافات متعيّنة. إن الدراسات الترجمية تستخدم مصطلح «الوظيفة» لتشير به إلى أمرين مجتمعين، هما: «الطريقة التي استخدمه بها نايدا»، من زاوية نظرية الاتصال واختزال الحمولة المعلوماتية للرسالة

---

(50) Broeck, Ibid., p. 39, and Lefevere, *Translating Poetry: Seven Strategies and a Blueprint*, p. 102.

حتى «تقوم بوظيفتها» (It functions) بطريقة مماثلة في الثقافة المستقبِلة، و«الطريقة التي استخدم بها ميكو المصطلح»، ليعني به سمات لسانية رهيفة لا يمكن أن يتبيّنها إلا الراسخون في العلم من الباحثين اللسانيين ونقاد الأدب. وإشارة ميكو إلى «الوظيفة» تفترض التسليم بوجود قناة للإرسال خالصة النقاء، وقارئاً مثالياً عارفاً بمقصود المؤلف الأصلي، متمكناً من لغات كثيرة، قادراً على تمييز ما هو دقيق وعويص من السمات اللسانية، ومتمتعاً بالقدرة على الإبداع الشعري. ومثل هؤلاء القراء قليل عددهم، ذلك أن طراز ميكو لا يقف عند افتراض وجود القارئ الكفء، بل يتجاوزه إلى القارئ المثالي. وهكذا ينهض طرازه النظري في الدراسات الترجمية على أساس مستقبِل لا وجود له، وعلى دالٍّ لا وجود له أيضاً. إنه طراز يشبه ـ في عدم ارتباطه ارتباطاً كاملاً بالفكر والاتصال ـ النصوصَ الحداثيةَ/ المستقبَلية (Modernistic/ Futuristic) في العشرينات من القرن العشرين، تلك التي لا تحيل إلا إلى ذات نفسها، والتي كانت مكتفية بنفسها كل الاكتفاء و«فارغة من المعنى» (Meaningless).

وقد كانت العلة التي من أجلها أراد فان دن برويك أن يطوع مصطلحية الفلسفة الميتافيزيقية التقليدية للدراسات الترجمية ـ هي أن المقاربة الجديدة ـ وإن كانت تحاول تحرير نفسها ـ احتفظت بالقسمة الثنائية نفسها (Dichotomy)، أعني الشكل في مقابل المحتوى (Form Versus Content)، تلك القسمة التي تميزت بها الثنائية الفلسفية التقليدية. أما الترجمات التي تعلي من شأن المظاهر الشكلية، كالقافية والوزن والصوتيات والنحو، فلم تكن مشكلتها ـ على رأي لوفيفر وفان دن برويك ـ في أنها لا تنقل المحتوى، بل في كونها لا تترجم بكفاءة حتى الخصائص الشكلية في النص الأصلي. إنها لا تركز

تركيزاً «كافياً» على الشكل «الكلي» (The «Total» Form)، أي على الموضوع الخاص في علاقته بالتراث الأدبي، والسمات «الأدبية» المميزة. وبينما ينكر باحثو الدراسات الترجمية شرعية الشكل الكلي، فإن الاتهام القائل بأن المجموعة لا تشغل نفسها إلا بالترجمة الأدبية هو اتهام له الكثير مما يسوّغه، كما أن تركيز الاهتمام عندهم على الخصائص الشكلية الخالصة هو تسليم بثنائية الشكل/ المحتوى، دون أي تنظير يتناول العلاقة بين الأمرين، وإذا حظيت الفعالية التأثيرية (Effectiveness) في التمثيل الشكلي للموضوع (Formal Representation) بالترجمة، فمن المفترض أن الموضوع نفسه سيترجم أيضاً. لقد ادعت الدراسات الترجمية لنفسها في بواكيرها موقعاً كان على المستوى النظري جديداً ووسطياً، إذا ما قِيسَ بالموقع الهيرمنيوطيقي التفسيري، ومع ذلك فقد وجدت نفسها متجذرة في كثير من ثنائيات التراث الميتافيزيقي نفسه، وغالباً ما كانت تكفل لهذه الثنائيات طول البقاء.

## التعجيب بما هو معيار التقويم

لكي أبيّن الطريقة التي استُقْبلت بها هذه المرحلة الباكرة من الدراسات الترجمية، أعود إلى النص الذي عنوانه **دراسات ترجمية**(51) (Translation Studies)، وهو من تأليف سوزان باسنيت، وقد جرى تطويره من خلال العمل مع طلاب الدراسات العليا في جامعة وارويك (University of Warwick) في إنجلترا، وبِتشاورٍ وثيق مع جماعة لوفين/ أمستردام (Amsterdam / Leuven). لقد كان هذا النص أحد الإصدارات الأولى في الخارج عن المشروع الفلمنكي/

(51) Susan Bassnett, *Translation Studies* (London; New York: Methuen, 1980).

الهولندي، كما قُصِد به أن يكون مقدمة لهذا الحقل، ولعله قد صار أكبر الكتب التي صدرت عن الدراسات الترجمية مبيعاً حتى الآن، إذ أعادت إصداره دار روتليدج (Routledge) في عام 1991.

ولأن باسنيت كانت تحاول اجتذاب جمهور أكبر، تعمدت أن يكون الكتاب تعليمياً ومستفزاً، لكي تثير الاهتمام، وتحفِّز المناقشة، وتجلِّي الفروق. أيدت باسنيت معتقدين أساسيين ـ وإن كانا متناقضين ـ في بواكير الدراسات الترجمية: **أولهما** أنه ليس ثمة صراط مستقيم ينبغي سلوكه لترجمة النص الأدبي. و**الثاني** أن تفسير الترجمة قائم على المقارنة بين «وظيفة» النص من حيث هو أصل، ومن حيث هو ترجمة. وحين تقوم باسنيت ـ على سبيل المثال ـ بتحليل تاريخي للصيغ المتنوعة من ترجمات القصيدة الثالثة عشرة لـ «كاتولّوس» نجدها تستخدم تعريفاً واسعاً جداً لمصطلح «الوظيفة»، من أجل أن تصف «موضوعياً» اختلاف هذه الصيغ. غير أن باسنيت في الواقع قد ضربت في ما يبدو صفحاً عن ترجمة نهض بها سير والتر ماريس (Sir Walter Marris) الذي «قد وقع في الأشراك التي تتربص بالمترجم حين يتقيد بالمخطط الشكلي نفسه للقافية»، كما يبدو أنها تفضل على هذه الترجمة صيغة أنجزها فرانك كوبلي (Frank Copley)، مفعمةً برطانة الهيبيز، وغنائيات الروك آند رول، إذ وجدتها «أقرب إلى القصيدة اللاتينية من ترجمة ماريس ذات الحظ الوافر من الحَرْفية». وعندما تحدثت باسنيت عن ترجمة بن جونسون (Ben Jonson) ـ الذي ترجم «السوناتا» في قصيدة من واحد وأربعين بيتاً ـ ذهبت إلى أنها «أقرب إلى كاتولّوس من حيث الجو النفسي، والطابع الأسلوبي، واللغة من سائر الترجمات الأخرى»[52]. ومن

---

(52) المصدر نفسه، ص 88-91.

الواضح أن باسنيت تحاول بطريقة بلاغية أن تحطم ما يحمله القراء من مفهوم ضيق للصورة التي ينبغي أن تكون عليها الترجمة، وأن تقنعنا بأن ننظر إلى ظواهر الترجمة في معناها الأوسع. بيد أن باسنيت ـ في ما يبدو ـ تفضل أن تستوعب في رؤيتها تأثيرات التعجيب، لتساعد المترجمين على إضافة ملاحظات وفقرات يُجارون بها تأثيرات النص الأصلي، وذلك لتقوية الأسباب بين النص والقارئ المعاصر. وهكذا ينشأ عن توسعها في استخدام مصطلح الوظيفة، وتطبيقها المتحرر لمفهوم التغيير البديل تعتيمٌ على الحدود الفاصلة بين التعريفات التقليدية للترجمة والتصرف في الترجمة.

وعلى الرغم من المظهر الذي يعكس منهجيةً داعيةً إلى التغيير الجذري، فإن الشعرية عند باسنيت تُردِّد بالفعل أصداءَ الأعراف الحداثية وأعراف الشكلانية الروسية. لقد قدَّمت القضايا النظرية التي أثارها الباحثون الفلمنكيون والهولنديون بوصفها جزءاً من «مشكلات الترجمة» التي تميزت بها نظرية الترجمة على طول تاريخها، وكانت ملمحاً جدَّ مميِّز للمقاربات الأنجلو- أمريكية الآن. والحق أن باسنيت كان لديها ـ إلى حدّ بعيد ـ ما يسوّغ تطبيقها الدراسات الترجمية في مقاربتها للترجمة المتصفة بالتداخل السيميائي (Intersemiotic)، وهي مقاربة تأسست على سنين طوال من الدراسات المسرحية، ويمكن أن يُلْتَمس الدعمُ النظري لما اعتمدتْه من الأولويات في عمل ليفي وبوبوفيتش ولوفيفر وفان دن برويك. وكان فهْمها للدراسات الترجمية محكوماً إلى حد ما بالتشوش المصطلحي الواقع داخل الحقل، وبتقاطع الحقل مع الثنائية الفلسفية التقليدية، وإسفار هذا الفهم عن رؤية جمالية تستسلمُ فتُسلِم نفسها لحيل ذاتية خادعة وفاقدة للمرجعية.

وبينما استخدمت باسنيت الدراسات الترجمية لتدعم استراتيجيتها الخاصة في مجال الترجمة ـ وهي استراتيجية تحافظ في جلاء على معايير تقويمية مؤسسة على المبادئ المهيمنة على الحداثة والمميزة لها ـ نجد جيمس هولمز يتابع مسيره بطريقة أخرى تتصف بالقليل من الوظيفية، والمزيد من المادية (Materially). لقد أراد أولاً أن يميط اللثام عن عملية الترجمة، لكي يفهم العلة في اتخاذ قرارات معينة، قبل الحكم على النتيجة بالجودة أو الرداءة، وبالصواب أو عدم الصواب، وبأنها مفهومة أو غير مفهومة. وفي إحالة أخرى إلى دراسة ليفي: «الترجمة بما هي عملية اتخاذ قرار» (Translation as a Decision Making Process)، ذهب هولمز إلى أن الترجمة تنطوي على صناعة قرار، وأن القرار الواحد يؤثر في كل ما سواه من قرارات[53]. غير أن الترجمة تبدأ ـ عند نقطة معينة ـ في إنتاج قواعدها الخاصة بها، وفي الحيلولة دون خيارات معينة، وفتح الرؤية على استبصارات ربما لم تكن ظاهرة للعيان من قبل. وكيفما كانت الصورة التي تؤول إليها الترجمة، فإن الترجمات الأخرى هي دائماً ممكنة، لا على أنها أجود أو أسوأ، ولكن على أنها مختلفة، اعتماداً على شعرية المترجم، وخياراته الأولى، وعلى النقاط التي تتواشج عندها اللغات وتبدأ في التطور، لا في اللغة ـ المصدر أو اللغة المستهدَفة، بل في المنطقة الرمادية الواقعة بين اللغتين. ومناط الفرق بين مقاربة كل من هولمز وباسنيت هو ما يأتي: إن هولمز يحاول أن يستبقي الصوت والحسّ والإيقاع و«المادية» النصية للشيء في اللغة، وأن يعيد خلق تلك الأحاسيس الخاصة ـ الصوت، والحس،

---

(53) Holmes, «On Matching and Making Maps: From a Translator's Notebook,» pp. 79-80, and Levý, «Translation as Decision process,» vol. 2, pp. 1171-1174.

والتداعي ـ على الرغم من القيود المتأصلة في اللغة المستهدَفة. أما باسنيت، فتركز على الموضوع الأساسي والمعنى، وتستنتج «الوظيفة الأصلية»، ثم تسمح بإعمال التغيير في النص ـ بكل أصدائه وتداعياته الخاصة ـ لتُحِلَّ محلَّ ذلك شيئاً جديداً. وكثيراً ما يكون هذا الشيء مختلفاً كل الاختلاف، ولكنه من الوجهة النظرية يؤثر في القارئ بالطريقة نفسها. وفي كلتا الحالين ـ ومع الاستمساك بتعريف نظرية الدراسات الترجمية ـ يمكن للمرء أن يرى في دقة كيف يمكن للطرق المستخدمة في تدريب المترجمين، أو في الممارسة الفعلية للمترجمين، أو في كل ذلك مجتمعاً أن تكون مصدر إلهام لأي مناقشة تدور حول النظرية.

## مكان الدراسات الترجمية من تاريخ الأدب

حاول جيمس هولمز جهد طاقته أن يتجنب إطلاق التعميمات النظرية على الكيفية التي ينبغي أن يكون عليها الموضوع (النص المترجم) قبل إنجاز المواجهة مع النص ـ المصدر، بحيث يكون تحليل وجوه عدمِ التوافق في اللغة، ووزنِ الاختيارات هما اللذان يمليان المنهجية. وعلى حين كان هذا صنيع هولمز نجد أن ريمون فان دن برويك وأندريه لوفيفر وسوزان باسنيت قد واجهوا المشكل الوصفي بمعايير للتقويم موجودة وراسخة. ولم تقف الخلافات النظرية بينهم ـ على أي حال ـ عائقاً دون تعاونهم في الدراسة العلمية للترجمة. والحق أن أكثر الأمور تمييزاً لهذه الحقبة هو عملية التعاون المثيرة جداً، والتي جرت على الرغم من وجود خلافات نظرية معينة بين الأفرقاء. على سبيل المثال اتفق الباحثون في الدراسات الترجمية على أنه ينبغي على الباحث أن يحلل كلا «النسقين»: **نسق** الموافقات التقابلية (Correspondences)، و**نسق** العدولات (Deviations) التي يقوم المترجم بإنشائها. وقد استوفى

هولمز القول في مقاله الذي عنوانه: «وصف الترجمات الأدبية: طُرز نظرية وطرائق» (Describing Literary Translations: Models and Methods)، قال هولمز:

«مهمة الدارس الذي يرغب في وصف العلاقة بين النص المترجم وأصله ينبغي أن تكون واضحة. إن عليه أن يعيِّن السمات التي تشتمل عليها الخريطتان لدى المترجم، وأن يكتشف نسق القواعد المعتمد عنده: تلك التي تختص بالعدول (Deviation) والإسقاط (Projection)، وفوق كل ذلك ـ قواعد الموافقات التقابلية؛ وبعبارة أخرى أقول: أن يحدد طبيعة ما هو شعري عند المترجم»[54].

وأيّاً ما كانت درجة الوضوح التي يمكن أن تبدو عليها العلاقة، فإن مثل هذا الوصف ليس سهلاً، وذلك لسببين اثنين: **أولهما** ـ وهو أمر لا مفر منه تقريباً ـ هو أنه لا وجود لمادة تصلح للتحليل إلا النصان: الأصل والترجمة، ولا سبيل أمام الباحث للوصول إلى ما جرى في عقل المترجم من حيث عملية صناعة القرار. و**ثانيهما** أنه حتى حين يستوفي المترجم القول صراحة في المعايير الأساسية، والنسق الشعري الحاكم على النص المترجم، مضمناً قوله هذا في تمهيد أو تقديم، فإن ذلك الوصف قد لا يكون متوافقاً مع المقصود الأصلي. وهكذا يكون على الباحث أن يتتبع العلاقة بين الترجمة والأصل عبر مسارٍ متخيَّل، لأن النصوص

(54) James S. Holmes: «Describing Literary Translation: Models and Methods,» Paper presented at: *Literature and Translation: New Perspectives in Literary Studies: With a Basic Bibliography of Books on Translation Studies*, p. 77, and «Describing Literary Translation: Models and Methods,» in: Holmes, *Translated!: Papers on Literary Translation and Translation Studies*, p. 87.

التي توثق المسار لا وجود لها في الواقع. وحتى أيام المرحلة الباكرة من الدراسات الترجمية لم يكن ثمة وجود لتخصصات معرفية تقدم شرحاً موضوعياً لعملية الترجمة، فالمحاولات السابقة قامت بعمل مقارنات على أساس تحكمي (Arbitrary)، وتميزت بالحدس، وبالمنهج المتبع في الدراسات التي تعالج التأثير (Influence Studies)، كما أنها اتسمت بقصور فاضح. وقد اقترح الباحثون في الدراسات الترجمية نوعاً من المقاربة أكثر صرامة، حين حاولوا التوصل إلى اتفاق على قائمة من سمات محددة يجب مقارنتها (ومن أمثلتها تلك التي وضع مخططها ميكو في ما سبق من هذا الفصل)، ومن ثم التوصل إلى تثبيت المواطن التي تقع فيها التغييرات البديلة (Shifts) ذات الأهمية الحاسمة (على نحو ما حدده بوبوفيتش من قبل)، ثم القيام أخيراً بتحليل نسقي لتلك التغييرات البديلة، يندمج فيه التحليل الآني [السنكروني] التركيبي النصي، مع التحليل الزماني [الدياكروني] للتناص الأدبي، والتحليل الاجتماعي ـ الثقافي، وذلك لتعيين المعنى والوظيفة في أي نص مترجم بعينه. وقد ارتضى فان دن برويك ذلك، مرجحاً أن ما هو ثابت محدود (المعنى التقريبي) يسير جنباً إلى جنب مع التغييرات البديلة في الترجمة (المكافئات الوظيفية)[55]. ولكي يتم عقد الصلة بين الأصل والترجمة من جهة الجوهر الثابت الجامع بينهما، والتغييرات البديلة المتحكمة فيهما، لفت برويك الأنظار إلى ميكو وإلى النسق الذي اقترحه للخصائص التعبيرية[56]. أما لوفيفر، فقد أدلى برأي مشابه، مستخدماً مصطلحية مختلفة اختلافاً طفيفاً، وذلك حين ذهب إلى أن الأدب يتطور في صورتين مجتمعتين:

---

(55) Broeck, «The Concept of Equivalence in Translation Theory: Some Critical Reflections,» p. 41.

**أولاهما** بوصفه وحدات جديدة مستقلة مشتقة من وحدة أساسية، **والأخرى** بما هو تغيّرات متتابعة تحدث عبر الزمن. وقد رأى أن مهمة الباحث هي التوصل إلى قوانين هذا التطور، وكذلك إلى المؤسسات التي يحدث من خلالها هذا التطور، وحينئذ فقط يمكن تثبيت «معنى» العمل[57]. أما هولمز، فقد كان واعياً بخطر هذه المهمة، ورأى أن التوصل إلى حل موفق لمثل هذا النسق التقنيني، وإنجاز عملية وصف للأدب على الطريقة السابق ذكرها، هو الخطوة الضرورية التالية بالنسبة إلى هذا الحقل، وقد ختم مقاله «وصف الترجمات الأدبية» بقوله:

«إن مهمة الإنجاز الناجح لمثل هذه القائمة يمكن أن تكون مهمة ثقيلة. ولكن، لو أن الباحثين توصلوا إلى إجماع بشأنها، بالطريقة التي توصل بها علماء النبات ـ على سبيل المثال ـ منذ لينّاوس (Linnaeus) إلى إجماع على طرق نسقية لوصف النبات ـ فسيصبح حينئذ من الممكن لأول مرة أن تُقدَّم توصيفات للنصوص الأصلية والمترجمة، ولِـمَا يختص بها من خرائط، ولشبكات الموافقات التقابلية، والقواعد، والتراتبيات التي يمكن أن تكون قابلة للمقارنة المتبادلة. والمقارنة المتبادلة وحدها هي التي يمكن على أساسها أن نواصل العمل لإنجاز دراسات تشكل أساساً متيناً لمجال أرحب؛ ألا وهو الدراسات المقارنة للترجمات، أو لمؤلف واحد، أو لمترجم واحد، أو ـ في قفزة أوسع ـ لحقبة، أو لجنس من أجناس القول، أو للغة واحدة (أو لثقافة واحدة)

(56) المصدر نفسه، ص 44-45.

(57) Lefevere, «Translation: The Focus of the Growth of Literary knowledge,» p. 25.

أو لدراسات التأريخ العام للترجمة»[58].

إن الدراسات الترجمية، تلك التي بدأت باقتراح متواضع إلى حدّ ما، وهو التركيز على الترجمات نفسها، والوصف الأفضل لعملية الترجمة، اكتشفت أن المهمة ستكون أعقد بكثير مما تصورته لها في البدء. إن العمل يتجاوز يقيناً طاقة أي باحث فرد، أيّا ما كانت درجة تضلعه في المعرفة اللسانية أو الأدبية أو النظرية الاجتماعية ـ الثقافية؛ ومن ثم كان الاقتراح هو أن يتوافق دارسو الأدب من حقول شتى على منهجية تساعد على العمل، وتوحيد الجهود حول هذه الغاية العصيَّة.

وقد كان من بين الرواد الذين يقودون الجهود العاملة على تطوير طراز نظري يحقق وصفاً أفضل للترجمات بطريقة شاملة، جوزيه لامبرت (José Lambert)، وهو باحث تختلف المقاربة التي يطرحها عن بواكير الدراسات الترجمية. وقد مال لامبرت إلى القول بأن كتاب **دعوة إلى الدراسات الترجمية** (*Uitnodiging tot de vertaalwetenschap*) ـ الذي اشترك في تأليفه فان دن برويك ولوفيفر عام 1979 ـ كان كتاباً مشخصاً لأعراض المشكلة. وبينما أكد لوفيفر وفان دن برويك الحاجة إلى مزيد من الدراسات الوصفية، حاول لامبرت أن يدلل على أنهما لم يحددا تحديداً دقيقاً كيف ينبغي إنجاز ذلك[59]، وعلى أن الطرائق العامة المستخدمة خلال الحقبة الأولى، أعني في أوائل السبعينات، كانت إلى حد كبير أقرب إلى «الحدسية»

---

(58) Holmes: «Describing Literary Translation: Models and Methods,» (1978), p. 81, and «Describing Literary Translation: Models and Methods,» (1988), p. 90.

(59) José Lambert and Hendrik van Gorp, «On Describing Translations,» in: Theo Hermans, ed., *The Manipulation of Literature: Studies in Literary Translation* (New York: St. Martin's Press, 1985), p. 42.

(Intuitive) منها إلى المنهجية النسقية. وقد كان إسهام اثنين من الباحثين الإسرائيليين عوناً لِـ «لامبرت» ولباحثين آخرين في محاولتهم رسم منهجية على حظ وافر من النسقية من أجل هذا الحقل. وقد صارت «نظرية النسق المتعدد» (Polysystem) ـ كما عَرّف بها إيتمار إيفين ـ زوهار (Itamar Even-Zohar)، وطورها جدعون توري ـ مميَّزة بوصفها النظرية التي تشكل الأساس للدراسات الترجمية المعاصرة، مع أن الباحِثَيْن كانا غير مَعروفَيْنِ للكثيرين. وستعالج النظرية بمزيد من التفصيل في الفصل التالي.

والآن، وقبل أن أطوي هذا الفصل الذي عالجت فيه بواكير الدراسات الترجمية، أرى من المهم أن نتأمل الطبيعة الريادية لأولئك الباحثين الأوائل، وما قدّموه من إسهام للدراسات الأدبية، ونظريات الاتصال عبر الثقافات. إنه لمن المؤسف أن كثيرين من الروّاد الذين شاركوا في سنوات التشكيل للاتجاه قد طواهم الموت، فقد توفي ليفي عام 1969، وبوبوفيتش عام 1984، وهولمز عام 1986، ولوفيفر عام 1996، كما أن الدرس في السنوات الأخيرة قد أضاف القليل إلى السجل التاريخي لهذه الحقبة. غير أن كثيراً من المقالات المهمة، التي نشرت أول الأمر في أماكن مغمورة قد جرى جمعها الآن، وأصبحت متاحة في يسر. فمقالات هولمز جمعت ـ كما أسلفت القول ـ في كتابه: **مترجم!: مقالات في الترجمة الأدبية والدراسات الترجمية**، وأقيمت لقاءات لإعادة تقدير الإسهامات الماضية، ومن ذلك كان المؤتمر الذي خصّص لدراسة إسهام جيمس هولمز في أمستردام عام 1990، ونشرت عروضه لاحقاً في كتاب مختارات بعنوان: **الدراسات الترجمية: حاضر الفن**[60] (*Translation Studies: The State of the Art*)، ويحتوي الكتاب مقالات

(60) Kitty M. van Leuven-Zwart and Ton Naaijkens, eds., *Translation Studies: The State of the Art*, Approaches to Translation Studies; v. 9 (Amsterdam: Rodopi, 1991).

مهمة بأقلام كثير من المعجبين بـ «هولمز».

غير أن ذلك لا يعني عدم وجود إضافة علمية جديدة لسجل الدراسات الترجمية، فهذا هو ثيو هيرمانز (Theo Hermans)، وهو نفسه من رواد هذه الحقبة[61] ـ نراه في كتابه **الترجمة في أنساق: شرح المقاربات الوصفية والمقاربات النسقية**[62] (*Translation in Systems: Descriptive and Systemic Approaches Explained*) ـ يشيد بعمل جون ماك فارلين (John McFarlane)، وهو الذي نَشَر في عام 1953 مقالاً بعنوان: «نماذج الترجمة» (Modes of Translation) في **مجلة جامعة درام** (*The Durham University Journal*). ولقد اعترف هولمز بأهمية أفكار ماك فارلين، ودعاه إلى مؤتمر لوفين (Leuven Conference) عام 1976. بدأ ماك فارلين مقاله بمفاهيم تقليدية إلى حدّ ما عما يحاول المترجمون فعله، ألا وهو: الترجمة الدقيقة لمعنى نص في لغة ما إلى نص آخر في لغة أخرى، ولكنه واصل فدلّ على التعقيدات التي تنطوي عليها هذه العملية نفسها. وكان على وعي بعدم استقرار المعنى، وبظواهر عدم التوافق بين اللغات، مدللاً على أنه لا سبيل لإنتاج نص بالدقة التامة، لأنه لا سبيل إلى تحديد المكونات التي تشكل الدقة التامة. إن الأمر الذي تدعو إليه الحاجة ـ إذن ـ لم يكن هو نظرية أخرى جديدة للترجمة، ولكنه ـ من باب أولى ـ مقاربة تتقبل الترجمة بكل ما تنطوي عليه من مظاهر عدم الانضباط والقصور؛ مقاربة «لا تُعنى بالمُثُل غير الواقعية، والقيم المطلقة المتخيلة، بل بحقائق الواقع»، وهي مقاربة لا ينبغي لها أن

---

(61) انظر في ما يلي من هذا الكتاب القسم الخاص بالدراسات الترجمية في الثمانينات.

(62) Theo Hermans, *Translation in Systems: Descriptive and Systemic Approaches Explained*, Translation Theories Explained; v. 7 (Manchester, UK: St. Jerome Pub., 1999).

تحاول إلى أبعد حدّ فرض نموذج صارم على الحقائق على نحو ما نراها في الوقت الحاضر، ولكنها على الأحرى ـ تساعد ـ بما هي أداة ـ على تحقيق فهم أفضل للحقائق»[63]، ثم ختم مقاله بدعوة إلى استكشاف إجراءات للترجمة، من خلال ما يقوم به المترجمون بالفعل، فيقول: «قبل أن نشرع في إصدار أحكام تقويمية على الترجمة، ينبغي أن نعرف المزيد عن طبيعتها. ومن المرجح أن يكون تحليل «الإجراء» (Procedure) ـ اعتقاداً بأن الترجمة هي ما تصنعه الترجمة ـ هو المقاربة الواعدة»[64]. ويمكن للمرء أن يرى ما لأفكار ماك فارلين من أهمية، ولا سيّما دعاواه؛ من مثل قوله: «إن الترجمة هي ما تصنعه الترجمة» (Translation is as Translation Does) بالنسبة إلى الباحثين في بواكير الدراسات الترجمية.

أما ما هو أعظم أهمية من تجميع المقالات الأولى في كتب مختارات، ومن إثراء السجل التاريخي، فقد كان محاولة استعادة روح العصر. إن شباب الباحثين الذين قَدمُوا إلى هذه المادة في تاريخ متأخر ليس لديهم إلا السجل التاريخي الذي يبدأون به البحث. أما الشأن بالنسبة إلى من شارك في الحقبة فمختلف، فالمادة المفتقدة من برامج المنوّعات التاريخية في هذه الحقبة هي المحادثات، والحوارات الممتدة إلى وقت متأخر من الليل، والأفكار غير المنشورة، التي هي كانت في بداية الأمر على غاية من الأهمية بالنسبة إلى الحركة. ومن حسن الحظ أن ثيو هيرمانز قد خاطب روح

---

(63) James McFarlane, «Modes of Translation,» *Durham University Journal*, vol. 45, no. 3 (June 1953), pp. 92-93, and Theo Hermans, *Translation in Systems: Descriptive and Systemic Approaches Explained*, Translation Theories Explained; v. 7 (Manchester, UK: St. Jerome Pub., 1999), pp. 17-21.

(64) McFarlane, Ibid., p. 93.

الاكتشاف هذه في قِسْم أطلق عليه اسم «الكلية غير المنظورة» (Invisible College) في كتابه: **الترجمة في أنساق**. وبالاعتماد على كتاب توماس كُون (Thomas Kuhn) الذي عنوانه: **بنية الثورة العلمية** (*The Structure of Scientific Revolution*)، وكتاب ديانا كرين (Diana Crane) الذي صدر بعنوان: **الكلية غير المنظورة: إشاعة المعرفة في المجتمعات العلمية**[65] (*Invisible Colleges; Diffusion of knowledge in Scientific Communities*)، وبحثاً عن مفردات للتعبير عن الطاقة التي تميزت بها هذه الحقبة، يورد هيرمانز تأملاته عن الكيفية التي تبلور بها هذا الحقل، ليتحول من مجرد أفكار متباينة عائمة تدور في أجزاء مختلفة من العالم إلى «مصفوفة تخصصية» (Disciplinary Matrix) شبه محتبكة، أو إلى نوع من «لقاء العقول» بين الباحثين في أمريكا وهولندا وبلجيكا وإسرائيل ووسط أوروبا. إن الاهتمامات التي شملت تاريخ الأدب، والبنيوية، والأسلوبيات، والترجمة، وكذلك عدم الرضا عن الوضع القائم للدرس العلمي خاصة؛ كل ذلك قد تداخل، وأفضى إلى قيام عملية إبداعية من التلاقح (Cross-Fertilization). وكانت الأفكار التي تقوم بتجربتها جماعات صغيرة تمتد عدواها إلى آخرين، فتؤدي إلى نمو متضاعف. كذلك توسعت الاتصالات التي وضع أسسها هولمز وبوبوفيتش، فوصلت إلي هولندا وبلجيكا، حيث واصلت زَخْمها على يد باحثين من أمثال جوزيه لامبرت، وأندريه لوفيفر، وريمون فان دن برويك، ثم انتشرت بدورها لتشمل باحثين من أمثال إيفين ـ زوهار وجدعون توري في إسرائيل، وسوزان باسنيت في إنجلترا، وماريا تيموشكو في الولايات المتحدة. إن هؤلاء الأفراد من ذوي الإنتاجية العالية قد طوّروا جهازاً

---

(65) Diana Crane, *Invisible Colleges; Diffusion of knowledge in Scientific Communities* (Chicago: University of Chicago Press, [1972]).

نظرياً ومنهجية بحثية، ونظموا سلسلة من المؤتمرات، وجنّدوا أعواناً، وشرعوا في تدريب طلاب، وكان التوسع مواكباً لهذه المسيرة.

وخلال السنوات الأولى كان إنشاء شبكة من العلاقات الشخصية وتبادل الأفكار حاسماً في ظهور الحقل الجديد، وقد أطلق هيرمانز على تلك الشبكة اسم «الكُلِّية غير المنظورة»، وهي التي كانت ـ على الرغم من تشتتها على رقعة العالم ـ بيتاً لكل المشاركين. ويسوق هيرمانز الأدلة مؤكداً أن ظهور بواكير المقالات في مجلات مغمورة زاد بالفعل من الروح القتالية والإبداعية لدى المجموعة، وكان كثير من الاهتمامات مشتركة بينهم، ومن بينها الاهتمام الذي ربط المجموعة الأولى بالشكلانية الروسية. ومع ذلك استحضر الأفراد المشاركون أيضاً خبرتهم واهتماماتهم الخاصة، بما في ذلك نظرية الأنساق، والدراسات الاختبارية، وتاريخ الأدب، وفلسفة العلم. واختصاراً أقول: إن الكيمياء فعلت فعلها، وتأسس مثال جديد. ونعود الآن إلى الحقبة الوسطى من عمر الدراسات الترجمية، وهي السنوات التي شهدت معالجة أهم أفكارها بالإحكام والاختبار. إنها الحقبة التي زُفّت فيها الدراسات الترجمية إلى من هو أفضل أو أسوأ؛ أعني إلى نظرية النسق المتعدد.

# الفصل الخامس

## نظرية النسق المتعدد

في سلسلة من الأبحاث كتبت في ما بين عامَيْ 1970 و1977، وجمعت عام 1978 تحت عنوان: **أوراق في تاريخ فن الشعر** (*Papers in Historical Poetics*) قدم إيتمار إيفين ـ زوهار للمرة الأولى مصطلح «النسق المتعدد» (Polysystem) ليعني به حاصل الأنساق الأدبية، وتشمل كلّ شيء، بدءاً من الأشكال «الراقية» (High) أو «المعتمدة» (Canonized) (كالنَّظْم الابتكاري)، ومثال ذلك الشعر، وانتهاء بالأشكال «الدنيا» (Low) أو «غير المعتمدة»، كأدب الأطفال وقصص العامة (Popular Fiction) في تراث ما. وبالنسبة إلى تاريخ الأدب، يقر إيفين ـ زوهار بالأهمية لنوعين من الأدب المترجم: أهمية «أولية» (Primary) (للأدب الذي ينشئ أموراً أو نماذج جديدة)، وأهمية «ثانوية» (Secondary) (للأدب الذي يعزز أموراً أو نماذج قائمة)[1]. وقد تبنى زميل له أصغر منه سناً هو جدعون توري مفهوم النسق المتعدد، وقام بفرز وتعريف لعدد معين من «معايير»

---

(1) Itamar Even-Zohar, *Papers in Historical Poetics*, Papers on Poetics and Semiotics; 8 (Tel Aviv: Porter Institute for Poetics and Semiotics, 1978), pp. 7-8.

(Norms) الترجمة التي تؤثر على اتخاذ القرارات عند ممارسة الترجمة، ثم قام بدمج هذه العوامل في إطار عمل أكبر يشكّل نظرية شاملة في الترجمة، أصدره تحت عنوان: **بحثاً عن نظرية للترجمة** (*In Search of a Theory of Translation*) (1980). ولم تكن هذه الأفكار جديدة، ولكنها قامت على أساس ما أنجزه الشكلانيون الروس، وجرى العمل على تطويرها منذ عقد من السنين على يد الباحثين في جامعة تل أبيب، ممن تعهدوا مشروعاً طموحاً يهدف إلى إنجاز وصف كامل لـ «تاريخ الترجمة الأدبية إلى اللغة العبرية» (History of Literary Translation into Hebrew).

وتعود بداية جهود إيفين ـ زوهار إلى وقت مبكر في أوائل السبعينات، إذ قام بتطوير فرضية النسق المتعدد في أثناء قيامه بالعمل على إنجاز طراز نظري للأدب العبري الإسرائيلي، وقد نشر ما توصل إليه بالفرنسية في دراسة بعنوان: «موجز تاريخ الأدب الإسرائيلي» (Aperçu de la litérature israeliènne)، وذلك في عام 1972، وإن كانت الصيغة الإنجليزية من نظريته لم تظهر إلا بصدور كتابه: **أوراق في تاريخ فن الشعر** (*Papers in Historical Poetics*) (1978). وكان جدعون توري واحداً من بين باحثين كثيرين في جامعة تل أبيب شاركوا في حقول دراسية شتى لـ «اختبار» فرضيات إيفين ـ زوهار خلال السبعينات، وحصّل مادة وافرة ليؤسس عليها نتائجه النظرية[2].

---

(2) Shelly Yahalom, «Le Système littéraire en état de crise: Contacts inter-sytémiques et comportement traductionnel,» et Zohar Shavit, «Translation of Children's Literature as a Function of Its Position in the Literary Polysystem,» *Poetics Today: Translation Theory and Intercultural Relations*, vol. 2, no. 4 (Summer - Autumn 1981), and Gideon Toury, *In Search of a Theory of Translation*, Meaning and Art; 2. Targum (Tel Aviv: Porter Institute for Poetics and Semiotics, Tel Aviv University, 1980).

تقدم إيفين ـ زوهار بأفكاره إلى المجموعة الهولندية/ البلجيكية لدى ما أصبح يُعرف الآن باسم: «حلقة 1976 «التاريخية» للدراسات الترجمية في لوفين، بلجيكا» («Historic» 1976 Translation Studies Colloquium in Leuven, Belgium)، وهي الحلقة التي نشرت وقائعها في صورة مجموع أبحاث تحت عنوان: **الأدب والترجمة: منظورات جديدة في الدراسات الأدبية** (*Literature and Translation: New Perspectives Literary Studies*) (1976). ثم قدمت الأبحاث في مؤتمرين للدراسات الترجمية أعقبا حلقة 1976؛ كان الأول عام 1978 في تل أبيب (وظهرت وقائعه في إصدار خاص من الدورية: *Poetics Today* (Summer - Autumn 1981). وكان المؤتمر الثاني عام 1981 في آنتورب (Antwerp)، ونشرت وقائعه في إصدار خاص عن الترجمة في **ديسبوزيتيو** (*Dispositio*) (1982). وتشرح هذه الأبحاث الاندماج بين نظرية النسق المتعدد والدراسات الترجمية إلى اللحظة الزمنية التي كان الجانبان فيها غير متمايزين تقريباً، أي على الأقل خلال الثمانينات.

ويلحّ هنا سؤال: لماذا يجري هذا التوحد في العمل على يد باحثين من الأراضي المنخفضة (Low Countries) (هولندا) وفي إسرائيل، في هذه الآونة من الزمان؟ لا شك في أن أحد هذه الأسباب يتصل بالتطورات التي شهدتها الأوضاع الاجتماعية والتاريخية بصورة متوازية في البلدين، فلقد تمتع الباحثون الفلمنكيون والهولنديون بصلات ثقافية وثيقة مع الأوساط الأدبية الألمانية والتشيكية، على حين كان ثمة تفاعل بين الإسرائيليين والألمان والروس، ثم أخيراً بين هؤلاء والباحثين الأنجلو ـ أمريكيين. ثم إن المنطقتين شهدتا أفقاً متشابهاً في الترجمة أيضاً، فكلا البلدين يمكن وصفه بأنه بلد يسكنه شعب قليل العدد، يتحدث بلغة ذات أهمية

محدودة (Minor Language)، كما أن الآداب «القومية» فيهما واقعة تحت تأثير قوي من الآداب المحيطة بها. وكان الأدب الهولندي متأثراً بالآداب الألمانية والفرنسية والأنجلو ـ أمريكية، وكذلك شأن الأدب الإسرائيلي مع الآداب الألمانية والروسية والأنجلو ـ أمريكية. وكان الوضع في إسرائيل أكثر تطرفاً منه في البلاد المنخفضة، إذ إن الإسرائيليين لهم تراثهم الأدبي الخاص والمتأصل فيهم، واللغة العبرية تفتقد وجود مدوّنة معتمدة للأعمال الأدبية، وهي تعتمد اعتماداً كلياً على نصوص الآداب الأجنبية لإمدادها بالتنوع والعمق. غير أن الأمر الأهم هو اعتماد الثقافة إجمالاً على الترجمة للأغراض التجارية والسياسية. وفي ما يختص بالوضع الفلمنكي/ الهولندي، لا شك في أن التفاعل بين اللغات المتعددة قد عزز الفرص الاقتصادية والثقافية والاجتماعية المؤاتية، أما في ما يختص بإسرائيل فإن استمرارية بقاء الأمة صار معتمداً على الترجمة. وإذا كان الباحثون الهولنديون والبلجيكيون قد وجدوا أنفسهم في مفترق طرق ثقافي بالنسبة إلى أوروبا، فإن الإسرائيلين لم يجدوا أنفسهم في مفترق الطرق بين الاتحاد السوفياتي والغرب فحسب، بل بين ثقافات الغرب والعالم الثالث.

في الفصل الأول ذكرت أن باول إينغل قد أكد أن مستقبل العالم ربما يتوقف على الترجمة الدقيقة لكلمة واحدة، ولا يبدو هذا التأكيد أوضح ظهوراً في أي مكان كما يبدو في الوضع الدبلوماسي والسياسي الهش القائم في الشرق الأوسط. هناك تلتقي الثقافة الروسية والأنجلو ـ أمريكية، ويلتقي المسلم واليهودي، وتمارس قوى الماضي التاريخية والاجتماعية نفوذها على الحاضر، كما أن تعدد الألسنة أكثر شيوعاً من اللسان الواحد، والمغتربون وجودهم شائع كالسكان المحليين. ومن أجل فهم الماضي والهوية بالنسبة إلى

الإنسان يصبح فهم الترجمة في ذاتها ولذاتها أمراً حاسماً، فلم تعد الترجمة «لعبة» ثقافية للصفوة، أو حاشية على كتاب الدرس الأدبي، ولكنها صارت أمراً جوهرياً لحياة كل إنسان، ولأسباب رزقه في المنطقة كلها (وربما بالنسبة إلى العالم).

هناك سبب آخر للجمع بين النظر في نظرية الترجمة والدراسات الترجمية، وهو ما يجمعهما من تشابه. إن ثمة صلة منطقية بين ما كان يُقترح في البلاد المنخفضة وما كان موضع التسليم في إسرائيل، فالباحثون الإسرائيليون لم ينقُضُوا عمل الدراسات الترجمية في عهدها الأول، ولكنهم توسعوا في تفصيله بدمج الأفكار النظرية المبكرة عن التكافؤ في الترجمة والوظيفة الأدبية في بيئة أكبر، مكنتهم من المعالجة التاريخية لنصوص مترجمة حقيقية، وأن يروا الطبيعة الوقتية العابرة لعدد معين من الفرضيات الجمالية المسبقة التي تؤثر في عملية الترجمة. أما الفارق النظري المهم بين عملهم وعمل الباحثين المنتمين إلى الدراسات الترجمية في المرحلة الباكرة، فهو أن اتجاه الفكر في ما يخص الترجمة قد اتخذ وجهة معاكسة، ذلك أن أنصار الدراسات الترجمية ـ كما هو شأن كثير من منظِّري الترجمة السابقين عليهم ـ قد مالوا إلى فحص العلاقات القائمة على مقابلة الواحد بالواحد (One-to-One Relationships)، وإلى فحص الأفكار الوظيفية عن التكافؤ، وآمنوا بالمقدرة الذاتية للمترجم على اشتقاق نص مكافئ، يُؤثِّر بدوره على الأعراف الأدبية والثقافية في مجتمع معين. أما منظرو النسق المتعدد فيفترضون عكس ذلك، فالمعايير الاجتماعية، والأعراف الأدبية في الثقافة المستقبِلة (النسق «المستهدَف») (Target) تَحْكُم الفرضيات الجمالية المسبقة لدى المترجم، ومن ثم تُؤثِّر في منشأ اتخاذ القرارات الخاصة بالترجمة.

إلا أن نظرية النسق المتعدد ـ على ما تقدم ـ كانت امتداداً

منطقياً لكل ما دعا إليه منظرو الدراسات الترجمية في بواكيرها من مطالب، فلقد توسع الباحثون الإسرائيليون في المحددات التي قصد إليها لوفيفر وهولمز وفان دن برويك إلى درجة تبدو فيها نظرية الترجمة متجاوزة للتخوم اللسانية والأدبية «الشرعية». في مقدمة وقائع مؤتمر تل أبيب عام 1978، التي صدرت بعنوان: **نظرية الترجمة والعلاقات بين الثقافات** (*Translation Theory and Intercultural Relations*)، قال المحرران إيفين ـ زوهار وجدعون توري:

«بمجرد تبني مقاربة تنتمي إلى الوظيفية ظاهرة ومذهباً (Functional (istic))، حيث يكون الموضوع بمقتضى ذلك معتمداً على نظرية، لا مفر حينئذ أمام النظرية الحديثة للترجمة من تجاوز «التخوم»، وتماماً مثلما تم تجاوز «تخوم» اللسانيات، كذلك ينبغي أيضاً تجاوز التخوم الأدبية. ذلك لأن ثمة أحداثاً ذات طبيعة متصلة بالترجمة تستدعي معالجة الثقافات بالمنظور السيميائي»[3].

بدمج الأفق التاريخي غيّر منظرو النسق المتعدد المنظور الذي حكم النظرية التقليدية للترجمة، وأخذوا يواجهون جملة من المسائل تشكل سلسلة جديدة. ولم يقتصر الأمر على تقديم وصف أوفى للترجمات وللروابط الأدبية المتعالقة بين الثقافات، ولكن أُظْهِرت للعيان الصلات الأدبية المتعالقة (Interliterary Relations) داخل التركيب الخاص بأي نسق ثقافي متعيّن، كما أُظْهِر للعيان أيضاً التطور الأدبي واللساني الواقع فعلاً، وكل ذلك تم إنجازه من طريق دراسة النصوص المترجمة.

(3) *Poetics Today: Translation Theory and Intercultural Relations*, vol. 2, no. 4 (Summer - Autumn 1981), p. x.

إن مشكلة بواكير الدراسات الترجمية عند منظري النسق المتعدد هي أنها حاولت أمرين في وقت واحد: أن تنظِّر لعملية الترجمة، وأن تُقوِّم مدى النجاح الذي تحقق لنصوص مفردة متزامنة (من زاوية «أدبيتها» الخالصة). لقد زعمت لنفسها الاشتمال على مكوّن زماني [دياكروني]، وذلك لأنها وضعت في اعتبارها أمرين هما: السياق التاريخي، والثقافة المستهدَفة، جامعةً بينهما (من منظور وظيفة النص في الثقافة المستقبِلة)، وذلك على الرغم من أن هذا المكوّن الأخير ينزع إلى اللاتاريخية (Ahistorical). إن النظرية افترضت إمكان حدوث استيراد مباشر لوظيفة معزولة مفردة (وهي الوظيفة المقصودة للمؤلف الأصلي) عبر القرون. كذلك فإن أي تقييم آني [سنكروني] ـ كما هو الحال في محاولة فان دن برويك لاستعادة مفهوم «التكافؤ في الترجمة» وإعادته إلى الدراسات الترجمية، يتناقض تناقضاً صريحاً مع استيعاب الوصف الزماني [الدياكروني]، والعلة في ذلك هي أن هذا النوع من الوصف يضفي على أي مفهوم للتكافؤ صفة النسبية (Relativize it)، ولا يجعل منه مفهوماً كليّاً جامعاً (Universal). إن أي محاولة لفرض اعتبار جمالي على آخر من جهة المقاربات التي تدرس الترجمة محكوم عليها بأن يَؤُول أمرها إلى الانهيار، وذلك لما تتصف به محددات التحليل التاريخي من اتساع ضروري. لقد كانت بواكير الدراسات الترجمية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتمايزات الميتافيزيقية التي تفصل بين الشكل والمحتوى، وبالنظريات التي تقول بثنائية التمثيل (Dualistic Theories of Representation)؛ ولذلك أخفقت في أن تنجز وصفاً وافياً للوضع التاريخي الذي يتحكم في أنساق تمثيل معينة. لقد تحاشى الإسهام الإسرائيلي محاولات فرض القواعد، واستوعب الأوصاف التي أُنجزت للعمليات المتعددة في الترجمة، وحلّل النتاجات التاريخية المتنوعة. وبدلاً من أن يُقيم بناءه على أساس من نحو يعتمد التقابل بين البنية

الباطنة والأنماط الموضوعاتية، أو على السمات اللسانية ذات الوظائف المتماثلة، قامت النظرية الحديثة للترجمة باستدماج فكرة التغيّر النسقي التي تقضي على مثل تلك المفاهيم السكونية الآلية.

إن عملية الترجمة التي يرغب الآن المنظرون في وصفها ليست هي عملية نقل نص مفرد، ولكنها عملية تغيّر، وإنتاج لترجمةٍ داخل نسق أدبي بتمامه. ولكي يتحقق ذلك قام إيفين ـ زوهار وجدعون توري باستعارة مكثفة لأفكار بعض المتأخرين من الشكلانيين الروس، ولا سيّما أفكار يوري تينيانوف، الذي كان مشروعه ـ من جهات كثيرة ـ موازياً لتطور الدراسات الترجمية. يقول إيفين ـ زوهار، محدداً موقع مفهومه عن نظرية النسق المتعدد من تراث الشكلانية الروسية:

«إن أهمية الارتباطات بين أدب المركز وأدب الطّرَف، وكذلك بين النمط «الراقي» والنمط «الأدنى» بالنسبة إلى تاريخ الأدب هو أمر أثاره الشكلانيون الروس، وذلك بمجرد تخلّيهم عن موقفهم اللاتاريخي إلى حدّ ما، في وقت مبكر من تاريخهم. لقد أصبحت طبيعة هذه الارتباطات من بين الفرضيات الأساسية لتفسير آليات التغيّر في تاريخ الأدب»[4].

وكما اتجهت الدراسات الترجمية في بواكيرها إلى أن تتطلب فحص العملية التاريخية، ولكنها كثيراً ما أخفقت في إحكام الفحص، كذلك فعل كثير من الشكلانيين الروس أيضاً، إذ أخفقوا في تفسير نتائجهم من زاوية تاريخ الأدب. ولم تبدأ هذه العملية إلا أخيراً على يد يوري تينيانوف وبوريس إيخينباوم وتلاميذهما.

(4) Even-Zohar, *Papers in Historical Poetics*, p. 11.

## يوري تينيانوف: عن تطور الأدب

لم يشكل الشكلانيون الروس جماعة متجانسة كل التجانس، وربما كان الخلاف بين الجماعة على مفهوم «الشكل» ـ أعني على ما إذا كانت اللغة موجهة في الأصل نحو العلامة (Sign) نفسها، أو نحو العالم الخارجي ـ هو المسؤول عن الانقسام الواقع داخل الجماعة. وكان بوريس إيخينباوم أحد الشكلانيين الروس الذين ساقوا الحجج من أجل الانفصال عن الأعمال الأدبية المستقلة في ذاتها والدخول في التاريخ، وقد وصف إيخينباوم في دراسته: «نظرية المنهج الشكلي» (Theory of the Formal Method) لحظة الانفصال على الوجه الآتي:

«حقيقة الأمر أن المحاولة الأصلية للشكلانيين من أجل تثبيت وسيلة فنية (Device) تركيبية، وتتبع مظاهر توحدها من خلال مادة غزيرة، قد أفسحت الطريق لمحاولة أخرى، هي المضيُّ في تأهيل فكرة ذات نصيب وافر من التعميم، وذلك بهدف الإمساك بالوظيفة المحددة للوسيلة الفنية في كل حالة. لقد برز مفهوم القيمة الوظيفية إلى المقدمة، وألقى بظلاله على المفهوم الأصلي لوسيلتنا الفنية هذه»[5].

لم يكن الانشقاق في صفوف الشكلانيين الروس موجهاً وحسب ضد الاتجاهات الشكلانية الأولى، ولكن أيضاً ضد سطوة تاريخ الأدب، وضد الدراسات الرمزية في روسيا. وقد حمل هذا التغيير في التفكير التصوري المتأخرين من الشكلانيين على أن يضعوا في

---

(5) Boris Ejxenbaum, «The Theory of the Formal Method,» Translated by I. R. Titunik, in: Ladislav Matejka and Krystyna Pomorska, eds., *Readings in Russian poetics: Formalist and Structuralist Views*, Michigan Slavic contributions; 8 (Ann Arbor, Mich.: Michigan Slavic Publications, 1978), p. 29.

حسابهم العوامل التاريخية، ثم إنهم دخلوا من جديد في صدام مع تقاليد النزعة التاريخانية الأدبية (Literary Historicism)، التي هيمنت عليها حينئذ التفسيرات البيولوجية، والدراسات التي تعالج التأثير الذي يمارسه مؤلفون من ذوي المكانة على مؤلفين آخرين. لقد رأى إيخينباوم أن مؤرخي الأدب آنذاك استندوا إلى «العموميات»، مثل مفهوم «الرومانسية» و«الواقعية» حين كانوا يتكلمون من المنظور التاريخي، وكان مقياس التقدم عندهم يقوم على أساس فردي، شبيه ـ على سبيل المثال ـ بالطريقة التي يمرر بها الأب شيئاً إلى ابنه، أو الأم إلى ابنتها. وكان يُنْظَر إلى الأدب على أنه غير ذي دور في التطور الاجتماعي. أما المنظّرون الرمزيون للأدب ـ وهم الذين انتفض ضدهم الشكلانيون الروس أول الأمر ـ فقد عمدوا إلى الدراسات الأدبية، فبالغوا في إزاحتها بعيداً حتى عن الظروف الثقافية، عاملين على إنشاء سلسلة كاملة من «المخططات الانطباعية» (Impressionistic Sketches) و«الصور الظلية» (Silhouettes) التي تضفي العصرية على الكُتّاب بتحويلهم إلى «رفاق أبديين» (Eternal Companions).

كان هذا الانشعاب في الشكلانية الروسية نتيجة طبيعية للمقاربة الشكلانية. إن الناقد ـ في تحليله أية قضية أدبية معينة ـ لا بد من فوره أن يكتشف هذه الحقيقة، وهي أن المشكلة الأدبية ليست عالقة في شباك التاريخ فحسب، ولكنها مشكلة تمارس تأثيرها على التاريخ الذي وجدت نفسها فيه، وهي تفتح الباب على مصراعيه للمشكلة المعقدة، مشكلة تطور الأدب. أما تينيانوف، فيرى أن أي عمل أدبي جديد يجب بالضرورة أن يقوم بنقض وحدات قائمة، وإلا فهو، بحكم ماهيته، لا يعود أدباً. ولم يعد يُنظر إلى التراث الأدبي بحال على أنه خط مستقيم متصل، ولكنه ـ على الأحرى ـ صراع ينطوي

على هدم وإعادة تشكيل للعناصر[6]. وتشكل هذه النظرة الثاقبة من تينيانوف علامة الانفصام الحاسم، إذا ما نظرنا إلى الأمر من زاوية تطور الشكلانية الروسية وصلتها بالدراسات الترجمية. لقد أعلن تينيانوف رسمياً براءته من رفاقه الشكلانيين، وكان ذلك في مقاله الذي كتبه عام 1927 بعنوان: «عن تطور الأدب» (On Literary Evolution)، ثم من بعد ذلك بعام بالاشتراك مع رومان جاكوبسون، في مقال بعنوان: «قضايا في دراسة الأدب واللغة»[7] (Problems in the Study of Literature and Language). لقد ساق تينيانوف الأدلة على أن المشروع الشكلاني (Formalist Project) لم يكن إلا مثالاً آخر لمقاربة تقليدية «تاريخية» قامت بفرز عناصر «أدبية» ومعادلتها بعناصر من نسق مختلف في الزمان والمكان. يقول تينيانوف:

> «إن التقليد [الأدبي] ـ وهو المفهوم الأساسي في التصور الراسخ لتاريخ الأدب ـ قد برهن على أنه تجريد لا مسوّغ له يتناول عنصراً أو أكثر، من بين عناصر نسق معين، تحتل فيه هذه العناصر المستوى نفسه، وتقوم بالدور نفسه. لقد عودلت هذه العناصر بالعناصر المشابهة لها في نسق آخر، حيث توجد فيه على مستوى مختلف، وهكذا جرى ترتيبها داخل نسق يبدو متوحداً في ظاهر الأمر، ومتكاملاً تكاملاً زائفاً»[8].

نبذ تينيانوف أبحاث زملائه بوصفها أبحاثا سطحية وآلية، ونتائج الأبحاث بوصفها نتائج خادعة ومجردة. وعلى النقيض من ذلك ذهب

---

(6) المصدر نفسه، ص 31، و Jurij Tynjanov, *Dostoevskij: Gogol* ([s. l.]: Opajaz, 1921).

(7) جُمعت المقالتان في: Matejka and Pomorska, eds., *Readings in Russian Poetics: Formalist and Structuralist Views.*

(8) Jurij Tynjanov, «On Literary Evolution,» Translated by C. A. Lupov, in: Ibid., p. 67.

إلى أن السمات الآنية [السنكرونية] تعتمد على المباني الماضية والحاضرة، وهذا ما حمله على إعادة صياغة المفهوم الشكلاني لـ «الزمانية» [الدياكرونية] ووظيفة الأدب في التاريخ؛ وبما أن الأعمال هي دائماً في علاقات جدلية مع أنساق أخرى، فلا يمكن لها أن تُدرس معزولة البتة، وعِلَّة ذلك أن ما كان مبتكراً اعتمد على ما كان مألوفاً. والعناصر الشكلية لم تكتسب القيمة حين أمكن تجريدها، والربط بينها وبين تصورٍ ما للشكل المشابه أو المطابق لها، بل هي اكتسبت القيمة حين أضحت مختلفة ومتنائية عن الشكل المألوف. وقد صارت «الأدبية» [عند إيخينباوم] مساوية للاختلاف، واستخدم تعبيرات مثل: «ابتكار في الأعمال» (Innovation)، و«الطفرة» (Mutation) في الأنساق لبسط القول في شرح حجته؛ فقال: «إن المفهوم الأساسي في التطور الأدبي هو مفهوم «طفرة الأنساق» (The «Mutation» of Systems)، وهكذا يتم التحول بقضية التقاليد إلى مستوى آخر»[9] .

ثمة ملمحان للتغير في تفكير تينيانوف صارا ظاهرين: **الأول** أن «الأدبية» لا يمكن تعريفها خارج التاريخ، فوجودها يعتمد على التعالق (Interrelatedness). و**الثاني** أن الوحدات الشكلية تهبط في سلم الأهمية بقدر ما تصعد القوانين النسقية (Systemic Laws) الحاكمة على العلاقات الأدبية. عند هذه النقطة ربما وجب تشخيص تينيانوف على أنه أقرب إلى البنيوي منه إلى الشكلاني، ذلك لأن غاية مشروعه هو أن يكتشف «القوانين البنيوية المحدَّدة» (Specific Structural Laws) التي تحكم جميع الأنساق، بما في ذلك النصوص الأدبية. لقد اقترح تينيانوف إجراء دراسة لعلاقات الوظيفة في العناصر

(9) المصدر نفسه، ص 67.

الأدبية الشكلية بالعناصر الأدبية الأخرى داخل النص (Intratextual Literary Elements)، وبالعناصر الأدبية في ما بين النصوص (Intertextual Literary Elements)، ثم بالأنظمة الحافة بالأدب (Extraliterary Orders). ولقد كان للتجريد الشكلي لعناصر متفرقة في العمل ـ مثل الإنشاء (Composition) أو الإيقاع، أو الأسلوب، أو النحو أو المحاكاة الساخرة ـ فائدته، ولكنها فائدة محدودة، ذلك لأن مثل هذا العمل لا بدّ له عند نقطة ما من أن يكشف عن تنوع دور العنصر المعين بحسب اختلاف الأنساق. إن انكشاف هذه الحقيقة لـ «تينيانوف» ـ وهي أن العناصر الشكلية كانت قابلة لاكتساب وظائف مختلفة في الثقافات المختلفة (كما في الترجمة على سبيل المثال) ـ قد رجح عنده أن المحددات التي تحكم دراسة الأدب في حاجة إلى أن توسَّع لتشمل ما هو حافّ بالأدب (Extraliterary) ومن خارجه. وأبى تينيانوف ـ بالنسبة إلى أي من العناصر الجديدة أو الأفكار والأجناس القولية (مفردةً أو مجتمعة) ـ أن يقبل لها «أصلاً» غير نسقي، سواء أكان متولداً من نصوص الأدب (التأثيرات الأدبية) (Literary Influences) أو من المؤسسات الحافة بالأدب. وعلى النقيض من ذلك، افترض تينيانوف وجاكوبسون صحة الأطروحة القائلة بأن التطور البنيوي يحكم أي تغير محدد، ذلك أن «تاريخ الأدب (الفن) ـ لكونه متزامناً مع متتاليات تاريخية أخرى ـ تتحدد خصائصه ـ كأيٍّ من هذه المتتاليات ـ بمركَّب من القوانين البنيوية المحددة مُتضمَّنة فيه»[10].

ولتحقيق فهم أمثل لعلاقة العناصر الشكلية المبتكرة بالنص

(10) Yuri Tynianov and Roman Jakobson, «Problems in the Study of Literature and Language,» in: Matejka and Pomorska, eds., *Readings in Russian poetics: Formalist and Structuralist Views*, p. 79.

المحدد وبالنظام الأدبي القائم أدخل تينيانوف مفهوم «النسق» (System). لقد ذهب إلى أن العناصر لا توجد معزولة، ولكنها دائماً منخرطة في علاقات متقاطعة مع عناصر أخرى في أنساق أخرى. وفي مذهب تينيانوف أن عالم الأدب وما هو حافّ به إجمالاً يمكن تقسيمه إلى أنساق بنيوية مركبة، فالتقاليد الأدبية ألّفت أنساقاً مختلفة، والأجناس الأدبية شكلت أنساقاً، والعمل الأدبي نفسه كان أيضاً نسقاً فذّاً، ومجمل النظام الاجتماعي شَكَّل نسقاً آخر، وجميع هذه الأنساق كانت متعالقة، تتفاعل في ما بينها تفاعلاً «جدلياً» (Dialectically)، وتقوم بتطويع الكيفية التي يمكن بها لكل عنصر شكلي محدد أن يؤدي وظيفته، وقد كان من المحالات ـ في غياب مفهومات التماثل (Sameness)، والنسق، والمعايير، والمشاكلة (Conforming) ـ أن يتحدد ما كان جديداً، أو مختلفاً، أو متحولاً بالطفرة (Mutant). لقد قدمت الشكلانية أطروحة تقول بأن «الأدبية» يمكن تمييزها من خلال مفهوم التعجيب (Defamiliarization). غير أن هذه الأطروحة كانت معتمدة على أن هذه الفرضية يمكن أيضاً أن تحدد ما كان مألوفاً، لأن وظيفة العنصر الشكلي يمكن أن تعتبر مثيرة للدهشة في لحظة تناصٍّ محددة حين يلتقي المألوف والجديد وجهاً لوجه. لقد كان الإسهام الأساسي الذي قدمه تينيانوف لنظرية الأدب هو توسيعه ـ بطريقة منطقية ـ محددات الشكلانية لتشمل المعايير الأدبية والاجتماعية.

كان النظام الاجتماعي في الطراز النظري عند تينيانوف هو كل شيء اكتسب التطبيع والآلية والانتظام؛ هو الحياة العادية اليومية المبتذلة. فهو يرى أن النَّظْمَ الذي نلتقي به في الصحف على ـ سبيل المثال ـ يستخدم في الأساس أنساقاً وزنية مبتذلة مطموسة الملامح، قد نبذها الشعر منذ أمد طويل، ومن ثم فإن ما هو حافٌّ بالأدب في

طراز تينيانوف ليس بالشيء الذي يؤثر في الأعمال الأدبية، والعمل الأدبي هو الذي يؤثر في ما هو خارجه. إن النصوص الأدبية تدخل التغيير على الطريقة التي يدرك بها الناس الأشياء في عالم الواقع. ولكي يضيء تينيانوف هذه المنظومة من العلاقات قام بإدخال مفهوم «تركيبة المعايير» (Complex of Norms)، فقال:

«الآن ينبغي تدقيق المبادئ التي يتضمنها الربط بين هاتين المقولتين (أعني: مقولة المعيار القائم، ومقولة المنطوقات الفردية) إذا ما طبقتا على الأدب. في الحالة الأخيرة لا يمكن فحص المنطوقات الفردية بغير الإحالة إلى تركيبة المعايير القائمة (لا مفر للباحث ـ عند الفرز بين المقولة الأولى والمقولة الثانية ـ من أن يشوّه نسق القيم الفنية الخاضعة للفحص، وبهذا يفقد الإمكانية التي تتيح له تأسيس قوانينها الحالَّةِ فيها[11] (Immanent Laws).

هكذا تم ربط المنطوق الفردي أولاً بالمعيار الأدبي القائم سلفاً، لكي تقاس «قيمته» (Its Value)، ومن ثم تحدد القوانين الحَالَّةُ في عملية الإنتاج. وعلى مستوى ثالث يوجد الواقع، أو عالم المادة، أو عالم «العرف الاجتماعي» (Social Convention)؛ أعني العالم الذي وُجِد حين كانت النصوص الأدبية «تُستهلك» (Wrorn Out) بالمعنى الحَرْفي، ويجري تحويلها إلى أشكال أخرى من «الحياة الواقعية» (Real Life). هكذا كان ينظر إلى المعيار الاجتماعي ـ إلى حدّ بعيد ـ على أنه راكد ساكن ميت، وكان الابتكار الأدبي هو الشيء الذي حرّك المجتمع. إن الحياة الواقعية في طراز تينيانوف لا وظيفة لها إلا أن تكون مستقبِلاً للعبارات المتعبة المستهلكة التي فقدت حياتها أو حيويتها.

(11) المصدر نفسه، ص 80.

وعلى حين كان تينيانوف ملتزماً التزاماً بعيداً بنظرية في الأنساق تتجاوز الشكلانية، بقيت جذوره الشكلانية واضحة، ذلك لأن البنية الشكلية للنص ظلّت لها اليد العليا، وتَدنَّى المحتوى ليحتل أهمية هامشية. وقد انبثقت خاصية التراتبية [الهيراركية] في طرازه النظري من تحليل العلاقات بين العناصر البنيوية داخل النص الأدبي (وهي «الوظيفة التركيبية» (Constructional Function)، إلى تحليل علاقة النص الأدبي بالنظام الأدبي (Literary Order) (وهي «الوظيفة الأدبية» (Literary Function)، وأخيراً، إلى تحليل علاقة النسق الأدبي بالأعراف الاجتماعية (وهي «الوظيفة اللفظية» (Verbal Function). وقد قسمت التراتيبية أصنافاً على هذا النحو حتى أصبح من المحال ربط العمل الأدبي المفرد بالنظام الاجتماعي، إذ إن الربط إنما يكون بين النظام الأدبي والنظم الحافّة بالأدب[12]. أما مفهوم تينيانوف للكيفية التي يتطور بها الأدب، فقد قام على أساس وسيلة التعجيب، وهي عين الوسيلة الفنية التي أولاها الشكلانيون الأوائل قيمة بالغة الأهمية. وعلى الرغم من الادعاءات الظاهرة بالنقيض، ظل فهم الأدب ـ حتى عند متأخري الشكلانيين ـ منقطعاً عن بقية العالم الموسوم بالملل والابتذال والآلية. لقد كان الأدب في منظورهم يتطور بذاتية مستقلة، مواكباً لعالم الواقع.

وبقدر ما كان طراز تينيانوف متقدماً، ظل الطراز الزماني [الدياكروني] التطوري المفترض محكوماً في المقام الأول بنزعاته التصورية الآنية [السنكرونية] المسبقة. هنا يبرز مظهر للتناقض داخل عمل تينيانوف يميز مشروعه، وهو محاولته توسيع أفق الشكلانية الروسية بإدخال الأفق التاريخي والوقائع الاجتماعية إلى نموذجه،

(12) Tynjanov, «On Literary Evolution,» p. 74.

ولكنه يحتفظ ـ في الوقت نفسه ـ بمقولاته المفهومية الآنية ـ وهي الوظيفة «التركيبية» (Constructional) للنص ـ تلك التي هيمنت تقليدياً على الشكلانية. إن الذي اكتسب القيمة عنده هو الذي اتصف بالتعجيب («النظم الشعري» (Poetic Verse)، والذي افتقد القيمة هو الذي اتصف بالمشاكلة («اللغة الصحفية وأدب العامة» Popular) (Literature. وكان تينيانوف بدعوته إلى «علم» لا تخترقه القيم (Value-proof «Science») في معالجة تطور الأدب، قد أعلى من قيمة العلامات التي تحيل إلى علامات أخر، حيث يكون الابتكار في الشكل هو العامل الحاكم، وليس للعلامات التي تتجه إلى عالم المادة. وهكذا يتطور الأدب تطوراً ذاتياً، وفقاً للقوانين الأدبية للتطور، غير معتمد على العوامل الخارجية، ويظل الأدب فوق العالم المألوف الرتيب، يتطور منفرداً بذاته. والأدب لا يقوم بدور الوساطة، ولكنه يؤثِّر عبر نوع من التأثير أشبه بقطرات السائل (Trickle Down» Effect»). وعلى ذلك، فإن المفهوم القائل بأن اختلاف البيئة، والظروف الاقتصادية، والمؤسسات الأدبية (كالصحافة) يمكن أن يكون لها تأثير على تطور النسق الأدبي؛ مثل هذا المفهوم غير ممكن تصوره داخل الإطار التحليلي عند تينيانوف. لقد تميز طراز تينيانوف بأن العالم المادي فيه ومحتوى العمل الفني، ومدلوله التاريخي ومعناه؛ كل ذلك تتدنى قيمته لتحتل موقعاً ثانوياً.

## إيتمار إيفين ـ زوهار: استكشاف العلاقات الأدبية داخل النسق

ليس إيتمار إيفين ـ زوهار من منظري الترجمة بالمعنى الدقيق، ولكنه منظِّر ثقافي، فهو لم ينشر شيئاً في الترجمة لمدة تزيد على عقد من الزمان، ولكن عمله الرائد يواصل ممارسة تأثيره الكبير، ولا سيّما عند دراسة الترجمة في الثقافات الناشئة أو الثقافات المأزومة.

تبنّى إيفين ـ زوهار مفهوم تينيانوف عن النسق الأدبي التراتبي، ثم دَمَجَ فيه المادة المجموعة من ملاحظاته المتعلقة بالكيفية التي تُمارِس بها الترجمة وظيفتها في شتى المجتمعات. وسكَّ إيفين ـ زوهار مصطلح «النسق المتعدد» (Polysystem) ليطلقه على مجمل شبكة الأنساق المترابطة، الأدبية الخالصة والأدبية الحافّة داخل المجتمع، ثم طوَّر نوعاً من المقاربة سمّاه نظرية النسق المتعدد، ليحاول بها أن يفسر وظيفة جميع ضروب الكتابة داخل ثقافة متعينة، ابتداء من النصوص الأساسية المعتمدة (Canonical Texts) إلى أكثر النصوص هامشية، وأقلها حظاً من الاعتماد. أما المفاهيم التي أخذها عن تينيانوف ـ مثل مفاهيم «النسق» (System)، و«المعيار الأدبي» (Literary Norm)، وفكرة «التطور» (Evolution) بما هو صراع متواصل بين الأنساق الأدبية المتنوعة ـ فقد استُخْدمْت لتأطير بحثه، ألا وهو: تحليل العلاقات النسقية الداخلية (Intrasystemic Relations) بين البنى الأدبية المتصادمة. ولقد كان تحليل الأدب المترجم مجرد جانب واحد من جوانب بحثه، وعلى الرغم من ذلك أثبت أنه أكبر من أن يكون هامشياً. لقد أظهرت المادة أن الأدب المترجم يمارس وظيفته بطريقة مختلفة، معتمداً على خصائص «النسق المتعدد» المحدد، من حيث العصر (Age)، والقوة (Strength)، والاستقرار (Stability)، والحق أن تفكيره في الترجمة ـ ولا سيّما في ما يتعلق بالوضع المتفرد للأدب العبري وما يعانيه من فقر في النصوص، والدور الفريد الذي يقوم به الأدب المترجم من الروسية واللغة الييدية (Yiddish) في تشكيل نسقه الأدبي ـ أقول: إن هذا الأمر قاد إيفين ـ زوهار إلى بعض أطروحاته المثيرة عن الأنساق الأدبية.

تبنّى إيفين ـ زوهار مفهوم تينيانوف عن النسق، وبنيته التراتبية

لاختلاف الأنساق الأدبية، ومفهوم التعجيب بوصفه وسيلة قياس للأهمية الأدبية التاريخية، وأخيراً مفهومه عن الطفرة (Mutation)، والتطور (Evolution). وتعريف إيفين ـ زوهار لمصطلح «النسق المتعدد» هو نفسه مفهوم تينيانوف للنسق، مستوعباً فيه البنى الأدبية (Literary)، وشبه الأدبية (Semi-Literary)، والأدبية الحافة (Extraliterary). وهكذا يكون مصطلح النسق المتعدد مصطلحاً شاملاً (Global) يستوعب جميع الأنساق الأدبية: الأساسية (Major) والثانوية (Minor) القائمة في أي ثقافة متعينة. ويتضمن جوهر البحث الذي أنجزه إيفين ـ زوهار اكتشافه للعلاقة المتبادلة بين الأنساق المتنوعة، ولا سيّما تلك العلاقات القائمة بين الأنساق الأساسية (Major Systems)، والأنساق الثانوية الفرعية (Minor Subsystems). وفي خطوة حظيت بقسط وافر من الجدل، وعن وعي منه بالمحتوى الأيديولوجي الضمني لما يتبناه تينيانوف من نسق مركب تركيباً تراتبياً، تبنى إيفين ـ زوهار على أي حال المنظومة نفسها من العلاقات التركيبية مع ما يوافقها من «قيمة» متفاوتة» (Varying Value) داخل مجمل التركيب، فيقول:

«وفقاً لما يُفْترض في طبيعة الأنساق بوجه عام، وطبيعة الظاهرة الأدبية بوجه خاص، من الواضح أنه لا يمكن أن يكون هناك مساواة بين الأنساق والأنماط الأدبية المتنوعة. إن هذه الأنساق تحتفظ بعلاقات تراتبية (Hierarchical)، وهو ما يعني أن بعضاً منها يحتفظ بوضع أكثر أهمية من بعض، أو أن بعضها أوّلي (Primary)، وبعضها ثانوي[13].

أما المفهوم الثالث المأخوذ عن تينيانوف، فكان مفهوم التعجيب

---

(13) Even-Zohar, *Papers in Historical Poetics*, p. 16.

(Defamiliarization)، أو مفهوم سلب الآلية (Deautomatization) بالمصطلحية الشكلانية المتأخرة. ويفترض الطراز النظري عند إيفين ـ زوهار ـ وهو ما تدلنا عليه الفقرة السابقة ـ إعطاء مركز متميز للعناصر الأدبية «الراقية» ذات الأهمية «الأساسية» بالنسبة إلى النسق المتعدد، وكذلك للعناصر «الدنيا» الآليَّة التشكُّل (Automatized)، وفي قاع التراتبية الثقافية ذات الأهمية «الثانوية»، وعلى المستويات الدنيا، نجد أن العناصر ـ على الرغم من أنها «ماديّاً» (Materially) غير متغيرة ـ فإنها تفقد «وظيفتها الأصلية»، ويصيبها التحجر[14] (Petrified). ثم قدم إيفين ـ زوهار مفهوماً عكسياً لفكرة المدوّنة المعتمدة (Canon)، فتحول بها عن الفكرة الشائعة لدينا، حيث المدونة المعتمدة هي كيان من النصوص الأدبية لا يصيبه التفاوت، ويحظى بالقبول العام، ويقوم بمهمته بوصفه معياراً قياسياً في ثقافة معينة. وتجلى تحوله عن هذه الفكرة في استخدامه إياها للمساعدة على تحديد ما هو مبتكر وجديد ومختلف:

«بينما يحاول الأدب المعتمد (Canonized Literature) إبداع نماذج جديدة من الواقع، ويسعى إلى إضاءة المعلومة التي يحملها على نحو يحقق سلب الآلية بحسب الصيغة التي اقترحها البنيويون في براغ، فإن الأدب غير المعتمد (Non-Canonized Literature) ينبغي أن يبقى ضمن النماذج المقبولة عرفاً، وذات الحظ الوافر من الآلية. ومن هنا يحصل للمرء الانطباع بالنمطية (Stereotype) تجاه الأعمال غير المعتمدة»[15].

لقد جرى إدخال الأفق التاريخي، مصحوباً ـ فوق ذلك ـ بخطوط مسارات المدرسة المستقبلية (Futurism) الروسية. إن الصدمة التي تنشأ

---

(14) المصدر نفسه، ص 16.

(15) المصدر نفسه، ص 16.

من ظهور عناصر جديدة ومبتكرة في النسق المعتمد القائم هي التي تحمل الأدب على أن يتطور. وهكذا عبر التاريخ تظل الأنساق الفرعية المتنافسة على تحديها الثابت للأنظمة العليا، وعلى تسريب تأثيراتها إليها، وحينئذ يكون التحلل. هكذا يتطور مجمل النسق بطريقة «غير منتظمة»، غير أن عدم انتظامها يتصف بالانتظام (In a Systematically 'Unsystematic' Fashion). إنها صورة أشبه ما تكون بمرجل في حالة غليان، تظهر ضمن النص في صورة نماذج من العناصر الشكلية المتنافسة والمتقاطعة، دالّة على أن الأنساق المتصادمة، وغير المتجانسة في حالة صراع ضمن مُجمل «النسق المتعدد».

مثل هذه النظرية هي صياغة معادة لنظرية النسق التي اقترحها الشكلانيون المتأخرون، وقد قام إيفين ـ زوهار بالنبش عنها، وإحيائها بعد حقبة من الصمت فرضتها أسباب يرجع بعضها إلى الأحوال السياسية في الاتحاد السوفياتي السابق. وفوق ذلك، كان عمله على دَمْج الترجمة في طرازه النظري علامة على تطور أبعد، ضمن حقل الشعرية التاريخية. يقول:

> «من الضروري استيعاب الأدب المترجم (Translated Literature) في النسق المتعدد. إن ذلك أمر نادر الحدوث، ولكن ليس ثمة راصد لتاريخ أي أدب من الآداب يمكنه أن يتجنب الإقرار بحقيقة مهمة؛ هي شدة تأثير الترجمات ودورها على البعدين الآني والزماني في الأدب المعين»[16].

غير أن الأنساق المتعددة ليست جميعها على شاكلة واحدة. وقد توصل إيفين ـ زوهار من خلال تحليل علاقة الأعمال المترجمة بالأعمال الأدبية الأصلية، إلى فهم أمثل لطبيعة الأنساق المتعددة. إن

---

(16) المصدر نفسه، ص 15.

الترجمات تصنف في جميع الطرز النظرية للأنساق السابقة على أنها للأنساق ثانوية. إلا أن المادة التي بين يدي إيفين ـ زوهار أظهرت أن مثل هذا التصنيف ربما يكون غير صحيح، ذلك أن الأنساق المتعددة الكبرى في الثقافات القديمة، كالفرنسية والأنجلو ـ أمريكية ـ على سبيل المثال ـ تختلف عن الأنساق المتعددة لدى الشعوب الحديثة العهد أو الأقل عدداً، كما هي الحال في إسرائيل والبلاد المنخفضة. ويرى إيفين ـ زوهار أن الأنساق المتعددة التي هي من النوع الأول، ذات تقاليد قديمة العهد، ومكتفية بذاتها، ولذلك تنزع إلى التهوين من شأن الأدب المترجم بإزاحته إلى هامش المجتمع (إلا في فترات الأزمات). أما أنساق النوع الثاني، فإن الترجمة فيها ـ لأسباب هي عكس ما تقدم ـ تقوم داخلها بدور ذي أهمية أكبر. وفي مقال له بعنوان: «موقع الأدب المترجم في النسق المتعدد للأدب»[17] (The Position of Translated Literature within the Literary Polysystem)، ذهب إيفين ـ زوهار إلى أن العلاقة بين الأعمال المترجمة والنسق المتعدد في الأدب لا يمكن تصنيفها تصنيفاً ثنائياً: إما أساسي وإما ثانوي، ولكنها تصنف على أنها متغيرة، اعتماداً على الظروف الخاصة الفاعلة داخل النسق الأدبي.

وقد أوضح إيفين ـ زوهار الخطوط الأساسية لثلاثة ظروف اجتماعية تساعد على وجود وضع يمكن أن تحتفظ فيه الترجمة بموقع أساسي، وهي حين يكون الأدب حديث العهد (Young) أو في طور التأسيس، وحين يكون الأدب من آداب الأطراف (Peripheral) أو

(17) Itamar Even-Zohar, «The Position of Translated Literature within the Literary Polysystem,» Paper Presented at: *Literature and Translation: New Perspectives in Literary Studies: With a Basic Bibliography of Books on Translation Studies*, Edited by James S. Holmes, José Lambert and Raymond van den Broeck (Leuven: Acco, 1978).

«ضعيفاً» أو جامعاً بين الصفتين، وحين يكون الأدب في حال مواجهة لـ «أزمة» أو نقطة تحول[18]. في الحالة الأولى ـ ومثالها الحال التي تميز الوضع الإسرائيلي، كما تميز ـ في ما يبدو ـ الثقافة التشيكية في القرن التاسع عشر[19] ـ حينئذ تلبي الترجمة حاجة أدب حديث العهد إلى استخدام لغته لإنجاز ضروب مختلفة من الكتابة بقدر المستطاع. ولأن هذه اللغة لا تستطيع أن تبدع جميع الأشكال وكل أجناس القول، لذا يمكن للترجمة أن تقوم بدور المصدر الأهم لحقبة معينة من الزمان (هذا، وإن كانت ليست محدودة بهذا الدور بحيث لا تتعداه في الهيكل الهرمي التراتبي). ويحتفظ هذا المبدأ بصدقه في مذهب إيفين ـ زوهار بالنسبة إلى الوضع الثاني، فحين يكون الأدب ضعيفاً، ويكون غالباً أدب شعب صغير مثل إسرائيل، لا يمكنه أن ينتج جميع ضروب الكتابة التي يستطيعها نسق أقوى أو أكبر، ومن هنا يكون عجزه عن إنتاج المبتكر والجديد، واعتماده بسبب ذلك على الترجمة لتقدم له السوابق النصية (Precedent-Setting Texts). والنصوص المترجمة ـ في مثل هذه الظروف ـ لا تقتصر مهمتها على دور الوسيط الذي يمكن أن تُستورَد من خلاله الأفكار الجديدة فحسب، ولكنها تكون أيضاً ضرباً من الكتابة يحاكيه في الأعم الغالب الكتَّاب المبدعون في اللغة القومية. أما في الوضع الثالث ـ وربما يكون له نظيره في أمريكا الشمالية في الستينات ـ فإن النماذج الأدبية القارّة تكون في وضع غير قادر على تحفيز الجيل الجديد من الكُتَّاب بحال، فهم يتطلعون إلى مكان آخر بحثاً عن الأفكار والأشكال. وفي ظل مثل هذه الظروف ـ أو توليفة من الظروف ـ تقوم

(18) Even-Zohar, *Papers in Histolical poetics*, p. 24.

(19) Vladimir Macura, «Culture as Translation,» in: Susan Bassnett and André Lefevere, eds., *Translation, History, and Culture* (London; New York: Pinter Publishers, 1990).

كلتا الطائفتين: الكُتَّاب ذوو المكانة الراسخة، والكُتَّاب الطليعيون بإنتاج الترجمات، ومن خلال النص المترجم يجري إدخال عناصر جديدة إلى النسق الأدبي، وإلا فإنه لن يتحقق له الظهور.

ويذهب إيفين ـ زوهار إلي أن الأحوال الاجتماعية حين تكون على النقيض مما سبق، فإنها تتحكم في الأوضاع التي تكون فيها الترجمة ذات أهمية ثانوية بالنسبة إلى النسق المتعدد. وفي الأنساق الأقوى كالنسق الفرنسي، والأنجلو ـ أمريكي، حيث التقاليد الأدبية على درجة جيدة من التطور، وحيث يوجد الكثير من ضروب الكتابة المختلفة، تتولى الكتابة الأصلية إنتاج المبتكر من الأفكارِ والأشكالِ مُستقلةً عن الترجمة، هابطةً بالترجمات إلى موقع هامشي داخل مجمل عمليات التوظيف في النسق الديناميكي. وفي مثل هذا الوضع التاريخي نجد الترجمة غالباً (وليس بالضرورة دائماً) تتعهد أشكالاً قارَّة بالفعل، بوصفها نمطاً سائداً داخل جنس معين من أجناس القول، ويميل الأدب المترجم إلى أن يبقى محافظاً إلى حد ما، مشايعاً لمعايير تكون الأشكال «الأرقى» من الأدب قد نبذتها بالفعل. وعلى الرغم من قيام الترجمات التي تنتج تحت هذه الظروف بدور ثانوي، فإنها ربما تقوم بدور ينطوي على مفارقة، إذ تُدخِل إلى الثقافة «أفكاراً» جديدة، على حين تحافظ في الوقت نفسه على الأشكال التقليدية.

وبعد أن رصد إيفين ـ زوهار موقع الترجمة ضمن الأنساق الثقافية المتباينة، انتقل خطوة أخرى ليستكشف العلاقة بين النصوص المترجمة، والنسق المتعدد في الأدب بمحاذاة خطين: **الأول** كيف تقوم الثقافة المستقبِلة باختيار النصوص بهدف الترجمة. و**الثاني** كيف تتبنى النصوص المترجمة معايير ووظائف محددة نتيجة لعلاقتها بالأنساق الأخرى في اللغة المستهدَفة[20]. ويمكن أن يُلاحظ غياب

(20) Even-Zohar, Ibid., p. 22.

العوامل الأدبية الحافة (Extraliterary) غياباً يجتذب الانتباه. كان إيفين ـ زوهار في عمله الأول على نظرية النسق المتعدد مديناً بدين ظاهر جداً لـ «تينيانوف» والشكلانيين الروس، ويبدو أن الاختيار، بحسب ما يراه إيفين ـ زوهار، تحكمه شروط تقع ضمن النسق المتعدد المستقبِل، فالنصوص التي ستكون موضوعاً للترجمة إنما تُختَار بسبب تَوافُقها مع الأشكال الجديدة التي يحتاج إليها النسق المتعدد، ليحقق لنفسه هوية كاملة ديناميكية متجانسة. وهكذا تحدد الشروط الاجتماعية ـ الأدبية في الثقافة المستقبِلة الأعمال التي تحظى بالترجمة في المقام الأول. ويتحدث إيفين ـ زوهار من منظور الفضاءات التي تنطوي عليها الثقافة الأدبية، فيقول: إنه إذا كانت هناك سمات مفتقدة في ثقافة أدبية ما ـ من قبيل التقنيات أو الأشكال، أو حتى من قبيل الأجناس الأدبية ـ فإن النصوص التي تزوّدها بمثل هذه العناصر الوظيفية ستُستورد للنسق من أجل أن يتحقق له تنوع ديناميكي تام. وإذا لم يتسنَّ حصول ذلك، فإن النسق المتعدد المستقبِل سيظل معيباً «ناقصاً»، وحين يبدأ النسق المفتقر في معاناة الركود، فإن الترجمة من جديد ستنزع نحو المبتكر، وتتحرك في اتجاه المركز المعتمد (Canonic Center)، وتزوّد النسق بالقوة الدافعة لتحقيق التقدم إلى الأمام.

أما في ما يتعلق بالطريقة التي يؤثر بها الأدب المترجم على معايير الترجمة في ثقافة معينة، فقد ذهب إيفين ـ زوهار إلى القول بأنه إذا حظي الأدب المترجم بموقع أساسي، فإن الحدود بين النصوص المترجمة والنصوص الأصلية تتمدد (Diffuse)، ويتم تحرير التعريفات التي تساق للترجمة، فتتسع لتشمل صيغ الترجمة (Versions)، وصور المحاكاة (Imitation)، بل تشمل ـ بالإضافة إلى ذلك ـ الاقتباس. أما حين تكون النصوص محكومة بوضع يتطلب منها أن تكون وظيفتها

هي إدخال عملٍ جديدٍ إلى الثقافة المستقبِلة، وتغيير العلاقات القائمة، حينئذ يكون من الضروري للنصوص المترجمة أن تميل بمزيد من الإحكام إلى إعادة إنتاج ما يتضمنه النص الأصلي من أشكال وعلاقات (ملائمة للغة ـ المصدر). وإذا كان شكل العمل الأجنبي بالغ التطرف بالغ الغرابة، فإن النص المترجم يخاطر بعدم تحقق الاندماج في النسق الأدبي للثقافة المستقبِلة، غير أن النص الجديد إذا كان نصّاً «ظافراً»، فإنه ينزع إلى تأدية وظيفته بوصفه أدباً أساسياً، وبهذا يتحقق «الإثراء» لكلتا المدوّنتين: مدوّنة الأدب الأصلي في الثقافة المستقبِلة، ومدوّنة الأدب المترجم. لكن حين تكون الترجمة أميل إلى النشاط الثانوي الذي يندرج ضمن نسق متعدد معين، فإن الوضع ينقلب عكساً، ذلك أن محاولات المترجمين للوقوع على نماذج للترجمة سابقة الإعداد ينشأ عنها ترجمات مُشَاكِلةٌ للمعايير الجمالية الراسخة سلفاً في الثقافة المستهدَفة، على حساب الشكل «الأصلي» للنص. ولنضرب لذلك المثل الآتي: وفقاً لنظرية النسق المتعدد، هناك ترجمات القرن التاسع عشر الأنجلو ـ أمريكية (وهي التي قام بها روسيتي (Rossetti)، ولونغفيلو (Longfellow)، وفيتزجيرالد (Fitzgerald))، وهي ترجمات أُسست على مقاربات (من نوع مقاربة ماثيو أرنولد التي تؤكد أهمية «الأمانة» والعلاقات النصية في الأصل. وقد أدت هذه الترجمات وظيفتها بوصفها أدباً أساسياً. وهناك ترجمات حديثة معينة (كالترجمة العصرية لـ **الكتاب المقدس** أو الاقتباسات المسرحية) أُسست على مقاربات (من نوع مقاربتي باسنيت ونايدا) التي تفضل الكشف عن أشكال موجودة تؤدي وظيفة المكافئات في الأدب المستهدَف، ومع ذلك فهذه الترجمات قد تكون أنساقاً ثانوية، وهي أقرب إلى تعزيز الجمالية السائدة في الوقت الحاضر (الحداثة)، منها إلى استيراد أفكار وتقنيات.

وفي عام 1977 قام إيفين ـ زوهار بمراجعة لأطروحة النسق المتعدد لتُدخِل في حسابها ـ بطريقة أفضل ـ العلاقة بين النسق الأدبي والقوى الاجتماعية ـ الاقتصادية داخل المجتمع، فقال في مقالة بعنوان: «أطروحة النسق المتعدد: عود على بدء» (Polysystem Hypothesis Revisited):

«لا يحتاج المرء إلا إلى افتراض وجود العلاقة بين المركز والطرف، لكي يكون قادراً على التوفيق بين عدم التجانس (Heterogeneity)، والوظيفية (Functionality). وهكذا لا تكون فكرة التراتبية الهرمية (Hierarchy)؛ أي فكرة الطبقة (Strata)، فكرة لا يمكن تجنبها فحسب، بل إنها تكون ـ فوق ذلك ـ فكرة مفيدة. إن تنمية ذلك باستخدام فكرة نسق الأنساق (A System of Systems) أو النسق المركب (Multiple System)، أعني: النسق الذي تتصف التقاطعات فيه بمزيد من التعقيد ـ أقول: إن مثل هذه تنمية ليس إلا خطوة منطقية تتطلبها الحاجة إلى إحكام طراز نظري يكون أوثق صلة» بـ «عالم الواقع»[21].

إن ميزة نظرية النسق المتعدد أنها تراجع تنمية نفسها بنفسها في ما تسوقه من حجاج، وتحقق التكامل بين دراسة الأدب ودراسة القوى الاجتماعية والاقتصادية في التاريخ. وقد استخدم إيفين ـ زوهار مصطلح «متعدد» (Poly) تحديداً، ليحسب حساب مثل هذا التدقيق والتعقيد دون أن يضطر إلى التقيد بعدد محدود من العلاقات والروابط المتقاطعة. وتتميز المبادئ التي استخدمها لوصف العلاقات ضمن النسق الأدبي بأنها أيضاً قابلة للتطبيق على العلاقات

(21) المصدر نفسه، ص 29، و Itamar Even-Zohar, «Interference in Dependent Literary Polysystems,» *Poetics Today: Polysystem Studies*, vol. 11, no. 1 (Spring 1990), pp. 20-21.

القائـمة بين النسق الأدبي الخالص، والنسق الأدبي الحافّ (من خارج الأدب)[22] (Extraliterary). ويـسـتـمـد الـعـمـل الأول الـذي قـام بـه إيفين ـ زوهار أهميته لنظرية الترجمة مما أولاه من اهتمام وعناية لدور الترجمة ضمن النسق الأدبي، وهو الدور الذي طالما تجاهله منظرو الأدب بوجه عام. بيد أنه هو نفسه يعترف بأن التراتبية التي وُصِفت، والطريقة التي اختيرت بها الترجمات، والطريقة التي أدت بها وظيفتها ضمن النسق الأدبي، كل ذلك جاء بصورة مفرطة في التبسيط، وأن النظرية احتاجت إلى المراجعة. وتنتقل نظرية النسق المتعدد ـ في مسيرتها المتطورة ـ إلى طور جديد يتميز بأن العوامل الحافة «الآتية من خارج النسق الأدبي» ـ مثل الرعاية المتحكمة (Patronage)، والأحـوال الاجـتـمـاعـيـة، والاقـتـصـاد، والـتـلاعـب المؤسسي ـ كل ذلك يتم عقد الروابط بينه وبين الطريقة المتبعة في اختيار الترجمات وفي ممارستها وظيفتها في النسق الأدبي. وعلى الرغم من أن نظريته قابلة للتوسع، فإن عمل إيفين ـ زوهار نفسه، وصياغاته لأطروحاته مالت إلى التركيز أساساً على الأدب، كما برهنت على ذلك بوضوح أحدث أعماله الأخيرة بصياغة «كُلّيات جوامع» (Universals) مؤسسة على ما توصل إليه.

ولأن غاية النظريات البنيوية هي إرساء القواعد والقوانين التي تحكم نسقاً معيناً، وأن تكشف عن نماذج التجليات الظاهرة التي تخضع للفحص، لهذا تظل مقاربة إيفين ـ زوهار تعمل على تثبيت الفرضية الخاصة بمثل هذه الجوامع، وذلك على الرغم من تركيزها الظاهر على غير المتجانس والمختلف، ومردّ ذلك إلى أسباب نظرية مسبقة خاصة. إن إيفين ـ زوهار يقرأ نص النسيج الثقافي، أي «النسق

(22) Even-Zohar, *Papers in Historical Poetics*, pp. 29-30.

المتعدد»، ويحاول اكتشاف تلك القواعد التي تنظم نسق المغايرة الثقافية، أو «النسق المتعدد». وهو في صنيعه هذا يرتفع بالمقاربة الشكلانية إلى درجة أعلى، ذلك لأن نظريته تصبح نظرية لشكلانية الأشكال (A Formalism of Forms). وعلى الرغم من أنه يفترض في الأنساق الأدبية أنها مؤلفة من أنساق مختلفة مركبة، وأنها تجتاز اختبار التغير بصورة ثابتة، فإن اللبّ الذي يشكِّل نظريته هو مفهوم «الكُلّ» (Whole)، الذي يتصف بالتكامل التام، وأنه «كُلٌّ» ذو غاية. ومع أن الأنساق الفرعية المتنافسة هي في حالة تقلُّبٍ مطرد، فإنها أيضاً ترتبط ارتباطاً متعدد المظاهر بعناصر وأنساقٍ أخرى، وهذه العناصر والأنساق تشكل بنية معقدة (Complex)، ولكنها متوحدة (Unified). إن إيفين ـ زوهار لا يحلل نصوصاً مفردة ويصنفها، ولكنه ـ على العكس من ذلك ـ يحلل نصوصاً مركبة، كما يحلل العلاقات المعقدة الداخلية، والبينية (Intra and Inter-Relations) التي تتغلغل في هذه النصوص، بحيث تشكل كُلاًّ مكوّناً من طبقات مضاعفة، ولكنه كُلّ متوحد، ذلك أن الثقافة عند إيفين ـ زوهار هي أعلى بنية بشرية منظمة.

وتُعدّ النزعة إلى المبالغة في التعميم وإرساء القوانين جانباً من أشد جوانب نظرية إيفين ـ زوهار إثارة للجدل. وفي مقاله: «الكلّيات في الصلات الأدبية» (Universals of Literary Contacts) عدَّد إيفين ـ زوهار ثلاثة عشر قانوناً كليّاً مستمداً من المادة الجديدة التي حصّلها، وأول هذه القوانين هو: «كل الأنساق الأدبية تعمل على أن تصير متعددة الأنساق»[23] (All Literary Systems Strive to Become Polysystemic)، وتأكيد العبارة موجود في الأصل، ويقوم هذا

(23) المصدر نفسه، ص 43.

القانون بمهمة الإيضاح لمقاربته. لقد بدا له عند الرصد الأول للمادة، وللترجمة خاصة، أن ثمة أنساقاً متعددة معينة كانت مصمتة (Unstratified)، أو أنها افتقرت إلى عناصر معيّنة أو إلى وجود أنساق فرعية. غير أنه مع المزيد من التحليل تبيّن له أن الأمر ليس كذلك، وأن الطبقية كانت بحق موجودة «على الدوام»، وأنه لا وجود بحال لأدب مارس وظيفته بوصفه كُلّاً مصمتاً (Non-Stratified Whole)، وهو ما قاده إلى صياغة القانون «الكلي» الأول عن التاريخ الثقافي. لكن مثل هذه الاستنتاجات تنحرف انحرافاً محفوفاً بالمخاطر لتلتصق بالمصطلحية النظرية التقليدية التي قامت في الأساس على مفاهيم التطابق، والحقائق العليا، والأنساق المتماثلة في التكوين والوظيفة. ولا يقتصر أمر هذه الاستنتاجات على ذلك، بل إنها تنزع أيضاً إلى تعزيز كثير من الأفكار التقليدية في تعريف «ما هو أدبي»، وتخلع خاصية المادية على الأنساق الأدبية في الأنساق «القوية».
وربما يكون عمل إيفين ـ زوهار أهم الأعمال إلى يومنا هذا في مجال نظرية الترجمة، فهو يستخدم أفكار تكافؤ الترجمة والوظيفة الأدبية، ولكنه لا يدفع بها بعيداً إلى خارج التاريخ ليفرض طرازاً نظرياً للترجمة يتجاوز الزمان. إن عمله على درجة عالية من الابتكارية، إذ يجلو الطبيعة العَرضية للفرضيات الجمالية المسبقة، بفحص ترجمات فعلية ضمن سياق سوسيولوجي أكبر. وعمله لا يقدم إسهاماً مهماً لحقل نظرية الترجمة فحسب، بل ـ فوق ذلك ـ لنظرية الأدب، إذ هو يشرح أهمية الترجمة ضمن سياق أكبر هو سياق الدراسات الأدبية تحديداً، وضمن تطور الثقافة إجمالاً.

وعلى الرغم مما أحرزه إيفين ـ زوهار من تقدم، يمكن ملاحظة عدد من المشكلات الصغيرة التي تظهر مع نظرية النسق المتعدد. وأولى هذه المشكلات هي ـ باعترافه هو ـ الميل إلى اقتراح قوانين

كلية على أساس شواهد قليلة جداً، إذ لا بد من إجراء تحليل موسع للعلاقات الثقافية والنصية قبل أن يكون من الممكن تثبيت «قواعد كلية» على نحو مقنع. كذلك تُظهر المفارقات القائمة في المادة التي حصلها هو نفسه أن كثيراً من أطروحاته ذات طبيعة سريعة الزوال، وتميل إلى إفساد الأهمية النظرية لما يحاول أن يعبر عنه. ومثال ذلك أن إيفين ـ زوهار يقول بطريقته الحاسمة التي تميز بها أنه «لا توجد تراكيب أدبية على أي مستوى يمكن أن يتبناها نسق غير معتمد (Non-Canonized) قبل أن تصبح من المخزون المشترك للنسق المعتمد»[24]. ومع ذلك، نجد في تحليله الأدب الفرنسي في أواخر القرن التاسع عشر ـ على سبيل المثال ـ أن المعطيات ـ في ما يبدو ـ تشير إلى حدوث العكس، ذلك أن الأدب الإباحي كان واسع الانتشار في الأدب غير المعتمد قبل أن يتم تبني آثاره في النسق المعتمد (Canon). وربما تبنى إيفين ـ زوهار طراز الشكلانية الروسية دون تمحيص، مسلِّماً بتراتبية من العلاقات تنزل فيها الأفكار المبتكرة كالقطرات، لتستقر أخيراً في الأشكال الراكدة التي يتبناها أدب العامة. وشاهِدُه الوحيد يرجح أن الأمر الغالب هو وجود علاقة أكثر جدلية، يتم فيها التفاعل المتبادل على الأقل، أو أن عكس ذلك في بعض الحالات ـ أي أن يؤثر أدب العامة في الأدب المعتمد ـ هو أمر وارد إلى حدّ بعيد.

ويفضي بنا هذا الأمر إلى ما ينشأ عنه من مشكلة تتعلق به، وهو قيام إيفين ـ زوهار بالتبني غير النقدي لإطار العمل الشكلاني، إذ يضفي صفة الديمومة على مفهوم كمفهوم «الأدبية»، ويشكل هذا المفهوم أساساً للطراز النظري المعقد للأنساق الثقافية عند إيفين ـ

(24) المصدر نفسه، ص 17.

زوهار، مع أنه يبدو غير ملائم له. وعلى الرغم من طرازه ذي الأساس التاريخي، احتفظ إيفين ـ زوهار بمفهوم «الحقائق الأدبية» (Literary Facts) الذي ينهض على أساس من النسق الشكلاني للتقويم، وأعني به التعجيب. وربما يكون ذلك مناقضاً لأطروحته هو نفسه القائلة بأن النصوص الأدبية تتصف بالتبعية للثقافة (Culturally Dependent). وقد أثرت هذه الفروض المسبقة في مفهومه للعلاقات التراتبية داخل المجتمع، وتعريفاته لما هو «أساسي» وما هو «ثانوي»، وهو التعريف الذي ظل يحتفظ ببقايا أيديولوجية، تتمثل في نسق لاتاريخي يحكم الأدب، هذا على الرغم من المزاعم الدفاعية بنقيض ذلك. وإذا كان الأدب المترجم ـ في ما يبدو ـ يمارس وظيفته بما هو «أساسي» و«ثانوي» معاً ـ ألا ينبغي أن يَصْدُق ذلك على أدب الأطفال، والروايات البوليسية والقصص الشعبي؟ إن محتوى الإطار النظري لطراز إيفين ـ زوهار سينزل دائماً بالقصص الشعبي ليحلَّه منزلةً ثانوية، لأنه لا يطور الشكل أو الجنس الأدبي. وعلى الرغم من أن العقدة (Plot) والشخصيات قد تتغير، فإن الحكايات لا تتغير من جهة البنية، ومن ثم لا يمكن بحال أن تحتل موقعاً أساسياً ضمن التراتبية. إلا أن ثمة دليلاً كافياً بيقين يثبت وجود أنساق أدبية تحظى فيها الحكايات الشفاهية بدرجة عالية من القيمة.

ينضاف إلى ما تقدم أن مشكلة تعيين موقعية المدلول (Referent) تنطبق على نظرية إيفين ـ زوهار في النسق المتعدد، كما تنطبق على الشكلانية. وعلى الرغم من أن إيفين ـ زوهار يراعي مثل هذه الإمكانية، نجده نادراً ما يربط النصوص بـ «الظروف الواقعية» (Real Conditions) المصاحبة لإنتاجها. إنه لا يفعل ذلك إلا بالنسبة إلى البنية الافتراضية والتعميمات التجريدية، فما هو أدبي حافٌّ دأب على الغياب عن تحليله. و«الشيء» المدلول عليه (The «Thing»

(Signified ـ أي المحتوى، أو المعنى، وإن يكن تحكمياً، وهو ما يشترك فيه المؤلف والقارئ ـ يكاد يكون غائباً تماماً في طراز إيفين ـ زوهار، وتحليله يركز تركيزاً أساسياً على الدال (Signifier)، وعلى كيفية تفاعله من حيث الشكل مع الأنساق الأدبية/ الثقافية للدلالة. إن النظرية التي تتجه إلى الشكل والوظيفة النسقية فحسب تفتقد شيئاً ما، فمن منظور نظرية الترجمة هناك مشكلة تظل قائمة، وهي مشكلة الإحالة (Reference)؛ كيف يترجم المرء العلامات دون مزيد من الإخفاء أو التشويه للشيء الذي تحيل إليه العلامة؟ وكيف يتأتى في نسق مؤلَّف من علامات مختلفة، ترتبط بتداعيات ثقافية مختلفة، أن يهوّن المرء من شأن العناصر المفقودة في عملية الإحالة؟ هل تتطور الأفكار مستقلة عن الأدب؟ يبدو أن إيفين ـ زوهار يشارك إيخينباوم وتينيانوف اعتقادهما بأن الأدب يتطور بذاته وفقاً لقواعد تختص به، ذلك لأنه ـ مع تقبُّله إمكان الزيادة في نظريته ـ يعتقد أن النسق الأدبي هو ـ إلى حدّ بعيد ـ مستقل استقلالاً ذاتياً، وأنه نسق ينظم نفسه بنفسه (Self-Regulating System)، وأن الطبقية (Stratification) تنشأ عن «تقاطع العلاقات ضمن النسق»[25]. هكذا ينزع إيفين ـ زوهار إلى قراءة النصوص المتراكبة في الحياة الثقافية للمجتمع بالفروض الشكلانية المسبقة نفسها التي حملها الشكلانيون الروس على النصوص الفردية.

وأخيراً، فإن المنهجية الخاصة، والخطاب الخاص بـ إيفين ـ زوهار يحدُّ من نطاق بحثه، فالمفهوم من ظاهر قوله أنه يرصد الأنساق «رصداً موضوعياً»، لكي ينفي جميع أشكال التحيز، وأنه يصف الأنساق وصفاً «عقلانياً»، وينظم الظواهر الأدبية. لكننا نراه

(25) المصدر نفسه، ص 30.

يذهب إلى أن اعتماد مقاربة «غير نخبوية» (Non-Elitist) و«غير تقويمية» (Non-Evaluative) كفيل بأن «ينحي جميع أنواع التحيز»[26]. إنه بطريقة ما يضع نظريته فوق غيرها من النظريات، معطياً إياها رؤية مستقلة لظاهرة الترجمة، ولا شك في أن مثل هذه الموضوعية التامة مستحيلة، ولا سيّما إذا استحضرنا طبيعة الموضوع. إن منهجيته القائمة على وضع القواعد، وتطوير الأطروحات، واختبارها، والتوصل إلى إجماع بشأن الباحثين «الأكفاء» في تاريخ الأدب (وهم الذين يُقرُّون المنهج العلمي نفسه) ـ هذه المنهجية في حقيقة الأمر ربما تسد طريق البحث. وعلى حين أن محتوى نظرية إيفين ـ زوهار هو محتوى جدلي ومُتَحدٍّ للنظريات التي تنزع إلى صياغة الكليات، وإلى المجانسة بين الظواهر، فإن منهجيته أيضاً تقوده إلى الموافقة، ومن ثم إلى «البرهنة»، على فرضيات تقوم بوظيفتها بوصفها «حقائق» أدبية.

وعلى الرغم من أن حجاجه مقنع، ويستند إلى دعائم قوية، نجد أن صياغة إيفين ـ زوهار المبادئ تناقض أحياناً ما يحاول أن يبرهن عليه. لقد قام بتكديس مادة جديدة تميل إلى تفنيد نظريات قديمة، وتتطلب تفسيراً جديداً، وهو مع ذلك يستبقي إطاراً تصورياً ومقاربة علمية، حمله كلاهما على أن يصرِّح بمثل هذه البيانات ذات الطابع الكلي (Universal Statements). إن هذه النزعة إلى التعميم ـ ولا سيّما في وجود مادة قليلة تؤسس عليها الاستنتاجات، وقد استُقِيَ معظمها من ثقافة شديدة التفرد والخصوصية ـ هي نزعة تكابد الخطر، ويتمثل هذا الخطر في أن العناصر الموضوعة للتحليل لن تصبح من مكوّنات الطراز النظري إلا في حالة واحدة فقط، هي أن

(26) المصدر نفسه، ص 28. وتأكيد القول موجود في الأصل.

تجد لها مكاناً في مجمل البنية الكلية للنسق المتعدد. ومع الوحدة المفترضة منذ البداية، والمنهج العلمي الذي يهدف إلى تنحية التناقضات، ربما تؤول المنهجية في نهاية الأمر إلى الحدِّ مما تزعم أنها تعمل على فتح الطريق أمامه، وإلى التعتيم عليه. وعلى ذلك ينظر إلى الأنساق التي لا تطابق قواعد النسق البنيوي المتعدد وقوانينه على أنها أنساق «معيبة أو ناقصة»، وأن النماذج غير المطابقة تنطوي على «فراغات» (Vacuums) تحتاج إلى أن تُملأ حتى يتحقق لها الكمال. إن النسق بكليته يقوم على النظام والاطراد، وقدرة الفاحص على أن يقدم تفسيراً مُرْضياً لكل الظواهر. والنص الفرعي الضمني بالنسبة إلى نظرية إيفين ـ زوهار يستدعى إلى الذهن الأشكال الأفلاطونية، والجماليات الكلاسيكية، وذلك بالتخفيف من حدة التناقضات، وإقصاء ما ليس مناسباً. ما النسق الذي يتصف ـ على وجه التحديد ـ بالكمال والديناميكية والتجانس، والذي يمكن أن تقارن بالاحتكام إليه سائر الأنساق الأخرى؟ لقد تكفلت منهجيته بـ «حلّ» التناقضات في الواقع ومشكلات الإبداع الأدبي، فتم ضبط المتباينات، ونُظِر إلى النصوص على أنها تتفاوت «كثرة» و«قلة» في درجة الابتكار، وتم تصنيفها وفقاً لهذا المعيار.

وعلى الرغم من هذه التحفظات، تُبِينُ نظرية إيفين ـ زوهار في النسق المتعدد عن تقدم في تطور الدراسات الترجمية خاصة، وفي نظرية الترجمة بوجه عام. ويختلف طراز إيفين ـ زوهار عن الطرز النظرية السابقة في أن النسق عنده ليس هو النص ـ المخصوص (Text-Specific)، وأنه لا يحلل نصوصاً مفردة معزولة عن سياقها الثقافي. إن النص ـ في مذهب إيفين ـ زوهار لا يبلغ أعلى المستويات التراتبية ضمن ثقافة معينة بسبب حقيقة سامية أو جمال أبدي متأصل فيه، ولكنه يبلغ ذلك لأسباب هي: (1) طبيعة النسق

الـمتعدد في الثقافة الـمستقبِلة وظروفها التاريخية من الوجهتين الاجتماعية/الأدبية. (2) الاختلاف بين عناصر معينة في النص والمعايير الثقافية. والنص لا يتمتع مطلقاً بالاستقلال الذاتي (على الرغم من أن النسق الأدبي الكلي يفترض أن يكون كذلك)، والنص دائماً مُسْتغرَق بالفعل في علاقات متعددة مع عناصر أخرى لأنساق أخرى، تحتل موقع المركز وموقع الهامش كليهما من مجموع الثقافة. بذلك ينبغي أن يكون التقدم النظري الذي أحرزته نظرية النسق المتعدد لصالح الدراسات الترجمية ظاهراً، فبدلاً من أن يكون لدينا تصور سكوني لما ينبغي أن تكون عليه الترجمة، يغير إيفين ـ زوهار من تعريفه لـ «التكافؤ» (Equivalence) و«الوفاء» (Adequacy) وفقاً للوضع التاريخي، محرراً بذلك مجال الاختصاص من الكوابح التي قيّدت تقليدياً ما سبق من النظريات.

إن إيفين ـ زوهار بتوسيعه الحدود النظرية التي حصرت النظرية التقليدية في الترجمة، والتي تأسست جميعها في الأعم الغالب على طُرز لسانية، أو نظريات أدبية غير متطورة، قد فتح الطريق أمام نظرية الترجمة لكي تتقدم متجاوزة منظور الجماليات. وقد تلقف هذا الفتح جدعون توري زميل إيفين ـ زوهار، الذي ركّز تحديداً على المكوّن الخاص بالترجمة في نموذج إيفين ـ زوهار، واستفتح البحث عن طريق جديد لنظرية الترجمة.

## جدعون توري: نحو نظرية للنص المستهدَف في مجال الترجمة

يمكن تقسيم العمل الذي قام به جدعون توري إلى حقبتين: **الأولى** ما بين عامي 1972 و1976، وقد ورد وصفها في كتاب صدر عام 1977 بعنوان: **معـايـيـر الترجمة، والترجمة الأدبية إلى العبرية، 1930 ـ 1945** (*Translation Norms and Literary Hebrew Translation into 1930 -*

(*1945*، وقد تضمن الكتاب دراسة سوسيولوجية مستوعبة للأحوال الثقافية التي أثرت في ترجمة الروايات من اللغات الأجنبية إلى اللغة العبرية، خلال الحقبة الواقعة ما بين عامي 1930 و1945 (وتم التوسع فيه مؤخراً ليشمل أدب الأطفال). أما الحقبة الثانية، فتقع ما بين عامي 1975 و1980، وجرى تلخيصها في سلسلة أبحاث جمعت عام 1980 في كتاب بعنوان: **بحثاً عن نظرية للترجمة.** وتضمن الكتاب محاولة لتطوير نظرية أشمل للترجمة على أساس ما تحقق له من نتائج بحثه الميداني. بدأ المشروع الأول بالاشتراك مع إيتمار إيفين ـ زوهار، واستخدم نظرية النسق المتعدد إطاراً له. أما الدراسة الثانية ـ على الرغم من أنها لا تزال مؤسسة على نظرية النسق المتعدد ـ فتضع أطروحات نظرية يتميز بها طراز توري من طراز سلفه.

انطلقت دراسة توري الميدانية الأولى في نطاق مشروع أكبر أُطلِق عليه «تاريخ الترجمة الأدبية إلى اللغة العبرية» (The History of Literary Translation into Hebrew)، كان يجري تنفيذه في جامعة تل أبيب آنذاك[27]، وقامت دراسته بتصنيف ترجمات النثر القصصي من الإنجليزية والروسية والألمانية والفرنسية واليدية (Yiddish) إلى العبرية على مدى خمس عشرة سنة، وتولدت عن الدراسة مادة كمية مصنفة ـ على سبيل المثال ـ بحسب عدد الكُتَّاب الذين ترجم لهم، وعدد الكتب المترجمة لكل كاتب من المترجم لهم. وعدد المترجمين والناشرين الذين شملتهم هذه العملية. وكان من بين غايات هذه الدراسة الميدانية الكشف عن القرارات الفعلية التي

---

(27) Gideon Toury, *In Search of a Theory of Translation*, Meaning and Art; 2. Targum (Tel Aviv: Porter Institute for Poetics and Semiotics, Tel Aviv University, 1980), p. 123.

اتخذت في أثناء عملية الترجمة، ومن خلال هذه العملية تطلع توري إلى الكشف عن نسق القواعد التي تحكم الترجمة في هذا النسق المتعدد خاصة. لقد افترض بوبوفيتش أن التغييرات البديلة (Shifts) في ما بين المصدر والنصوص المستهدَفة كانت من الوجهة الجمالية هي أبرز تجليات الأساس المنطقي ظهوراً عند اتخاذ قرارات معينة في الترجمة. وقد أظهر تحليل هذه التغييرات البديلة وجود عدد جدّ قليل من التغيرات اللسانية السارية المفعول خلال هذه الحقبة، وأن الغالب على تلك المحذوفات القليلة، والإضافات الأقل، هو أنها غير ذات علاقة بهوية النص، كما أن معظم التغييرات قد لوحظ في مجال اختيار الكلمات والأسلوب. وقد كشفت هذه النتائج عن عدد من المعايير «النصية»، كالنزعة إلى «الارتقاء» بمكانة النص عن طريق اختيار الكلمات، اختياراً يعكس الأسلوب الأكثر «رصانة» (The Highest) من بين البدائل المتاحة.

ومن المفارقات العجيبة ـ بحسب ما كشفت عنه دراسة توري الميدانية ـ أن الاعتبارات اللسانية والجمالية قامت بدور غير ذي شأن في عملية الترجمة، وقد اكتشف توري في الواقع أن معظم النصوص قد اختيرت لأسباب أيديولوجية، وكانت مجالات التفضيل الظاهرة هي للأعمال الاجتماعية، بل ذات الانتماء الاشتراكي أيضاً، ولموضوعات وقضايا معينة، وكذلك ـ بطبيعة الحال ـ للكتّاب اليهود والموضوعات اليهودية. هذا، وإن كان هنالك اختيارات قليلة أمكن تعيينها، تمت على أساس معايير جمالية. وجد توري، متفقاً في ذلك مع إيفين ـ زوهار، أن النصوص التي اختيرت لأسباب أدبية، والتي كان لها طُرز أدبية شكلية مكافئة تتجه إلى أن تحتل وتشكل مركز النسق في الترجمة، ضمن النسق المتعدد في العبرية. وفوق ذلك، لوحظ أنه بالإضافة إلى ابتكارية الشكل في النصوص المركزية، هناك أيضاً عناصر أخرى تشترك فيها جميع النصوص المركزية، ومن ذلك

على سبيل المثال: توجهها الوعظي (Didactic)، وموافقتها عموماً (بل التزام التطبيق الصارم تقريباً) لمعايير الترجمة. وقامت المصادفات بدور كبير في ما يتصل بالنصوص المختارة والنصوص المنشورة، وكذلك في ما يتصل بالمكافئات اللسانية الموجودة وغير الموجودة. بيد أنه على الرغم من التغيرات في النصوص، والافتقار إلى مطابقة نظريات الترجمة اللسانية والأدبية السابق تحديدها، ظلت النصوص المترجمة ـ في رأي توري ـ تمارس وظيفتها بوصفها مترجمات في النسق العبري المتعدد. وقد غلب على النصوص التي دخلت إلى النسق العبري بوصفها مترجمات أنها كانت مكافئاً جزئياً للنص المصدر من الوجهتين اللسانية والوظيفية، غير أنها مع ذلك قد حازت القبول في الثقافة المستهدَفة بوصفها ترجمات، واحتلت جميع المواقع من المركز إلى الطرف. وعلى الرغم من الافتقار العام إلى مطابقة الطرز الافتراضية لتكافؤ الترجمة، فإن أمثلة سوء الترجمة (Mistranslations)، والترجمات التي اعتبرت غير وافية (Inadequate) في الثقافة المستهدفة كانت نادرة بوجه عام. من الوجهة الأخرى كانت أمثلة التكافؤ اللغوي التام مع النص المصدر أندر، كما أن حالات الوفاء التقريبي (Near-Adequacy) مع النص المصدر ـ إذا ما تأكد حدوثها ـ كانت في العادة حالات «عرضية»[28]. وقد استنتج توري أن علّة الافتقار العام إلى الاهتمام بـ «الأمانة» بالنسبة إلى النص ـ المصدر لا ترجع إلى أن المترجمين كانوا لا يبالون بالعلاقات النصية في النص ـ المصدر، ولكن لأن غايتهم الأساسية كانت تحقيق ترجمات مقبولة في الثقافة المستهدَفة. ومن ثم كانت القرارات المتعلقة بعمليات الترجمة ثمرة لما يمارسه

(28) المصدر نفسه، ص 137.

المترجم من تفضيل، تبعاً لهدفه الغائي الأول، وأما التغييرات فقد أملتها الأحوال الثقافية في النسق المستقبِل.

لذلك، لا ينبغي أن يكون مدعاة دهشة أن يكتشف توري ـ عندما صرف اهتمامه إلى تطوير نظرية في الترجمة ـ وجود خطأ في الطُرز النظرية للترجمة، تلك التي تولي وجهها شطر المصدر. وقد حاول توري ـ متَّبعاً إيفين ـ زوهار في استخدامه الترجمات لاستكشاف القواعد المتعلقة بالنسق الأدبي إجمالاً ـ أن يتبيّن ويصف جميع القواعد التي تحكم الترجمة، سواء ما كان منها لسانياً أو أدبياً أو سوسيولوجياً. وقد حملته نتائج دراسته الميدانية على الشك في النظريات المجردة التي تعترف في بنيتها بوجود مؤلفين ومترجمين وقراء مثاليين. وبالعدول عن التعريف سلفاً بما ينبغي أن تكون عليه الترجمة، وبفحص الترجمات الفعلية في السياق الثقافي الواقعي، صار واضحاً أن النظريات الجمالية لانتقال الأدب ـ بل التوصيفات «الموضوعية» الثنائية التحديد (Pair-Bound) أيضاً ـ لا يُفسر أي منها العوامل المتنوعة التي هي ذات تأثير ظاهر على المنتَج في الترجمة.

كان السياق النظري الذي احتكم إليه توري في تحديد موقع مشروعه محكوماً بالطرز الترجمية التي تفترض تعريف التكافؤ بأنه وظيفي ـ ديناميكي. وذهب توري إلى أن مثل هذه النظريات ـ على الرغم من تجاوزها التعريفات اللسانية للتكافؤ في الترجمة ـ ظلّت على توجهها شطر المصدر، كما أنها ظلّت على حالها دائماً من كونها ذات «نزعة توجيهية» (Directive)، و«معيارية» (Normative)، لأنها لا تعترف إلا بـ «الأمثلة الصحيحة» (Correct Instances) و«الأنماط»[29] (Types). ووفقاً لهذه النظريات تقاس صحة الترجمة

---

(29) المصدر نفسه، ص 39-40، و Gideon Toury, «Translated Literature - System, Norm, Performance: Toward a TT-Oriented Approach to Literary =

وكفاءة المكافئ في نص اللغة الثانية دائماً بدرجة توافقه مع النص ـ المصدر، ويكون ذلك بإعادة تركيب جميع السمات الوظيفية «ذات العلاقة» في النص ـ المصدر، سواء كانت هذه السمات عناصر لسانية أو أدبية. ويُفْهمَ من ذلك تقليدياً أن متطلبات الترجمة يحددها النص ـ المصدر، ونتيجة لذلك كان من الضرورة أن تكتسب هذه المتطلبات صفة المثالية. أما نظرية توري، فإنها تعارض النظريات التي تقوم على أساس التطابق المفرد المتوحد والمجرد [بين النصين]، أو على أساس التأويل الصحيح لأداء متعادل بينهما. إن طرازه النظري مؤسس على الاختلاف، وهو يسلم بوجود الاختلافات البنيوية بين اللغات: «فكل نسق لساني، أو تقليد من التقاليد النصية منفردين أو مجتمعين «يختلف» عما سواه من حيث البنية، والمخزون (Repertory)، ومعايير الاستعمال.. إلى آخره»[30]. ويفترض توري وجود قطبين افتراضيين: **أحدهما** للمقبولية التامة في الثقافة المستهدَفة على أقصى الطرف، و**الثاني** لتمام الوفاء بالنسبة إلى النص المصدر (Total Adequacy) على الطرف الأقصى الآخر، ومن ثم يحدد توري موقع الترجمة بأنها دائماً في الوسط: فليس ثمة بحال ترجمة يمكن أن تكون «مقبولة» كل القبول في الثقافة المستهدَفة، لأنها دائماً تقدّم معلومات وأشكالاً جديدة تفعل فعل التعجيب في ذلك النسق، كما أنه ليس ثمة بحال ترجمة تتصف بتمام الوفاء للنسخة الأصلية، لأن المعايير الثقافية تدفع إلى إحداث التغييرات البديلة (Shifts) مع بُنَى النص ـ المصدر. وقد كانت السمة الغالبة ـ تاريخياً ـ على نقد

---

Translation,» *Poetics Today: Translation Theory and Intercultural Relations*, vol. 2, = no. 4 (Summer - Autumn 1981), p. 14.

(30) Toury, *In Search of a Theory of Translation*, p. 94.

والتأكيد موجود في الأصل.

الترجمة هي النزوع إلى تتبع أخطاء للمترجم، لأن النص الفعلي لا يمكن بحال أن يوافق المقاييس المثالية التي يفرضها هذان القطبان المجردان. ومن المنظور اللساني يمكن أن يُشار إلى الأخطاء، وأن تُقتَرح لها حلول أفضل، ومن المنظور الأدبي يمكن الحكم على العناصر الوظيفية في كل الأحوال بأنها أقل ديناميكية أو ابتكارية من سمات النص ـ المصدر.

غير أن توري عندما تأمل الترجمة من منظور الثقافة المستهدَفة ذهب في حجاجه إلى أن التكافؤ في الترجمة ليس نموذجاً مثالياً افتراضياً، ولكنه مسألة اختبارية (إمبيريقية). إن العلاقة بين النص ـ المصدر، والنص المستهدَف ربما تعكس أو لا تعكس العلاقة المجردة المفترضة بينهما، إلاّ أن النص المترجم موجود بما هو مُنتَج اصطناعي لكي يُحِلّ محل النص ـ المصدر صيغة مقبولة في الثقافة المستقبِلة. واكتفاءً من توري في مشروعه النظري بتعيين الأسباب الداعية إلى الانحراف عن المعيار القياسي، جرى توحيد المشروع بأن يتقبّل النصوص المترجمة من غير حكم بالصواب أو عدم الصواب على ما تأتي به من حلول، فليس هناك سبيل يمكن به فهم الترجمة إلا بتحليل النصوص المترجمة من خلال سياقها الثقافي ـ اللغوي. ويذهب توري إلى أن الترجمات نفسها ليس لها هوية «ثابتة» (Fixed)، لأنها دائماً خاضعة للعوامل المختلفة: السياقية والسوسيولوجية الأدبية، ولذلك ينبغي النظر إليها على أنها ذات هويات متعددة، اعتماداً على القوى المتحكمة في عملية اتخاذ القرار في زمن بعينه. وتحاشياً من توري للطرز النظرية التي تسلِّم بتصورات مفردة للتكافؤ في الترجمة، نراه يميل إلى إطار نظري مختلف يقدم فيه صياغة تصورية للظواهر التي تُعدُّ من الترجمة، فهو يأخذ عن لودفيك فِتغنشتاين (Ludwig Wittgenstein) مفهومه عن أُسْرة

المتشابهات (Family of Resemblances)، ومن ثَمَّ فهو الآن يرى النص «الأصل» محتوياً على عناقيد من الخصائص والمعاني والإمكانات، وأن جميع الترجمات تعطي الأفضلية لخصائص أو لمعانٍ معينة على حساب غيرها، وبذلك لم يعد مفهوم الترجمة «الصحيحة» مفهوماً ممكناً في الواقع[31]. لقد دفع توري بنجاح مفهوم نظرية الترجمة ليتجاوز بها هوامش الطراز المتقيد بالوفاء للأصل، أو الطراز الذي يعتمد علاقات متوحدة مفردة بين نصوص المصدر والنصوص المستهدفة. هكذا تصبح الترجمة مصطلحاً نسبياً، معتمداً على قوى التاريخ والشبكة السيميائية التي تسمى الثقافة. أما دور نظرية الترجمة، فقد تغير انسجاماً مع ما تقدم. لقد كفت عن سعيها وراء نسق يمكن الحكم فيه على المنتَج، وهي الآن تعكف على تطوير طراز نظري يساعد على تفسير العملية التي تتحكم في الصيغة الأخيرة للترجمة.

ولم يكن الباحثون في الحقبة الباكرة من الدراسات الترجمية ـ ممن حاولوا أن يكونوا موضوعيين، وأن يدرسوا نصوصاً فعلية في الثقافة المستهدَفة ـ أقل تورطاً في صيغة نظريات الترجمة السكونية المتوجهة إلى المصدر، وهي الصيغة التي رفضها توري. يرى توري أن وراء تعريف الدراسات الترجمية في حقبتها الباكرة لمفهوم الترجمة يقف مفهوم النص الشارح (Metatext) الذي أدخله جيمس هولمز. وعلى الرغم من أن هذا المفهوم قد جرى تطويره على يد أنطون بوبوفيتش (وآخرين)، كما راجعه فان دن برويك (وآخرون)، فقد ظلّ منظرو الدراسات المترجمية ينظرون إلى النصوص المترجمة على أنها ضرب من النصوص الشارحة، يجري قياسها وتقييمها

(31) المصدر نفسه، ص 18.

بالمقارنة إلى النص ـ المصدر أو إلى تفسيرٍ ما لتلك النسخة الأولى قد أُضْفِيَ عليه صفة الكمال[32]. لكن توري أراد أن يوسع الحدود توسيعاً يشمل تلك الحدود التي قام باحثو الدراسات الترجمية الباكرة بالزيادة فيها بالفعل، هارباً بعيداً من التركيبات الافتراضية التي تنحو إلى دراسة النصوص المترجمة معزولة. وبسبب من معارضته النظرية الأخرى المحكومة بالنص ـ المصدر (Source Text (ST))، وضع توري نظرية للنص المستهدَف ((Target Text (TT)) في الترجمة، لا يكتفي فيها بالتركيز على عددٍ من الأفكار الخاصة بالتكافؤ، بوصفها متطلبات مفترضة، ولكن على أساس «العلاقات الفعلية» المركبة بين النص ـ المصدر، و«النص الذي يحل محله حلولاً حقيقياً»[33] (Factual Replacement). ولم يرفض توري عمل اللسانيات التقابلية (Contrastive Linguistics) أو المقاربات السيميائية ـ الوظيفية، فالقيود اللسانية/الأدبية لها بطبيعة الحال عمل، وهي تُطوِّع طبيعة المنتَج في الترجمة. غير أنه يرى على وجه التعيين أن مثل هذه القواعد والقوانين ليست إلا منظومة واحدة من العوامل الفاعلة في عملية الترجمة. ويقدم مشروعُه منظومةً جديدة من العوامل، يمكن أن تكون أقوى مما سواها. لقد كانت غاية الغايات لنظرية توري هي تأسيس تراتبية من العوامل المتعالقة (قيود) (Constraints) تُحدِّد (تحْكُم) (Govern) منتَج الترجمة. وإذا شئنا اختصاراً، فإن توري تطلب من نظرية الترجمة أن تستوعب «الحقائق» الثقافية ـ التاريخية، أي منظومة القوانين التي سماها «معايير الترجمة» (Translation Norms).

(32) المصدر نفسه، ص 39.

(33) المصدر نفسه، ص 39.

تقوم معايير الترجمة هذه ـ إذ تحتل موقع المركز في نظرية توري، وتمارس الفعل في كل مرحلة من مراحل عملية الترجمة ـ بدور الوسيط بين أنساق التكافؤ الموجود بالقوة (Potential Equivalence). وفي مقاله الذي عنوانه: «المعايير في الترجمة الأدبية: طبيعتها ودورها» (The Nature and Role of Norms in Literary Translation)، يوجز توري تعريفه لمعايير الترجمة ويصف منهجيته. إن أي مجتمع معين له معاييره المركبة والمتصادمة، وترتبط جميع هذه المعايير بعلاقات متداخلة مع أنساق أخرى تمارس وظائفها، لكنه إذا ما تكررت المواقف بصورة مطردة حينئذ، يكون في الإمكان تثبيت نماذج سلوكية معينة. لذلك كان من الضروري إذا أريد تمييز النزعات المطردة ـ من منظور الترجمة ـ ألاّ يُكتفى بدراسة نصوص مفردة، بل ينبغي دراسة ترجمات متعددة للنص الأصلي الواحد على النحو الذي ترد به في إحدى الثقافات المستقبِلة في أزمان مختلفة من التاريخ. ويميز توري بين ثلاثة أنواع من معايير الترجمة هي: المعايير التمهيدية (Preliminary Norms)، والمعايير الابتدائية (Initial Norms)، والمعايير الإجرائية (Operational Norms). وتتضمن المعايير التمهيدية كل معيار يحكم اختيار العمل، والاستراتيجيات الكلية للترجمة ضمن النسق التعددي. وبالنظر إلى أن تعريفات الترجمة تتباين تاريخياً، فإن هناك أسئلة تمهيدية معينة تحتاج إلى إجابة نتمكن بها من تأسيس السياق الثقافي الذي يؤطِّر عملية الترجمة، فما «سياسة الترجمة» في الثقافة المستهدَفة؟ وما الفرق بين الترجمة، والمحاكاة، والتطويع (Adaptation) في الحقبة التاريخية المعينة؟ وما الذي تفضله الثقافة المستهدَفة من المؤلفين، والحقب التاريخية، وأجناس القول والمدارس؟ وهل يسمح بالترجمة الوسيطة (Intermediate Translation)، أو الترجمة من الدرجة الثانية

(Second-Hand Translation)؟ وما اللغات التي يسمح لها بأن تقوم بدور الوسيط؟. أما المعايير الابتدائية، فتقوم بتصنيف اختيار المترجم الفرد، من حيث تبعية اختيار النص الأصلي لعلاقاته النصية ومعاييره، أو تبعيته للثقافة المستهدَفة بمعاييرها اللغوية والأدبية، أو تبعيته لخليط من الأمرين. وقد وُضعت المعايير الابتدائية على قمة تراتبية معاييرالممارسة، لأنها ـ إذا تمتعت بالاتساق ـ فإنها تؤثر تبعاً لذلك على جميع قرارات الترجمة. نأتي الآن إلى المعايير الإجرائية، ويُقْصد بها القرارات الفعلية التي تُتخذ في أثناء عملية الترجمة، وقد نوقش بعضٌ منها في دراسة توري الميدانية للأدب النثري القصصي المترجم إلى العبرية، وهي: المعايير «المصفوفية» (Matricial Norms) التي تحدد الموقع المكاني (Location) والإضافات (Additions) والمحذوفات (Deletions)، والمعايير «النصية» التي تكشف عن مواطن التفضيل اللغوي والأسلوبي. هكذا تمنح نظريةُ النسق المتعدد الحيويةَ لطراز توري، فمن حيث المعايير الابتدائية يكون موقف المترجم تجاه النص ـ المصدر متأثراً بموقع النص في النسق المتعدد للثقافة ـ المصدر، ومن حيث معايير الممارسة، تتأثر جميع القرارات بالموقع الذي يمثله الأدب المترجم في النسق المتعدد للثقافة المستقبِلة، سواء أكان هذا الموقع مركزياً أم طرفيّاً.

وفي مسار مناقشته معايير الترجمة والمنهجية المتبعة في تحديدها، يفترض توري أيضاً منظومة جديدة من المقدمات النظرية التي تبدو متناقضة مع مقصوده الأصيل. إن توري يقوم بأمر يشبه ما كان من منهجية لوفيفر في كتابه: **ترجمة الشعر: استراتيجيات سبع وخطة عمل**؛ فقد توصل توري إلى معايير الترجمة من طريق القيام بفحص «مقارن» (Comparatively) لعدة ترجمات لنص أصلي واحد،

أُنجزت في حقب مختلفة على يد مترجمين شتى، وأظهرت المقارنة التعريفات المختلفة للترجمة، وأولويات المترجمين، والقواعد المؤثرة في عملية القرارات، وهي غالباً قواعد واقعة خارج نطاق الوعي (Subconscious). من المفارقات المثيرة للدهشة أن تقنية المقارنة التي استخدمها توري لا تشمل نصوصاً فعلية، فلكي يُجْري توري سلسلة من المقارنات ويقيس التغييرات البديلة الكاشفة عن المعايير التي تتحكم فيها، يستحضر نصاً ثالثاً مثالياً غير متغير، وذلكم هو «الترجمة الوافية» (Adequate). وهذا النص المستحضر مؤسس على نصوص أصلية متنوعة ومقيدة بالظرف التاريخي، ولكنه نص مؤسس على نظرية لسانية وأدبية مجردة[34]. لقد سبق لـ «توري» أن قدم فرضيته القائلة بأنه لا وجود على الإطلاق لترجمة تكون مقبولة كل القبول من الثقافة المستهدَفة، بسبب ما تقوم به من إضفاء الغرابة على العناصر القولية والتركيبية، كما أنه لا وجود على الإطلاق أيضاً لترجمة وافية كل الوفاء للنص ـ المصدر، بسبب السياق الثقافي الجديد التي تجد نفسها فيه. غير أنه ـ من أجل أن يحدد موقع النص المترجم بين القطبين في كلتا الثقافتين ـ المصدر، والمستهدفة ـ يفترض أيضاً ضرورة وجود معيار مثالي «ثابت للمقارنة» يشكل أساساً للنص المعني بالنظر، ولنظريته كلها على وجه العموم، فيقول:

«وهكذا، يجد المفهوم المحوّل للوفاء استعماله الأساسي في منهجية المقارنة بين النص المستهدف والنص المصدر (TT - ST)

---

(34) المصدر نفسه، ص 58، و Gideon Toury, «The Nature and Role of Norms in Translation,» Paper Presented at: *Literature and Translation: New Perspectives in Literary Studies: With a Basic Bibliography of Books on Translation Studies*, p. 93.

(Comparison. ويُفهم [الوفاء] في الإطار المنهجي على أنه «كيان افتراضي» (Hypothetical Entity) قابل لأن يركَّب على أساس من تحليل نظامي (Systemic) (تحليل الوحدة النصية) (Textemic) للنص ـ المصدر، كما أنه يستخدم بوصفه «العامل الثابت في المقارنة» (The Invariant of the Comparison) (أي بوصفه قسيماً ثالثاً (Tertium Comparationis))[35].

ويناقض توري كل ما أفاضت نظريته في شرحه من قبل، حين نجد أن هذا الثابت المفترض لا يُفهم على أنه شيء محدد تحديداً ذاتياً، أو محكوم بشروط تاريخية، ولكنه شيء موجود في عالم آخر، بما هو شكل أدبي/لساني جامع (Universal)، يمتلك كل البشر من ذوي اللسانين القدرة على الحدس به. ومن العجيب أن توري يحتكم إلى مفهوم تشومسكي عن الكفاءة (Competency)، وعن الجوامع الشكلية (Formal Universals)، فيقول:

«لعلّي أزعم أن حصول الأشكال المتداخلة بين اللغات (Interlanguage Forms) في الترجمة ينشأ عن التعريف نفسه الذي يُساق لهذا النمط من أنماط النشاط أو المنتَج، وبهذا يكون مبدأً شكلياً «ترجمياً جامعاً»[36] (Formal «Translation Universal»). ينضاف إلى ذلك أن ثمة مواقف تكون فيها مظاهر التداخل بين اللغات ـ أو على الأقل أنماطٌ أو درجاتٌ معينة منها ـ ببساطة غير موجودة في الترجمة، بما هي دليلْ حيّ على وجود

---

(35) Toury, *In Search of a Theory of Translation*, p. 49.
والتأكيد موجود في الأصل.

(36) لجلاء الفرق بين الأنماط الجوهرية (Substantive) والأنماط الشكلية (Formal)؛ قارن: Noam Chomsky, *Aspects of the Theory of Syntax*, Massachusetts Institute of Technology. Research Laboratory of Electronics. Special Technical Report; no. 11 (Cambridge, MA: M. I. T. Press, [1965]), pp. 28-29.

الجامع، ولكنها تشكل مظاهر «مفضلة» لأشكال ذات انتماء خالص (Pure) إلى اللغة المستهدفة»[37].

إن الاحتكام إلى جوامع شكلية في نظرية مخالفة تتصف بالمادية والتوجه شطر الأداء (Performance-Oriented) هو نقلة غير متوقعة. لقد كان مشروع توري بتمامه موجهاً لنقض التوجه إلى المصدر، أي لنقض طرز النظرية السكونية. غير أن هذه التركيبة الافتراضية تبدو مؤسسة على تلك النظرية نفسها، أعني النظرية ذات التوجه إلى النص ـ المصدر، وهي نظرية سكونية بكل معنى الكلمة، وغير مشروطة بتطور الأدب. إن ذلك تحديداً هو ما تعارضه نظريته التطورية. وتوري يفترض ـ من جهة ـ صواب المقدمة المنطقية التي تقول بأن كل نسق أدبي هو «مختلف» عن كل ما سواه من أنساق، من حيث البنية ومعايير الاستعمال، ثم إنه ـ من جهة أخرى ـ يذهب إلى أن «نفس» الشكل البنيوي الجامع يشكل أساساً لنسقين لغويين مختلفين. تلكم هي ذروة الجدل في نظرية الترجمة الحاضرة، وتوري يتبنى كلا الموقفين، فأنّى لذلك أن يكون ممكناً؟

إن عمل توري ينهض على أساس نظرية النسق المتعدد، التي هي مؤسسة بدورها على التفكير التصوري للشكلانية الروسية. واستخدام توري الجوامع الشكلية، وثوابت المقارنة ـ على الرغم من كونه مدعاة للدهشة ـ له وجود مستكن في أساس النظرية. وعلى الرغم من الجهود المبذولة لاحتواء الشروط السوسيولوجية ـ التاريخية المختلفة، نجد أن ثمة نزعة كامنة في الأساس، تنتشر في هذه النظرية «المحكومة تاريخياً» تميل بها نحو الشكلانية «الخالصة». إن

---

(37) Toury, Ibid., p. 72.

والتأكيد والتعليق بين علامتي التنصيص موجودان في الأصل.

نظرية توري تتطور من نظريات أسلافه الشكلانيين والبنيويين، ومن ثم فهي على حالها، تحمل أفكاراً مطلقة معينة تقيد الإطار المفهومي. فوق ذلك، نجد الطراز النظري التاريخي عند توري يشتمل على مفاهيم سكونية أخرى وافرة العدد، ومن ذلك: اعتبار النصوص المترجمة حقائق اختبارية (Empirical Facts)، وتعريفه المعايير الثقافية بأنها قواعد سكونية غير متعارضة تؤثر على توليد النصوص الفعلية، وكذلك اختزال النزعات المركبة ضمن العصور التاريخية في قوانين سلوكية موحدة. إن المرء ليستشعر ـ على سبيل المثال ـ من قراءته للنتائج التي تَوَصَّل إليها من دراسة النثر القصصي المترجم إلى العبرية أن «معاييره» الخمسة أو الستة تنطبق على جميع النصوص التي تضمنتها الدراسة، وأن تحليله يوثِّق المشاكلة وليس الاستثناءات، ولعل الأمر الذي يثير مزيداً من الاهتمام، ويكون أكثر كشفاً عن طبيعة الترجمة، هو إيراد قائمة بكل الاستثناءات التي خرجت عن القواعد. أضف إلى ذلك أن إيفين ـ زوهار وتوري كليهما لا يزالان يربطان تحليلهما بكيانات (Entities) تسمى «أدبية»، ويميلان ـ على الرغم من ادعاءاتهما عكس ذلك ـ إلى فك الارتباط بين النسق الأدبي المتعدد والمتطور والأنساق الدالة الأخرى في الثقافة. وينزع توري، ومن قبله إيفين ـ زوهار، نحو البنيوية. وعلى الرغم من أنه يتقبل في الظاهر «الحقيقة» القائلة بأن جميع اللغات مختلفة، فهو يذهب إلى وجود شكل بنيوي جامع ومتوحد، يقبع تحت أساس هذا الاختلاف، وأننا بسبب اختلافنا اللغوي والمعايير الثقافية لا نستطيع الإفصاح عن هذا الشكل، ولكننا بوصفنا ناطقين «أكفاء» بلغتين، لا يزال في إمكاننا أن «نتعرف اليه».

من حسن الحظ أن نظرية توري لا تعتمد على وجود القسيم الثالث (Tertium Comparations) في القيام بوظيفتها. إن الباحثين في

نظرية الترجمة خلال الثمانينات والتسعينات وجدوا أنفسهم يستخدمون طراز توري استخداماً فعالاً، على الرغم مما ينطوي عليه من تناقضات نظرية. وفي مراجعة ريا فاندراويرا (Ria Vanderauwera) لكتاب توري: **بحثاً عن نظرية للترجمة**، تُبيِّن أنه حتى توري نفسه قد تجاهل نزعاته الشكلانية الخاصة عند تطبيق نظريته:

«إن المعلومات الخاصة بهذه المعايير يمكن أيضاً أن تستخرج من مادة نصيّة حافّة (Extra - Textual Material) (بيانات المترجمين، والمحررين، والناشرين، والنقاد)، ولكن ذلك يكون أولاً وقبل كل شيء من خلال دراسة مقارنة لنصوص ـ المصدر، والنصوص المستهدَفة. إن توري يلحُّ على أن ذلك ينبغي أن يحصل عبر قسيم ثالث (Tertium Comparationis)، الذي هو نص افتراضي ثالث، ويمثل العامل الثابت في المقارنة. وفي رأيي أن ذلك تعقيد لا ضرورة له، وأنه أثر متبقٍ من آثار الإلحاح ذي الصبغة الشكلانية الذي اجتاح اللسانيات والسيميائية. ومن المفارقات التي تثير بالغ الدهشة أن توري في دراستَيْ الحالة القِّيمتين اللتين ضمهما الكتاب لم يستعمل هذا القسيم الثالث»[38].

أما الجانب الذي تبنّته الدراسات الترجمية من نظرية توري في الترجمة، فيركز على المعايير السوسيولوجية ـ الأدبية التي تحكم الثقافة المستهدَفة، وتؤثر تأثيراً مباشراً في عملية الترجمة. وهناك جوانب عدة من نظرية توري قد أسهمت في التطور ضمن هذا الحقل: (1) التخلي عن فكرة التوافق الثنائية على مقابلة واحد بواحد

(38) Ria Vanderauwera, «Review: Gideon Toury, *In Search of a Theory of Translation*,» *Dispositio: The Art and Science of Translation*, vol. 7, nos. 19-21 (1982), p. 52.

في الترجمة (One-to-one Correspondence)، وكذلك عن فكرة المكافئ الأدبي أو اللغوي (ما لم يكن بطريق المصادفة). (2) استيعاب النزعات الأدبية ضمن النسق الثقافي المستهدَف عند إنتاج أي نص مترجم. (3) خلخلة الفكرة القائلة بوجود رسالة أصلية ذات هوية ثابتة. (4) دَمْج النص الأصلي والنص المترجم كليهما في الشبكة السيميائية الخاصة بالأنساق الثقافية المتقاطعة. أما من الوجهة النظرية فتتبنى الدراسات الترجمية الجانب الأدائي من نظرية توري، الذي ينظر إلى الترجمة على أنها عملية يتم بوساطتها نقل موضوعات ثقافة ما في رسائل مترجمة نقلاً تحدده ـ في المقام الأول ـ قيود ثقافية محلية. ويفترض أن تشتمل العملية على قدر من الإخلال بالأمانة لا مفر منه، فذلك من شروط العملية، لأن المترجمين لا يعملون في ظروف مثالية ومواقف مجردة، كما أنهم لا يرغبون في أن يكونوا أبرياء. إن من حقهم أن يكون لهم همومهم الأدبية والثقافية الخاصة، كما أنهم يريدون لعملهم أن يحظى بالقبول في ثقافة أخرى، ومن ثم يعالجون النص ـ المصدر من أجل نقل المعلومة، كما يعالجونه بحيث يحققون له التكيّف مع القيود الثقافية القائمة.

## الدراسات الترجمية في الثمانينات

منذ صدور كتاب توري عام 1980 تبدل محور التركيز في الدراسات الترجمية من النظرية إلى العمل الوصفي، والتقت بصورة منتظمة جماعة جد معروفة، ذات اهتمامات متشابهة (وكانت اللقاءات تتم عادة في مؤتمرات الجمعية الدولية للأدب المقارن International) (Comparative Literature Association. تركزت معظم المناقشات على تحسين الطرق المستخدمة في وصف الترجمة الأدبية، وتحديد السلوك المعياري في مجال الثقافة والترجمة. وقد ذهبوا في حجاجهم إلى أنه إذا تحقق ذلك، فحينئذ فقط يمكن العودة إلى النظرية. ومما

يؤسف له أن كثيراً من المناقشات أصابها الضياع، أو مرّت من غير أن يتحقق لها النشر، وذلك ما جعل من المجموعة ـ التي حررها ثيو هيرمانز، وأصدرها عام 1985 تحت عنوان: **التلاعب بالأدب** (*The Manipulation of Literature*) ـ سجلاً قيّماً. وفي المقدمة التي كتبها هيرمانز، مُلخِّصاً الفرضيات الأساسية للجماعة، كشف عن أن «عمل إيتمار إيفين ـ زوهار على التعيين مرتبط ارتباطاً مباشراً بهذه المقاربة الجديدة، ورجّح أن لدى الباحثين المشاركين نظرة مشتركة تتمثل في اعتبار الأدب نسقاً ديناميكياً مركباً، وفي اقتناعهم بضرورة التفاعل المتواصل بين الطرز النظرية والدراسة العملية للحالات. إنها مقاربة للترجمة الأدبية تتميز بأنها وصفية، ذات توجه إلى المستهدَف (Target-Oriented)، وأنها وظيفية، نظامية (Systemic)، كما أنها تهتم بالمعايير والقيود التي تحكم إنتاج الترجمة وتلقيها»[39].

مثل هذه المقاربة الاختبارية ذات التوجه إلى المستهدَف اعتمدت على دراسات الحالة، وكانت مستمدة منها، وتلكم هي العلة في أن الشواغل المنهجية بوصف الترجمات قد اكتسبت أهمية متزايدة. وقد قدّم جوزيه لامبرت وهاندريك فان غورب تقريراً عن جهودهما، يرسمان فيه مخططاً لطراز نظري بالغ التعقيد في مقال عنوانه: «في وصف الترجمة» (On Describing Translation)، في كتاب: **التلاعب بالأدب**. وموجز القول إنهما يذهبان إلى أن جميع الجوانب في نشاط الترجمة ذات العلاقة بما هو وظيفي تحتاج إلى أن توضع تحت الملاحظة الدقيقة في سياقها التاريخي. من ثم وجب

---

(39) Theo Hermans: ed., *The Manipulation of Literature: Studies in Literary Translation* (New York: St. Martin's Press, 1985), pp. 10-11, and *Translation in Systems: Descriptive and Systemic Approaches Explained*, Translation Theories Explained; v. 7 (Manchester, UK: St. Jerome Pub., 1999), pp. 31-45.

أن يُقرن المؤلف والنص والقارئ والمعايير الأدبية في أحد الأنساق الأدبية، بمؤلف ونص وقارئ ومعايير أدبية في نسق أدبي آخر. وتُعد الصلة أو العلاقة بين النسقين صلة مفتوحة. وذهب لامبرت وفان غورب إلى أنه ينبغي في أول الأمر لزوم الحد الأدنى من التنبؤات في ما يختص بهذه العلاقة، ومن غير الممكن تحديد طبيعة العلاقة إلا بعد دراسة فاحصة، وتحليل للمعايير السائدة في النسق المستهدَف. ولم يقنع لامبرت وفان غورب بأن يشترطا لهذا الأمر دراسة العلاقة بين المؤلفين والنصوص والقراء والمعايير في النسقين المختلفين، ولكنهما أضافا إلى ذلك دراسة العلاقة بين مقاصد المؤلفين والمترجمين، وبين اعتبارات المقاماتية (Pragmatics) والتلقي (Reception) في النسق ـ المصدر والنسق المستهدَف، وبين المؤلفين والكتّاب الآخرين في النسق ـ المصدر والنسق المستهدف، وبين الأنساق الأدبية المختلفة، بل بين الجوانب السوسيولوجية المختلفة، بما يشمل النشر والتوزيع[40]. وبينما يعترف لامبرت وفان غورب بأن العملية مثالية وخيالية «طوباوية» ـ إذ من المحال أن تُلَخَّص كل أنواع العلاقات المتولدة ـ فإنهما يرجحان أن الباحث يمكنه، عن طريق تثبيت الأولويات، أن يجد وسيلة يكون بها باحثاً نسقياً وليس حدسيّاً.

وربما يكون أفضل طريق لإيضاح المزية التي تتمتع بها المقاربة النسقية على المقاربات السابقة هو تطبيقاتها؛ فهناك مدرسة اشتد عودها في ليفان في بلجيكا تحلقت حول مثل هذا العمل الوصفي ودراسات الحالة، ومن أمثلة ذلك أن لامبرت، وليفين دهولست

(40) José Lambert and Hendrik Van Gorp, «On Describing Translations,» in: Hermans, ed., *The Manipulation of Literature: Studies in Literary Translation*, pp. 43-45.

(Lieven D'Hulst)، وكاترين فان براغت (Katrin van Bragt)، وطلاب الدراسات العليا في جامعة ليفان، قد كانوا يجرون أبحاثهم على **الأدب والترجمة في فرنسا، 1800 ـ 1850**[41] *(Littérature et traduction en France, 1800-1850)*. كذلك كتب عدة طلاب آخرين أطروحات لدرجة الماجستير على أساس من مثل هذه الطرز الوصفية. وكان لوفيفر وهيرمانز وفان دن برويك يدرسون الترجمات إلى اللغة الهولندية خلال حقبة مماثلة على غرار الدراسة الفرنسية، ولا يزال آخرون يركّزون بحوثهم على محور العلاقات الثقافية الداخلية للآداب في بلجيكا، إلا أنه لم يظهر بالفعل شيء منشور حتى الآن، والصمت نفسه ظاهره مشكلة. وهناك كتابان موعود بإنجازهما، يعالجان البحث في ليفان: **أولهما** ملخص شامل عن مشروع البحث: «الأدب والترجمة في فرنسا، 1800 ـ 1850» *(Literature and Translation in France, 1800 - 1850)*، **والآخر** هو كتاب فان براغت عن دراسة الحالة التي قامت بها لترجمات: **قَسُّ ويكفيلد** *(The Vicar of Wakefield)*، ولكن لم يتحقق لهما الظهور.

بيد أن هناك مقالات تشير إلى الأماكن التي يتجه إليها هذا البحث. وقد تحدث لامبرت عن الرؤى الثاقبة المستفادة من دراسة

---

(41) Lieven D'Hulst, José Lambert and Katrin Van Bragt, «Littérature et traduction en France, 1800-1850: Etat des travaux,» (Preprint, University of Leuven, Departement of General Literary Studies, Leuven, 1979), and Lieven D'Hulst, «The Conflict of Translation Models in France (End of 18th-Beginning of 19th Century);» José Lambert, «How Emile Deschamps Translated Shakespeare's Macbeth, or Theatre System and Translational System in French Literature (1800-1850),» and Katrin van Bragt, «The Tradition of a Translation and its Implication: The Vicar of Wakefield in French Translation,» *Dispositio: The Art and Science of Translation*, vol. 7, nos. 19-21 (1982).

الترجمات إلى اللغة الفرنسية خلال القرن التاسع عشر في مقال نشر له عام 1986 تحت عنوان: «العلاقات الأدبية الدولية حول مشكلة التلقي» (Les Relations littéraire internationales comme problème de réception)، وكذلك في مقاله المنشور عام 1988 بعنوان: «عشرون عاماً من البحث في الترجمة الأدبية بالجامعة الكاثوليكية في ليفان» (Twenty Years of Research on Literary Translation at the Katholieke Universiteit Leuven). وقد ذهب لامبرت إلى أن الحافز وراء اختيار النص والسياسة الترجمية في تطور النسق الأدبي ذو علاقة مباشرة بنسق الأنواع الأدبية في الثقافة المستقبِلة[42]، ذلك لأن كلاً من قواعد الأنواع، وسياسة الأنواع قد قام على نحو واضح بدور أساسي في السياسة الأدبية آنذاك. وفي هذه السياسة أدى الأدب المترجم دوره بوصفه واردات أدبية، وبذلك أثّر الأدب المترجم في العلاقات المركبة بين الواردات والصادرات ضمن التقاليد الأدبية. ثم قارن لامبرت مثل هذه «التداخلات» الأدبية (Literary Interferences) بوضع مختلف في الأدب البلجيكي ـ الفرنسي، بحثاً عن الظواهر المطردة في السلوك النسقي، وهو يرى إمكان القيام بمزيد من التدقيق لهذه الفرضيات عن طريق دراسة الوضع في أقطار أوروبية أخرى. ويذهب لامبرت في حجاجه إلى أنه بالتركيز على «المعايير» (Norms) و«الطرز النظرية» (Models) يمكن للدارسين أن يكتشفوا «أرضية المقارنة» (Ground of Comparison) التي عنها يبحثون[43]،

---

(42) José Lambert, «Twenty Years of Research on Literary Translation at the Katholieke Universiteit Leuven,» Paper Presented at: *Die Literarische Übersetzung. Stand und Perspektiven ihrer Erforschung*, Herausgegeben von Harald Kittel; mit einer Einleitung von Armin Paul Frank, Göttinger zur internationalen Übersetzungsforschung; Bd. 2 (Berlin: E. Schmidt, 1988), p. 131.

(43) المصدر نفسه، ص 132.

فالمعايير تحدد أي نوع من علاقات الترجمة ينشأ عن هذه التداخلات، إذ إن كل حالة من الحالات في عملية الترجمة محكومة بالمعايير. إن الباحثين أو الدارسين لا يمكنهم رؤية المبادئ التي تشكل النص اللاحق إلا إذا عرفوا المعايير التمهيدية والمعايير الاجرائية. وربما يكون الإسهام النظري الذي قدمه الدارسون المنتمون إلى نظرية النسق المتعدد والدراسات الترجمية في الثمانينات، هو اكتشافهم أهمية البدء بتحديد نوع المعايير التي تحكم سلوك الترجمة قبل تحليل ترجمات محددة بأعيانها[44]. ويرى لامبرت، والجماعة البلجيكية/الهولندية أن المعايير تحدد الطريقة التي بها «تُستورد» و«تُوطَّن» (Domesticated) المادة الأجنبية؛ وهكذا يصبح تعريف الترجمة نفسه معتمداً على المعايير والكيفية التي تعمل بها في أي نسق، أو مجتمع، معين.

أما كيتي فان ليفين ـ زوارت (Kitty van Leuven-Zwart)، وهي التي شغلت سابقاً منصب رئيس قسم الدراسات الترجمية في جامعة أمستردام، فقد بدأت كذلك بما توصل إليه توري في حجاجه من أن الفرع الوصفي ينبغي أن يركز على فحص المعايير والاستراتيجيات، ولكنها ذهبت إلى أن المقارنات النسقية للترجمات والنصوص ـ المصادر قد أُهملت عند أتباع توري في ليفان. واستشعرت هي أن كثيراً من الباحثين يعوزهم النسق الوصفي، وهو الأمر الذي يجعل من دعاواهم عن المعايير والاستراتيجيات دعاوى لا يمكن التحقق من صدقها. وقد ابتكرت ـ بدلاً من ذلك ـ نسقاً للمقارنة والوصف،

---

(44) قـــارن: Theo Hermans, «Translational Norms and Correct Translations,» in: Kitty M. van Leuven-Zwart and Ton Naaijkens, eds., *Translation Studies: The State of the Art*, Approaches to Translation Studies; v. 9 (Amsterdam: Rodopi, 1991).

تعالج به الترجمات، بحيث يجري تتبع التغييرات البديلة على مستوى البنى الصغرى (Microstructural Level) (الكلمات، والعبارات (Clauses)، والجمل)، والربط بين حاصل نتائج التغييرات البديلة على مستوى البنى الصغرى وبين مستوى البنى الكبرى (Macrostructural Level) (الشخصيات والأحداث، والزمن، والمكوّنات الأخرى ذات الدلالة)، وتصنيفها إلى فئات[45]. وإذا ما قورنت مقاربة فان ليفين ـ زوارت بمعظم العمل الذي يجري في ألمانيا، وهو العمل الذي يتصف بالاتجاه النازل، حيث يسير الاتجاه من القمة إلى القاعدة (Top-Down Work)، فإن من الممكن تشخيصها بأنها مقاربة الاتجاه الصاعد من القاعدة إلى القمة (Bottom-up Work). لقد بدأت فان ليفين ـ زوارت بالمفهوم المحايد للتبديل الذي وضعه بوبوفيتش، ثم توسعت في قائمة ميكو التي اقترحها للتصنيف الفئوي للوسائل الفنية، حتى لا تقف عند حدود استيعاب التباديل الأسلوبية فحسب، بل تتجاوزها إلى استيعاب التباديل التركيبية النحوية (Syntactic)، والدلالية، والمقاماتية، لتنتهي إلى تطوير طراز نظري بالغ التعقيد والصعوبة، يشتمل على عدد كبير من الفئات، والفئات الفرعية. وقد عكف على استخدامه في وصف الترجمة تلاميذها، وهم قرابة السبعين (وكان أكثر عملهم على ترجمات النثر الأسباني في القرن العشرين إلى الهولندية). وفي الحق أن منهجها لم يُظهر أن كل كلمة تشتمل على عدة تباديل، بل تجاوز

(45) Kitty M. van Leuven-Zwart: *Vertaling en origineel: Een vergelijkende beschrijvingsmethode voor integrale vertalingen, ontwikkeld aan de hand van Nederlandse vertalingen van Spaanse narrative teksten* (Dordrecht: Foris Publications, 1984), and «Translation and Original: Similarities and Dissimilarities, I,» *Target* (Amsterdam), vol. 1, no. 2 (1989), pp. 154-155.

ذلك إلى إثبات أن الكلمات والعبارات المترجمة كثيراً ما كشفت عن تباديل متعددة، وأن التباديل لم يُنظر إليها على أنها أخطاء في الترجمة، أو كسر لقواعد التكافؤ، ولكنها اعتبرت هي نفسها القاعدة، إذ تبين أن 70 في المئة من الترجمات بلغ معدل التباديل فيها 100 في المئة[46]، وهذه التباديل، على رأي فان ليفين ـ زوارت، لا تفيد إلا بالتأثير في النص على مستوى البنى الكبرى. لقد كان البحث مصمّماً في الأساس ليساعد المترجمين الممارسين على تحصيل فهم أمثل لعملية الترجمة، والإسهام في الدراسات الوصفية، لكنه أثبت أيضاً وجود تعقيدات معيّنة غير منظورة في عملية نقل الثقافة، مقدِّماً رؤى ثاقبة جيدة، لا في طبيعة الترجمة فحسب، بل في طبيعة اللغة نفسها. ومن المؤسف أن البحث كان قصير العمر، إذ أصاب المرض كيتي فان ليفين ـ زوارت، واضطرت إلى التقاعد، يضاف إلى ذلك أن منهجيتها كانت بالغة التعقيد، حتى إن الطلاب في الجامعات الأخرى كانوا غير قادرين على تعلمها وتطبيقها.

ويستطيع المرء ـ مع ذلك ـ أن يرى كيف أن الفرع الوصفي من الدراسات الترجمية في الثمانينات قد أثر بدوره في النظرية، فبالبحث عن مظاهر الاطراد في ظواهر الترجمة في ظل أوضاع ثقافية حقيقية، وُجِد أن تعريف الظواهر التي يجري فحصها هو نفسه قد تغيّر، وتزعزت أركان المفاهيم التقليدية، وتطورت النظرية، وجرى الكثير من المناقشات لتُطوِّر حتى الكيفية التي يعرَّف بها النص المترجم. لقد اكتشفت الجماعة الهولندية/ الفلمنكية أن الترجمات «تتخفّى» أحياناً في طي النموذج الأجنبي، فالناس ـ على سبيل المثال ـ يجدون

---

(46) Kitty M. van Leuven-Zwart, «Translation and Original: Similarities and Dissimilarities, II,» *Target*, vol. 2, no. 1 (1990), p. 88.

أنفسهم في الاستعمال اليومي بين الحين والحين متلبسين باستخدام الترجمة عن غير وعي منهم بما يفعلون. ولقد تناول البحث أيضاً الحالات الواقعة على التخوم، مثل أشباه الترجمات (Pseudo Translations) (الترجمات التي تتم في غياب الأصل)[47]، والترجمات من خلال لغة دخيلة (الترجمات الثانوية)[48]، كذلك شملت الجهود البحثية الترجمات غير المحددة في ذاتها بثقافة، بما في ذلك الحالات المتطرفة من نشاط الترجمة، كاقتباسات الأفلام، والترجمات المختلفة للنص الواحد، والمحاكيات (Imitations)، والترجمات الزائفة[49] (False Translations). وبدت حالات ما يمكن تسميته بـ «اللاترجمة» (Non-Translation) ضمن الترجمة (كأسماء الأعلام وما شابهها) أكثر شيوعاً مما كان عليه التوقع أول الأمر.

وإذ اتسع مجال البحث لدمْج ظواهر جديدة، ظهرت الحاجة أيضاً إلى أطر أوسع لإنجاز مزيد من البحث، لقد أظهرت المادة أن الترجمات كانت عصيّة على التحديد بأكثر مما بدا ظاهراً أول الأمر.

---

(47) Gideon Toury: «Translation, Literary Translation and Pseudotranslation,» Paper Presented at: *Comparative Criticism: Translation in Theory and Practice*, Edited by E. S. Shaffer (Cambridge; New York: Cambridge University Press, 1984), and *Descriptive Translation Studies and Beyond*, Benjamins Translation Library; 4 (Amsterdam; Philadelphia: J. Benjamins Pub., 1995).

(48) Gideon Toury, «Translating English Literature via German - and Vice Versa: A Symptomatic Reversal in the History of Modern Hebrew Literature,» papier presenté à: *Die Literarische Übersetzung. Stand und Perspektiven ihrer Erforschung*.

(49) José Lambert, «Translation Studies and (Comparative) Literary Studies in 1989,» Paper Presented at: *Os estudios literarios (entre) ciencia e hermeneutica. Actas do I. Congresso da APLC* (Lisboa: Associaçao Portuguesa da Literatura Comparada, 1989).

ونتيجة ذلك لم يكن من الممكن فحص الترجمات دون اللجوء إلى فحص الأنواع الأخرى من الخطاب. كذلك كان التعريف بماهية المجتمع، وماهية الصلات القائمة بين المجتمع واللغة، موضوعاً للمناقشة، وأثيرت الأسئلة التي تدور حول الترجمة: هل تدرس بما هي نصوص، أو مفاهيم، أو أنساق؟[50]، وحلّ محل علاقات الترجمة بين النص ـ المصدر والنص المستهدف شبكة من العلاقات ومفاهيم التناص[51]. وإذا كان ثمة شيء هو مناط الإجماع في ما يختص بنظرية الدراسات الترجمية، فهو أن هذا الحقل يتطلب نظرية «مفتوحة» أقل تورطاً في التعريفات المقطوع بها سلفاً، وأكثر عكوفاً على إثارة الأسئلة. وحين لا تثبت النظرية التي يجري استخدامها في زمن ما أنها نظرية منتجة ـ بأن تقصي ظواهر معينة في الترجمة، أو تضع قيوداً على رؤى فاحصة معينة ـ فإن الباحثين في الدراسات الترجمية ينزعون إلى رفضها أو تعديلها. كذلك، فإن الأسئلة التي أثارتها النظرية أثرت ـ بدورها ـ على مشروعات الأبحاث التي تستهدف تجميع مزيد من المادة. وتحققت الدعوة التي أطلقها هولمز في كتابه: **الدراسات الترجمية: اسمها وطبيعتها**[52] (*The Name and Nature of Translation Studies*) من أجل نظرية متطورة جدليّاً،

(50) Gideon Toury, «Translation: A Cultural-Semiotic Perspective,» in: Thomas Albert Sebeok, ed., *Encyclopedic Dictionary of Semiotics*, Editorial Board Paul Bouissac [et al.], Approaches to Semiotics; 23, 3 vols. (Berlin; New York; Amsterdam: Mouton de Gruyter, 1986).

(51) المصدر نفسه، و Lambert, Ibid.

(52) James S. Holmes, *The Name and Nature of Translation Studies (APPTS, Amsterdam Publications and Prepublications in Translation Series)* (Amsterdam: Translation Studies Section, Department of General Literary Studies, University of Amsterdam, [1972; 1975]).

ومتفاعلة مع البحث الوصفي.

ساعدت نظرية النسق التي جاء بها إيفين ـ زوهار وتوري الدراسات الترجمية على أن تدمر حدوداً تصورية معينة، وأن تجد طريقاً يتحقق به الوصف الأمثل للترجمات. وتعمل المادة التي يوفرها البحث الوصفي على إضفاء مزيد من النشاط على التأمل النظري. إن إيفين ـ زوهار لم يعزز فهمنا لعملية الترجمة فحسب، ولكنه كان أيضاً المنظِّر الوحيد الذي أقر بأهمية الترجمة في إطار دراسة أي أدب مفرد. لكنه مع ذلك، يبدو ملتزماً التزاماً حاسماً بنظرية النسق المتعدد التي تضع حداً لما يمكن أن يصاغ له مفهوم تصوري، وذلك بوصفها ضرباً آخر من ضروب البنيوية. والظاهر أن الدعوى الاختبارية [الإمبيريقية] التي بنيت عليها نظرية النسق المتعدد، وأعني بذلك زعمها أنها تفحص نصوصاً فعلية في النسق المستهدَف، هي دعوى آخذة في التلاشي في ضوء البحوث الأخيرة، بل إن ما طالب به إيفين ـ زوهار من تحليل «موضوعي» للحقائق «الأدبية» يبدو أقل قدرة على الصمود. ومن العجيب أنه ظل صامتاً خلال الثمانينات، كما افتُقِدت إسهاماته النظرية. وعلى الرغم من جدوى منهجه في دراسة النصوص المترجمة، يبدو أن براغت ولامبرت وفان ليفين ـ زوارت وآخرين قد فتحوا الطريق أمام تأويلات نظرية أخرى للمادة المتوافرة، واحتمالات نظرية أخرى تخص طبيعة الترجمة. والظاهر أن توري وإيفين ـ زوهار يقحمان ويدمجان السمات النسقية حتى في الأنساق الموسعة، التي تبدو مفهومة فهماً تراتبياً من فرضياتهما المسبقة الأولى. أما لامبرت وهيرمانز ـ من جهة أخرى ـ فعلى حين أنهما يبدآن من موقف متشابه ضمن نظرية الأنساق، تراهما أميل إلى ملاحظة المادة، وإلى رؤية الكيفية التي تجعلها ملائمة للنظرية من غير فرضيات مسبقة، معترفَيْن بأن الحقائق الواقعة تحت الملاحظة قد تجد، أو لا تجد، مكانها المناسب ضمن البنية التراتبية. أما لامبرت، فإنه يتمسك بالمقاربة

النسقية والتفسير الاستقرائي، بينما يبدو مع ذلك مرجحاً للقول بأن النسق ـ كما يتصوره الباحث ـ قد لا يمارس وظيفته على نحو ما تصوره أول الأمر، وأنه نسق مفتوح لدراسة سلوك مُنَمّط «آخر»، ربما يعين على شرح ظواهر الترجمة. ومع أن لامبرت ورفاقه في ليفان كانوا من أقوى المناصرين لنظرية النسق المتعدد خلال الثمانينات، فقد قاموا في الوقت نفسه بإعادة تقويم المصطلحية، والبنى التراتبية، والأفكار الثابتة التي تعالج ماهية الترجمة.

أما الباحثون في إنجلترا وأمريكا ـ من أمثال باسنيت ولوفيفر (الذي انتقل إلى أمريكا في أوائل الثمانينات)، ودافيد لويد (David Lloyd)، وماريا تيموشكو، فالظاهر أنهم زادوا من مسافة البعد بينهم وبين طراز النسق المتعدد الذي جاء به إيفين ـ زوهار، ذلك الطراز الذي بدا لهم محدوداً وممعناً في الشكلانية. ولأنهم أكثر ميلاً إلى تبني طراز الدراسات الثقافية، فإن اهتمامهم ينصب على أمرين هما مؤسسات السلطة والنفوذ القائمة في الثقافة المتعينة، والنماذج التي تشتمل عليها الترجمة الأدبية. ومع أن فرضيات نظرية النسق المتعدد كانت مستخدمة عند هذه الشعبة الأنجلو ـ أمريكية من الدراسات الترجمية، فإن الباحثين فيها يقترحون مزيداً من الجوانب التي هي في حاجة إلى أن تستوعبها النظرية. لقد تخلّى لوفيفر ـ على سبيل المثال ـ عن المقاربة العلمية والاستقرائية لصالح منهج أقل شكلانية وأوفر نصيباً من الاستنباطية، وكان ذلك في سلسلة من المقالات كتبها طوال العقدين الأخيرين منذ انتقاله إلى الولايات المتحدة، وهو إذ باعد ما بينه وبين مفردات معجم النسق المتعدد، قام بإدخال منظومة جديدة من المصطلحات تمكنه من القيام بتحليل أفضل لتأثير الظواهر الأدبية الحافَّة في الأدب.

وفي دراسة ظهرت عام 1981 بعنوان: «ما وراء العمليات:

الترجمة الأدبية في الأدب وفي نظرية الأدب» :Beyond the Process)
Literary Translation in Literature and Literary Theory)، احتج
لوفيفر على الفكرة القائلة بأن الأنساق الأدبية لا تنشأ في فراغ، وهو
يضيف إلى قائمة أسلافه اسم بافل ميدفيديف (Pavel Medvedev)
الذي حدّد للنسق الأدبي موضعه في الوسط «الأيديولوجي»
للعصر[53]. والظاهر أن كتاب ميدفيديف الذي ظهر عام 1982 تحت
عنوان: **الطريقة الشكلية في المعرفة الأدبية** (*The Formal Method in*
*Literary Scholarship*) ربما يكون كاتبه الحقيقي ميخائيل باختين
(Mikhail Bakhtin)، وقد صار هذا الكتاب طرازاً نظرياً لـ «علم»
الأيديولوجيا. في هذه المقالة لا يقنع لوفيفر بالوقوف فقط عند فحص
التباديل المعجمية، وإدخال الوسائل الأدبية من خلال الترجمة، بل
يتجاوز ذلك إلى طرح الأسئلة عن الضغوط الأيديولوجية التي يخضع
لها المترجم، وعن الاستراتيجيات التي يملكها المترجم للتأثير في
الوسط الثقافي. إن «الأيديولوجية» كما يفهمها لوفيفر هي «منظومة من
أنواع الخطاب التي تصارع في سبيل تحقيق المصالح التي هي ـ على
نحو ما ـ ذات علاقة بالحفاظ على بنى السلطة، أو بمساءلتها، حيث
تكون هذه السلطة ذات أهمية جوهرية بالنسبة إلى مجمل الصورة
التي تشكل الحياة الاجتماعية والتاريخية»[54]. إن المنظومة المهيمنة

---

(53) André Lefevere, «Beyond the Process: Literary Translation in Literature and Literary Theory,» in: Marilyn Gaddis Rose, ed., *Translation Spectrum: Essays in Theory and Practice* (Albany: State University of New York Press, 1981), p. 56.

(54) Terry Eagleton, «Ideology and Scholarship,» Paper Presented at: *Historical Studies and Literary Criticism*, Edited, with an Introduction by Jerome J. McGann (Madison, Wis.: University of Wisconsin Press, 1985), p. 116, Quoted = in: André Lefevere, «Systems Thinking and Cultural Relativism,» in: *Jadavpur*

من بين أنواع الخطاب يمكن أن تتجلى في صورة مستعلنة، كما كانت عليه الحال في أوروبا الشرقية سنين عديدة، ولكنها غالباً تمارس وظيفتها في الخفاء، وربما يصدق ذلك على الحال في كثير من أقطار الغرب. وكما أن الأنساق الفرعية ـ بما في ذلك الأدب ـ تتصارع على المصالح المتنافسة، فكذلك هي جميعاً خاضعة ـ بصورة واعية أو غير واعية ـ لأيديولوجية مهيمنة، تميز المجتمع في مرحلة بعينها من مراحل التاريخ.

وفي مقال آخر ظهر عام 1981 تحت عنوان: «الأدب المترجم: نحو نظرية تكاملية» (Translated Literature: Towards an Integrated Theory) كان الأقل من كلام لوفيفر صادراً عن نظرية النسق المتعدد، بينما كان أكثره ثمرةً لمنظور دراسة الترجمات القائمة، وبناء ضروب من «النحو التاريخي» (Historical Grammars) من أجل إنجاز وصف لظواهر الترجمة. ولكي يبيّن الكيفية التي بها يحدد المكوّن الأيديولوجي الخطاب الأدبي، أدخل لوفيفر مفهوم «النص المنكسر» (Refracted Text)، ويعني به «النصوص التي يتم معالجتها بحيث تتوجه إلي جمهور معين (كالأطفال على سبيل المثال)، أو التي يجري تطويعها لنوع من الشعرية الأدبية من نوع معين، أو لأيديولوجية معينة»[55]. ويمكن وصف الأعمال الكلاسيكية التي تُخْتَصَر وتُعَدّ لكي تقدم للأطفال أو للتلفاز، بأنها أوضح صور الانكسارات التي تقع للنصوص. وفي ألمانيا ـ خلال الحقبة النازية، ومن ثم في ما كان يعرف بألمانيا الشرقية ـ غالباً ما عولج كثير من

---

= *Journal of Comparative Literature* (Calcutta: Dept. of Comparative Literature, Jadavpur University, 1988-1989), p. 59.

(55) André Lefevere, «Translated Literature: Towards an Integrated Theory,» *Bulletin* (Iowa City), vol. 14, no. 1 (Spring 1981), p. 72.

النصوص لكتّاب من أمثال هاينه (Heine) وشيلّر (Schiller) بطريقة الانكسار، لتلائم أنواعاً خاصة من الشعريات والأيديولوجيات. غير أن الانكسارات هي في الغالب أقل وضوحاً، فلقد كتب لوفيفر مقالة سماها: «الأم كاريدج وثمرات الخيار: النص والنسق والانكسارات في نظرية أدبية»[56] (Mother Courage's Cucumbers: Text System and Refractions in a Theory of Literature).

ويبيّن لوفيفر في هذه المقالة كيف أن عمل بريخت (Brecht) قد خضع لظاهرة الانكسار في الغرب، ليكون أكثر ملاءمة للمعايير الفنية والأيديولوجية السائدة في العالم الأنجلو ـ أمريكي. وثمة مثال جيد آخر تتضح به الكيفية التي تؤثر بها القيود الأيديولوجية على إنتاج النصوص الأدبية، ويمكن التماس هذا المثل في دراسة دافيد لويد التي عنوانها: «المترجم بوصفه مُنْجزاً لانكسار النص: نحو إعادة قراءة لـ «كلارينس مانغان» مُتَرجِماً»[57] (Translator as Refractor; Towards a Re-Reading of James Clerence Mangan as Translator). وفي هذه الدراسة طبق الباحث مفهوم لوفيفر عن الانكسار، لا على معظم كتابات مانغان فحسب، بل طبقه كذلك على مجال أوسع في عموم الأدب الإيرلندي في القرن التاسع عشر. والحق أن القضايا التي تثيرها الشعبة الأنجلو ـ أمريكية في هذه المرحلة لا تغفل الحقيقة القائلة بأن النصوص المترجمة تقوم بإدخال

(56) André Lefevere, «Mother Courage's Cucumbers: Text, System, and Refraction in a Theory of Literature,» *Modern Language Studies* (Kington, RI), vol. 12, no. 4 (Fall 1982).

(57) David Lloyd, «Translator as Refractor: Towards a Re-Reading of James Clarence Mangan as Translator,» *Dispositio: The Art and Science of Translation*, vol. 7, nos. 19-21 (1982).

وسائل أدبية إلى نسق أدبي آخر، بل إنها ـ فوق ذلك ـ ترجح أيضاً أن تكون الانكسارات متضمَّنةً إلى حدّ كبير داخل ظواهر سوسيولوجية أوسع نطاقاً. ثم إن لوفيفر ـ في مقال له ظهر عام 1984 بعنوان: «شرح تلك النبية المستخدمة في لهجة الرجال» (That Structure in the Dialect of Man Interpreted) ـ قدم تعريفاً وإضافة إلى مفهوم «الرعاية المتحكمة» (Patronage). ويعني لوفيفر بمفهوم الرعاية المتحكمة أي نوع من القوة يمكن أن تكون لها الفاعلية المؤثرة على الأعمال الأدبية بالتشجيع أو تيسير سبل الذيوع، بل كذلك بالتثبيط، أو إخضاعها للرقابة، أو تشويه سمعتها[58]. وقد ذهب إلى أن الرعاة المتحكمين (Patrons) قد يكونون أفراداً مثل آل المديتشي (Medicis)، أو لويس الرابع عشر، أو جماعات مثل هيئة دينية ما، أو حزب سياسي ما، أو مؤسسات مثل مؤسسات النشر، أو نظم التعليم.

وقبيل ظهور مقالته التي عنوانها: «لماذا نضيع وقتنا في الكتابات المنقّحة» (Why Waste our Time on Rewrites) ـ وقد نشرت المقالة في المجموع الذي أصدره هيرمانز عام 1985 بعنوان: **التلاعب بالأدب** ـ كانت لهجة لوفيفر مفعمة بالودّ تجاه القارئ، فلقد تجنّب المفردات العلمية التي هي سمة مميزة للخطاب في نظرية النسق المتعدد، كذلك أقلع لوفيفر عن محاولة التزامه بالموضوعية الخالصة في أبحاثه، مدللاً على أنه ما من أحد يستطيع الهروب من أيديولوجيته الخاصة، وذاهباً إلى وصف المجالات المعرفية التي يزعم أصحابها الموضوعية بـ «الافتقار إلى الأمانة»، وأثار التساؤلات

---

(58) André Lefevere, «That Structure in the Dialect of Men Interpreted,» in: *Comparative Criticism: Translation in Theory and Practice*, Edited by E. S. Shaffer (Cambridge; New York: Cambridge University Press, 1984), p. 92.

أيضاً حول وجوه التمايز بين ما هو أدبي وما ليس بأدبي، ولا سيّما حين يقوم على تحديدها المتحكمون في الخطاب الأدبي في مجتمع بعينه. ونأى لوفيفر بنفسه عن أية نظرية ترى في الأدب شيئاً محسوماً، أو تصوغ التنبؤات بشأن تطوره. وعلى النقيض مما تقدّم، يدخل لوفيفر مفهوم «الاحتمالي» (Stochastic)، وهي كلمة يونانية يستدعي معناها أمرين مجتمعين، هما: المضي قدماً عبر التخمين، وبالمعنى الحرفي، المضي عبر «الاستهداف الحاذق» (Skillful Aiming) لإنجاز وصف للنسق، الذي ينطوي تطوره على الاحتمال (Probability)، وكذلك على متغيرات عشوائية (Random Variables). كذلك استشعر لوفيفر أن دراسة الأنساق الأدبية لا يمكن الفصل بينها وبين دراسة الأنساق الأخرى للسلطة، مثل النظام التعليمي، والأهم من ذلك أنه سلَّم ـ لأول مرة في المنظور الخاص بالدراسات الترجمية ـ بأن دراسة الأنساق الأدبية لا يمكن أن تُحصر بتطورها الأوروبي ـ الأمريكي.

ولعلّ أفضل مثال للاستخدام البحثي لمنهجية لوفيفر ومصطلحيته الجديدة، كانت مقالة ماريا تيموشكو التي ظهرت عام 1986 بعنوان: «الترجمة بوصفها قوة للثورة الأدبية في التحول من الملحمة إلى قصص البطولات الخيالية في القرن الثاني عشر»[59] (Translation as a Force for Literary Revolution in the Twelfth Century Shift from Epic To Romance). لم تتوقف تيموشكو عند فحص الوسائل الأدبية الجديدة التي أدخلت إلى الثقافة الفرنسية من خلال الترجمة، ولكنها تجاوزت ذلك إلى استخدام مفاهيم من مثل

---

(59) Maria Tymoczko, «Translation as a Force for Literary Revolution in the Twelfth-Century Shift from Epic to Romance,» *New Comparison* (Coventry), no. 1 (Summer 1986).

مفهوم الرِّعاية المتحكمة (Patronage) والقوى السوسيولوجية ـ الاقتصادية الفاعلة في هذا العصر لشرح التطور النسقي. وقد استخدمت فرضيات النسق المتعدد لفحص التحولات التي حصلت للنسق الأدبي على النحو الذي قدمته الترجمة، كما تعرفت إلى التغيرات التي وقعت في النوع الأدبي (Genre)، والوزن الشعري، واستراتيجيات التقفية. غير أن الباحثة رأت أيضاً تغيرات إضافية لا يمكن تفسيرها باستخدام المنهجية الشكلانية، وهي: ابتكارات في القرن الثاني عشر شملت بُنىً قيمية جديدة، وتغيّرات في دور المرأة، وبداية إدخال الحب الرومانسي. وباستخدام منهجية لوفيفر تتبعت الباحثة تطور نسق سلطة الرعاية (Patronage System)، لتبيّن كيف شهدت خواتيم القرن الثاني عشر انحطاط الوضع الخاص بالمنشدين الملحميين، وكيف آثرت قوى الرعاية التحكمية (Patrons) عليهم المترجمين المثقفين، والقائمين على تطويع النصوص، والمؤلفين. وقد قامت الباحثة بتفسير هذه التحولات بوضع النسق الأدبي في سياقه من النسق السوسيولوجي ـ الاقتصادي، بما في ذلك عدد من العوامل، مثل نمو سلطة الطبقة الكهنوتية، وظهور الجامعات، وأهمية الترجمة لتسهيل سبل التواصل بين اللغات: الفرنسية والإنجليزية والإسكندنافية والإيرلندية ولغة ويلز، ومناطق أخرى معينة من مناطق الثقافة الفرنسية[60]. وهكذا قامت الترجمة بدور حاسم من الوجهتين الشكلية والأيديولوجية في النسق الكتابي الناشئ. لقد صارت الطبقة العليا في المجتمع أكثر أمناً خلال هذه الحقبة، كما أن الترجمات قامت بتوفير وظائف للكتبة الذين كانوا يعانون من قلة الأعمال، كما لبّت حاجة الطبقات الأرستقراطية إلى أفكار جديدة.

(60) المصدر نفسه، ص 18-19.

وأقامت الباحثة البراهين على أن المترجمين لم يكونوا فريقاً من اللامبالين، ولكنهم حاولوا أن يضمنوا لأنفسهم تحقيق المنفعة ضمن نسق «سلطة الرعاية المتحكمة»، ومن ثم تكيفوا مع أيديولوجية العصر المتغيرة، كما شاركوا في صياغتها. وقد بيّنت الباحثة، باستخدام البرهنة الاستقرائية والاستنباطية، كيف كان الأدب المكتوب استجابة وانعكاساً للقوى الأيديولوجية، وكذلك لقوى العلم بالصناعة الشعرية (Poetological Forces).

## جدعون توري: الدراسات الترجمية الوصفية وما بعدها

منذ صدور كتاب: **بحثاً عن نظرية للترجمة** (عام 1980) بلغت الصور المعدلة من نظرية النسق المتعدد تمامها مع كتاب إيفين ـ زوهار: **دراسات في النسق المتعدد** (*Polysystem Studies*) (1990)، وكتاب جدعون توري: **الدراسات الترجمية الوصفية وما بعدها** (*Descriptive Translation Studies and Beyond*) (1995). وقد تطلع الباحثون في لهفة إلى الأقسام الخاصة بـ «المابعد» من الدراسات الوصفية، ذلك لأن كثيراً من المشروعات خلال الثمانينات اتصفت بالإسهاب في تعداد التفاصيل، كوجوه الشبه والفروق والتباديل، غير أنها كانت موجزة في شرح العلة التي وردت بسببها هذه السمات في الترجمات. إن نظرية النسق المتعدد ـ التي استهدفت القيام بوصفٍ وتوليدٍ لنظرية يمكنها أن تشرح وتتنبأ ـ قد وعدت بتزويد الباحثين ببعض الأسئلة. غير أنه مما يؤسف له أن كتابي إيفين ـ زوهار وتوري الجديدين كانا إلى إعادة البيان والتوضيح أقرب منهما إلى تطوير أفكار مهمة من الأفكار التي عرفتها السبعينات، وهذا هو ثيو هيرمانز، في كتابه: **الترجمة في أنساق** (*Translation in Systems*) يكتب ناعياً عليهما غياب الابتكار، فيقول: «إن كلا الكتابين قام بمراجعة وتدقيق، وإعادة تعريف للمواقف الأولى، ولكنهما اشتملا ـ

على نحو يثير الإحباط ـ على القليل مما هو جديد من الوجهتين النظرية والمنهجية، ومن النادر أن تطالعنا فيهما مواجهات مع أفكار ووجهات نظر منافسة»[61]. ويظلّ كثير من الفصول في كتاب توري باقياً على حاله الأولى، لا يناله كبير تغيير، ومن أمثلة ذلك الفصل الذي عنوانه: «المعايير: طبيعتها ودورها في الترجمة» (The Nature and Role of Norms in Translation). أما قسم «المابعد»، فلا يشغل إلا عشرين صفحة من كتاب يبلغ عدد صفحاته ثلاث مئة.

ومع أن كتاب توري لا يقدم الكثير مما هو جديد، فقد حظي بتنقيح خصب، ولا سيّما في ما يتصل بالمسارات المنهجية، ذلك أن توري، بوصفه باحثاً حفياً بأدق التفاصيل ومفكراً صارماً، فهو يقدم قضية قادرة على الإقناع لمقاربته الخاصة بدراسة الترجمة ـ مقاربة «النص المستهدف» (Target-Text Approach) ـ وهو يذهب في ذلك إلى أنه من الثابت أن الترجمات إنما تحفِّز إليها الثقافة المستهدَفة، ولذلك فإن ابتداء الملاحظات إنما يكون من هذا المنطلق.

ويقدم توري أيضاً استراتيجيات يضع بها خرائط يحدد بها العلاقات بين المكوّنات الجزئية للنص المستهدَف وما يقابلها في النص ـ المصدر. ويحدد توري تحديداً دقيقاً مظاهر الضعف في محاولات الوصف الأخرى التي قام بها الدارسون، غير أنه متعجل في تدقيق المتغيرات التي لم يُحْسب حسابها، فهو ـ على سبيل المثال ـ يناقش في بيان تفسيري يتخلل الكتاب كله الكيفية التي صنف بها الباحثون الوصفيون التقليديون الاستعارة، ومن هؤلاء

---

(61) Theo Hermans, *Translation in Systems: Descriptive and Systemic Approaches Explained*, Translation Theories Explained; v. 7 (Manchester, UK: St. Jerome Pub., 1999), p. 14.

داغوت[62] (Dagut) ونيومارك[63]، حيث صُنِّفت الاستعارات عندهم إلى ثلاث فئات: (1) الاستعارة منقولة إلى «الاستعارة نفسها». (2) الاستعارة منقولة إلى «استعارة مختلفة». (3) الاستعارة منقولة إلى «لا استعارة»[64] (Non-Metaphor). إن توري يجد في مثل هذا النسق التصنيفي نسقاً ناقصاً، وأن فيه تحيزاً مرده إلى الدارسين الذين ينطلق تحليلهم من النص ـ المصدر. بل إنه، وهو يتخذ النص ـ المصدر نقطة بداية، يضيف إمكاناً رابعاً وهو: (4) إغفال الاستعارة إغفالاً تاماً. وحين يُدخل المرء في حسابه الثقافة المستهدفة، ينشأ عن ذلك ظهور احتمالين آخرين يمكن بيانهما على الوجه الآتي: (5) اللااستعارة منقولةً إلى استعارة، و(6) إضافة نوع جديد من الاستعارة لم يكن موجوداً من قبل. هكذا توسِّع مقاربة النص المستهدَف مجال الملاحظات، وتقوّمها على أساس راسخ من التحليل لنصوص مترجمة حقيقية. ولا يمكن للدراسات التي تُنجز باستخدام مثل هذه المنهجية النسقية أن تساعد إلا على تحسين الدرس في هذا الحقل، وأن تعزز فهمنا لظواهر الترجمة.

على أن من الثابت أن مثل هذا العمل القائم على المقارنة تتم فيه المقارنة بالنسبة إلى معيار قياسي، وذلك باستخدام نوع ما من فرضية التكافؤ، وهي مشكلة ينبغي على توري أن يجد لها حلاًّ، ومن هنا نجد توري في النظرية المنقّحة يعمد إلى المفهوم الخاص

---

(62) Menachim B. Dagut, «Can 'Metaphor' Be Translated?,» *Babel* (Frankfurt), vol. 22, no. 1 (1976).

(63) Peter Newmark, *Approaches to Translation*, Language Teaching Methodology Series (Oxford; New York: Pergamon Press, 1981).

(64) Toury, *Descriptive Translation Studies and Beyond*, pp. 82-83.

بـ «ثابت المقارنة» (Invariant of Comparison)، فلا يجعل منه مفهوماً حاضراً فحسب، ولكنه يدفع به ليحتل موقع المركز في الطراز النظري. ومع أن توري قد غيّر من المصطلحية المستخدمة في المناقشة، إذ يطلق على هذا المفهوم الآن: «الفرضية الوظيفية ـ العلائقية للتكافؤ» (Functional-Relational Postulate of Equivalence) ـ أقول: مع ذلك، فإن توري يظل يطلق عليه وصف «الثابت» (Invariant)، كما أن هذا المفهوم ذو بنية افتراضية إلى حد كبير. ويستخدم معظم الدارسين النص ـ المصدر وسيلة للقياس، أما توري فلا يفعل ذلك، لأنه ـ بدلاً من ذلك ـ يطلب إلى الباحثين أن يضعوا خريطة تحدد سلسلة الإمكانات في الترجمة ليُستنتَج منها ـ باستخدام المنهجية الصحيحة ـ ما يسميه الآن «المفهوم المستتر للترجمة» (Underlying Concept of Translation). يقول توري:

«أما وقد تم ترسيخ سلسلة من ثنائيات المكونات الجزئية (Paired Segments)، وجرى تجميعها بعضها إلى بعض على أساس من المقارنات نفسها ـ فإن العلاقات الترجمية ـ يمكن ـ حينئذ ـ أن تنسب إلى تصور الترجمة الكامن تحت السطح في مجمل النص. وسيتم إنجاز ذلك بوساطة فكرة التكافؤ في الترجمة، وأعني بها الفكرة التي قد تنشأ بوصفها المعيار بالنسبة إلى النصين المعنيين»[65].

هكذا تكون وسيلة القياس للعمل المقارن وسيلة يقوم باشتقاقها المترجمون والباحثون أنفسهم، وهم ينتجون ترجمات ينظر إليها على أنها ذات حظوظ متفاوتة من نعوت «القبول» (Acceptable) و«الوفاء» (Adequate)، و«التميز» (Optimal)، و«الملاءمة» (Appropriate).

(65) المصدر نفسه، ص 37.

وعلى الرغم مما واجهته الأفكار الخاصة بالتكافؤ من الشك على امتداد حقل الدراسات الترجمية كله، ومن النماذج التاريخية (Historical Paradigms) التي استحضرها توري نفسه لدراسة التطور الثقافي تَبْرُز ملاحظةٌ مثيرة للدهشة، هي أن الكِتَاب يضرب صفحاً عن تناول الطريقة التي اشتق بها التصور المفتاحي في نظرية توري (Key-Concept)، وعمّا يتّسم به هذا الاشتقاق من الذاتية، وما يستكن فيه من سمة سفاح القربى. ومن المقطوع به أن المجموعات المهمشة ستدرك من فورها صعوبة الحصول على مجموعة من الباحثين والمترجمين تحلحل الإجماع السابق الذي قد نهض على أساس من مثل هذا التصور الكامن في عمق النص.

وأكثر ما يزعج، هو رغبة توري في ترسيخ منظومة مُحْكمة من «القوانين» (Laws) التي يمكن استعمالها في تفسير سلوك الترجمة والتنبؤ به. وتعتمد المصطلحية والصيغ عند توري اعتماداً شديداً على كتاب إيفين ـ زوهار: **دراسات في النسق المتعدد**، الذي تضمن أول تدقيق لـ «قوانين التداخل الأدبي»[66] (Laws of Literary Interference). وهذه القوانين التي أُطْلِقَ عليها في العمل الأول لـ «إيفين ـ زوهار» تسمية جريئة هي «الجوامع» (Universals) ـ وتسمى الآن في صياغة ممعنة في الجرأة «قوانين» (Laws) ـ قد تم توليدها نظرياً من نتائج الدرس الوصفي، وتشكل الغاية من نظرية النسق المتعدد. يقول توري:

«ينبغي للنتائج المتراكمة من الدراسات الوصفية أن تيسر صياغة سلسلة من القوانين المحكمة التي تعيّن العلاقات الجوهرية بين

(66) Itamar Even-Zohar, «Interference in Dependent Literary Polysystems,» *Poetics Today: Polysystem Studies*, vol. 11, no. 1 (Spring 1990), pp. 53-72.

جميع المتغيرات ذات العلاقة بالترجمة»[67].

وباستحضار ما قدّمه جيمس هولمز من وصف ثلاثي للدراسات الترجمية (انظر القسم الخاص بـ «هولمز» في ما تقدم) ـ وهو الذي يتضمن تشعيب التفاعل المتبادل بينها إلى شعب تطبيقية، ووصفية، ونظرية ـ يضع طراز توري الدراسات الوصفية في موقعية المركز (In the Central)، أو هي بحسب المصطلح الذي يستخدمه، في موقعية «المحور» (Pivotal Position). ومن الدراسات الوصفية يستمدّ الباحثون النظرية أو قواعد التعميم (Generalizations)، أو القوانين الحاكمة على نشاط الترجمة. ثم إن القوانين ـ على جهة التبادل ـ تؤثر في الدراسات الوصفية مستقبلاً، ثم تمتد إلى الشعبة التطبيقية أيضاً، لتؤثر في الترجمة ممارسة وتدريباً. وهكذا يستمد توري تصوره للنظرية من العلوم، ولا سيّما من العلوم المنضبطة كالفيزياء والكيمياء، كما يبدو تصوره مختلفاً كل الاختلاف عن النظرية على الوجه الذي تحدده حقول الفلسفة والأدب والدراسات الثقافية. وفي إمكاننا أن نرى طبيعة الصياغة التي يقدمها توري لقوانينه على طريقة المعادلات الرياضية، فهو يكتب قائلاً: «إن كل قانون من قوانين العلاقة ـ حين يكشف عنه الغطاء ويصاغ صياغة دقيقة ـ سيتخذ صياغة «مشروطة» (Conditional) بطريقة لا يعرف الخطأ إليها سبيلاً، وذلك على النحو الآتي: **كلما زادت قيمة «س» قل احتمال الزيادة في قيمة «ص»**[68].

ولم يَذْكر الفصل الخاص بـ «المابعد» من كتاب توري إلا قانونين اثنين، كانت «عقود من البحث المؤسس على النص قادرة

---

(67) Toury, Ibid., p. 16.

(68) والإبراز التأكيدي في الأصل: المصدر نفسه، ص 265.

على استنباطهما»، وهذان القانونان هما موضع جدال شديد. ينص القانون الأول على ما يأتي: «في الترجمة يغلب على الوحدات النصية الوظيفية (Textemes) في النص ـ المصدر أن تتحول في اللغة المستهدَفة (أو الثقافة المستهدَفة) إلى وحدات إخبارية وظيفية»[69] (Reportemes). وبالنظر إلي ما تتسم به لغة هذا القانون من تكثيف ظاهر، يعيد توري صياغتها على الوجه الآتي: «إن العلاقات النصية التي يتوصل إليها في الأصل (Textual Relations Obtaining) يعرض لها عند الترجمة/التعديل، ويصل هذا التعديل أحياناً إلى درجة تجاهلها تجاهلاً تاماً لصالح خيارات أكثر أُلْفة يتيحها مخزون اللغة، أو الثقافة المستهدَفة»[70]. وعلى حين تبدو هذه الصياغة أكثر وضوحاً، فإن المترجمين الممارسين لا يكادون يصدقون أعينهم، ذلك لأن بعض المترجمين ربما «يعدّلون» (To Modify) بغير ضرورة، ولكن معظمهم «لا يتجاهلون تجاهلاً تاماً» مظاهر النص الأصلي. ولأن اللغة لا تزال ملبسة ـ أعني بذلك قوله: «Textual Relations Obtaining» ـ يعيد توري صياغتها مرة أخرى، فيقول في الترجمة: «هناك ميل إلى اختيار العناصر (Items) على مستوى دون من المستوى الذي تتأسس عنده العلاقات النصيّة»[71]. وتقدم لنا هذه الصورة من الصياغة فكرة أفضل عن موضوع حديث توري، فعندما يبحث المترجمون عن مكافئات، ويفتقدون التعبير الدقيق، نجدهم ـ في الغالب ـ ينزعون إلى التعميم، مستمدين إيّاه من الخيارات المتاحة في الثقافة المستهدفة، وعلى الرغم من أن ذلك مقبول إلى حدّ بعيد، فمن المقطوع به أن ثمة استثناءات. إن المترجمين لا

(69) المصدر نفسه، ص 268.
(70) المصدر نفسه، ص 268.
(71) المصدر نفسه، ص 268.

يُغفِلون بالضرورة مظاهر النص ـ الأصل، ولكن ثمة تعبيرات معينة أحياناً تكون غير متاحة، وهذا هو كل ما في الأمر، ولذلك يبذلون غاية ما يستطيعون من الجهد. مع ذلك، تظل فرضيات التراتبية التي تتضمنها كلمة «دون» (Lower) مثيرة للقلق. إن الصياغة الأخيرة التي قدّمها توري يمكن معها أن نرى الكيفية التي يعمل بها النسق، حيث يُؤَمِّن للترجمة موقعاً هامشياً: «وكلما زاد اقتراب هذا الموقع من الطرف زادت قدرة الترجمة على تكييف أوضاعها مع الطرز النظرية المستقرة والمخزونات» (Repertoires)[72]. وعلى حين يمكن لمثل هذا التقرير أن يكون صحيحاً بالنسبة إلى كثير من الثقافات الغربية في القرن العشرين، فإن قليلاً من الباحثين في مجال الدراسات الترجمية يرغبون في الإقرار بصحة شمول هذه الأحكام التعميمية لكل الثقافات في هذه الحقبة من الزمن.

أما القانون الثاني الذي قدمه توري، فقد كان نصه في أول الأمر على الوجه الآتي: «في الترجمة هناك نزعة إلى نقل الظواهر التي تنتمي إلى تحقيق البناء النصي (The Make Up) في النص ـ المصدر إلى النص المستهدف»[73]. ويبدو هذا الأمر على غاية من الدقة، بل إنه يمكن أن يقوم بدور في تعريف نشاط الترجمة نفسه، ومع ذلك فإن عموم هذه الصياغة ربما لا تقدم رؤية مستبصرة جديدة للباحثين. إلا أن في إمكاننا رؤية ما يقصده توري جيداً من خلال الصياغة الجديدة لهذا القانون، وهي «كلما زاد اعتماد الوسائل الكفيلة بتحقيق البناء النصي في نص ما بوصفها عاملاً من العوامل في صياغة ترجمته، زاد توقعنا لظهور آثار التداخل

(72) المصدر نفسه، ص 271.

(73) المصدر نفسه، ص 275.

(Interference) في النص المستهدف»[74].

إن توري يناقش قضية التداخل في الترجمة (Translation Interference)، أو هي ـ بعبارة فينوتي ـ قضية الكيفية التي تدخل بها العناصر «الأجنبية» إلى النص المستهدَف. ولقد وُضِع هذا القانون لأول مرة على يد إيتمار إيفين ـ زوهار في صورة فرضية، وذلك في كتابه: **أوراق في تاريخ فن الشعر**، وأعيدت صياغته في صورة سلسلة من عشرة قوانين في كتابه: **دراسات في النسق المتعدد**[75]؛ فكلما زاد اعتداد المترجمين بالنص ـ المصدر، زادت العناصر التي يقدرون على نقلها. غير أن ثمة صياغة أخيرة للقانون نصها هو: «حتى حين يُعْتد بالنص ـ المصدر بحيث يكون عاملاً حاسماً في صياغة ترجمته، فإن حذّاق المترجمين ينبغي أن يكونوا أقل تأثراً بهيئة البناء النصي»[76]. ومن المفارقات أن توري ـ في ما يبدو ـ يرى في الاعتداد بالنص ـ المصدر أمراً سيئاً، من حيث إن ذلك يمكن أن يفضي إلى مزيد من التداخل. وفي خلفية الصورة أرى بعضاً من خِيْرة المترجمين، وهم ينكمشون خوفاً، ويتساءلون: هل حذّاق المترجمين هم الذين يكونون «أقل» تأثراً بهيئة البناء النصي في النص الأصلي؟ أليس في هذا القول شيء من الإخلال بجودة العمل؟ ثم إن ثمة سؤالاً آخر: ما الكيفية التي يمكن أن يُحَدَّد بها المترجم الحاذق؟ إن ثمة تراثاً قوياً موجوداً في الترجمة، ويشمل كثيراً من حذّاق المترجمين الذين يبذلون قصارى جهدهم للعبور بما يشتمل عليه الأصل من مظاهر إلى ترجمته. وتبدو قوانين توري أكثر ملاءمة

---

(74) المصدر نفسه، ص 276.

(75) *Poetics Today: Polysystem Studies*, vol. 11, no. 1 (Spring 1990), pp. 53-72.

(76) Toury, Ibid., p. 277.

للمترجمين الوظيفيين في العالم الناطق بالألمانية. والحق أن الجانب الأكبر من المادة التي أضافها توري إلى كتابه: **الدراسات الترجمية الوصفية وما بعدها** تعكس ارتباطه بالباحثين الألمان في حقل الترجمة، وبالمدرسة الوظيفية في المقام الأول.

ويورد توري في ختام القسم الخاص بمناقشة قانونه الثاني صياغته الأخيرة للقانون، وهي: «إن السماح بالتداخل ـ ومن ثم ببقاء تجليات هذا التداخل ـ يميل إلى الزيادة حين تجري الترجمة من لغة أو ثقافة كبرى (Major) أو ذات نفوذ قوي، ولا سيّما حين تكون اللغة أو الثقافة المستهدَفة «صغرى» (Minor) أو «ضعيفة» (Weak) بأي معنى آخر من المعاني»[77]. هنا نرى مبدأ توري في ما يخص التداخل متجسداً في إطار نظرية الأنساق بطريقة تجعله عامّاً عبر الثقافات. وتظل اعتراضاتي قائمة على التراتبيات التي تتضمنها مصطلحات الأعلى/ الأدنى، والأكبر/ الأصغر، وذي النفوذ/ غير ذي النفوذ. إن المشكلة تتمثل في أن توري يصوغ قوانينه على أساس من فرضيات وضعت في أوائل السبعينات، وأن تلك الفرضيات قد أصابها شيء من التغيير بمرور السنين. وعلى الرغم من أن المادة التي يقدمها توري تبدو مؤيدة لدعاواه، فإن المادة التي ظهرت أخيراً من الولايات المتحدة تخالف ذلك إلى حد بعيد، فالناشرون في الولايات المتحدة على سبيل المثال، وهو ليس نموذجاً للثقافة «الضعيفة» أو «الثانوية»، نجدهم أكثر ميلاً إلى نشر نص من نصوص قبائل مايا/ الغواتيمالية أو نصوص البربر/ من الشمال الأفريقي؛ مع أنها نصوص مفتوحة للتداخل بينها وبين غيرها، وتشتمل على عناصر «أجنبية دخيلة»، ومباينة للواقع القائم، من ميلهم إلى نشر ترجمات

(77) المصدر نفسه، ص 278.

تعمل على التلطف في معالجة الفروق الثقافية، وتُطوِّر النصوص لتنضوي تحت أنواع وأساليب تحظى بالقبول. وليست هذه الظاهرة بالجديدة كل الجدة.

لقد كانت الخمسينات في الولايات المتحدة ـ كما دلّلت على ذلك في دراستي التي عنوانها: «الترجمة والثقافة المضادة و«الخمسينات» في الولايات المتحدة» (Translation, Counter-Culture and *the Fifties in the USA*) (1996) ـ هي حقبة الاستقرار العظيم، والنزعة المحافظة، إذ كان أيزنهاور رئيساً، وأمريكا الضواحي كانت في نمو، والبلاد في سلام، والرخاء الاقتصادي في ازدياد، والبطالة في انخفاض، وكانت الولايات المتحدة إحدى القوتين العسكريتين العظميين، وتتمتع بمجال خصب متباين الأطياف من الأنواع الأدبية. ومع ذلك كله، كان ثمة نشاط للترجمة يتصف بقدر كبير من المقاومة يجري على الساحة، باستيراد نتاج الكتّاب السيرياليين، والتجريبيين من أوروبا، وأمريكا اللاتينية، ومن بينهم: بابلو نيرودا (Pablo Neruda)، وأنطونيو ماتشادو (Antonio Machado)، وسيزار فاليو (Cesar Vallejo)، وفريدريكو غارسيا لوركا (Fredrico Garcia Lorca)، وغونار ايكيلوف (Gunnar Ekelof)، وجورج تراكل (George Trakl)، وهنري ميشو (Henri Michaux)، ورينيه شار (René Char). لقد قام بالترجمة لهؤلاء الكتّاب كتّاب ومترجمون مبدعون من ذوي المقام الرفيع، من أمثال: روبرت بلاي (Robert Bly)، وجيمس رايت (James Wright)، وغاري سنيدر (Gary Snyder)، ورولف همفريس (Rolfe Humphries)، ولانغستون هيوز (Langston Hughes)، وو. د. سنودغراس (W. D. Snodgrass)، وو. س. ميروين (W. S. Merwin)، وويليس بارنستون (Willis Barnstone)، وجميعهم قد

أعرضوا بوعي عن المسار الأساسي للأعراف الشعرية والأدبية السائدة في هذه الحقبة. إن الترجمة خلال هذه الحقبة لم تقم بدور العامل المحافظ الذي يعكس المعايير الثقافية والأدبية للمرحلة، ولكنها كانت عاملاً تقدمياً يتحدى تلك المعايير، ويحاول تغييرها، وذلك باستيراد أشكال وأفكار جديدة. وإذا كان للفورة التي شهدتها المرحلة التالية في الستينات من دلالة، فهو أن الترجمة كانت إحدى الأدوات المهمة التي قادت إلى التغير الثقافي. إن مثل هذه المادة تناقض ما توصل إليه توري من نتائج، ومن الواضح أن الحاجة ملحة إلى مزيد من الدراسات قبل التوصل إلى مثل هذه الأحكام المعممة.

لقد قامت قوانين توري كذلك على أساس «عقود» من البحث، وهي لم تَضع في اعتبارها ـ على نحو جاد ـ الفحص الذي يجري على يد الباحثين الكنديين، أو باحثي أمريكا اللاتينية، والبلاد النامية، كما لم يوضع في الحساب أيضاً الدراسات الماركسية أو النسوية (Feminist)، أو دراسات ما بعد الاستعمار (Postcolonial)، أو ما بعد البنيوية (Poststructural). وكما تظهر الدراسات في حقول الأنثروبولوجيا وعلم الإثنيات، لم تعد المقاربات والمنهجيات «العلمية» و«الموضوعية» التقليدية قادرة على أن ترصد من الأمور إلا بما تسمح لها مناهجها برصده، وهذا ما أدّى إلى إفقار «علميتها» أو ما تقدمه من «علم». لقد كشفت نظرية توري عن قليل مما يخص ظواهر الترجمة، وكثير من ثقافة الباحثين الذين أعملوا مناهجه. وعلى حين يناضل توري لكي لا يكون معيارياً في ما يقوم به من تحليل في مجال الترجمة، فإن إيثاره الترجمات الوظيفية؛ أي الترجمة ذات التوجه إلى النص المستهدَف، هو أمر يمكن رؤيته بيسر في نتائجه.

في الفصل التالي سنرى كيف يكشف الباحثون الذين هم أكثر تبحراً في النزعة التقويضية، ونظريات ما بعد الاستعمار، عن مظاهر

المحدودية في نظرية النسق المتعدد، وكيف يقدّمون بدائل جديدة. وعلى الرغم من محاولة توري إظهار الباحثين في صورة من يتوصلون إلى إجماع في الرأي، فإن معظم النتائج التي توصل إليها الباحثون في مجال الدراسات الترجمية في الثمانينات تبدو مفارقة لما توصل اليه. وعلى الرغم من زعم توري نقيض ذلك، فإن الباحثين في الدراسات الترجمية يميلون إلى رؤية الترجمة على أنها في أدنى مظاهرها واقعة تجريبية اختبارية (Empirical Fact)؛ أي أنها نصٌّ عيني (Concrete Text) تحدده الثقافة المستهدَفة. أما في مظهرها الأكبر، فإنها منظومة معقدة من علاقات الترجمة التي تتمثل في موقف متعيّن.

لقد تنامت النظرة إلى النص المترجم على أنه نص مشتق من أسْرة مؤلفة من وجوه الشبه، كما أنه في الآن نفسه يقحم نفسه داخل أسْرة أخرى من وجوه الشبه. كذلك أظهرت الدراسات الوصفية للترجمة خلال الثمانينات كيف أن النص المترجم مندرج في شبكة تبادلية من التناص، وكيف يبدو أن وقائع الترجمة (Translation «Facts») هي أقرب إلى الوقائع المركبة (Constructed) منها إلى الوقائع المادية (Material). ومثلما كانت الدراسات الترجمية تعرّف نفسها على أنها علم مؤسسي، لكي تكسب لنفسها مزيداً من الدعم الحكومي والأكاديمي، بل من دعم مؤسسات القطاع الخاص أيضاً، كذلك نجد أن البحث الذي تقوم به المجموعة البلجيكية الهولندية، والفرع الأنجلو ـ أمريكي الذي يدخل معها في علاقة تماس، في ما يبدو، يمهد الأرض للتحليل الذي ينتمي إلى ما بعد البنيوية. ويبدو أن ثمة ظاهرة، هي أن الترجمة تدمر بحق أي مقاربة نسقية يُتَوسَّل بها إلى دراستها، وربما تدمر نفسها بحق. إنها تتطور على نحو مستمر، كلما تشابكت الدعاوي التي تعمل على صياغتها في صورة

مقولات (Categorizing it). وسيعالج الفصل الآتي إحدى الإمكانيات التي تتيح الفرصة لمزيد من التفكر، وأعني بها التقويضية؛ تلك الإمكانات التي تيسر سبل التوصل إلى رؤية ظاهرة الترجمة من منظور دأب الباحثون في الدراسات الترجمية على تجنبه حتى وقت قريب.

# الفصل السادس

## التقويضيـــــة

نظريات الترجمة التي تمت معالجتها حتى الآن تعتمد كلها على مفهوم من نوع ما للتكافؤ: التجربة الجمالية الواحدة (الفصل الثاني)، أو المكافئ اللساني التركيبي/الديناميكي (الفصل الثالث)، أو الوظيفة الأدبية المقابلة (الفصل الرابع)، أو الارتباط الشكلي المشابه، والمحكوم بالقبول الاجتماعي في الثقافة المستهدَفة (الفصل الخامس). وعلى الرغم من اختلاف المقاربات، فإن كل نظرية من هذه النظريات يوحدها إطار تصوري، يَفْترِض حضوراً أصلياً، ثم تمثيلاً لهذا الحضور في المجتمع المستقبِل. وقد حاول إيفين ـ زوهار وتوري التخلص من «قميص التكتيف» المعرفي (Epistemological Strait-Jacket) الذي يحتفظ به النص الأصلي ليشدّ به وثاق الترجمة، وكانت وسيلتهما إلى ذلك إعادة النظر في مشكلة الترجمة من زاوية المنتَج الفعلي، بدلاً من النموذج المثالي المتمثل في صيغة الترجمة «الأمينة» (Faithful Version)، غير أنهما وجدا في نهاية المطاف أن من الصعب عليهما الهروب من القيود التي كبلتهما بها جذورهما الشكلانية، والمقاربة العلمية، والفرضيات المعرفية الثنائية. ويظل

السؤال قائماً: أيكون من الممكن أن نتأمل ظواهر الترجمة بطريقة أخرى غير المنظور التقليدي؟ إن جميع نظريات الترجمة إلى الآن أقامت وجوهاً صارمة من التمايز بين النصوص الأصلية وترجماتها، وهي تمايزات تحكم الدعاوى اللاحقة التي تختص بطبيعة الترجمة. غير أن التقويضيين يأخذون على عاتقهم القيام بمهمة جذرية؛ هي إعادة صياغة للقضايا التي بنيت عليها نظرية الترجمة. وبينما ينأى بعض الممارسين بأنفسهم عن مصطلح التقويضية إيثاراً منهم لمصطلح آخر هو «الإنتاجية الإيجابية»[1] (Affirmative Productivity)، فإنني سأستخدم توخياً للوضوح مصطلح التقويضية (Deconstruction).

تشمل الأسئلة التي يطرحها التقويضيون ما يأتي: ماذا إذا قام بعضهم بتوجيه الفكر ـ نظرياً ـ إلى اتجاه معاكس، فطرح فرضية تقول: إن النص الأصلي هو الذي يعتمد على الترجمة؟ ماذا لو ذهب بعضهم إلى أن النص الأصلي ـ بغير الترجمة ـ لا يعود له وجود، وأن استمرارية الأصل تحديداً لا تعتمد على أي صفة مخصوصة يشتمل عليها، بل على الخواص التي تشتمل عليها ترجمته؟ ماذا إذا كان تحديد معنى نص ما غير محكوم بالأصل، بل بالترجمة؟ ماذا إذا كان الأصل فاقداً لأي هوية ثابتة يمكن تحديدها جمالياً أو علمياً، ولكنه يتغير في كل لحظة زمنية يعبرها إلى

---

(1) Eugene Vance, «Translation in the Past Perfect,» in: Jacques Derrida, *The Ear of the Other: Otobiography, Transference, Translation: Texts and Discussions with Jacques Derrida*, English Edition Edited by Christie McDonald; a Translation by Peggy Kamuf of the French Edition Edited by Claude Levesque and Christie McDonald (Lincoln: University of Nebraska Press, 1985), pp. 135-136.

الترجمة؟ ما الذي هو موجود «قبل» الأصل؟ أهو فكرة؟ أم شكل؟ أم أنه شيء؟ أم أنه لا شيء؟ هل يمكن أن نتأمل الأمر من زاوية ما قبل الأصل، أي من زاوية ظروف ما قبل الوجود الأنطولوجي للأصل؟ ولا يكتفي التقويضيون بإثارة الأسئلة التي تتحدى الأفكار الأساسية السائدة في جميع النظريات التي نوقشت من قبل، ولكنهم يسائلون أيضاً طبيعة فعل المساءلة نفسه، أي فعل إثارة الأسئلة. وهذا فوكو (Foucault) ـ كما سنرى في ما بعد ـ يضع السائل موضع المساءلة، ذاهباً إلى أن هذا العصر على التخصيص يتميز في الأقل بأنه عصر يقوم فيه الإنسان بطرح الأسئلة، وفي الأكثر بأن الأسئلة تنشأ عن شيء متأصل في اللغة نفسها، ويذهب التقويضيون إلى مدى بعيد في ذلك، حتى إنهم يرجحون أنه ربما كان «النص المترجم هو الذي يكتبنا» ولسنا نحن الذين نكتبه.

إن التقويضية تتحدى قيود اللغة والكتابة والقراءة، وهي تفعل ذلك بالاشارة إلى الواقع القائل بأن تعريفات التعبيرات المستعملة في مناقشة المفهومات هي نفسها تضع حدوداً للنظريات المحددة التي تحاول وصفها. وبينما لا تقدم التقويضية نظرية خاصة بها في الترجمة، فإنها مع ذلك «تستخدم» الترجمة غالباً لتحقيق أمرين: إثارة الأسئلة حول طبيعة اللغة و«الوجود في اللغة» (Being-in-Language)، وكذلك لكي ترجح الرأي القائل بأن المرء يستطيع في عملية ترجمة النصوص أن يكون قدر المستطاع قريباً من تلك الفكرة، أو التجربة المراوغة المسماة بـ «الاخـ(ت)ـلاف»(*) (Différance) التي تقبع في أساس المقاربة التي يتبنونها. هكذا يصبح مثل هذا التفكُّر في طبيعة الترجمة، وطبيعة اللغة ذا أهمية عند المنظِّرين في مجال الترجمة، لا

---

(*) الرسم لكاظم جهاد عن ترجمته لكتاب دريدا، انظر: جاك دريدا، **الكتابة والاختلاف**، ترجمة كاظم جهاد (الدار البيضاء: دار توبقال، 1988) (المترجم).

لأنه يشير بالضرورة إلى ضرب مختلف من المقاربات، ولكن لأنه يُعمِّق ويوسِّع الإطار التصوري الذي نوظّفه في التعريف بهذا الحقل على وجه التحديد. والذي أميل إليه هو أن هذا التحول إلى وضع أكثر إيغالاً في الفلسفة يتيح تحقيق رؤية أفضل لمجمل إشكالية الترجمة. إن مثل هذا التحول لا يقتصر نفعه على نظرية الترجمة فحسب، ولكن الخطاب الذي قد حدّ من تطور نظرية الترجمة سيجتاز ـ بعد مثل هذه المواجهة ـ تحولاً بطريقة لا تقبل التغيير، متيحاً بذلك الفرصة لاستبصارات جديدة، ولمقاربات طازجة متداخلة الاختصاصات، ومحطِّماً بذلك ـ إن شئت ـ سدّاً معترضاً عائقاً من المصطلحات والأفكار الراكدة.

وليست التقويضية في الدوائر الأنجلو ـ أمريكية مقاربة تقترن عادة بنظرية الترجمة، سواء لدى مترجمي الأدب أو اللسانيين. أما في بلجيكا والبلاد المنخفضة، فقليل من الباحثين يذكرون لها وجوداً، فضلاً عن أن يروا فيها أمراً مناسباً لأن يكون موضوعاً لمناقشاتهم. غير أني أود أن أعبّر عن توجهي إلى الاعتقاد بأن مجمل مشروع التقويضيين ذو علاقة متشابكة بقضايا نظرية الترجمة، وأن تأملاتهم ذات أهمية أصيلة بالنسبة إلى تفهم المشكلات النظرية في عملية الترجمة. إن جاك دريدا ـ على سبيل المثال ـ يذهب إلى أن التعالق بين التقويضية والترجمة يتسم بطابع المعاندة، ويصرّح بأن الحضور المستحيل المراوغ الذي يسميه «الاخـ(ت)ـلاف» ربما يكون حاضراً في أقصى حالاته الممكنة. يقول دريدا: «في حدود ما هو ممكن، أو على الأقل ما «يبدو ممكناً» (Appears Possible) تمارس الترجمة مفهوم الاختلاف (Difference) بين الدال والمدلول»[2]. وتدور جميع

---

(2) Jacques Derrida, *Positions*, Translated and Annotated by Alan Bass (Chicago: University of Chicago Press, 1981). p. 21.

كتابات دريدا ـ بقطع النظر عن «موضوع البحث» أو النص الذي يكون موضوعاً للنظر ـ حول إمكان الترجمة أو استحالتها. ويرى دريدا أن الفلسفة «كلها» معنية عناية أساسية بفكرة الترجمة، وأن «أصل الفلسفة هو الترجمة، أو أطروحة القابلية للترجمة»(3). ودريدا يتحدى القارئ (والمترجم خاصة) أن يتأمل ثم يتأمل كل لحظة يُطرح فيها حلٌّ لمسألة من مسائل الترجمة، أو تُطلق فيها تسمية على شيء، أو يُجرى فيها تثبيت لتطابق، أو تُدوَّن جملة، فإنه مع كل إشارة بتسمية يقترح دريدا حاشية، أو ملاحظة على الهامش، أو تقديماً يكون أيضاً من أجل استنقاذ المعاني الإضافية المتباينة والرهيفة، والأفكار الحافَّة التي ضاعت في أثناء عملية التدوين. وبإعادة توجيه مركز المعاينة الفلسفية من المطابقة إلى الاختلاف، ومن الحضور إلى الإلحاق، ومن النص إلى التقديم، تضطلع الترجمة بمنزلة هي إلى المنزلة المركزية أقرب منها إلى الثانوية؛ وذلك لأنه في هذا الموضع تحديداً يقوم دريدا بخلق التوتر، وابتعاث الشكوك، وتقديم البدائل. إن عملية الترجمة تقدم ـ بقدر ما يمكن مقاربتها ـ شكلاً من أشكال الاختلاف/ الإرجاء الذي يقوّض أشكال التفكير الميتافيزيقي التقليدية، تلك التي هيمنت تاريخياً على الفروض المتعلقة بالترجمة خاصة، كما تتعلق بالفلسفة عامة.

وعلى النقيض من جميع النظريات التي نوقشت في هذه الدراسة، نجد أن الفرض الذي يستقر أساساً لفكر دريدا هو أنه **لا** وجود لبنية نواة (Kernel)، أو بنية باطنة (Deep)، أو لعامل ثابت يكون أساساً للمقارنة؛ إن ذلك شيء لا يمكن استبانته البتة، فضلاً

(3) Derrida, *The Ear of the Other: Otobiography, Transference, Translation: Texts and Discussions with Jacques Derrida*, p. 120.

عن إمكان تصويره، أو ترجمته، أو وجود نظرية لمعالجته، وعلى العكس من ذلك «يؤسس» دريدا «نظريته» عن التقويضية على عدم المطابقة (Non-Identity)، وعدم الحضور (Non-Presence)، وعدم القابلية للتمثيل (Unrepresentability). إن الماثل ـ في ما يرى دريدا ـ هو سلاسل من الدلالة تضم «الأصل» وترجماته في علاقة تكافلية تكاملية، يرفد فيها بعضها بعضاً، في تحديدٍ وإعادة تحديدٍ لطَيْف شبحي من التشابه ليس له تحقق في الوجود مطلقاً، ولن يكون له وجود بما هو شيء ثابت أو قابل لأن يُمسَك به، أو يُعرَّف، أو يُفهَم. هذا الطيف الشبحي الناشئ عن الرغبة في الإمساك بجوهر ما أو كيان متوحد يكبح إمكانية النظر إلى أي كائن، أياً ما كان على أنه دائماً في حالة حركة وتدفق وفعل مستمر (At Play)، وهو يتملص في أثناء العملية نفسها من محاولة تحديده، أو الكلام عنه، أو جعله حاضراً. لقد اقتضى موضوع نظرية الترجمة تقليدياً وجود تصور ما لمعنى قابل للتحديد، يمكن نقله إلى نسق آخر من التعبير، ولكن التقويضية تشكك في مثل هذا التعريف للترجمة، وتستخدم ممارسة الترجمة لتقيم الدليل على اهتزاز إطارها النظري الذي تختص به. إن التقويضية تقاوم الأنساق التي تعتمد التصنيف الفئوي، وتميز بين النص «المصدر» والنص «المستهدَف»، أو بين «اللغة» و«المعنى». وتنكر التقويضية وجود أشكال باطنة في عمق البنية اللغوية مستقلةً عن اللغة، وتشكك في الفروض النظرية التي تسلم بالموجودات الأصلية في أي صورة وبأي شكل. إن المشهود في الترجمة ليس لغة تحيل إلى الأشياء، ولكنه لغة تحيل إلى اللغة نفسها. ومن ثم، فإن سلسلة الدلالة هي سلسلة من الارتداد اللانهائي. إن النص المترجم يصبح ترجمة لترجمة أخرى سابقة، والكلمات المترجمة ـ على الرغم من أنها في نظر التقويضيين دوال «مادية» (Material» Signifiers») ـ فإنها لا تمثل شيئاً غير كلمات

أخرى، وهذه الكلمات لا تمثل بدورها أيضاً غير كلمات أخرى لا تزال تمارس التمثيل، وهكذا يمضي الأمر إلى ما لا نهاية.

ظهر البديل التقويضي أول الأمر في فرنسا في أواخر الستينات في زمن الانتفاضة الاجتماعية والسياسية. وفي الوقت الذي كانت فيه أحداث أيار/مايو 1968 تهدد بإسقاط نظام ديغول، اتصلت مجموعة من الشكلانيين بجماعة من اليساريين، وشرعوا بطريقة جماعية في نشر أعمالهم في المجلة الباريسية **تال كال** (*Tel Quel*)، وهو الاسم الذي ارتبط بتلك الجماعة[4]، وتشكلت **تال كال** من منشورات أعضاء أساسيين هم: فيليب سولّرز (Philippe Sollers)، وجوليا كريستيفا (Julia Kristeva)، ومارسيلين بلينيه (Marcelin Pleynet)، وجان بيار فاييه (Jean Pierre Faye)، وجاكلين ريسيه (Jacqueline Risset)، وجان ريكاردو (Jean Ricardou)، كما شاركهم مزيد من الأعضاء غير الدائمين من أمثال: رولان بارت (Roland Barthes)، وتزفيتان تودوروف (Tzvetan Todorov)، وبيار بوليز (Pierre Boulez)، وجان ـ لويس هودبين (Jean-Louis Houdebine)، وغي سكاربيتا (Guy Scarpetta)، ودريــدا. أما تــودوروف ـ الذي التحق بالجماعة قادماً من بلغاريا ـ وبارت، فقد كان كلاهما شكلانياً خالصاً. وأما كريستيفا ـ القادمة أيضاً من بلغاريا ـ فقد كانت ضليعة في دراسة الشكلانية الروسية. وهناك ـ من وجهة أخرى ـ لويس آلتوسير (Louis Althusser)، وهو ـ وإن كان غير معدود في

(4) Stephen Bann, «The Career of Tel Quel: Tel Quel Becomes L'Infini,» in: *Comparative Criticism*: *Translation in Theory and Practice*, Edited by E. S. Shaffer (Cambridge; New York: Cambridge University Press, 1984); Philippe Sollers, *Vision à New York: Entretiens avec David Hayman*, Figures (Paris: B. Grasset, 1981), and Julia Kristeva, «Mémoire,» *Infini* (Paris), no. 1 (hiver 1983).

الجماعة ـ قد مارس صيغة من صيغ التقويضية حين حافظ على نوع من الجدلية الماركسية والمنهجية العلمية، وكان له تأثيره الهائل. قرأ أعضاء **تال كال** جاكوبسون وماركس كليهما في آن ـ غير معرضين عنهما، ولا متوحدين بهما ـ وعمدوا ـ عن قصد ـ إلى رفض تقديم حلّ جديد يرتفع به التناقض في مثل هذا الموقف، وذلك لكي يفتحوا مسارات جديدة للفكر.

كان تطور التقويضية ـ بما هو انعكاس للقلاقل الاجتماعية والسياسية في فرنسا خلال أواخر الستينات ـ أكثر من مجرد مصادفة. ويذهب بيتر وولين (Peter Wollen) في كتابه: **القراءة والكتابة: استراتيجيات سيميائية مضادة** (*Readings and Writings: Semiotic Counter-Strategies*) إلى أن أيار/مايو 1968 «قد أتى بـ **تال كال** في أعقاب تلك الانتفاضة»[5]. غير أنه من الواضح أن الأسلوب البديل في التفكير الذي تبنّاه الشبان المتطرفون قد كان له دوره في قيام أحداث أيار/مايو أيضاً. وفي عام 1965 أصدر تودوروف كتابه: **نظرية الأدب** (*Theorie de la litterature*)، وهو أول ترجمة لمختارات من مقالات الشكلانية الروسية تظهر في فرنسا، وقد كان لها تأثيرها الهائل على الجماعة. وكانت جوليا كريستيفا ـ التي التحقت بهيئة تحرير **تال كال** عام 1970 ـ على علم باللسانيات التشومسكية ولسانيات مدرسة براغ، ولقد كانت شديدة الإعجاب بعمل باختين على سبيل المثال، ولكنها ذهبت في مقالها الذي عنوانه: «شعرية مفلسة» (The Ruin of a Poetics) (1973) إلى أن عمل باختين صحيح في جوهره، ولكنه لم يواصل المسار بما فيه الكفاية، ولا سيّما حين شرع في وضع الجوانب السوسيولوجية والأيديولوجية

---

(5) Peter Wollen, *Readings and Writings: Semiotic Counter-Strategies* (London: NLB, 1982), p. 210.

داخل الإطار البنيوي[6]. وقد اعترف دريدا أيضاً بأهمية المرحلة البنيوية بالنسبة إلى فاعلية التقويضية، وهو يذهب في كتابه: **في علم الكتابة** (*Of Grammatology*) إلى أن سوسير لم يمتد به العمر ليرى مشروعه وقد بلغ غاياته القصوى،أي أن ما أراد بمحاولته أن يؤطره ويحتويه بمطاردته خارج اللغة قد ارتد ليصبح هماً ملازماً «ينتاب اللغة»[7] (To Haunt Language).

إن التقويضيين ـ كما هو شأن الباحثين في الدراسات الترجمية ـ يحللون الفروق، وزلاّت اللسان، والتغيرات، ومواطن الحذف التي هي جزء من كل نص. والحق أن العوامل الاجتماعية والذاتية لا يمكن رؤية عملها بما هي قيود إلا من خلال مثل هذه الفكرة، أعني فكرة المقارنة. وكما أعانت الجذور الشكلانية الدراسات الترجمية على أنَ ينصبَّ تركيزها على النصوص الحقيقية دون النصوص الافتراضية، فكذلك ارتبطت التقويضية بالنص الذي تقرأه. وبما أن كلا «الحقلين» يتحرك نحو الوضع الذي يحاول فيه تحاشي التصورات المسبقة المستقلة، والتي هي التصورات المعتمدة في تصنيف النصوص وتأويلها وتقويمها. لعلّ قيمة التقويضية بالنسبة إلى نظرية الترجمة في (ما بعد البنيوية) أن تكون الآن قد أصبحت ظاهرة. غير أن الشكلانية الروسية واللسانيات السوسيرية كلتيهما تقومان على أساس التمايز بين الشكل والمحتوى (Form/Content)، أي التمايز بين الدال والمدلول (Signified/Signifier)، وهو ما يشكل أساساً

---

(6) Julia Kristeva, «The Ruin of a Poetics,» Translated by Vivienne Mylne, in: Stephen Bann and John E. Bowlt, eds., *Russian Formalism: A Collection of Articles and Texts in Translation*, 20th Century Studies (Edinburgh: Scottish Academic Press, 1973).

(7) Jacques Derrida, *Of Grammatology*, Translated by Gayatri Chakravorty Spivak (Baltimore: Johns Hopkins University Press, [1976]), pp. 43-44.

للفلسفة الميتافيزيقية التقليدية، ولا يزال يثير المتاعب للدراسات الترجمية. وهذا التفكير القائم على الثنائية، والتراتبيات الناشئة عن مثل هذه التمايزات (تفضيل الأدبي على غير الأدبي، والميتافيزيقي على ما هو إشاري مرجعي، والفكر الخالص على البنية الظاهرة) هي تلك التمايزات نفسها التي ترى فيها التقويضية قيوداً، والتي تعمل التقويضية ضدها. إن نظرية الترجمة تفترض دائماً وجود معنىً ما قابلاً للتحديد، إذ هو الشيء الذي ينبغي أن يعاد تأليفه في لغة أخرى، ومن هذا المنظور يصبح هذا الفصل نفسه بين اللغة والمعنى القابل للتحديد أو البنية الباطنة هو الغاية التي تستهدفها شكوك التقويضية، ومن ثم يبدأ مجال خصب لإعادة فحص نظرية الترجمة في عمومها. إن دريدا كثيراً ما يشير إلى «شيء ما ليس منطوقاً بحال»؛ إنه شيء ما لا يتمثل في الفكر، أو هو اللغة نفسها وهي تتكلم، وهذا ما سيكون موضع الجدال في ما بعد. وهذه الفكرة هي التي يُنْظر إليها تقليدياً على أنها واقعة خارج المجال الخاص بنظرية الترجمة. وسأدلل في هذا الفصل على أن الترجمة لم يعد يمكنها بحال أن تتجنب مثل هذه القضايا.

## فوكو: تفكيك الأصل

في تصديره لكتابه: **اللغة والذاكرة المضادة والممارسة** (*Language, Counter-Memory, Practice*) يستشهد ميشيل فوكو بـ جورج لويس بورجيس (Jorge Luis Borges)، إذ يقول: «الحق أن كل كاتب يخلق أسلافه، وأن عمله يغيّر من تصوراتنا للماضي، كما أنه سيغير المستقبل»[8]. كانت الفكرة القائلة بأن المترجم يخلق

(8) Michel Foucault, *Language, Counter-Memory, Practice: Selected Essays and Interviews*, Edited, with an Introduction by Donald F. Bouchard; Translated =

الأصل من بين الأفكار التي قدمها التقويضيون، وكان لها دورها في إضعاف فكرة «التأليف»، وبإضعاف فكرة التأليف ضعفت معها السلطة التي تقوم عليها فكرة المقارنة بين صيغ الترجمة اللاحقة للنص. وفي دراسته: «المؤلف: ما هو؟» (What Is an Author?) التي تضمنها كتابه: **اللغة والذاكرة المضادة والممارسة،** يتوفر فوكو على هذه المشكلات، وهو يلاحظ أن الأفكار التقليدية عن التأليف الأصلي، والأفعال الأصلية للإبداع، ووحدة النص الأصلي، والمكافئ أو الشبيه بالمكافئ في الترجمة، وأنساق تثبيت القيمة؛ كل ذلك يتخذ موقعه مستقراً في أساس فهمنا للأدب والترجمة. ويذهب فوكو إلى أننا حين نضع الكتابة في المنزلة الأولى، نعيد ـ بما يشبه الحفر على الصخر، وفي لغة بالغة التسامي ـ تثبيت فكرة الأصل المقدس للنص. إن أي ترجمة للأصل إلى لغة ثانية تنطوي على انتهاك للأصل، ومن هنا كانت الاستحالة المطلقة لإيجاد مكافئات خالصة (Pure). ويحاول فوكو أن يُجزِّئ الفكرة التقليدية عن «المؤلف»، فيقترح علينا بدلاً من ذلك، أن نفكر في الأمر من منظور «المؤلف ـ الوظيفة»[9] (Author-Function)، وهو يوصي ـ بدلاً من التركيز على الذات الأصيلة الثابتة ـ بأن يكون التركيز على العلاقات القائمة بين النصوص ونصوص أخرى، وأن ينظر إلي الخطاب المميز لنص معين من خلال وضعه التاريخي. والرأي عند فوكو أن عمل المؤلف ليس نتيجة الإلهام العفوي، ولكنه مرتبط بالأنساق المؤسسية للزمان والمكان، وهي أنساق لا سلطان للمؤلف الفرد عليها، ولا وعي له بها إلا بالقدر الضئيل. وهكذا يكون «فعل الإبداع» (Act of

from the French by Donald F. Bouchard and Sherry Simon (Ithaca, NY: Cornell = University Press, 1977), p. 5.

(9) المصدر نفسه، ص 130-131.

(Creation) في الحقيقة سلسلة معقدة، نقوم باختزالها في من نطلق عليه تسمية «المؤلف». ويؤثر فوكو ألا يرى المؤلف فرداً من لحم ودم، ولكنه سلسلة من المواقف الذاتية، لا تحكمها تأثيرات مؤلفة من إيقاع منفرد، بل تحكمها فجوات وانقطاعات وانكسارات، وسيُظهِر الخطاب في النص كيف أن هذه الانقطاعات تقوّض فكرة وجود نص أصلي متوحد متعالٍ (Transcendental) غير ملابس للتاريخ (Ahistorical). ويسوق فوكو الأدلة على أن النقاد ـ بمثل هذه المقاربة التاريخية ـ سوف يَسْخَرون من مظاهر «التوقير» (Solemnities) التي تحاط بها الحقيقة، وسيركزون على شبكة القوى، والعوامل الذاتية، والمواقف والإمكانات، ويصبح للفجوات والانعكاسات، والفروق، والتناقضات، ومواقف الصمت، من الأهمية في تحديد «المعنى» مثل ما للمحبوك، والمتوحِّد، والمُفْصَح عنه بصريح العبارة.

ويحظى ما يسميه فوكو العصر الحديث (Modern) مقابلاً إياه بالعصر الكلاسيكي (Classical Age) ـ من حيث التعريف والتصور ـ بأهمية أساسية في سياق ما أورده من برهان في دراسته: «المؤلف: ما هو؟». لقد قامت النظرية التقليدية للترجمة على أساس تصورات التناغم، والنصوص المتوحدة، وعلى أساس وجود فكرة أصلية يمكن اقتناصها في نص موازٍ، ويمكن رؤيتها على أنها أساس لما يسميه فوكو التصور «الكلاسيكي» لتمثيل الفكر. والرأي عند فوكو أن اللغة قد رسّخت ـ خلال القرن الثامن عشر ـ علاقات بالهوية، وفُهمت اللغة على أنها شكل من أشكال المعرفة، وكانت المعرفة بالفعل خطاباً. وكما أن العلماء من أمثال ليناوس (Linnaeus) درسوا علوم الطبيعة خلال تلك الحقبة، فكذلك أيضاً يمكن أن ينظر إلى أي «نظرية» عن العالم على أنها مَجْدولةٌ داخل نظرية عن الكلمات.

لقد حاول التاريخ الطبيعي ـ على سبيل المثال ـ أن يكشف اللثام عن النظام الحق، أي عن الأسس الحق المستترة وراء مشهد الحياة اليومية، وكان ذلك يجري باستخدام الأسماء، لكي تمنح الأشياء تسميتها الصحيحة. وفي فصل بعنوان: «تصنيف» (Classifying) من كتابه: **نظام الأشياء** (*The Order of Things*) يذهب فوكو إلى أنه خلال القرن الثامن عشر كانت «معرفة» الطبيعة تعني أن «تَبْني» على أساس اللغةِ لغةً «حقيقيةً» (True« Language»)؛ أي لغةً كاشفةً عن الأحوال التي يتحقق فيها للغةِ ـ كلِّ اللغة ـ أن تكون ممكنة الوجود[10]. لقد اكتُشِفت أمثلة الواقع، وبدأت التصنيفات، وحُدِّدت الخصائص المجردة، وتم توصيف الجوهر، وترسخت الأنظمة والأنواع التي لا يزال لها استمراريتها في العصر الحاضر، ومن ضمن ذلك بعض نظريات الترجمة التي نوقشت في هذا الكتاب. ومن أجل هذه المغامرة سعت اللغة وراء تحقق التشابه في الانطباعات، ومن ثم وُجِدت الفرضيات السابقة التي عملت على تنظيم الواقع بحيث يكون متناغماً مع خطاب الحقبة، وهو ما يفترض وجود الكليات الكونية، وأولوية الذات العارفة/المدركة (Knowing Subject)، ووجود لغة قادرة على وصف تلك الكليات.

وفي نهاية القرن الثامن عشر تحطمت تلك الرؤية المتناغمة للعالم. ويتوسع فوكو في معالجة هذا الموضوع، في الفصل الذي عنوانه: «العمل والحياة واللغة» (Labor, Life and Language) من كتابه: **نظام الأشياء**، ذاهباً إلى أن الخطاب في القرن التاسع عشر يصبح هو موضوع الخطاب؛ ومن ثم فإن المؤلف لم يعد يستعمل

(10) Michel Foucault, *The Order of Things; an Archaeology of the Human Sciences* (New York: Vintage Books, [1973]), pp. 161-162.

اللغة ثم يقف خارجها، ولكن يُنظَر إلى اللغة أيضاً على أنها قائمة «داخل» الذات المبدعة، وأن لها أثرها الخاص بها في الإنتاج. وهكذا، يبدأ همبولت، وبوب (Bopp)، وغريم (Grimm) وآخرون بحوثهم ومقارناتهم بين اللغات، ويبرز الدرس الفيلولوجي (في فقه اللغة)، ويجري توصيف البنى النحوية. ويذهب فوكو إلى أن الحقبة قد شهدت قطيعة مزدوجة؛ فاللغات قطعت علائقها بما تمثله من الأشياء، كما قطعت صلتها بنظام الطبيعة في تواصُلِيَّته الشاملة، مُكتسبةً بذلك حياةً خاصة بها. وكما أن الانقطاع (Discontinuity) في الأنساق الفرعية قد كشف عن وجود بُنى «عضوية» (Organic) في كل ما تبديه هذه الأنساق من تنوع، فكذلك تحقق للغات الانفصال عن النسق العريض المتوحد، وظهر انعدام التجانس في الأنساق النحوية[11]. ويرى فوكو أن من المفارقات أن تغدو اللغة منفصلة عن الشيء الذي تمثله، ومع ذلك تظل هي الوسيلة الوحيدة التي يمكن من خلالها معرفة الشيء، وهكذا تعلو اللغة وتهبط في آن معاً خلال تلك الحقبة، ويُنْظر إلى البنى النحوية على أنها مسلمات قطعية سابقة لما يمكن أن يُعبَّر عنه، ومن ثم تسقط الحقائق الفلسفية في شَرَك الخطاب، ويكون على التحليل أن يتخذ في عمله وجهة عكسية، فيبدأ من الآراء والحقائق، بل من العلوم وصولاً إلى «الكلمات» (Words) التي تجعل من وجود تلك الأشياء أمراً ممكناً. إن إنتاج أي شيء ـ بدءاً من السلع إلى النصوص الأدبية ـ ليس متصوراً فيه بحال أن يتشكل حول وعي الفرد بل حول العصر، أو هو يتشكل في رأي فوكو ـ بالأحرى ـ حول خطاب العصر، الذي هو «المبدع» الفعلي للفرد. وتتخذ اللغة ـ ولا

(11) المصدر نفسه، ص 292-293.

سيّما اللغة الأدبية ـ لذلك صورةً لنموذج جديد بالكلية، إذ تتوقف عن القيام بدور الوسيط/الكاشف عن الحقائق الفلسفية، وتكتسب شيئاً فشيئاً مرجعيتها الذاتية (Self-Referential)، أي تجلياً مجرداً لوجودها «الجارف» الذي تختص به. ويدلل فوكو على أن اللغة تقطع صلتها جُمْلةً بتحديد أنواع القول، وتصبح تجلياً مجرداً للغة (لا قانون لها إلا «قانون الإثبات»[12] (Law of Affirming)، فأشكال السلطة إذن تقلع خلال هذه الحقبة عن فرض القوانين، ويبطل النظر إلى الأنواع والأشكال الأدبية على أنها أبدية، وتنهار البنية التي تشكل أي فكرة عن الأصالة.

لقد أصبحت اللغة في العصر الحديث سلطة بذاتها، بل إن المؤلف يصبح «وظيفة» (Function) في الخطاب، تنحلُّ في كتابة النص نفسه. وفي دراسته: «المؤلف: ما هو؟» يقتبس فوكو من صمويل بيكيت (Samuel Beckett)، وهو يطرح سؤال نيتشه: «ما الذي يعنينا من طرح السؤال: من ذا الذي يتكلم؟» (What Matter who's Speaking). لقد اختفى الإنسان والإله في طوية لغة تكتب نفسها. إن فوكو يرى أن القضية الأساسية في العصر الحديث لم تعد هي الكيفية التي يُراكِمُ بها الإنسان المعرفة حتى يصير سلطة، ويصدر الحكم على العالم، ولكنها قضية الكيفية التي يمكن بها أن نفكر في ما لا يمكن أن نفكر فيه. وهو يُدلِّل في الفصل الذي عنوانه: «الإنسان والقرين» (Man and His Doubles) من كتاب: **نظام الأشياء** على القضية الآتية: إن الذي لا نفكر فيه، والذي يتفلّت حين تكتب اللغة نفسها، ولكنه، على أي حال، يشكِّلنا ـ أي يشكل كلامنا ونماذج التفكير ـ قد أصبح

(12) المصدر نفسه، ص 300.

هو موضوع البحث عند التقويضيين. يقول فوكو:

«إن القضية لم تعد هي: كيف يمكن لتجربة من تجارب الطبيعة أن تفضي بالضرورة إلى أحكام. إنها ـ بالأحرى ـ كيف يمكن أن يفكر الإنسان في ما لا يفكر فيه، وكأنه مسكون بشيء ما، هو همٌّ صامت يتفلّت منه، مدفوع إلى العمل بنوع من الحركة المجمدة؛ حتى إن هيئة ذاته تتخذ صورة شخصية خارجية متمردة؟ كيف يمكن للإنسان أن يَكُون حياةً يتجاوز دائماً نسيجُها، وخفقاتُها، والطاقةُ الدفينةُ فيها، تلك التجربةَ التي يحصل عليها فور المرور بها؟»[13].

وعلى الرغم من أن فوكو لم يدل بأي تنبؤات في ما يتعلق بما تكون عليه الإجابات عن الأسئلة التي طرحها هو نفسه، فإنه يقوم يقيناً بتوجيهنا نحو وجهة ما: أعني نحو التأمل العميق لما هو مسكوت عنه، نحو إضاءة ما هو مظلم، نحو استنطاقٍ للغةِ ذلك الذي قد كان صامتاً. هذا «الآخر» (Other) لم تلق الأضواء عليه بعد بالمعنى الإيجابي للمعرفة، ولا يمكن لذلك أن يكون، ولكنه تتم إضاءته بوصفه بقعة مطموسة، أو منطقة مظلمة تلازم التفكير الواعي. إنه يدرك «الآخر» بوصفه قريناً للإنسان (Man's Double)، لأنه «يشبه الظل» في مصاحبته للإنسان «بصورة منبهة ومُلازمة بلا انقطاع» منذ القرن التاسع عشر[14]. هكذا غيّرت التقويضية وجهة الأسئلة التي تُطرح عن العمل الأدبي ومعناه: من السؤال عما هو مسموع، إلى السؤال عما هو مسكوت عنه، وهوَّنت من الدور الإبداعي للمؤلف، وأثارت أسئلة جديدة عن المصدر الذي يأتي منه الخطاب الخاص بأي نص معين «إذا لم يكن هو المؤلف». وهكذا وُضعت أصالة

(13) المصدر نفسه، ص 323.

(14) المصدر نفسه، ص 326-327.

النص الأول موضع الشك، وبرزت عوامل حاكمة أخرى في ما يتصل بما يمكن أو لا يمكن أن يسبق إلى الفكر في ثنايا خطاب متعين. أما ما هو أهم، فهو إعادة النظر في «معنى النص»، وأن عناصر الصمت قد استعيدت لتدخل في لغة النص، مشهودة في التناقضات والفجوات ومواضع الحذف. ينضاف إلى ذلك أن الكلمة قد استعيدت لها المعاني الممكنة وغير الممكنة، وهي المعاني التي لازمتها دائماً، ولكن غطى عليها تطور الخطاب في الثقافة الغربية بوجه عام، وفي القرن الثامن عشر خاصة. هكذا ينزع التقويضيون إلى إظهار قدر كبير من عدم الاكتراث بالمؤلفين والمعاني الظاهرة، ويستعيضون عن ذلك بضبط المؤشر على اللغة التي تتحدث بذاتها، وإلى الإصاخة إلى غير المسموع، وإلى ما هو متفلِّت عصيٌّ على الإمساك به؛ إلى ما هو كائن ومع ذلك هو ليس بكائن؛ إلى ذلك التائه في الفضاء ما بين الدال والمدلول.

والتقويضيون مولعون بالنصوص المترجمة، إذ يدَّعون أن اللعب الإيجابي في هذه النصوص بالكلمات أو عليها يمكن أن يُرى، وأن المعاني المكبوتة بطريقة ضمنية في الغالب يمكن أن تعود إلى الحضور، بل إنها تعود. ثم إن التقويضيين ـ بممارستهم في الكتابة، وحتى في أكثر هذه الكتابات إيغالاً في الفلسفة بما يصحبها من حواش وتقديمات وملاحق، وما يحتمل معنيين من الكلام (Double Entendre) وملاحظات في الهوامش ـ أقول: إنهم بكل ذلك يتحدّون النظرية التقليدية في الترجمة لكي توسع من حدودها، ويشجعونها على أن تتأمل مواطن قصورها، وسيكولوجيتها، وكوابحها اللاواعية، ومضامين بلاغتها. إن إمكانية القول في الترجمة بأنه «لا يوجد شيء» وراء اللغة إلا نموذجها الخاص الذي ينطوي على ارتداد لا نهاية له، هي إمكانية يمكن أن توضع موضع التحدي، وينكشف بذلك اللعب

الذي تمارسه اللغة بنفسها وعلى نفسها. ذلك الانفتاح على العدم المطلق (Absolute Nothingness)، والموت، والمحدودية (Finitude)، هو الخاصية المميزة لفكر مارتن هيدغر (Martin Heidegger) الذي قام بتفكيك النظريات الميتافيزيقية للترجمة، وفتح الطريق إلى التفكير في ذلك الذي تنكره اللغة.

## هيدغر: حدود التسمية

كان كتاب هيدغر: **الوجود والزمن**[15] (1927) (Sein und Zeit)، (1962) *Being and Time*, إحدى المحاولات الأولى لفك القبضة الخانقة التي أحكمتها المقاربات التصورية الميتافيزيقية للترجمة، حيث يمكن للمرء أن يحدد موقع البدايات لممارسة التقويضية. ومن المفارقات أن الذي مكّن هيدغر من الإفلات من قيود الميتافيزيقية لم تكن إشارة ضمنية إلى أي من الحقائق الفلسفية، ولكنها كانت الكتابة عن قضايا اللغة، وعن الشعر، وعن الترجمة هي التي فتحت مسالك جديدة للفكر. وبالعودة إلى أهم المسائل وأكثرها تحديداً، والتي تشكل أساساً لجميع الفلسفات الغربية، أقلع هيدغر عن مناقشة «معنى» الوجود، واستعاض عن ذلك بأن سأل عن الشروط (Conditions) ذاتها المرتبطة بإمكانية الفكر الأنطولوجي (المتعلق بطبائع الكائنات). وإذن، فإن كتاب: **الوجود والزمن** هو في القليل منه وصف فلسفي، وفي أكثره مبحث في ما قبل الوجود (Pre-Ontological Inquiry). وتتصف اللغة التي تؤطر تلك المسائل بأنها هي نفسها تنطوي على تناقض ذاتي، فـ «الشيء» الذي هو موضوع للفحص يتم تحديده باستخدام تلك التسميات نفسها، التي

---

(15) Martin Heidegger, *Being and Time*, Translated by John Macquarrie and Edward Robinson (New York: Harper, [1962]).

هي موضع شك. غير أنه بسبب من الطبيعة الظرفية التي اتسم بها نص هيدغر، وذلك أنه لم يكن يحاول الإجابة عن السؤال، بل تحريكه (Stir)، أي أن يهيئ مكاناً وسياقاً لذلك السؤال ليتحقق له وجود ـ أقول: لذلك تجنب هيدغر الأفكار التصورية التقليدية، وبذلك كانت له القدرة مؤقتاً على الالتفاف حول هذا التناقض. إن النص لا يقدم برهاناً، ولا يطرح بياناً موجزاً بالعناصر الرئيسة لحجاج، ولا يصل إلى نتيجة، ولكنه ـ على الأحرى ـ يتوسع في عملية نفي المركزية (De-Sentering)، والإمعان في البداية من جديد، وطرح الأسئلة المتعلقة بالموجود (Seiende) الذي يسعى إلى طرح السؤال حول الوجود (Sein). إن عملية التفكير بحق في السؤال، ومعاناة السؤال معاناة وجودية (دون هروب إلى أفكار سابقة الإدراك، أو تعريفات تاريخية للوجود قائماً خارج الذات) إنما هي عمليةٌ تُفكِّك تاريخ الأنطولوجيا، وتاريخ الكيفية التي قد تَمَّ تفسير الوجود بها تفسيراً تقليدياً .

ويذهب هيدغر في كتابه: **الوجود والزمن** إلى أن الوجود ليس له وجود قائم خارج أي شيء، وبخاصة خارج المكان، حيث يكون السؤال. إن السؤال لا يظهر إلا في السؤال، إنه لا يظهر إلا في صورة علاقات يجري تشكيلها في اللغة والشعر والفكر. والوجود ليس إجابة لأي شيء، لأنه ليس كياناً (Entity)، أو شيئاً، أو تصوراً، أو فكرة تكون قابلة للإدراك، ولكنه مزيد من الشك، وافتقاد الحضور، وقلق يشير إلى العدمية المطلقة، وهو واقع دائماً خارج سيطرة الفهم. ويتجنب هيدغر الحقائق الفلسفية التي يقتصر دورها على مجرد إضفاء الغموض على هذه التجربة الواقعة في ما قبل الأنطولوجيا، ويحاول أن يمارس التفكير في غياب سوالف التصورات (Preconceptions)، وفي غياب الحقائق السامية السرمدية. وهكذا يتحول فكره شيئاً فشيئاً إلى اللغة كلما تدرج المقال في

الإفصاح عن محتواه، وهو لا ينفك يثير سؤال الوجود، لا لشيء إلا ليرى شبه إجابة تختفي في لحظة اقترابه من التوصل إلى صياغة محكمة للسؤال. إن هذين الأمرين يصبحان متصلين اتصال معاندة، ومتنافيين أيضاً تنافي المعاندة، حين يحاول هيدغر أن يمارس التأمل من خلال الخطاب الواقع في إطار سؤاله الذي يطرحه هو نفسه، ويصبح السؤال الذي ليس له جواب هو السؤال الوحيد الذي يقوم أساساً بدور المرشد لتفكيره لاحقاً.

ومن خلال المحاولات التي بذلها هيدغر لبناء سؤال يكون مُنْطلَقاً لصياغة جواب ما، استطاع أن يرى أن كوابح اللغة/الفكر قيدت تفكيره، وأخذ يعمل في هذه الحواجز بالتفكيك (Destructure)، أو التقويض (Deconstruct)، واشتمل منهجه على المزيد والمزيد من اللعب باللغة، متيحاً للغة أن تتحدث عن نفسها من خلال تنوعاتها، ومنعطفاتها الخاصة. وفي عملية شديدة الشبه بعملية الترجمة، وهي العملية التي صارت منهجية حاكمة على التقويضية، استطاع هيدغر ـ بإتاحته للغة أن تتحدث بنفسها، وإتاحته لها أن تواجه طاقتها الخاصة، وصدى تاريخها الاشتقاقي الخاص ـ أن يضع علامة دالة على طريقة واحدة يمكن من خلالها تجاوز الفكر الميتافيزيقي. ويمكن أن يفهم من كتابة هيدغر أن إمكانية العودة إلى لحظة ما قبل الأصل (Pre-Original)، وإمكانية ممارسة فكر ما قبل الأنطولوجيا (Pre-Ontological)، كلتاهما رهينة بإزالة أنقاض الفلسفة. وهكذا تدخل الترجمة إلى النظرية في تلك الحركة المزدوجة: أعني حركة التقويض، بوصفها إزاحة للبنى الراكدة، وتوفيراً لإمكانية الدخول بالقفز فوق أجيال من الفكر التقليدي[16]. إن الترجمة تصبح

---

(16) Robert Bernasconi, *The Question of Language in Heidegger's History of Being*, Contemporary Studies in Philosophy and the Human Sciences (Atlantic =

مفهومة، من حيث إنها عودة إلى ما قبل الأصيل (Pre-Originary)، ومن حيث سماحها بظهور التجربة البكر للغة. ولكي تتكلم بكلام أصيل، أي أن تفكر في «الآخر» (The «Other») من منظور فوكو - أي تفكيراً ينتمي إلى ما قبل الفكر الميتافيزيقي - فعليك أن تقوم بـ «فعل» الترجمة. هكذا يُنظَر إلى الترجمة على أنها فعل (Action)، وعملية من عمليات الفكر؛ أي ترجمة لذواتنا إلى فكر لغة أخرى، وليست نقلاً لغوياً علمياً من شيء ما إلى الحاضر.

هكذا تصبح حركة فكر هيدغر في كتابه: **الوجود والزمن** ذات أهمية لنظرية الترجمة. في كتابه هذا، كان هيدغر يناقش قضايا أساسية للميتافيزيقا الغربية، إذ يعالج فكرة الإنسان بوصفه موجوداً يثير أسئلة عن الوجود. وسرعان ما تحول فكر هيدغر بعد أن تخلى عن فكرته الخاصة حول أهمية الذات بوصفها كائناً عارفاً، إلى أهمية اللغة بما هي القوة التي تفكك الذات. وهكذا يصبح الإنسان، بمصطلحية هيدغر، هو موضوع اللغة (The Subject of Language). وبحسب الكيفية التي شرع بها هيدغر يتأمل الموجود، فإن هذا الموجود يختفي في اللغة: أي أن الخطاب في كتاب: **الوجود والزمن** يشير إلى انتهاك حدود النص الأدبي نفسه. وقد تقدّم هيدغر بخطواته نحو النقطة التي يرجحها فوكو، وهو ما يمثل خاصية مميزة لضرب معين من ضروب الفكر في القرن العشرين، يرى أن الأولى هو العدول عن القول بأن شخصاً ما يتكلم، إلى القول بأن اللغة نفسها تتكلم، وأن الإنسان ينصت. وإذا كان مثل هذا الإنصات

---

Highlands, NJ: Humanities Press; London: Macmillan, 1985), pp. 15-17, and = David Farrell Krell, *Intimations of Mortality: Time, Truth, and Finitude in Heidegger's Thinking of Being* (University Park, [Pa.]: Pennsylvania State University Press, 1986), pp. 80-94.

ممكناً، فما الذي يمكن للمرء أن يسمعه؟ يذهب هيدغر إلى أننا يقيناً لا نسمع كل شيء، وذلك لأن ثمة شيئاً جوهرياً بالنسبة إلى طبيعة اللغة لا يمكن أن يُسمع أو يُقرأ؛ شيئاً يُحتَبس حين تتكلم اللغة. إن الكلمات لا يقتصر عملها على الكشف عما يجري هناك، إذ إن «اللغة هي بيت الوجود»، ولكن اللغة أيضاً تُسِرُّ فلا تبوح. وحين ندع اللغة تتكلم عن نفسها، فإن الذي يتكشف هو شيء ما يعبر عن طبيعة اللغة: إن الكلمات لا تكشف عما هو موجود فحسب، ولكنها تكشف أيضاً عما هو موجود وعما ليس موجوداً في آن[17] (w*as es gibt und gleichwohl nicht ist*).

وفي الترجمة التي أنجزها هيدغر بعنوان: «جذاذة أناكسيماندر» (The Anaximander Fragment) في كتابه: **بدايات الفكر الإغريقي** (*Early Greek Thinking*) يعطينا لمحة من نظريته في الترجمة، وذلك في ترجماته التي قام بها هو لـ «جذاذة أناكسيماندر»، والتي هي أقدم جذاذة في الفكر الغربي، وهي التي يصبح تفسيرها حاسماً بالنسبة إلى دعاوى هيدغر الفلسفية. يعيد هيدغر قراءة أولية التفكير الإغريقي بمقصد أساسي هو أن يكتشف طريقاً بديلاً لرؤية العالم، عن طريق استكشاف أنماط الخطاب ما قبل الأفلاطوني والأرسطي. وهو يقوم بدراسة حالة صغيرة، ناظراً أول الأمر في ترجمتين دقيقتين إلى الألـمانية، أنجز إحداهما نيتشه عام 1873، والأخرى هيرمان ديلز (Herman Diels) عام 1903، ثم يقدم هيدغر ترجمته الخاصة[18]. وعلى الرغم من اختلاف المترجِمَيْن من حيث المقاصد والمناهج،

---

(17) Martin Heidegger, *On the Way to Language*, Translated by Peter D. Hertz (New York: Harper and Row, [1971]), p. 88.

(18) Martin Heidegger, *Early Greek Thinking*, Translated by David Farrell Krell and Frank A. Capuzzi (New York: Harper and Row, [1975]), pp. 13-14.

يلاحظ هيدغر التشابه بين الترجمتين؛ لا من حيث «الأمانة» الحَرْفية (Literal Faithfulness) فحسب، ولكنه التشابه أيضاً في ما يتعلق بـ «تصور» أناكسيماندر المستكن في أساس كلتا الترجمتين. إن المعيار الذي يُحْكم به على فلسفة ما قبل أفلاطون وأرسطو واحد إلى حد كبير، وهو معيار مأخوذ عن الفلاسفة الذين وضعوه هم أنفسهم. ويذهب هيدغر إلى أن هذه الرؤية قد تحصنت بشكل نهائي في الفلسفة الغربية (واللاهوت المسيحي) بوصفها «عقيدة جامعة»[19] (Universal Conviction).

ويطرح هيدغر سؤالاً: هل يمكن للجذاذة أن تتحدث إلينا بعد كل تلك السنين؟، هل يمكن للمترجم بطريقة ما أن يراوغ سلطان التاريخ، وهيمنة التفسير التاريخي؟ فلا يُعين المترجمَ على الكشف عن خبيء معنى الجذاذة لا الدرسُ الفيلولوجيُّ الكلاسيكيُّ، ولا التأويل التاريخي، ولا علم النفس. إن الذي يعينه ـ عوضاً عن ذلك ـ هو وجوده في حالة تناغم مع اللغة، حيث ينشأ «رباط أوسع وأقوى، ولكنه أقل حظاً من الوضوح إلى حد بعيد»، وفي هذا «الحوار الفكري العميق» يمكن ترجمة الجذاذة[20]. وإذن، فإن هيدغر يذهب إلى أنه يقدم ترجمته الخاصة، مسلّما بظهور جوهر الوجود (Being) وهو في حال انسحابه. وهو إذ يقطع علائقه بالروابط الحرفية، وبالتداعيات التي سبقت إلى الإدراك، يفتح عقله لمعانٍ جديدة محتملة. إنه ـ على سبيل المثال ـ لا يترجم كلمة (Adikia) بمعناها الحرفي؛ وهو «Injustice» (ظلم/ جور)، ولكنه يتسمع فيها ـ عوضاً من ذلك ـ كلمة «A-Dikia»، مرجحاً أن «Dikia»

(19) المصدر نفسه، ص 14.

(20) المصدر نفسه، ص 19.

غائب، أي أن كل شيء ليس في مكانه الصحيح، وأن شيئاً ما قد تخلّعت مفاصله، ويطرح كلمة «Disjunction» (انفصال) احتمالاً آخر للترجمة. ومن الواضح أن هيدغر يستخدم الترجمة ليحقق نوعاً من الكتابة المزدوجة، فهو يستخدمها: **أولاً** لكي يزيح ويزعزع استقرار المفاهيم المدركة سلفاً، والتي يحملها القراء الغربيون على الكلمات، وذلك ليسمح لشيء آخر بالحصول. و**ثانياً** لكي يطرح من جديد سؤال الوجود على نحو ما جاء في كتابه: **الوجود والزمن**. إن قبولنا هذه الترجمة أو رفضنا إياها هو أهون من أن يكون هدفاً لهذه المقالة، فالذي يهمنا هو استخلاص رنين الصمت، أو استعادته من خلال القول. وحين يحصل هذا النشاط تُسْلِمنا اللغة والفكر إلى معان أخرى، وليس إلى كيان واضح من نوع ما، قائم خارج اللغة، ولكن إلى شيء يستكن فيها، وإن كان متدثّراً بالبنى المهيمنة في اللغة.

وعلى الرغم من الفروق الظاهرة، فإن نظرية هيدغر في الترجمة ليست مغايرة بالكلية لبواكير الدراسات الترجمية، فهو يفترض افتراضاً مؤكَّداً أن الترجمات مشروطة بالمقولات التصورية الحاكمة على حقبة زمنية معينة، على الرغم من المحاولات التي تبذل لتطويقها. وهو أيضاً يعتقد أن من الممكن عن طريق الدراسة، وإعادة صياغة السياق التاريخي (Historical Recontextualization) التوصل إلى نتيجة من نوع ما عما كان عليه قصد المؤلف، ومن ثم إلى إماطة اللثام عن الطبقات المعتمة، من أجل الوصول إلى ضربٍ من القصد الأصيل (Originary Intent) أو الحضور قبل أن يَرِدَ عليه التشويه. إنه إذن ينتقي الكلمات التي تؤدي إلى التعجيب، وهذا التعجيب يمارس وظيفته في المجتمع اليوم بطريقة مختلفة، ويحاول هيدغر بذلك تحقيق عين ما استثاره النص الأصلي من تأثير أو استجابة، في عملية تحطيم للمقولات التصورية لدى قارئ ترجمته. ويسلّم هيدغر صراحة

في المقالة السابقة بأن في النص الأصيل صحة قام على صيانتها اليونان. إن الشاعر أو المترجم قادر على أن يترجم، أو أن يرتحل بنفسه إلى تلك الثقافة الأصلية، ويكشف عن التسمية الأصلية التي تضفي عليها التسمية اللغوية الغموض. إن المغالطة في الاستدلال على المقاصد يمكن أن تصدق على ترجمات هيدغر الأولى عن اليونانية، بما لا يقل عن صدقها على أي نظرية ذات توجه وظيفي خالص.

وعلى الرغم من التحفظات حول الآثار الباقية من حضور هذا الأصيل، فنظرية هيدغر في الترجمة تمثل علامة على منعطف له دلالته، ذلك أنه لا يكشف أي مقصد أصلي للمؤلف، ولكنه يكشف عن خاصية من خصائص اللغة نفسها. إن هيدغر يتوصل إلى تفاهم مع ما تنكره «اللغة»، وما لا تقترب منه ـ ولو من بعيد ـ أية نظرية عالجها هذا الكتاب بالعرض الموجز. إن الذي تكشّف لـ «هيدغر» حين ترك اللغة تتحدث عن نفسها هو أن «الكلمة» تدلّ ضمناً على العلاقة بين ما يوصف بأنه «يكون» ولا يكون في آن، وبين العمل الذي هو موجود في حالة كونه «غير موجود»[21] (The 'Is' which Is Not, and the Work which is in the Same Case of not Being a Being). يشير هيدغر إلى ضرب جديد من التفكير. إنه ليس التفكير في ما هو موجود وفي ما هو مسمّى، ولكنه التفكير في ما هو موجود، مع أنه في الوقت نفسه لم تتم تسميته، ولا يمكن بحال أن يُسمّى لأنه غير موجود. ويمكن للمرء أن يربط بين هذا اللاّكيان الصامت (Silent Non-Entity) الذي تولده اللغة، وما يسميه فوكو «الآخر» الذي هو توأم الإنسان، ذلك الذي يحمله الإنسان على

(21) Heidegger, *On the Way to Language*, p. 59.

الدوام، والذي قد أصبح يحدد صيغة الوجود بالنسبة إلى إنسان الحداثة (وما بعد الحداثة؟). والتفكير في ما لا يمكن أن يُسمّى أمراً صعباً ـ ويسميه هيدغر «حالة بسيطة لا يمكن الإمساك بها» (Simple Ungraspable Situation) ـ لكنه قد أصبح، على الرغم من صعوبته، مستحقاً من الوجهة النظرية لأن يكون موضوعاً للتفكير بما يليق به[22]، وربما يفرض على أية نظرية معاصرة من نظريات الترجمة إعادة الاعتبار له. أما عن السؤال: كيف توارى الإنسان بوصفه ذاتاً متكلّمة، وكيف يمكن للمرء أن يضيء ما هو صامت، فهو سؤال لم يَلْق جواباً، ولكنه استُخْدم على يد دريدا، كما سأحاول أن أبيّن في القسم الآتي للكشف عن المحاولات السابقة التي استهدفت التوصل إلى نظرية للترجمة.

## دريدا: الترجمة و«الاخـ(ت)ـلاف»

يبدأ تفكير دريدا في الترجمة بـ «التصور» الذي طرحه هيدغر حول إظهار ما هو موجود، وإن كان ليس موجوداً (Which Is there and yet 'Is' not). سكّ دريدا المصطلح المولد «Différance» في مقالة تحت هذا العنوان من كتابه: **هوامش الفلسفة**[23] (*Margins of Philosophy*)، ليشير به لا إلى ما هو ماثل (اللغة)، بل إلى ما ليس ماثلاً. وهكذا وضع موضع الشك أي مقاربة أنطولوجية تحاول أن تحدد فكرة عن الوجود (Being) تقوم على أساس الحضور. ومصطلح «Difference» مشتق من الفعل اللاتيني «Differre»؛ وهو فعل ينطوي على معنيين: معنى (To Defer)، أي أن يؤخر أو يرجئ (وهو ما

(22) المصدر نفسه، ص 88.

(23) Jacques Derrida, *Margins of Philosophy*, Translated, with Additional Notes by Alan Bass (Chicago: University of Chicago Press, 1982).

يشير ضمناً إلى أفق زماني)، ومعنى الفعل (To Differ) (يختلف) (وهو ما يشير إلى أفق مكاني). ودريدا يُغيِّر عن قصد أحد أحرف الهجاء، مرتكباً بذلك خطأ، وإن كان الخطأ غير ظاهر في السماع، وبدلاً من أن يكتب الكلمة على صورة «Difference» ـ وهو الاسم المشتق من الفعل طبقاً لقواعد النحو ـ نجده مكتوباً عنده على الصورة «Différance»، وهي كلمة لها الصورة نفسها من حيث النطق، ولكنها من حيث التمثيل الكتابي تجبر القارئ على أن يتأملها من منظور ما هو غير مسموع، وبذلك تقتحم عنده منطقة ما دون الوعي بصوت لا وجود له. غير أن دريدا يقوم بما يتجاوز تغيير أحد الأحرف ليحقق به مجرد تأثير شكلاني تغريبي. ويستدعي المصطلح إلى الذهن الصيغة التي تستعمل فيها الكلمة المشتقة من الأصل الفعلي لتقوم بوظيفة الاسم (The Gerund)، وهي هنا مشتقة من صيغة اسم الفاعل (Present Participle) التي هي «Different»، وهي صيغة انقرضت في اللغة الفرنسية اليوم. وهكذا يضع دريدا كلمة هي من نوع اللاّمصطلح ليحتل بها موقعاً بين فعل واسم لا وجود له، مقترحاً بذلك فعلاً أو اسماً وسطاً بين الفاعل والمفعول، وهو نوع من الصيغ مفقود (أو جرى تغييبه) في مسيرة تطور اللغة. ويضفي دريدا على المصطلح ما يشبه الصيغة الوسطى (Middle Voice)، وهي فعالية ليست بصيغة المبني للمجهول ولا المبني للمعلوم، كما أنها ليست بالزمانية ولا المكانية [24]. إنها صيغة تكاد تكون مفقودة في الخطاب الميتافيزيقي الغربي.

---

(24) المصدر نفسه، ص 9؛ Heidegger, *Being and Time*, p. 51, and Charles E. Scott, *The Language of Difference*, Contemporary Studies in Philosophy and the Human Sciences (Atlantic Highlands, NJ: Humanities Press International, 1987), p. 67.

وباستدعاء تعريف فوكو للآخر «The Other»، بما هو توأم صامت (Mute Twin)، نجد أن الاستراتيجية البلاغية عند دريدا لا تنحصر في استعمال مصطلح يشير إشارة صريحة إلى الانشطار والانقسام فحسب، ولكنه ـ من خلال زعزعته لقوانين الكتابة بغلطته التي لا تظهر عند الاستماع إليها، ومن خلال استدعائه بطريقة شبه واعية صيغة تصورية منسية ـ يستعمل مفارقة «صامتة» («Mute» Irony) لإبداع خطاب يتسم بالفوضى الكتابية والنظرية، يتوارى تحت سطح يتسم بالاستسلام الخاضع لأعراف ما هو مسموع، وما هو بلاغي. وأقول من باب المصارحة: إن الذين ترجموا دريدا إلى الإنجليزية لم يكن عملهم موفقاً في معالجة هذا المصطلح المولد، فباحتفاظهم بصورته الفرنسية جاء المصطلح مختلفاً اختلافاً كبيراً، حتى إن المفارقة الصامتة والإشارات المرجعية قد ضاعت تماماً. إن التقنية المتبعة لدى دريدا تعمل على إرجاء الأفكار التقليدية في ما يتعلق بالإشارة المرجعية، وإلى تأجيل وجودها المغيّب ضمن الخطاب الذي ترد فيه، مع عدم السماح لها بأن تكون محلّاً للتجاهل بتغييبها، وفهمها ومن ثم إسكاتها. وهذا المنهج ليس مقطوع الشبه بنظريات شكلانية معينة في مجال الترجمة، ولكن استراتيجية دريدا تنطوي على شيء من الاختلاف. وبينما نجد المقاربات الشكلانية شديدة التقيد بالنحو، ويجري تكييفها بحيث تحقق الصواب الكتابي ودقة المرجعية، فإن مسلك دريدا هو تجوال اختباري لا يتقيد بمطالب الفلسفة، أو بالمأثور أو بأنساق تطور اللغة أو تطور الفكر، ونراه عوضاً عن ذلك يبرز إلى مقدمة الصورة تحركاً على ظاهر سطح اللغة المكتوبة في لعب لا حصر له، وتجوال لا يعرف له «نهاية» أو «مركز» (Telos).

وكما يتكلم هيدغر عن مظهر من مظاهر استخفاء اللغة أو

تمنعها، كذلك يذهب دريدا إلى ممارسة التفكير من منظور «الاخـ(ت)ـلاف»؛ أي من منظور الإرجاء/ الخلاف /Deferring) (Differing في لعبة لامحدودة، بلا نهاية ولا مرجعية إشارية، ولا وظيفة مخصوصة. وقد افترض دريدا أيضاً أن مثل هذا الضرب من التفكير محال في يومنا وعصرنا هذا، ولكنه يذهب إلى إمكانية أن نبدأ بالتفكير على هوامش التفكير الميتافيزيقي المتصف بالحسم، وأن نتابع بالتأمل منعطفات اللغة بدلاً من متابعة المسار الأساسي المجمع عليه. أما في ما يتعلق بالترجمة، فإنه يقترح صرف النظر عن الرسالة الأصلية، وعن تقنينها، وأن يتجه النظر إلى الصيغ المضاعفة، والروابط المتداخلة التي ينبغي عليها أن تجتازها لكي تنطق وتشير بإطلاق. هكذا يمارس دريدا تأمله مفترضاً وجود لعبة للصيغ غير ذات جوهر محدد أو ثابت، كما يفترض أيضاً عند ممارسة هذه اللغة استبقاءً وحمايةً لوجود الفروق. إنه يفترض تحييزاً مكانياً وتزميناً، ولعبة لتتبع «الآثار الأصول»[25] (Traces). ويمكن بالتبعية تصور نظرية للترجمة تتغيا الحفاظ على الفروق، وتعيد إنعاش اللغة بأصداء تأثيلية مفقودة، وبذلك تَفْتَح للفكر مسالك جديدة.

ذلكم ـ بطبيعة الحال ـ هو على وجه التحديد «الموقف الحَرُون» (Ungraspable Situation)، والذي أشار هيدغر إليه على أنه أقدم من الكتابة، بل إنه أقدم من قضايا ما قبل الوجود -Pre) (Ontological Questions التي أثارها هو نفسه، وهو يقيناً أقدم من «حقيقة» الوجود التي تَعَقَّبَها التنقيب الفلسفي الإغريقي ـ الغربي. مثل هذه المقاربة غريبة على الخطاب الحديث الحاكم على تفكيرنا، والذي يُكرِهنا على الرجوع إلى الأشياء، ويُضيّق المعنى، ويقطع

---

(25) Derrida, Ibid., p. 15.

الطريق على الاحتمالات البديلة. إن مشروع دريدا هو مشروع لإماطة اللثام عن مثل هذه اللعبة التي تنطوي على آثار أصول؛ هي تلافيف مستخفية، ولكنها قابلة للتمايز على نحو شبه واع، دون إحالة إلى معنى أساسي باطن من نوع ما. إن المشكلة، في ما يرى دريدا، هي أن الأثر الأصل (لهذا الشيء المتعين الذي هو ليس بمتعين) لا يمكن البتة أن يقدم كما يمكن أن تُقدم ظاهرة ما. (إنه) دائماً يختلف ويرجئ، ويمحو نفسه بنفسه في أثناء فعل الكشف. وعلى الرغم من صعوبة تأمل هذا الفكر «غير المسموع» ـ يعطينا دريدا بعض المؤشرات الهادية المهمة في ما يتصل بالكيفية التي يمكن بها مقاربة «التصور» الخاص بتفهم فكر غير مسموع، إذ يقول:

«ربما كان من الواجب علينا أن نحاول تأمل هذا الفكر غير المسموع؛ هذا التأثير الصامت: وهو أن تاريخ الوجود الذي يجتذب التفكير فيه اللوغوس (العقل الكلي) الإغريقي ـ الغربي على النحو الذي ينتج به عبر الاختلاف الأنطولوجي، ليس إلا حقبة من حقب إنجاز النقل (Diapherein)... ذلك أن الوجود لم يكن ينطوي على «معنى» البتة، ولم يكن البتة موضوعاً للتفكير أو القول في ذاته إلا من خلال إظهار نفسه في الموجودات، ومن ثم فإن «الاخـ(ت)ـلاف»، بطريقة مخصوصة وغريبة هو «أقدم» من الاختلاف الأنطولوجي أو من حقيقة الوجود. وحين يكون له هذا العمر، يمكن أن يطلق عليه اسم لعبة الأثر. إن لَعِبَ الأثر لم يعد ينتمي بحال إلى أفق الوجود، ولكنه هو الذي تقوم لعبته بنقل المعنى والكشف عنه: لعبة الأثر الأصل أو «الاخـ(ت)ـلاف» التي هي ليست بذات معنى، وليست بشيء. إنها هي تلك التي لا انتماء لها. ليس ثمة بقاء أو عمق لهذه الرقعة من رقاع الشطرنج، فهي رقعة بلا

قاع وُضِــــع فوقها الوجود ليشرع في ممارسة اللعب»[26].

إن دريدا يميل ـ مثل سلفه هيدغر من قبل ـ إلى أن مجمل «تاريخ» الفكر الإغريقي ـ الغربي، حيثما تقوم الميتافيزيقا بـ «التطبيع» بالطريقة التي يبدو عليها خلال الخطاب الغربي، يمكن تصوره على أنه حقبة واحدة أنتجها إنجاز النقل، مفسَّراً في صورة اختلاف أنطولوجي.

ودريدا في شك أيضاً من الكيفية التي ترجمت بها النصوص الإغريقية، وهو يقدم لها تفسيراً مغايراً. وإذ يشير دريدا إلى مسرحية هيراقليطس (hen diapheron heautoi) بوصفها عملاً يخالف نفسه على مستوى الظاهر، الآن، وفي هذه اللحظة، وفي صورته الماثلة، نجده يذهب إلى أن الإطار المرجعي للتعبير «اختلف» (To Differ) كان مفقوداً من حيث هو تعريف بمجرد بروز الاختلاف إلى المقدمة[27].

ويتسع اهتمام دريدا ليشمل الإيحاءات الحَرْفية والمجازية لتعبير هيراقليطس؛ فالفعل «Diapherein» هو من الجذر «Diaphero»، وهو يعني: أَوْصَل من واحد إلى آخر (To Carry from One to Another)؛ نقل عبر (To Carry Across)؛ حمل خلال (To Bear Through)؛ نقل (Transport). أضف إلى ذلك أن اليونان استعملوا هذا التعبير استعمالاً مجازياً ليتحمل معنى: حَرّك اللسان (To Put the Tongue in Motion)؛ تكلم (To Speak)، ويعقد دريدا صلة بين هذه العبارة واللغة، ولا سيّما اللغة الشفاهية (والمسموعة). وبالإضافة إلى ما تقدّم، استعمل هيراقليطس التعبير ليعني به: تقلّب/تمايل (To

(26) المصدر نفسه، ص 22.

(27) المصدر نفسه، ص 22.

(Toss About؛ تمزَّق (To Be Disrupted)، واستعمله أرسطو ليقصد به: «مَزَّق إِرْباً إِرْباً» (To Tear Asunder)؛ فَكّكَ/ فصل (To Disjoin)، واستعمله بلوتارك (Plutarch) ليحمل معنى «أربك/ شوّش»[28] (To Distract). ولم يحدث إلا في وقت جد متأخر أن تجمد التعبير عند معناه الحَرْفي الذي يعني: «شكَّل أهمية ما» (To Make a Difference). ويحاول دريدا أن يحتفظ للتعبير بظل من دلالة الاستعمال اليوناني الأول، حيث يعيد إنعاش الكلمة بحيث تحمل دلالة توحي بالتحرك على السطح، كما تعني أيضاً وفي الوقت نفسه: «استبعد المعنى» (To Eliminate)، أو شوّشه (To Distract)، أو أرجأه. إن لعبة الأثر ـ على هذا النحو ـ «تَنْقُل» (Transport) و«تَحْصر» (Enclose)، في حاله دائمة من البوح (Revealing)، والكتمان (Concealing). إن دريدا يستمع من جهة إلى صوت الصيغة الفعلية الوسيطة (The Middle-Voice Aspect)، حيث يقوم بإحياء دلالة شيء ما هو مَزْعةٌ أو وُصْلَة من أوصال ما هو باطن مُستَكِنّ (Within) ـ في اللغة نفسها ـ في مقابل شيء ما معزول ومتميز من بين أشياء أخرى، على الصورة التي يُرى بها من «الخارج» (Outside) على مسافة «موضوعية» (Objective Distance)، ثم يحاول أن يعيد تدوين ذلك الصوت، أو النسق الضائع في طوايا النسق السائد.

و«لعبة الأثر الأصل» (Play of the Trace) في فكر دريدا لا تختص ـ من حيث أهميتها لنظرية الترجمة ـ بتلك التي تنقل معنى قابلاً للتحديد عبر حدود اللغات، ولكنها تختص بحركة تقطع طريقاً لا وجود له، وبنوع من الترجمة قد عرض له الانتشار والتبخر؛

---

(28) *A Greek-English Lexicon*, Compiled by Henry George Liddell and Robert Scott, 2 vols., a New ed. Rev. (Oxford: Clarendon press, [1925-1940]), p. 417.

صوت يُخبرُ، ولكنه متفلّت عصيّ على الاصطياد، وصدى يختفي فور سماعه. إنها نسبة تنتقل من خلال «استشعار لحركة ما» (A Notion of Motion)، هو أقرب إلى ما تحمله حركة النثر عند هيدغر، أو المبتكرات البلاغية عند دريدا، منه إلى ما يحاولان التعبير عنه تعبيراً حرفياً. غير أن التقنيات ـ وإن كانت تربط بينها صلات جامعة ـ ليست متطابقة، ذلك أنه بالنسبة إلى هيدغر ـ ولا سيّما في ترجماته ـ ثمة إحساس دائم بأنه إنما يبحث عن حضور من نوع ما، ينتمي إلى ما قبل الأنطولوجيا؛ يبحث عن حضور نستطيع ـ إذا ما أمكننا تفكيك ما لدينا من إطار تصوري مغلق ـ أن نفهمه بطريقة عقلانية على أنه ذو «دلالة أوسع» من المعنى المتفق عليه في العرف الثقافي. أما دريدا، فيبدو أنه ـ على النقيض من ذلك ـ يذهب إلى أن لعبة الأثر الأصل لا يمكننا إظهارها البتة، ذلك أنها، بمجرد العبور عنها، وبمجرد بذل أي محاولة لإيقاف حركتها والإمساك بها، تنتشر وتنفصل وتواصل الحركة منحازة إلى مكان آخر.

ومن الممكن أن يلزم عن ذلك أيضاً تقديم تعريف جديد للترجمة، فعوضاً عن كونها مجرد عبور للإمساك بشيء ما، يمكن أن تزوّدنا الترجمة بمكان أو ساحة لممارسة التحول إلى ذلك الذي ينتشر، ويلوذ بالفرار. وبدلاً من الترجمات التي تثبت المعنى الواحد، يمكن للترجمات أن تفسح المجال لمزيد من اللعب، وتوسّع من الحدود، وتفتح كثيراً من المسالك لمزيد من الاختلاف. ويمكن أن تفهم الترجمة على أنها فعل تتحول به الحركة الجارية على سطح اللغة إلى حركة منظورة، ويصير به اللعب بلا حساب أمراً ظاهراً. ويتغير محور التركيز في مثل هذا التعريف الجديد بعيداً عن «معنى» نص ما، وذلك لأن «اللعب» ـ بحسب فكر دريدا ـ لا ينطوي على معنى. ليس هناك محصن ضد «الاخـ(ت)ـلاف» (No Maintaining

(«Différance»، إذ إنه في التصور المجازي رقعة شطرنج ما لها من قرار، وُضع الكون عليها ليشرع في «اللعب».

يمكن للفروق القائمة بين آراء هيدغر ودريدا ـ في ما يتعلق بالترجمة ـ أن تظهر بأجلى صورة في إجابة دريدا عن سؤال طرحه رودولف غاشيه (Rodolphe Gasché) على مائدة مستديرة، عقدت حول الترجمة، وجُمِعت مداخلاتها في كتاب بعنوان: **أذن الآخر** (*The Ear of the Other*). يسأل غاشيه: أين يضع دريدا نفسه في علاقته بـ هيدغر، ولا سيّما في ما يتصل باعتراف هيدغر بوجود نقص جوهري في كل لغة من اللغات القومية (والمقصود في هذه الحالة: اللغة اليونانية، وكذلك كل لغة غربية تبعاً، والفرنسية ضمناً). يجيب دريدا، ذاهباً إلى أن الفرق بين نظريته في الترجمة ونظرية هيدغر هو أن هيدغر يفترض وجود نوع ما من «الخلوص الأصيل القديم» (Archi Originary Intactness)، أي «نواة» خالصة (Intact «Kernel»)، هي ـ وإن كانت مغطاة ومنسية، وقد أساء اليونان ترجمتها ـ فإن افتراض وجودها قائم على أي حال[29]. إن إجابة دريدا على سؤال غاشيه تُلْمِــحُ ـ على نحو له ما يسوغه ـ إلى نغمة شبه دينية تفترضها كتابة هيدغر، وهي الكتابة التي ينبغي على دريدا أن ينأى بنفسه عنها، إذ كان المشروع التقويضي قائماً على تحدي الفلسفة التقليدية. ومع ذلك، فإن موقفه إذا عورض بموقف هيدغر ليس بالبعد الذي يبدو عليه أول وهلة، ذلك أن دريدا يضفي الصبغة التاريخانية على خطاب هيدغر في إطار النموذج اليوناني ـ الغربي الذي هو في تَوْقٍ دائماً إلى حضور أصيل خالص، كما افترض دائماً وجوده نظرياً، سواء أكان موجوداً أم لم يكن. وأياً ما كانت «النواة»

(29) Derrida, *The Ear of the Other*, p. 114.

الموحدة خيالاً أم حقيقة، فإن دريدا يعترف جازماً بأن «الرغبة» (Desire) في مثل هذا الكيان هي رغبة حقيقية، وأن هذا الكيان تحديداً هو الذي تأسس عليه كل قول وكل جاذبية، بما في ذلك ما يختص بالأدب والفلسفة[30].

وحين يضع دريدا موضع الشك ذلك الأساس الذي قامت عليه اللغة، يكون قد خطا خطوة أبعد من هيدغر. إن دريدا يشك في كل تعريف يعرّف الترجمة بأنها نقل، أو إعادة إنتاج، أو إعادة عرض، أو توصيل لـ «المعنى» الذي هو قائم في الأصل. وهو يذهب ـ بدلاً من ذلك ـ إلى أن الترجمة ينبغي أن ينظر إليها ـ على الأرجح ـ بوصفها مثالاً يمكن أن تبدو اللغة فيه قائمة في حالة تعديل دائم للنص الأصلي، أي في حالة تغيير وإزاحة أبدية لأية إمكانية تتيح الإمساك بما أراد النص الأصلي تسميته. والحق أن الترجمة ـ من وجهة الموقف التقويضي ـ ينظر إليها على أنها نشاط يعكف على إلغاء الحضور، وإحباط «كل» الرغبات. ومن المفارقات أن ما يعزز موقف دريدا هو أن إحباط الرغبة هو نفسه شرط ضروري للرغبة في الكشف عن نفسها، هذا التوأم الصامت الذي هو على الدوام مصاحب للعاطفة بحسب تعريفنا له، وبمقتضى ذلك نجد الحضور المستحيل يظهر نفسه ويخفيها بطريقة مدهشة في إطار الحجاج الذي يسوقه دريدا. وبصورة مماثلة يمكن النظر إلى الترجمة على أنها عامل مفعم بالحيوية بالنسبة إلى «الاخـ(ت)لاف»، بوصفه عملية ضرورية تحرّف المعنى الأصلي، في حين أنها كاشفة بصورة متزامنة عن شبكة من النصوص تمكّن من تحقيق التواصل في ما بين اللغات، كما تَحُول في الوقت نفسه دون تحقيقه.

(30) المصدر نفسه، ص 116.

وإذ يقوم دريدا بتدقيق تعريفه الجديد للترجمة في مقاله الذي نشره عام 1985 بعنوان: «على منعطف بابل» (Des Tours de Babel)، فإنه يتبنى تصور والتر بنيامين (Walter Benjamin) الذي أطلق عليه مفهوم «Überleben»، أي «استمرارية» اللغة (Survival of Language)، ليفسر به الكيفية التي تمارس بها الترجمة تغيير الأصل أو تكميله. وها هو ذا عنوان المقال يوضِّح من جديد القوة التي تحظى بها صورة التدوين الكتابي في كتابة دريدا، والنبرة الغريبة، والغموض الذي يبدو على درجة عالية من التحكم، وثقل الحمولة الدلالية التي يراها دريدا حاضرة دائماً في كل كلمة. إن كلمة «Des» بالنسبة إليه تردد أصداء «some» (بعض)، و«of the» (لام الاختصاص) و«from the» (مِنْ التبعيضية)، و«about» (حَوْل)[31]، والأهم من ذلك أنها تحمل إيحاءات «on» بالدلالة التي في «Living-on» (دوام)، أو «Survival» (استمرارية)[32]. وتستعيد كلمة «Tours» سوالف الأفكار المتمثلة في الأبراج (Towers)، والالتواءات (Twists)، والخِدَع (Tricks)، والمنعطفات (Turns). وباجتماع «Des» و«Tour» معاً تتشكل كلمة «Détoure»، التي تستدعي إيحاءات الإرجاء/ التأخير (Defer/ Delay) التي هي ذات أهمية للكلمة المولدة: «الاخـ(ت)ـلاف»، وكذلك للكتابة التكميلية والمماسّة التي يراها دريدا كامنة في كل جزء من نص جامد أو ساكن. أما «Babel» فهي أوغل في التعقيد، إذ تحوي إحالة إلى «Father» (الأب) («Ba» في

(31) Jacques Derrida, «Des tours de Babel,» in: Joseph F. Graham, ed., *Difference in Translation* (Ithaca: Cornell University Press, 1985), p. 206, Translator's Note.

(32) Jacques Derrida, «Living On: Border Lines,» Translated by J. Hulbert, in: Harold Bloom [et al.], *Deconstruction and Criticism*, Continuum Book (New York: Seabury Press, 1979), p. 76.

اللغات الشرقية)، وإلى «God» (الرب) («Bel» في اللغات نفسها)، وهو الأب في حالة بابل (Babylonia). ويذهب دريدا إلى القول بأنه حتى أسماء الأعلام تردد دائماً أصداء تتمثل فيها تعدد الدلالة، وذلك لأن الاسم العلم يحمل معه بالفعل أفكار «التشوش» على نحو ما في «الجلبة المختلطة» (Incoherent Confusion)، أو «اختلاط الألسنة» (Confusion of Tongues)، وكما في حالة اختلاط العقل (Confused State of Mind)، حين يعرض الانقطاع لبنية تتمتع بالديمومة[33]. ويرى دريدا أن الربّ تقويضي، فهو الذي يعترض بنية برج بابل[34]، وبهذا الفعل يقطع الإله عمله، ومن ثم ينتج «اللاسامية» (Disschemination)، تلك الكلمة التي تخبرنا ملاحظة مترجم لـ «جوزيف غراهام» أنها تشير إلى الانتثار (Dissemination)، وانعدام التخطيط (De-schematization)، وانتفاء الصيرورة إلى السامية (De-Shemitizing)، والانحراف عن مسارٍ (Detouring from «Achemin») (Path). وفي مخاطبة قبيلة الساميين يرى دريدا أن الرب يقول لهم: «لن تفرضوا المعنى أو اللسان الذي لكم، وإني أنا الرب أُكْرِهُكم على أن تخضعوا لتعدد اللغات؛ وهو ما ليس لكم منه بد»[35].

هكذا نرى، وبمجرد تأمل كلمات أربع في عنوان المقالة، كيف تقوم كتابة دريدا بما هو فوق التصريف والتعجيب؛ إنها تتدخل تدخلاً فعّالاً في المخططات التصورية الميتافيزيقية والدينية، وتقدّم البديل. ويسوق دريدا الأدلة ـ متبنياً حجة بنيامين ـ على أن «مهمة» المترجم ليست أقل من ضمان استمرارية اللغة، ومن ثم ضمان استمرارية الحياة بالتبعية. ويذهب دريدا في حجاجه إلى أن تقديم

(33) Derrida, «Des tours de Babel,» pp. 166-167.

(34) Derrida, *The Ear of the Other*, p. 102.

(35) المصدر نفسه، ص 103.

بنيامين للدراسة التي عنوانها «مهمة المترجم» (The Task of the Translator) هو تقديم لترجمات بنيامين التي قام بها عام 1923 لعمل بودلير: **لوحات باريسية** (*Tableaux parisiens*). إنها تكاد تكون إحياءً للنص؛ أي تحويلاً للنص المصدر بحيث يكتب له البقاء، أي يبقى إلى مدى أطول، وعلى صورة أفضل، أي يبقى بقاء «يتجاوز مقدرة المؤلف»[36]. يسوق دريدا اقتباساً ويتدخل شارحاً ـ بما بين الأقواس ـ قراءته لـ «بنيامين» على الوجه الآتي:

«كما أن تجليات الحياة ذات ارتباط صميم بالكائن الحي دون أن تعني شيئاً بالنسبة اليه، فكذلك تماماً تبدو حال الترجمة في صلتها بالأصل، إذ هي ـ في حقيقة الأمر ـ ليست موصولة بحياته بقدر ما هي موصولة باستمرارية بقائه [berleben]. ولأن الترجمة تأتي تالية للأصل، ولأن الأعمال المهمة لا تُصادِف بحالٍ مترجمَها المقدور في وقت ميلادها، لذلك تحدد الترجمة خصائص استمرارية بقاء هذه الأعمال (Fortleben)، أي زمن بقائها (Time Survival)، بما هو أقرب إلى استمرارية الحياة منه إلى الحياة بوصفها بعثاً من بعد موت[37] [Post-mortem].

هكذا يرى دريدا وبنيامين أن «الأصل» يحوي دائماً بنية أو صيغة أخرى، هي «مرحلة» تهيئ للبقاء في المستقبل، حتى لو لم يحظ النص نفسه بالترجمة البتة. وهذه البنية ليست مرئية، كما أنها ليست شيئاً يتمتع بالكمال والتوحد، ولها تعلق أكثر بما هي عليه من حالة عدم الاكتمال في علاقتها باحتمالات المستقبل، انفتاح لا يعرض له تغيير بسبب أية صورة سكونية أو حاسمة يظهر فيها النص. أما من الوجهة النفسية، فإن هذا الكيان غير المنجز ينبغي أن يعبَّر

(36) Derrida, «Des tours de Babel,» pp. 178-179.

(37) المصدر نفسه، ص 178.

عنه بوصفه رغبة لانهائية من النص في أن يحيا، ورغبة في أن يُترجَم. ويحدثنا دريدا عن هذه البنية نصف المكتملة، تلك التي ليس أمام المرء إلا أن يحدس بتتمتها، من حيث علاقتها بـ «القانون» الذي يحكم الترجمة، والتي ينظر إليها بنيامين أيضاً على أنها «دَيْنٌ» (Aufgabe) على المترجم، من بين مكونات «مهمته». إن الأصل يقدم ذاته (aufgeben) ويستسلم من خلال عملية التعديل ذاتها. إنه يستديم بقاءه عن طريق التحويرات والتحولات التي تحصل له. والأصل أيضاً في تجدده يناله التعديل، فهو ينمو وينضج. إن النمو عبر الترجمة يستجيب للأصل، مالئاً تلك البنية المفتوحة في النص ـ المصدر[38].

في مثل هذه العملية تستعيد اللغات ـ وليس النصوص فقط ـ شبابها كذلك. إن الترجمة عند دريدا وبنيامين «تبرز» (Mark) أو «تعيد إبراز» (Remark) الصلة الوثيقة بين النص المفرد واللغات الأخرى؛ بمعنى أنها «تعبّر» عن تلك الصلة. إن اللغات ـ في رأي دريدا ـ ليست مقطوعة الصلة بعضها ببعض، أو مشتقاً بعضها من بعض، ولكنها تتصف بالتشابك في علاقاتها، وبالتبادل في اشتقاقاتها. إن الترجمة تجعل الكاتب على اتصال بمفهوم بنيامين عن «اللغة الخالصة» (reine Sprache) (Pure Language). وعن طريق انتهاك حدود اللغة المستهدَفة، وتحويل النصوص الأصلية في اللغة ـ المصدر، يقوم المترجم بالتوسيع والإضافة، أو بإتاحة الفرصة للغات لكي تنمو. ولا تتصف تلك الإضافة بالخَطيّة (Linear) أو الانتظام، بل تتصف بالتشظي، ولا تتوارد إلا في نقاط صغيرة لامتناهية، وهذا شبيه بمفهوم باوند عن شظايا اللغة والنحت، الذي ينطوي على

(38) المصدر نفسه، ص 188.

«تفصيلات مضيئة». وتشكل الاستعارة التي استخدمها بنيامين، وأخذها عنه دريدا نوعاً من الإضافة يتحقق عن طريق الاستلحاق على طول الخطوط المتكسرة في الشظية. وها هو دريدا يقتبس من بنيامين على الوجه الآتي:

«ذلك أن شظايا الدنّ الفخاري ـ إذا توافرت لك القدرة على إعادة تشكيلها لتعود إلى حالتها الأولى ـ فإن هذه الشظايا ـ ينبغي أن يلامس بعضها بعضاً في أدق التفاصيل، وإن لم يتحقق لها التطابق التام بين أجزائها، فكذلك الأمر مع الترجمة. إن الأجدر بها ـ بدلاً من أن تقدم نفسها في صورة المشابه للأصل في المعنى ـ أن تقوم، في حركة يوجهها الحب ومع العناية بكل تفصيل ـ بتمرير نسق المقصد الذي يشتمل عليه النص الأصلي إلى لغتها الخاصة. وهكذا، إذ يصبح في الإمكان التعرف على الحطام بوصفه شظايا لهذا الدن الفخاري نفسه، فكذلك يصبح في الإمكان التعرف على الأصل والترجمات بوصفهما شظايا من لغة أكبر»[39].

ويرى دريدا أنه لا وجود لصيغ أفلاطونية مستكنة في عمق أفكارنا التصورية، وليس لدينا أي نوع من صيغ المعرفة الأولى (Ur-knowledge) بماهية «الحياة» أو «الأُسَر». لا شيء هناك، ولا وجود لمعنى خالص يختبئ وراء الكلمات أو وراء اللغة. إن البديل لذلك عند دريدا ـ هو أن الحياة ـ أو استمرارية البقاء (Überleben) موجودة بصورة أساسية في مصطلح «الترجمة» (Übersetzen)، ويغدو ذلك بالنسبة إليه مُنْطَلَقاً يبدأ منه فهم المقصود بالحياة والأسرة. ولا تخلو كتابة دريدا بحال من الإحساس بحب الحياة وبحب اللغة، وحب

---

(39) Walter Benjamin, *Illuminationen* (Frankfurt: Shurkamp Verlag, 1955), Quoted in: Ibid., pp. 189-190.

اللعب باللغة. وكتابة دريدا هي في استشعارها الجازم بقيمة الحياة ذات سمة شبه دينية، وهو ما يمكن أن يكون تفسيراً لانجذابه إلى بنيامين وهيدغر. إن التقويضية يُنظر إليها على أنها قوة إيجابية توسع من متن (جسم) اللغة، لا بالمدلول الرمزي فحسب، بل بالمدلول الفيزيقي أيضاً. والتقويضية كذلك تسمح بالأخذ والعطاء، وتتيح الفرصة للحب والنمو، بواسطة عملية تتلمس وتفتح بصورة فيزيقية ومادية بأكثر مما تقبض وتُغلق بصورة تجريدية. والترجمة، أكثر من أي طراز أو شكل، هي التي تُتِم وتعيد التأكيد، وتسنّ قانون البقاء من خلال عمليات الميلاد، وعودة الميلاد، ومن هنا تأتي أهمية الترجمة في المخطط التقويضي للأشياء. يقول بنيامين إن النص الأصلي في الترجمة يغدو أكبر، ويضيف دريدا أن الترجمة تسلك سلوك «الطفل» الذي هو ليس مجرد «نتاج» خاضع لقانون «إعادة الإنتاج»، بل إنه يحوز ـ فوق ذلك ـ «القدرة على الكلام بطاقته الذاتية» بطريقة جديدة ومختلفة، وأن يرفد اللغة، ويردد اللحن البابلي[40] (Babelian Note) الذي كان سبباً في نمو اللغة. إن عملية الترجمة تؤمّن للغة عامةً إعادة الميلاد، وإعادة التناسل، والانبثاق، و«النمو المقدس» بوجه عام، وهي بالنسبة إلى «دريدا» الوسيلة التي نفهم بها أنفسنا.

وفهم الترجمة على هذه الصورة لا يصلنا بنوع ما من المعنى الأصلي فقط، ولكنه يصلنا بالتعدد في اللغات والمعاني. ويرى دريدا أن المرء لا يكتب مطلقاً في لغة واحدة بحال، ولكنه بالفعل يكتب على الدوام بعدد وافر من اللغات والمعاني، مُنشِئاً جديداً من المعاني، ومُقْصِياً معاني أخر، بل إنه حتى الترجمات «الصائبة» تمارس الكتمان، وحتى النسخة المتطابقة تمام المطابقة تحمل معاني مختلفة،

(40) Derrida, Ibid., p. 191.

وتنحلُّ البكارة الأصيلة في صورة زيادات وتعديلات يقوم بها المترجم على الأصل. وهنا تأخذ المناطق الرمادية بين اللغات ومناطق الحدود بينها في الظهور، وتغدو الآثار الأصول، وعلامات المعنى المبدّد في المعنى مرة أخرى ظاهرة للعيان ـ ليست باقية على بكارتها، ولامُتشيِّئة ـ ولكنها تظل حية، متمتعة باستمرارية البقاء على نحو ما.

إن «نظرية» دريدا في الترجمة ليست نظرية بالمفهوم التقليدي، فهي ليست معيارية، كما أنها لا تقترح طرازاً أفضل للنقل. إنها ـ بديلاً لذلك ـ تذهب إلى ترجيح القول بأن تفكير المرء يصدر في الأقل منه عن الاستنساخ أو إعادة الإنتاج، وفي الأكثر عن الكيفية التي تتحقق بها علاقات اللغات بعضها ببعض، وتكون العلامات والآثار الأصول وعلاقات القربي مع اللغات الأخرى موجودة وجوداً متزامناً، مصاحباً لِعَرْضِ ما يزعم النص أنه موضوع له، أياً ما كان هذا الموضوع. ولأن اللغات في الترجمة تتلامس بلا ريب، سواء أكان ذلك بطريقة بالغة الرهافة أو بطريقة عابرة، وذلك قبل أن تنفصل من جديد، لذلك فإن الاحتمالات تقدم نفسها قبل أن يُوقِف فعلُ التسمية والتعيين لعبة التفاعل. إن الدقائق العابرة، التي تميز ما وصفه هيدغر بأنه حالة لا يمكن الإمساك بها، ربما كان من الممكن للمترجم أن يستشعرها بطريقة غامضة في أثناء ممارسته نشاط الترجمة. وينصرف اهتمام دريدا في الترجمة إلى العملية السابقة على وقوع عملية التسمية، حينما يكون «الشيء» لا وجود له. وهكذا تقوم عملية الترجمة بتقويض النصوص، وتعود بها إلى نقطة سابقة على التسمية، قبل أن يكون الشيء قد تمت تسميته، وبذلك تُظِهر للعيان الطريق الذي يتم به توجيه المعنى أو تحويله.

ويبدو أن النقطة النظرية الأساسية عند دريدا هي أنه لا وجود للمعنى الخالص، وليس ثمة شيء يوجد ليبرز من وراء اللغة، «لا

شيء» (Nothing) (بالمعنى المطلق) يوجد ليعاد إبرازه. في هذه القضية تكمن جذرية الطرح في المشروع التقويضي. وكما هو الشأن بالنسبة إلى الموقف الشكلاني، يوجد لدينا طبقاً لما يراه التقويضيون سلسلة متصلة للدلالة، تتألف من لغات هي في حالة تفاعل دائمة، بحيث يرفد بعضها بعضاً بالتبادل. غير أن الشكلانيين ـ بالإضافة إلى مثل هذه السلسلة ـ يذهبون إلى افتراض وجود أعمال فنية موحدة بوصف ذلك هدفاً واقعاً في إطار النظام، وهي فرضية هشة من وجهة نظر دريدا. ينضاف إلى ذلك أن الشكلانيين ينسبون إلى النسق اللساني نوعاً ما من البنية الأساسية الباطنة، ونوعاً ما من النسقية لتطور اللغة، على حين يشير دريدا إلى رُقَع شطرنج بلا قاع، وتطور عشوائي يخضع للمصادفة بلا نهاية. وبهذا، ينزع دريدا الصبغة الأسطورية عن الصيغ المستكنة في الشكلانية.

لم تعد الترجمة ـ تبعاً لهذا التصور ـ مجرد عملية يجري تنفيذها بين لغتين منفصلتين، بل أصبح يُنظر إليها ـ بدلاً من ذلك ـ على أنها عملية جارية دائماً حتى في اللغات حال انفرادها أيضاً. إن الحدود الفاصلة بين اللغات تمّحي، ففي كل نظام لغوي هناك عدة لغات تفعل فعلها، وكل اللغات تحتوي على عناصر من لغات أخرى، بالإضافة إلى عناصر عدم استقرار وغموض تستعيرها ضمن شروطها أيضاً. إن جميع نظريات الترجمة من المنظور التاريخي ـ سواء قبل جاكوبسون أو بعده ـ تفترض سلفاً وجود أنساق مختلفة ومتمايزة. أما دريدا، فيرى أنه في الترجمة تكشف مظاهر عدم النقاء عن نفسها، وتقع الأحداث العرضية، وتغدو عملية انعدام التخطيط ظاهرة للعيان. إن هناك علاقة تواز بين الفعل «يترجم» (Translate) والفعلين «يختلف/ يؤجل» (Differ/ Defer)، وهي علاقة يعيها جيداً دريدا والمترجمون الممارسون. ومن المنظور التأثيلي نجد أن الفعل

«Translate» مشتق من الكلمة اللاتينية «Translatus» بمعنى «ينقل» (Carry Over). وكلمة «Translatus» هي اسم المفعول (Past Participle) من كلمة «Transferre»». وإذا قسمنا الكلمة إلى جزأين: «Trans» و«Ferre» أمكن لنا أن نرى قرب الكلمة من «Dia» و«Pherein». إن المصطلح اللاتيني «Ferre» يعني «يحْمل» (Carry) أو «ينقل» (Transport)، على نحو ما يتمثل في قولنا «يحمل درعاً»، وتستعمل غالباً ليقصد بها معنى «To Bear» أو «To Carry»، على نحو تلازمه فكرة الحركة، كما يتمثل في السفن التي تحملها قوة الريح (كما نرى عند هوميروس). كذلك يقصد بها أيضاً معنى «يتحمل» (To Endure)، و «يكابد» (To Suffer)، كما في قولك: يعاني عبئاً ذهنياً، ولا يزال هذا المعنى باقياً في تعبيرات من مثل «أنت لا تجري أمورك جيداً» (You're not Faring Well). والأمر الظاهر بالنسبة إلى التقويضيين أن الترجمة تشير إلى اتجاه الطرق والمسالك التي تقود إلى مكان ما، مثل باب يقود إلى حديقة، أو طريق يفضي إلى مدينة، حاملة دلالة الامتداد والاتساع الوشيك[41]. وبممارسة التجربة مع الاختيارات الممكنة للكلمات، فإن الذي يبدو ظاهراً هو دقائق الفروق بين كلمات شديدة التشابه، وهي الممارسة التي تكشف عن الحدود بين اللغات. وهذا الكشف نفسه عن الحدود والمستحيلات أيضاً يهب الميلاد لبدائل جديدة في منطقة شديدة الرمادية، لا تنتمي إلى هذه اللغة ولا إلى تلك، ولكنها فضاء صامت متباين، غير محدود بأي منهما (A Silent Differing Space). وحين

---

(41) *A Greek-English Lexicon*, pp. 1922-1923, and Ernest Klein, *A Comprehensive Etymological Dictionary of the English Language. Dealing with the Origin of Words and their Sense Development Thus Illustrating the History of Civilization and Culture* (Amsterdam; New York: Elsevier, 1966), p. 157.

يوضع القلم على الورق، ويقع الاختيار على إمكانية واحدة، فإن الذي يحدث هو أن التفكير الصامت الذي يبدو ممكناً بين اللغات يُرجَأ (Deferred)، ويُؤخَّر (Delayed)، وينمحي بتعيين المفردة المختارة.

ويرجح عمل دريدا أن نظرية الترجمة قد تكون «حقل الدراسة الأفضل» من أجل الشروع في استكشاف هذه الآثار الأصول غير المسموعة؛ أي هذه الممكنات التي تتلفلف أو تُخفى عندما نتكلم. ونظرية الترجمة مجهزة ـ على نحو ما أثبت بوبوفيتش ـ لمتابعة اللعبة المزعجة (The «Dirty» Play) التي تضم جميع الأخطاء والمشكلات، والعوارض، ومظاهر القصور والانشعاب. ومع أن هذا التحليل ليس هو ما يشير إليه دريدا بمصطلحه «الاخـ(ت)ـلاف» ـ وهو ما لا يمكن الاحتفاظ أو الإمساك به ـ فإنه ربما يكون من الدقة بحيث يتوصل المرء عن طريقه إلى الكشف عن هذه الخاصية الصامتة في اللغة. إن تجاهل مثل هذه الممكنات ـ على النحو الذي فعلته نظرية الترجمة تاريخياً ـ يجعل من نقص الكفاءة في هذه النظرية صفة أبدية ملازمة لها. ويؤثر دريدا مصطلح «التحويل المنضبط» (Regulated Transformation) على مصطلح الترجمة، ذلك أنه يحتج بأنه لن يكون لدينا بحال نقل مدلولات خالصة من لغة إلى أخرى. يقول دريدا:

> «إن الاختلاف ليس خالصاً بحال، وليست الترجمة بأوفر حظاً في ذلك، وقد يكون علينا ـ بالنسبة إلى فكرة الترجمة ـ أن نستعمل بديلاً للترجمة مصطلح «التحويل» (Transformation): وهو تحويل منضبط للغة ما باستخدام لغة أخرى، أو لنصّ ما باستخدام نص آخر. لن يكون لنا حاجة ـ بل إنه في الحق، لم تكن لنا حاجة البتة ـ إلى «نقل» (Transport) من أي نوع

لمدلولات خالصة من لغة إلى أخرى، أو في داخل لغة واحدة بعينها، بحيث يمكن أن تترك الأداة المستخدمة في تعيين الدوال بِكراً لا تمس»[42].

والذي لا ريب فيه هو أن مثل هذه المقاربة قد تنزع إلى تحطيم قوة المدلول المتعالي (Signified Transcendental)، وتحرر الحقل من تقويم الترجمات بمعيار يقوم على درجة اقترابها من التكافؤ الخالص، وربما تحرر كذلك دارسي الأدب من مضايق التسمية، لكي يستمعوا ويفكروا، لا من منظور لغة أو أخرى وحسب، بل في تلك المنطقة الرمادية، التي هي ـ حتى وقتنا هذا ـ بغير حدود، حتى إنها لا تكاد ترى إلا بشق النفس، وحتى إنها لا تُعرف باسم ولا كينونة.

## المناقشات حول الترجمة في مرحلة ما بعد دريدا

تبدو أصداء البديل التقويضي للمقاربات التقليدية في حقل الترجمة متراكمة وواسعة الانتشار بطريقة تجعلها عصية على الوصف. وأود في هذا المبحث أن أقترب باختصار من أربعة مجالات تدور فيها المناقشات؛ **وأول** هذه المجالات يقع داخل مجلة **تال كال**، **والثاني** في الدراسات الترجمية، **والثالث** في نظرية الأدب الأنجلو ـ ساكسونية، **والرابع** في فلسفة اللغة.

إن معظم الجدل حول التقويضية والترجمة وطبيعة اللغة في الأوساط الفرنسية يتركز حول كتابات جيمس جويس والاستراتيجيات المفضلة لدى مترجميه. ولعلّ خير مثال لممارسة «الإنتاجية الإيجابية» (Affirmative Productivity) على الوجه الذي يفضله التقويضيون هي ترجمة جيمس جويس نفسه لفقرتين من **بعث الفينيغان** (*Finnegans*

(42) Jacques Derrida, *Positions*, Translated and Annotated by Alan Bass (Chicago: University of Chicago Press, 1981), p. 20.

(*Wake*. وهذا العمل الذي هو آخر ما اشتغل به جيمس جويس قبل وفاته، يُظهِر كيف أن الترجمة تسلط الضوء على الأصل، وتعمل فيه بالتجويد، بحيث تعطي الدارسين شعوراً أفضل بما يتميز به الأصل من طبيعة انتقالية متغيرة. وتذهب جاكلين ريسيه (Jacqueline Risset) ـ التي هي أول من نشر ترجمة جويس في مجلة **تال كال** عام 1973 ـ إلى أن مثل هذا النص برهان على أطروحة دريدا القائلة بأن الترجمة تحول الأصل حين تنقله إلى لغة ثانية. إنها تسوق الحجج لتثبت أن النص الإيطالي من **بعث الفينيغان** لا يمكن أن يسمى ترجمة البتة، ولكنه شاهد على كونه «إعادة كتابة» (Rewriting)، أو «تجويداً» (Elaboration)، لا يقف معارضاً للأصل، بل هو «عمل في حالة نموّ»[43] (Work in Progress). ومن الواضح أن النص «الإنجليزي» من **بعث الفينيغان** هو مثال واحد من بين أمثلة للإمكانات اللغوية المتعددة في إطار اللغة (الواحدة) بعامة، وهي بذلك تتحدى الترجمة كما يفهمها العالَم الغربي. وفي بعض اللغات لم يُتح بعد لهذا النص (**بعث الفينيغان**) أن يترجم، وهو متاح في صيغته الأصلية فحسب، وليس ذلك لمجرد صعوبة ترجمته، ولكن لأن النص ـ فوق ذلك ـ لا ينظر إليه على أنه نص إنجليزي، بل على أنه متعدد الألسنة. إن كل كلمة في الكتاب تقريباً بالغة الثراء بالإحالة اللغوية الأجنبية، إلى درجة توسع من محددات تعريف الأحادية اللغوية إلى أقصى مدى. ويبدو ـ من الوجهة النظرية ـ أنه يقدم بالفعل صورة هي الغاية من حيث درجات التشعيث في العرض، وهكذا تصبح أي ترجمة من الترجمات غير ذات معنى، أو أنها، بعبارة أخرى لا يمكن أن تقوم إلا بمهمة تحجيم اللعبة الحرة التي تمارسها الوحدات المعجمية

(43) Jacqueline Risset, «Joyce Translates Joyce,» Translated by Daniel Pick, in: *Comparative Criticism: Translation in Theory and Practice*, p. 3.

بإنتاج دلالة ما، ومن ثم بتقييد التركيب. إن استراتيجية الترجمة التي استخدمها جويس نفسه تفتح الطريق أمام مزيد من الخيارات للترجمة من جديد، ولا يتحقق ذلك ـ إن كان تصور حدوثه ممكناً ـ عن طريق محافظتها على إطار التعدد اللغوي، باستيرادها للوحدات الصرفية من لغة أجنبية، ولكن باستكشافها حدود اللغة من داخلها. إن جويس ـ بدلاً من سك المفردات الجديدة، والألفاظ المولدة ـ يعتمد على مستويات متعددة هي موجودة بالفعل في اللغة الإيطالية ـ أي على تعبيرات اصطلاحية متنوعة، ولهجات وألفاظ مهجورة ـ لكي يتمكن من إنجاز التعبير عن الأصداء المضاعفة لما ينطوي عليه الأصل.

وتدلل ريسيه في مقال عنوانه: «جويس يترجم جويس» (Joyce Translates Joyce) على أن جويس لا يبحث عن مكافئات افتراضية من الأصل، ولكنه يوسع الأصل ليصل به إلى مرحلة جديدة، «إلى تنوع أكثر جرأة على النص الذي هو في طور التشكل»[44]. وليس من قبيل المصادفة أن تكون ريسيه نفسها شاعرة ومترجمة، وأن يكون أحدث مشروعاتها هو ترجمة **الكوميديا الإلهية** لـ «دانتي» إلى الفرنسية، وهي الترجمة التي تم إنجاز مجلدين منها، وقامت بنشرها دار «Flammarion». والظاهر أن استراتيجيتها في الترجمة تقوم على تقويض (Deconstruct) دانتي المقدس في فرنسا، وأنها في النسخة التي أنجزتها تصنع من دانتي وجهاً مازحاً مألوفاً في الحياة اليومية قريب المتناول، يمكن لأي طفل من أطفال المدارس أن يقرأه ويستمتع به. وتدلل ريسيه على أن جويس بلجوئه إلى الإمكانات غير المتجانسة داخل اللغة الواحدة، إنما يحقق آثاراً ومستويات إلماحية متشابهة المعنى في اللغة الإيطالية، ومع ذلك، فلا مورد فيها

(44) المصدر نفسه، ص 6.

للتشويش. وتذهب ريسيه إلى أن جويس استبعد بطريقةٍ نسقية كلَّ تلميح ينتمي إلى لغة أجنبية، مستبدلاً به تلميحاً أحادي اللغة، تبدو فيه كل التعديلات والتشوهات ذات طلاء إيطالي. وهاك على سبيل المثال هذه العبارة: «Annona gebroren aroostokrat Nivia, dochter of Sense and Art, with Spark's pirryphlickathims funkling her fran». في هذه العبارة يستبعد جويس كل إحالة إلى اللاتينية والألمانية واليونانية، ويكتب قائلاً: «Annona genata arusticrata Nivea, laureolata in Senso e Arte, il ventaglio costellato di filgettanti»[45]. ونظراً إلى أن ما يتمتع به تاريخ الثقافة الإيطالية من امتداد وعمق، وبكل عبقه الارستقراطي، وأجوائه الكلاسيكية، يأتي مندمجاً في إحكام بالألوان والطوابع الإقليمية الريفية، وغير ذات الصبغة المثقفة. لكل ذلك يستمتع الإيطالي بصدى له من الثراء ما للإنجليزي المشوّه بما هو أجنبي. وتكشف هذه الاستراتيجية القائمة على الطَّلْيَنَة الجذرية (Radical Italianization) عن صفات التعدد اللغوي الملازمة على نحو ما لأية لغة، بل ربما يحصل ذلك بطريقة أكثر إثارة مما في النص الأصلي لـ «وايك». وتنتهي ريسيه إلى أن استراتيجية جويس في الترجمة تكشف عن أمر يتعلق بطبيعة اللغة، و«حرية اللهجة» (Freedom of Dialect). إن خلق مفردات جديدة هو جارٍ دائماً، وهكذا تنطوي دراسة اللهجات على بذور تَفَهُّم أفضل لظاهرة الترجمة. وتتضمن استراتيجية جويس ما يتجاوز استخدام الاقتباس من لهجات متنوعة. إن البديل لذلك في المقاربة التي يقوم بها جويس هو أن «اللغةَ نفسَها تُعامَل وكأنها لهجة». وتدلل ريسيه على أن المرء عند ممارسته هذه «الفعالية» (Operation) في مثل هذه الاستراتيجية، يغدو على

(45) المصدر نفسه، ص 9.

وعي بـ «أمر مغاير»، إنه: «اللغة التي اضطرب حقلها، وتحركت وفقاً لإبداع منسي»[46]. إنه ذلك الأمر المغاير الذي ترغب ريسيه في أن «تعيده» إلى دانتي في ترجماتها الخاصة .

لقد أزاح جويس ـ في نشاط الكتابة وفي نشاط الترجمة ـ حدود اللغة إلى ما وراء الهوامش التي كانت موضع اهتمام حتى حينه؛ فكلما تحركت الإنجليزية إلى الخارج، تتحرك الإيطالية إلى الداخل، ومع ذلك فكلتاهما دائماً تتسم بالتفكيك والنقض، وتضع في موضع المساءلة قضية الاستقرار والتحديد، وتقوم بابتكار مفردات جديدة، وتفتح للفكر مسالك جديدة. غير أن جويس في ممارسته نشاط الترجمة يؤكد بنبرة أقوى مما هو موجود في الأصل الإحساسَ بوجود شيء تخريبي في طبيعة اللغة، وهو شيء ينشأ من داخل اللغة، ولا يأتي من مصدر خارجي. وبينما يعمد دريدا إلى ارتكاب أخطاء مقصودة ليخلق فوضى في قواعد الرسم الكتابي، كذلك يقوم جويس بتشويه اللغة داخل سياقات عامية، ولصيقة بالمنطوق لكي يحقق نتائج مماثلة، وبذلك يؤجل أو يرجئ اندراج المفاهيم بعضها في بعض (Subsumation)، وإخفات بعضها بعضاً (Silencing). ذلكم الجانب المدمِّر للغة وللترجمة على النحو الذي يستخدمه جويس خطير من الوجهتين السياسية والاجتماعية، ولعلّ في ذلك تفسيراً للعلة في أن ترجمة جويس قد غدت وسيلة قياس تتحدد بها درجة حرية النشر التي تتمتع ثقافات معينة بها. أما الزمان، والظروف التي في ظلّها يصير جويس مترجَماً، فكلاهما أمر ذو أهمية تاريخية.

هذا التهديد السياسي والمؤسسي الذي طرحه مثل هذا البديل في وجه أية نظرية من نظريات الترجمة تقوم على ثنائية ميتافيزيقية، هو أمر

(46) المصدر نفسه، ص 13.

واضح تماماً، ذلكم هو الأمر الذي يفسر العلّة في أن باحثي الدراسات الترجمية لم يعد أمامهم إلا الوقوف صامتين أمام الأسئلة التي طرحها التقويضيون. ولم تكن المحاولة الجادة الوحيدة في مجال الدراسات الترجمية، والتي تناولت نظرية الترجمة من منظور ما بعد دريدا إلا المقالة التي كتبها ريمون فان دن برويك (Raymond van den Broeck) تحت عنوان: «نظرية الترجمة بعد التقويضية Translation Theory) (after Deconstruction، وقد ظهرت عام 1988. قرأ فان دن برويك الأجزاء الوثيقة الصلة بالموضوع عند دريدا؛ تلك التي تعالج الترجمة، واستعان بكتاب *On Deconstruction* الذي أنجزه كوللر عام 1983 ليعترف بأن كل ترجمة تتضمن قدراً جوهرياً مفقوداً من المعنى، وهذا ما يفضي إلى إيثار دريدا مصطلح التحويل (Transformation) وإحلاله محل مصطلح الترجمة. ويتفق فان دن برويك مع كولّر في أن التقويضية ليست فعل تدمير، ولكنها فعل إزاحة. إنها الفعل الذي يتحدى التعارضات التقليدية، أو هو ربما الفعل الذي يعكس «عمل» هذه التعارضات[47]. ويقتبس برويك عن دريدا قوله إن التقويضية «من خلال الإيماء المزدوج، و«الجملة المزدوجة»، والكتابة المزدوجة يجب أن تضع موضع التنفيذ فعلاً «معاكساً» للتعارض التقليدي و«إزاحة» عامة للنسق»[48]. ويمكن لهذا الفعل المعاكس ولهذه الإزاحة العامة أن يتحققا ـ في رأي فان دن برويك ـ بتحويل لغة النص

---

(47) Jonathan D. Culler, *On Deconstruction: Theory and Criticism after Structuralism* (London: Routledge and Kegan Paul, 1983), p. 150, and Raymond van den Broeck, «Translation Theory after Deconstruction,» in: *Linguistica Antverpiensia* (Belgium: Hoger Instituut voor Vertalers en Tolken, Hogeschool Antwerpen, 1988), p. 274.

(48) Broeck, Ibid., p. 278, and Jacques Derrida, «Signature Event Context,» *Glyph* (Baltimore), no. 1 (1977), p. 195.

المستهدَف من خلال ترجمة قوية فعّالة تمارس التجريب والمراوغة مع الاستعال العرفي. إنه يقتبس عن دريدا من مقاله «الاستدامة» (Living On) قوله إن هذا النوع من التحويل يتضمن «انتهاك اللغة، وإعادة الاستيلاء عليها في آن»، ذلك لأنه «يحمل المترجم على أنه يقوم بتحويل اللغة التي يقوم بالترجمة إليها»[49]. ثم يقتبس فان دن برويك عن دريدا من مقاله «على منعطف بابل» عن ضمان استمراريةِ النص الأصل، مدللاً على أن دريدا يذهب إلى أن المترجِم عليه أن يستخدم استراتيجية «اعتسافية» (Abusive) في الترجمة، «تلاحق التحرك المزدوج في اتجاهين: انتهاك قوانين الاستعمال، واستبقائها»[50].

يحاول فان دن برويك إذن أن يصنف دريدا، مُدْرِجاً إياه ضمن المقاربة الخاصة بالدراسات الترجمية. وحجته في ذلك أن دريدا، إذ يهدم المقاربات التي تعتمد التوجه نحو النص ـ المصدر، إنما يدعم بذلك الحجج التي تستند إليها المقاربات ذات التوجه إلى النص ـ المستهدَف؛ أي أنه يدعم «الدراسات الترجمية»، ولا سيّما نظرية جدعون توري، وهي النظرية التي تتطور تطوراً موازياً للنظريات التقويضية، بل سابقاً عليها أيضاً في حقيقة الأمر. وكما أن التقويضية تتحدى النظريات التي تقوم على فكرة الحتمية، أي تلك النظريات التي تفترض كون المعنى معطى محدَّداً يختص به نصّ ما، فكذلك أيضاً ـ بحسب ما يذهب إليه برويك ـ تنهض الدراسات الترجمية بتفسير تنوع أساليب الترجمة وأنماطها[51]، بل إن برويك يذهب إلى أبعد من ذلك، حتى إنه ليقول بأن كتاب

(49) Derrida, «Living On: Border Lines,» Quoted in: Broeck, Ibid., pp. 280-281.

(50) Broeck, Ibid., p. 283.

(51) المصدر نفسه، ص 276.

تـوري **بـحـثـاً عـن نـظـريـة الـتـرجـمـة** (*In Search of a Theory of Translation*) (1980) ـ ولا سيّما في إلحاحه على كشف المعايير الحاكمة على الترجمة ـ يمكن أن يقدم تفسيراً أفضل للعلة في أن الدعوة التي تتبناها تقويضية دريدا إلى الانتهاك والتشويه قد صادفت نسبياً قدراً ضئيلاً من النجاح. ويدلل برويك على أن نظرية دريدا هي في القليل الأقل نظرية جديدة في اللغة، وأنها ليست إلا مجرد نظرية قديمة، وأنها تحتوي «قدراً كبيراً من المعيارية والتعليمية». «إن التقويضية لا تنحاز إلا إلى المعيار الذي يؤول أمره ـ في التقابل الضدي الكلاسيكي ـ إلى أن يحتل المكانة الثانوية في هذه الأيام»[52]. إن فان دن برويك لا «يركن إلى» موقف دريدا، إذ إنه لا يقدم «أساسا موضوعياً» أو «نقطة تغيّر جديدة بالنسبة إلى البحث»[53]، على نحو ما يقوم به طراز النسق المتعدد.

وتفضي قراءة برويك إلى تحديد موقع دريدا، بحيث لا يخرج به عن المصطلحات الميتافيزيقية نفسها؛ أعني الأمانة في مقابل الحرية، وهما المصطلحان الحاكمان تقليدياً على نظرية الترجمة. وينتهي برويك إلى نتيجة تقول بأن «النظرية التقويضية في الترجمة ليست في خاتمة المطاف بالنظرية التي يمكن أن نُؤْثِرها». إنها ـ على أصح الاحتمالات ـ ليست إلا نظرية تقليدية بكل ما يعنيه هذا المفهوم؛ أي أنها نظرية تضع المعايير «لما ينبغي أن تكون عليه الترجمة»[54]. غير أن النظر إلى دريدا على أنه ليس إلا مفكراً يقدم معياراً توجيهياً آخر تتحقق به ترجمة أفضل، أي أنه معيار يستورد

(52) المصدر نفسه، ص 281.

(53) المصدر نفسه، ص 281.

(54) المصدر نفسه، ص 286.

الآثار المنتجة للتعجيب والاستفزاز في الترجمة، فيدخلها إلى النص المستهدَف؛ مثل هذه النظرة تتصف بالاختزالية والتلبيس.

إن دريدا ينافح عن الإزاحة في الرسم الكتابي، ولكنه يستخدم كذلك فوضى الرسم الكتابي في حرص وانضباط، لكي يشرّع الطريق أمام التفكير المطلق من كل قيد، ولكي يهيئ مكاناً للتفكير بطرق مغايرة جهد المستطاع. ولم يحاول فان دن برويك أن يلاحق تفكير دريدا، أو الدور الذي تؤديه اللغة في مثل هذه المجالات الرائدة، وفي ذلك تكمن علّة الخطأ الذي يقع فيه، حيث يرجح أن دعوة دريدا للعودة إلى التعارضات الضدية التقليدية يمكن أن تعد معادلاً للمقاربة ذات التوجه إلى ما هو مستهدَف. إن المقاربة الاختبارية [الإمبريقية] هي مقاربة تدعم التفكير التصوري الثنائي، إنها هي التي تدعم التمايزات القائمة على ثنائية الذات/الموضوع، وتحكم بأبدية التمايزات بين ثنائية المجرد/المادي، وهي الثنائيات التي يحاول دريدا في دأب تحطيمها. إن دريدا يشير إلى ما هو أبعد من كتابة كلمة «Difference» مستخدماً الحرف «a». إنه يستدعي أيضاً تعبيراً يمثل صوتاً وسيطاً بين المسند إليه (Subject)، والمسند (Predicate)، وهو الصوت الذي جرى تضييعه أو قمعه في مسيرة التاريخ، والذي يراوغ الفحص الاختباري. وإذن، فلا فان دن برويك ولا أحد من علماء الدراسات الترجمية ـ إلى وقتنا هذا ـ قد فكّر تفكيراً جدّياً في البديل، ومثل هذا الصمت يفضي إلى إفقار ما يبدونه من ملاحظات نسقية.

وفي الدوائر الأوروبية ـ الأمريكية تتركز المناقشة الخاصة بما بعد دريدا، في ما يتعلق بالترجمة، على جدل متواصل حول دراسة بنيامين «مهمة المترجم». ويذهب بول دي مان في كتابه **مقاومة النظرية** (*The Resistance to Theory*) إلى حد أن يقول: «لستَ على

شيء إذا لم تكتب شيئاً عن هذا النص»[55]. وأول قراءة تقويضية لمقال بنيامين ربما كانت في مقال كارول جاكوبس (Carol Jacobs)، عام 1975، الذي يحمل عنوان: «بشاعة الترجمة» (The Monstrosity of Translation). وفي هذا المقال تدلل الكاتبة على أن نظريات المحاكاة؛ أي المقاربات التي تزعم موضوعية المعرفة، لا تعين كثيراً على قراءة بنيامين. وهي تذهب إلى أن تصور بنيامين عن اللغة مؤسس على الاختلاف، وأنه قد تخلّى عن أي عقيدة تنظر إلى اللغة على أنها تشير إلى واقع موضوعي. إن الترجمات ـ على خلاف ذلك ـ ذات نسيج متغلغل في تاريخ نصي، وهذا التاريخ النصي هو على الدوام عبارات متحولة، مترجِمة إلى ترجمات أخرى. إن عمل النص الذي كتبه بنيامين هو إلى «خلخلة التعاريف» أقرب منه إلى ترسيخها. ولهذا السبب كانت كتابته في الغالب ساخرة ومراوغة، ومفعمة بالأصداء المتجاوبة، إلاّ أنها تتميز بعدم القابلية لتعيين مصادرها. وتقرأ كارول جاكوبس مقالة بنيامين نفسها قراءة تراها في حدها الأدنى تقديماً أو مقطوعة نقدية، ولكنها فوق ذلك هي فعل من أفعال الترجمة نفسها؛ إنها بالفعل واقعة في إطار النموذج الخاص بترجمات الترجمة.

وتذهب كارول في حجاجها ـ من منظور استراتيجية بنيامين في مثل هذا النوع من (إعادة) الكتابة ـ إلى أنه لكي نلتقط لمحة خاطفة لطبيعة اللغة ـ وهي تتشكل خلال تدفق التناص ـ نقوم بإحلال الكلمة في محل الجملة والقضية (Proposition) بوصفهما وحدة أساسية. إن الأمر الذي سينشأ عن هذه العملية لن يكون شيئاً طبيعياً، أو صيغة

(55) Paul De Man, *The Resistance to Theory*, Foreword by Wlad Godzich, Theory and History of Literature; v. 33 (Minneapolis: University of Minnesota Press, 1986), p. 73.

كلية، أو صوراً من إعادة الإنتاج المتوحد. إن الأمر سيكون على النقيض، إذ إن بشاعة الترجمة سوف تطل برأسها. وهكذا يبرز عدم التجانس الذي يفكك التركيب النحوي بالكلية «To Dismantle» all») (Syntax، ويقطِّع أوصال (To Dismember) الصيغ العرفية، أي الصيغ الطبيعية. إن الترجمة ليست موجهة إلى القارئ؛ فمفهوم القارئ المثالي ـ في رأي بنيامين ـ هو في الحقيقة مفهوم ضارٌّ بالاعتبار النظري في الفن. والترجمة «إنما تحول تلك اللغة التي نعتقد أنها لغتنا إلى لغة غريبة كل الغرابة»[56]. إن الترجمات التي تعتمد مقابلة الكلمة بالكلمة تُفضل على تلك التي تقوم بالتركيب والتوحيد. وتقتبس كارول جاكوبس عن بنيامين قوله: «إن الحَرْفِيَّة تنسف نسفاً تاماً كل إعادة لإنتاج المعنى في ما يختص بالتركيب النحوي، وتنذر إنذاراً صريحاً بأن ذلك يفضي إلى فوات القابلية للاستيعاب. وقد كانت ترجمات «هولديرلن» (Holderlin) لـ «سوفوكليس» في عيون القرن التاسع عشر «أمثلة بشعة لمثل هذه الحَرْفية»[57]، وتذهب كارول جاكوبس في حجاجها إلى أن هذه البشاعة هي تحديداً ما يمتدحه بنيامين.

وتذكر كارول جاكوبس أن هذا التأكيد على التباين دون التماثل، والتركيز على الكلمات دون الأشياء والموضوعات، قد خلق المصاعب أمام هاري زون (Harry Zohn)، مترجم بنيامين إلى الإنجليزية، الذي احتلت ترجمته مرتبة دون مرتبة الصيغة الحَرْفية، وعكست في الغالب تصوره الشخصي عن اللغة بأكثر مما عكست تصور بنيامين. وهي تقدّم ترجمتها الخاصة لمقاطع كثيرة، لا من قبيل

---

(56) Carol Jacobs, «The Monstrosity of Translation,» *Modern Language Notes (MLN)* (Baltimore), vol. 90, no. 6 (December 1975), p. 756.

(57) المصدر نفسه، ص 761.

النقد لترجمة زون، أو لتثبِّت صيغة ترجمة هي أقرب إلى «الصواب»، ولكن لتقدم قراءة بديلة في لعبة الفضاء الواقع بين ترجمتها وترجمة زون. وهي تميل ـ على سبيل المثال ـ إلى القول بأن نقل زون التعبير المجازي الذي يدور حول شظية الدن الفخاري[58] ـ هذا النقل الذي يتصف بأنه منطقي ولكنه أقل حَرْفِية ـ ربما يكون مُلْبِساً، ذلك لأن رغبة زون في تحقيق التوحد، والاحتباك، والروابط المنطقية قد حملته على أن يقرأ التشبيه على الوجه الآتي: كما أن «شظايا الوعاء» التي يمكن «أن تعالج بالغراء» (be glued) ليلتحم بعضها ببعض ينبغي أن يتحقق لأجزائها «المواءمة» (Matching) في أدق التفاصيل، لكي يتشكل منها وعاء أكبر ومكتمل، فكذلك يمكن أن ينظر للترجمات أيضاً على أنها «شظايا» تتشكل منها لغة أكبر (والتأكيد من عندي)[59]. أما البديل الذي تقترحه كارول جاكوبس، فيأتي على الوجه الآتي: كما أن الشظايا بوصفها «أجزاء مكسورة» من وعاء ـ فإذا أريد لها أن «يتمفصل» (Articulated) بعضها مع بعض ـ ينبغي أن «يلي» (Follow) بعضها بعضاً بأدق تفصيل ـ فكذلك تيسر الترجمة مهمة التعرّف على «الجزء المكسور» من لغة أكبر[60]. إن كارول جاكوبس تترجم ترجمة حرفية، كلمة بكلمة، دون أن تخضع للإغراء الذي يستدرجها إلى ضرورة إنجاز «نص» كامل متسق، وهكذا يترك نقلُها المقطوعةَ ناقصةً بالمفهوم الغربي. لم تلحق كارول جاكوبس الترجمة بالأصل، وهي ـ

---

(58) وهو الذي سبق أن اقتبسه دريدا في: ص 382 ـ 383 من هذا الكتاب.

(59) Walter Benjamin, *Illuminations*, Edited and with an Introduction by Hannah Arendt; Translated by Harry Zohn (New York: Schocken Books, 1969), p. 78.

(60) Jacobs, «The Monstrosity of Translation,» p. 762.

والتأكيد من عندي.

خلافاً لذلك ـ تقدم الترجمة بوصفها قطعة من النص (Bruchstük)، متسقة ليس فقط مع التعبير المجازي الذي قال به بنيامين، ولكن أيضاَ مع ما تراه هي أنه نموذج بنيامين في التعبير؛ ذلك النموذج «الغريب» (Strange)، و«البشع» (Monstrous). وكارول جاكوبس تتفهم القراءة المشروطة بظروف التاريخ لدى زون، ولكنها لا تحاكمها، ومقالتها تقدّم بديلاً تتولد منه وفرة من التفسيرات اللاحقة لـ «بنيامين»، التي تفضلها هي شخصياً.

ولا ريب في أن أفضل هذه الأمثلة هو مقال بول دي مان بعنوان: «استنتاجات: مقال والتر بنيامين «مهمة المترجم» «Conclusions: Walter Benjamin's 'The Task of the Translator'»، وقد تضمّنه كتابه: **مقاومة النظرية.** لقد اقتفى دي مان في وضوح أثر فكر دريدا إلى أقصى مدى، وأثبت أنه قادر على مواجهة رقعة الشطرنج التي هي بلا قاع؛ تلك التي يشير إليها دريدا، وأن يواصل عمله تحت هذه الظروف. إلا أنه بينما تُمارس قراءة دريدا دوراً إيجابياً مع بنيامين، نجد القراءة التقويضية لدى دي مان تصاغ بمصطلحية سلبية، ونزعة عدمية. وإذا بدأنا على سبيل المثال بترجمات هولديرلن لـ «سوفوكليس» ـ تلك التي كانت موضع الإطراء من بنيامين بسبب كونها بديلاً مختلفاً بالكلية ـ وجدنا دي مان يقتبس قول بنيامين على أنه حجاج يذهب فيه صاحبه إلى القول بأن ترجمات هولديرلن قد بالغت في الاتساع باللغة حتى هددت المترجم بالحصار داخل أسوار الصمت، وأن المعنى فيها مهدد بالتيه «في أعماق من اللغة بلا قاع»، ويذهب دي مان إلى أن الترجمة المتصورة على هذا النحو تقود إلى «شيء هدّام من حيث الجوهر»؛ أعني من حيث اللغة نفسها. وهكذا، بينما يتصف تصور دريدا للتقويض بأنه مانح للحياة، وإيجابي، وقادر على إعادة التوليد، نجد

تصور مشروع التقويض لدى دي مان على النحو الذي عبّر عنه في مقاله «استنتاجات: مقال والتر بنيامين «مهمة المترجم»» سلبياً إلى حد بعيد. يقول دي مان:

«إن كل هذه المناشط: الفلسفة النقدية، ونظرية الأدب، والتاريخ ـ كل ذلك يشبه بعضه بعضاً، والجامع بينها جميعاً هو أنها لا تشبه الشيء الذي اشتقت منه، ولكنها جميعاً واقعة ضمن ما هو لساني (Intralinguistic). إنها جميعاً ذات صلة بما هو في الأصل متعلق باللغة، وليس بالمعنى؛ بوصفه أمراً واقعاً خارج اللغة، قابلاً لإعادة الصياغة وللمحاكاة. إنها تفكك العبارة، وتفسد الأصل، وتظهر أن الأصل كان بالفعل على حالة من التفكك، وهي تظهر أن إخفاقها الذي مردّه ـ فيما يبدو ـ إلى كونها تحتل موقعاً ثانوياً بالنسبة الأصل ـ هو إخفاق جوهري، وأنه تفكك جوهري كان قائماً بالفعل في الأصل. إنها تقتل الأصل، باكتشافها أن الأصل كان ميتاً بالفعل»[61].

وربما أمكن للمرء أن يذهب في حجاجه إلى القول بأن كلا التصورين هما بالفعل تصور واحد؛ كما أن الموت والحياة في صيغة هيدغر يتخذان صورةَ جَدِيلةٍ شديدة التضافر، حتى إنهما بالنسبة إلى جميع المقاصد والأغراض غير قابلين للتمايز. وعلى الرغم من ذلك فالفرق ـ من زاوية المشروع التقويضي في مجمله ـ ليس حقيقاً بالإهمال؛ ذلك لأن التقويضية، بالنسبة إلى «دي مان»، والتقويضيين الأوروبيين ـ الأمريكيين، قد استخدمت في محاولة لإزاحة جيل قديم من الدارسين والنقاد، موغلين في تشبثهم بالأعراف، وبتثبيت أنفسهم. لذلك، فإن معالجتهم الأمر ـ في كثير من الأحيان ـ لا تعرف الرحمة. ويتسرب مثل هذا التوجه غالباً إلى الطريقة التي

---

(61) De Man, *The Resistance to Theory*, p. 84.

يمارسون بها الحجاج. إن مقال دي مان ـ على سبيل المثال ـ يتميز بالقسوة في التعامل مع هاري زون من حيث هو مترجم. وعلى النقيض من كارول جاكوبس التي وضعت عمل زون في سياقه التاريخي، وقدمت البدائل ـ نجد دي مان يقف من زون وموريس دو غانديلاك (Maurice de Gandillac) ـ وهو المترجم الفرنسي لـ «بنيامين» ـ موقفاً مخالفاً، فهو يعاملهما معاملة أطفال المدارس، مدلِّلاً على أنهما «في ما يبدو ليس لديهما أدنى فكرة عما يقول بنيامين»[62]. ويتحدث دي مان عن الأصل بكونه «خالياً تماماً من أي غموض» في بعض الأماكن، ويقول إن المترجَمَيْن كابدا المصاعب في ملاحقة بنيامين، حتى إنهما قد «فاتهما الفهم». ولا يقنع دي مان بذكر أمثلة لجُمل مَنْفيّة في غير مواضعها، بل يذكر بالإضافة إلى ذلك أمثلة لما هو «صحيح» وما هو «خاطئ». ومن بين الأمثلة لذلك كلمة «Nachreife»، وهي تحمل مفهوماً ذا أهمية في الحجاج، ترجمها زون ترجمة معقولة على أنها «عملية نضوج» (Maturing Process). وتزعج هذه الترجمة دي مان، إذ يحس أن الكلمة تحمل تلميحات إلى الانقباض والشعور بالإنهاك، وبمعنى العنب الفاسد، وبموت الأصل، وهي معانٍ ضلّ زون الطريق إليها. ومع ذلك، ربما يكون لتفسير دي مان علاقة بتصوره الخاص للعالم بأكثر من علاقته بنوع الاختيار في الترجمة.

أما الملمح الأقوى في مقال دي مان، فهو معاملته المتسمة بالاستخفاف بـ «زون» في ما يتصل بـ «سوء ترجمته» للتعبير المجازي عن شظايا الوعاء. يذهب دي مان في حجاجه، مقارناً بين صيغتَيْ كارول جاكوبس وزون، إلى أن زون قد أساء فهمها من جديد، وأن

---

(62) المصدر نفسه، ص 79.

كل ما عليك أن تفعل ـ لكي ترى ما يقوله بنيامين ـ هو أن «تترجم ترجمة صحيحة، بدلاً من أن تترجم على نحو ما ترجم زون». يريد دي مان أن يدلل على صواب فهمه للاستعارة والكناية، والتمييز بين «يوائم» (Match)، و«يلي» (Follow) (gleichen وfolgen)، وهو تمييز مفيد لتفسير التقديم (The Preface). ويواصل دي مان استدلاله على أن الشظايا التي يلي بعضها بعضاً لا تصنع وحدة متكاملة. إن دي مان ينظر إلى العمل على أنه مكسَّر (Fragmented)، وإلى الترجمات على أنها كُسَارات من كُسَارات. وهو، مثل دريدا، ينكر معرفة الكُلّ الكامل (Wholeness)، أو معرفة الوعاء السليم، أو أي إحساس بمعنى أصلي. إنه يكتب فيقول: «المعنى هو دائماً في حالة إزاحة بالنسبة إلى المعنى الذي هو مقصود قصداً مثالياً ـ والمعنى لا يمكن الوصول إليه البتة»[63]. وعلى حين أن فكر دي مان عن التعبير المجازي هو تفكير مفيد ومقنع، في ما يتعلق بمقالة بنيامين، نجد إلحاحه على أنه يفهم «معنى» مقطوعة بنيامين فهماً أفضل من فهم زون وغانديلاك، أو من آخرين، يستدعي إلى الأذهان استراتيجيات القراءة التي وظفها آي. أ. ريتشاردز والنقاد الجدد. إن فكرة «فهم شيء ما»، وعلى التحديد «فهم شيء ما فهماً أفضل» يناقض مناقضة فعلية الأطروحة الأساسية التي يقول بها دي مان، تلك التي تذهب إلى أنه لا وجود لقارئ ـ دون استثناء لـ «دي مان» ـ قد أتيح له الولوج إلى المعنى الأصلي. وهنا يستبين غياب الاتساق بين بلاغة دي مان في مظهرها المدرسي، ودعاواه النظرية. إن الرؤية الإقصائية لدى دي مان للقراءات الأخرى، ونغمة التنازل الممزوجة بالاستعلاء، واعتقاده بأن رأيه هو «الصواب» لا يفيد إلا في الكشف

(63) المصدر نفسه، ص 91.

عن آرائه الذاتية، والتي تحتل مكانها خارج سياق التاريخ؛ فالقول بأن هذا «صحيح» وهذا «خاطئ» لم يعودا مصطلحين نظريين منتجين بالنسبة إلى علماء الدراسات الترجمية، وكذلك بالنسبة إلى المنتمين إلى التقويضية.

عند تقييم الوضع من جهة قيام مناقشة تتناول نظرية الترجمة، في انتمائها إلى مرحلة ما بعد دريدا، نجد أن إسهام المشتغلين بفلسفة اللغة في ما بعد التنوير (Post-Enlightenment Philosophy) كان أغزر إنتاجاً بكثير من إسهام نقاد الأدب الأمريكيين. ويبدو أن أوفى كتاب ظهر حتى الآن هو كتاب آندرو بنيامين (Andrew Benjamin) الذي يحمل عنوان: **الترجمة وطبيعة الفلسفة**[64] (*Translation and the Nature of Philosophy*). في هذا الكتاب يناقش المؤلف أيضاً مقال بنيامين: «مهمة المترجم»، ولكنه يضع المناقشة في سياق يمتد من فلسفة التنوير التي كانت بقاياها ما زالت ذات تأثير على خطاب العصر، من خلال مناقشة شاملة لإسهام هيدغر وفرويد ودريدا في فهمنا لطبيعة اللغة بعامة، والترجمة خاصة.

وتبدو معالجة بنيامين إسهام هيدغر ـ ولا سيَّما في كتابته الأخيرة عن طبيعة اللغة، ومشكلة الكتمان (Problem of Concealment) ـ على درجة كبيرة من القوة، وترسي الأساس لما قام به في ما بعد من مناقشة لـ «دريدا». وبينما يتخذ آندرو بنيامين موقف المخالفة لـ «دريدا»، نجده يعرض في صيغة متوازنة إمكانات القراءات المزدوجة لـ «الاخـ(ت)ـلاف»، بكل ما تعنيه من الاختلاف والإرجاء، وبمفاهيمها المتعارضة. إن الترجمة في مناقشة ما بعد

(64) Andrew Benjamin, *Translation and the Nature of Philosophy: A New Theory of Words* (London; New York: Routledge, 1989).

دريدا لم تعد تُفْهم كما يفهم أي نشاط بسيط مفرد قابل للتحديد، بل على أنها طائفة متعددة من الأنشطة، مصحوبة بطائفة متعددة من الدلالات[65]. ويبدأ كتاب آندرو بنيامين بأسئلة عن «أَرضِيَّة» الاختلاف» (The 'Ground' of Difference)، وهو الأمر الذي وجده في الكلمة «ترجمة» (Translation) نفسها؛ أي أن المصطلح يرجح وجود أمرين اثنين، هما: «أرضية» (Ground) للأصل، ووجود اختلاف «لا أساس له» (Ungrounded). وإذا لم يكن ثمة «أصل» (Origin)، ولا وجود لشيء ينسب إلى «أصل» (Original)، فإن «التعددية» (Plurality) إذن تكون «بلا أصل» (Anoriginal). ومناقشة آندرو بنيامين اللاحقة تبحث عن السبل التي يمكن أن يفهم بها هذه «الظاهرة»؛ أي ظاهرة «اللاأصل» (Anoriginality).

ولا يتفق آندرو بنيامين، مع دريدا ولا مع دي مان. إنه ـ بدلاً من ذلك ـ يجد طريقاً خارج هذه المتاهة عبر دونالد دافيدسون (Donald Davidson). وهناك مناقشة مفيدة قام بها آندرو بنيامين لبحث دافيدسون الذي عنوانه: «عن فكرة المخطط التصوري تحديداً» (On the Very Idea of a Conceptual Scheme) (1984). وفي هذا البحث يدرس دافيدسون الترجمة بوصفها طريقاً للتركيز على المعايير التي تحدد ماهية المخططات التصورية (Conceptual Schemes)، ويذهب آندرو بنيامين في حجاجه إلى أن التفاهم المتبادل «يكاد يكون أمراً لا مفر منه» (Almost Inescapable). وهناك سلسلة معقدة من الشروط المسبّقة المتواشجة تسبق التعبير عن «الأشياء» (Things) المكافئة بلغة أخرى. ويقتبس بنيامين من دافيدسون قوله:

«الفكرة، إذن، هي أن ثمة شيئاً ما هو لغة، وأنه ـ سواء أكان في

---

(65) المصدر نفسه، ص 35.

استطاعتنا ترجمته أم لا ـ مرتبط ارتباط استدعاء بمخطط تصوري إذا كان داخلاً في علاقة معينة تنبىء/ تُسند (Predicating)، أو تُنَظِّم (Organizing)، أو تُواجه (Facing)، أو توائم (Fitting) الخبرةَ (Experience)، أو الطبيعةَ (Nature)، أو الواقعَ (Reality)، أو المحفزاتِ الحسيةَ (Sensory Promptings). والمشكلة هي أن نحدد ماهية هذه العلاقة، وأن يكون هناك وضوح حول العناصر المكوّنة (Entities) للعلاقة»[66].

بهذه الطريقة تتخذ المقاربة التي يتبناها دافيدسون موقعاً وسطاً بين الأصلي المُحصَّن، الذي هو غير قابل لأن يمس (Untouchable Original)، وبين حركة اللغة المتصفة بالوضوح، أو التي هي على الأقل حركة تشير إلى تلك الأشياء (Objects) التي تدخل في علاقة النص ـ المصدر، والنص المستهدَف، وتجعل من التواصل أمراً ممكناً. هكذا، يعود دافيدسون القهقرى إلى مبدأ الجامعية [الكلية] عند كانط (Kantian Universality)، ذلك المفهوم الذي يتجاوز تهديد التنوع في لغات البشر والقضايا التي يطرحها التقويضيون. إن المفهوم الذي يتبناه التصور الإنسي عن الطبيعة (Nature) جرى وضعه ليمدنا بالأساس الذي يجعل من الجامعية (Universality) أمراً ممكناً. ويذهب آندرو بنيامين في حجاجه إلى أن «عقلانية الإنسان هي نتيجة لمواهب الطبيعة، ومن ثمّ، يمكن تفسير التنوع والاختلاف، وتعليله بأنه استطراد وانحراف عن الطريق المميِّز للإنسان بفضل كونه بشراً»[67].

---

(66) Donald Davidson, *Inquiries into Truth and Interpretation* (Oxford [Oxfordshire]: Clarendon Press; New York: Oxford University Press, 1984), p. 191,

مذكور في: المصدر نفسه، ص 65.

(67) Benjamin, Ibid., pp. 78-79.

عند هذه النقطة يتوقف آندرو بنيامين لكي يناقش مقالة والتر بنيامين: «مهمة المترجم»؛ فهو يوافق دي مان على قراءته القائلة: بأن الوعاء المكسور لا يَفْتَرض سلفاً وجود وعاء أول؛ أي أن اللغة الأصلية هي دائماً لغة معدولة (Displaced)، ولذلك لا وجود للغة أصلية؛ غير أنه يتساءل حينئذ كيف يتسنى لنا أن نفهم الوعاء المستقبلي (المفترض)، وما الظروف (مُجْمل الظروف) التي تشكل الأسباب الضمنية الحاملة لنا على أن نفكر في أن الكُسَارات «ينتمي بعضها إلى بعض»، وأن نفكر من ثم في أن اللغات «ينتمي بعضها إلى بعض» [أو يتمم بعضها بعضاً]. إن آندرو بنيامين وغيره من فلاسفة ما بعد عصر التنوير لا يفكرون في «هاوية» مرحلة ما قبل التكوين (The Abyss)، ولا في ظروف ما قبل الأنطولوجيا (Pre-Ontological Conditions)، ولكن تفكيرهم منصبّ على الظروف النظرية التي تسمح بوجود التفسير والتفاهم المتبادل، وهي ما يسميه آندرو بنيامين «الظروف الأنطولوجية ـ الزمانية» (Ontological-Temporal). إنهم يلتمسون تحديداً ووصفاً للعناصر التي تسمح بوجود تفكير إيجابي عن الدلالي والكامن المفسر مما هو متضمن في الكلمات، وهم يذهبون إلى أن المرء يفكر في الترجمة من غير أصل قد يراد ـ أو لا يراد ـ تعويضه، وأن المعاني والتفسيرات تنشأ من ظروف واقعية، وهي ظروف حقيقية ومتصادمة، ويمكن وصفها وصفاً موضوعياً واختبارياً (إمبريقياً). ويدلل آندرو بنيامين على أن «المعنى الناشئ هو التحقق الفعلي لما هو كامن ومحتمل من المعاني، وليس انبثاقاً من لا معنى»[68]. وعلى الضد من دي مان ودريدا يذهب آندرو بنيامين إلى أنه لا وجود لاختلاف محض، بل إن الاختلاف دائماً له خصوصيته. كما يذهب أيضاً إلى أن والتر

(68) المصدر نفسه، ص 180.

بنيامين يُعيِّن «حياة ـ المابعد» (After-Life) والاستمرارية (Sur-Vival) بوضع ما هو كامن محتمل بالنسبة إلى الحياة المستعادة (Afterlife) [للكلمات] في داخل النص نفسه. إن الكلمات تجسد شبكة من التعارض، شبكة من حياة ـ المابعد لا نهاية لها، تقوم بإرجاء الوصول إلى نهاية أو إلى تفسير محدد. إن آندرو بنيامين ـ بقراءته نص بنيامين قراءةً معاكسةً لتوجُّهِ القراءاتِ التقويضيةِ الدارجة ـ يذهب في حجاجه إلى أننا واجدون في والتر بنيامين «إمكانية لفهمٍ مختلفٍ للترجمة والفلسفة تبدأ في التحقق الفعلي»[69].

## التقويضية وترجمة ما بعد الاستعمار

إن المترجمون الذين مارسوا التجارب مع الاستراتيجيات التقويضية منتشرون في الآفاق، ومتزايدون في العدد[70]. غير أنه ليس ثمة موضع كان للتقويضية فيه النفوذ الأكبر على المترجمين مثل ما كان للمنطقة الخاصة بترجمة ما بعد الاستعمار. وبدلاً من أن تستخدم الترجمة بوصفها أداةَ تدعيم وتوسيع لنسق مفهوم مؤسس على الدين والفلسفة الغربية، يلتمس مترجمو ما بعد الاستعمار ترويض الترجمة، واستخدامها استراتيجيةً للمقاومة. إنهم يريدونها أداةَ قلقلةٍ وإزاحةٍ لتركيبة الصور التي اتخذتها الثقافات غير الغربية، وليست أداةً لإعادة تفسير هذه الثقافات تفسيراً يستخدم المفاهيم واللغة التقليدية الخاضعة للتطبيع. وهناك اثنتان من بين أعظم العلماء تأثيراً، والمدافعين عن مثل هذا الاستخدام للتقويضية، وهما تيجاسويني نيرانجانا (Tejaswini Niranjana)، وغاياتري سبيفاك.

(69) المصدر نفسه، ص 108.

(70) انظر الفصل السابع من الكتاب.

تعتمد نيرانجانا في كتاب لها بعنوان: **موضعة تاريخ الترجمة وما بعد البنيوية والسياق الاستعماري**[71] (*Siting Translation: History, Post-Structuralism, and the Colonial Context*) على دريدا وبنيامين لكي تقدم نقداً مركباً للمترجمين والمشتغلين بالدراسات الإثنية والمؤرخين في معالجتهم الثقافات الاستعمارية. وهي تطلق اسم الترجمة على الموقع (Site) الذي حُكِمَ فيه بالتأبيد على العلاقات غير المتكافئة بين الثقافات واللغات المختلفة، وبصورة درامية للغاية. إن تبني المفاهيم التقليدية للترجمة تبنياً بدائياً وغير نقدي ـ ونعني بذلك الترجمة بوصفها مفهوماً يتصف بالشفافية والموضوعية والأمانة ـ قد مكَّن السياسيين، ورجال الإدارة المستعمرين من رسم صورة للآخر، الدخيل المجلوب الطريف (Exotic)، تبدو أزلية وغير قابلة للتغيير. ولم يقتصر التأثير الدرامي لهذه الصورة على فهم الغرب لما يسمى «العالم الثالث» (Third World)، ولكنها تجاوزت ذلك إلى التأثير على فهم كثير من الأمم الناشئة لثقافاتها الخاصة؛ فعلاقات السلطة الاستعمارية تتصف بالتأبيد، والبنى الاجتماعية الإمبريالية تفوز بالحصاد الوفير في حقبة ما بعد الاستعمار. وتذهب نيرانجانا إلى أن الترجمة لا يمكن الاقتصار في تصنيفها على طرز نظرية تعتمد الثنائيات: الأمينة في مقابل الحرة، أو النص ـ المصدر في مقابل النص المستهدف، بل ينبغي بدلاً من ذلك أن ينظر إليها على أنها تدفقٌ يسير في اتجاهين هما: التعزيز المتبادل (Reciprocally Reinforcing)، ونقل أفكار مترسخة عن الثقافة والهوية. وهذان الاتجاهان قد ينفردان، وقد يجتمعان.

---

(71) Tejaswini Niranjana, *Siting Translation: History, Post-Structuralism, and the Colonial Context* (Berkeley: University of California Press, 1992).

وتختلف نيرانجانا مع الدرس التقليدي للترجمة، وفي الفصل الأول من كتابها تتتبَّعُ تاريخ الترجمة في الغرب، وهو تاريخ يميل في معظمه إلى التوجه نحو النص ـ المصدر، ويفترض سلفاً إمكان الولوج في شفافية إلى المصدر الأصلي. وهي تنتقد ـ على سبيل المثال ـ منظّرين من أمثال جورج شتينر الذي يزعم في كتابه: **ما بعد بابل** (*After Babel*) أن الترجمة «يوجد فيها ـ وعلى نحو مثالي ـ تبادل بلا خسارة»[72]. وهي تختلف مع منظرين من أمثال لويس كيلّي الذي يزعم في كتابه: **المفسّر الحق** (*The True Interpreter*) أن الترجمة هي صورة من صور الحوار (Dialogue)، ومن تحقيق «التوازن بين أنا وأنت»[73]. إن الترجمة في السياق الاستعماري بعيدة عن صفة التوازن، لأن علاقات السلطة بين المستعملين من مختلف اللغات ليست متكافئة. إن تثبيت الترجمة على أنها وسيلة شفافة غير منحازة تقوم بنقل شيء سكوني وغير متغير؛ مثل هذه النظريات تعزز صور السيطرة على الأمم المستعمرة، وتطمس تاريخها.

ومما له دلالته أن التاريخ الذي كتبته نيرانجانا للترجمة قد شمل النشاط العلمي للدراسات الترجمية وعلماء محدثين من أمثال جدعون توري الذي لم يكن صنيعه بأفضل من صنيع غيره من أوفر المنظرين نصيباً من التقليدية. وتذهب نيرانجانا في حجاجها إلى أن الباحثين في الدراسات الترجمية يسلمون بالطراز النظري القائم على أساس النص المستهدَف، ويعتقدون أن الترجمة لا تأثير لها على النسق اللساني،

---

(72) George Steiner, *After Babel: Aspects of Language and Translation* (London; New York; Oxford: Oxford University Press, 1975), p. 302.

(73) Louis G. Kelly, *The True Interpreter: A History of Translation Theory and Practice in the West* (New York: St. Martin's Press, 1979), p. 214.

أو الثقافي للنص ـ المصدر[74]. وتورد نيرانجانا الاقتباس الآتي من مقال توري الذي عنوانه: «الأساس المبرر للدراسات الترجمية الوصفية» (A Rationale for Descriptive Translation Studies)، وهو المنشور في كتاب: **التلاعب بالأدب**. يقول الاقتباس: «من حيث النص ـ المصدر، والنسق المصدر لا يكاد يكون للترجمات أية أهمية على الإطلاق، إذ ليس بمقدورها أن تؤثر على قواعد النسق ومعاييره اللسانية والنصية، أو على تاريخه النصي، أو على النص المصدر في ذاته»[75]. وتذهب نيرانجانا ـ إزاء تلك الدعوى التي يعبر عنها توري، مردداً إياهاً في صور مختلفة خلال مسيرته العلمية ـ إلى أن توري ونظريات النسق المتعدد شركاء في تجاهل الدور الذي قامت به الترجمات في قهر الشعوب المستعمرة، كما أنها تدلل في حجاجها أيضاً على أن المقاربة «الإمبريقية» عند توري تحول ـ بالكبت ـ دون ظهور علاقة القوة غير المتكافئة، تلك التي تشكل العلاقات بين اللغات.

وتدّعي نيرانجانا أن الصور التي تشكلت من خلال الترجمة، ولا سيما الصور المقولبة السلبية للثقافة الهندية، قد تشرّبها، واصطبغ بها السكان الهنود عن وعي، وعن غير وعي، وتشمل هذه الصور صور الشعوب المتصفة بالكسل وضَعف الذكاء. كذلك تسوق نيرانجانا البراهين المقنعة على أن توابع تأثيرات هذه الصور على الذهنية والشخصية الهندية لم تكن على ثقافة المصدر، بل كانت

---

(74) Niranjana, *Siting Translation: History, Post-Structuralism, and the Colonial Context*, pp. 59-60.

(75) Gideon Toury, «A Rational for Descriptive Translation Studies,» in: Theo Hermans, ed., *The Manipulation of Literature: Studies in Literary Translation* (New York: St. Martin's Press, 1985), p. 19.

عظيمة الخطر عليها. إن ظاهرة التناص بين الترجمات التي تتميز بها ترجمات معينة، تسهم في تشكيل الممارسات الاستعمارية؛ كالتعليم، واقتراض الأفكار والقيم الأوروبية من خلال الترجمات؛ كل ذلك هو جانب من القضايا الكبرى التي تحاشتها الطرز النظرية المعتمَدة في وصف الترجمة عند توري ولامبرت. وترى نيرانجانا أن أي نظرية للترجمة تتجاهل هذه النزعات إلى التقليد يمكن أن توصف بأنها نظرية ليست بالإمبريقية ولا بالنسقية.

والنقد الذي تناولت به نيرانجانا الدراسات الترجمية هو شبيه بنقدها الدراسات الإثنية، وكلاهما متضمَّن في فصل واحد، فالمشتغلون بالدراسات الإثنية والأنثروبولوجية ـ مثلهم في ذلك مثل المترجمين ـ قد مروا بأزمات مشابهة في مجال النظرية، حيث يواجهون مشكلات معرفية مشابهة؛ فكيف يمكن أن يكتب امرؤ، أو يُقدِّم عرضاً لثقافة أخرى بلغته ومصطلحاته الخاصة، متحاشياً تلك المصطلحات والتصورات التي تنال ما يجري عرضه بالتحريف؟ وكيف يفسر امرؤ سلوكيات معينة من غير أن يفزع إلى تجاربه الذاتية الخاصة؟ إن مشكلة علم الإثنيات هي على وجه اليقين مشابهة لقضية الترجمة؛ فكلا المجالين المعرفيين ينبغي أن يُترجِم نسقاً عقدياً إلى نسق آخر، صانعاً بذلك اللُّحمة الرابطة بينه وبين طريقة أخرى من طرائق التفكير والتصور. وتحس نيرانجانا ـ في هذا الصدد ـ أن الأنثروبولوجيا تحرز مزيداً من التقدم بالقياس إلى الدراسات الترجمية. إن نيرانجانا تستشهد ـ في مقام الإطراء ـ بالعلماء في مجال الدراسات الترجمية من أمثال سوزان باسنيت، وورومان جاكوبسون، ممن كانوا على وعي ظاهر بتعقيدات التداخل السيميائي، وبالعوامل الثقافية المتقاطعة التي يحتاج المترجمون إلى وضعها موضع النظر، ومع ذلك نراها تحس أن معظم الدارسين في مجال الدراسات

الترجمية لم يقطعوا الشوط بما فيه الكفاية. وأياً ما كان الأمر، فإن نقد استخدام الترجمة في مجال الأنثروبولوجيا قد بدأ. فهناك دارسون من أمثال جيمس كليفورد (James Clifford)، وكليفورد غيرتز (Clifford Geertz)، وطلال أسد (Talal Asad)، وستيفن تيلر (Steven Tyler)، ينتقدون الشفافية المزعومة للترجمة في الكشوف الأنثروبولوجية، ويتشككون في الصياغات المجازية للترجمة، تلك التي تشكل بنية الخطاب الإثني[76]. غير أن نيرانجانا ترى أنه حتى هؤلاء المشتغلون الجدد بعلم الإثنيات ممن يعيدون النظر في خطابهم المهني يعتمدون اعتماداً كبيراً على الصياغة المجازية للسياسة بلغة الخطاب الشعري، ولا يصلون بمسيرتهم إلى معالجة علاقات القوة والآثار البعيدة المدى للترجمة.

وتلتفت نيرانجانا ـ بدلاً من ذلك ـ إلى دريدا وفوكو وبنيامين لتفسير الكيفية التي يؤثر بها العمل الترجمي في مساره المزدوج على كلتا الثقافتين: ثقافة المصدر والثقافة المستهدفة، وبذلك تجعل الترجمة من فكرتَيْ الأصل و«المركز/المنتهى» (Telos) فكرتين تفتقران إلى الثبات والاستقرار. وتبدأ نيرانجانا بـ دريدا فتقول: «إن أكثر الأفكار رصانة من بين ما يزوّدنا به عمل دريدا ـ هو الفكرة القائلة بأن الأصل هو دائماً غير متجانس في الحقيقة، إنه ليس مجرد مصدر نقي متوحد لمعنى التاريخ»[77]. إن معظم الفلسفة والتاريخ في الغرب ـ حيث لا وجود لحضور أصيل يمكن إعادة تقديمه ـ تكابد الإخفاق بما تنطوي عليه من ثوابت الأفكار عن الحقيقة، والمعنى، والحضور، واللوغوس (الفكر/ العقل) (Logos) و«المركز/المنتهى»

---

(76) Niranjana, Ibid., pp. 81-86.

(77) المصدر نفسه، ص 39.

(Telos). ويحظى عمل دريدا عند نيرانجانا بالأهمية العظمى، لأنه ينم عن نقد للأفكار التقليدية التي تخص الترجمة كذلك. وهي تقتبس عن دريدا من دراسته التي عنوانها: «الإرسال: حول التمثيل» (Sending: On Representation) قوله: إن الترجمة تفلت من «فَلَك التمثيل» (Orbit of Representation)، جاعلة من ذلك «قضية تصلح لأن تكون «مثالاً نموذجياً»[78] (Exemplary Question)، وعلامةً على ما يسميه دريدا الانتثار (Dissemination)، فلا الباحثون في الدراسات الترجمية، ولا الإثنيون قد فكروا مليّاً في ذلك الذي لا يمكن تسميته، وهو التوأم الصامت المصاحب لكل فكر ولكل كتابة». بذلك تصبح الاستراتيجيات التقويضية للكتابة المزدوجة، وللتنوع الفرعي الذي ينشأ من خلالها، وللتوريات، والتحريفات، والمراوغات، ذات أهمية لدى مترجمي ما بعد الاستعمار، إذ إنه في مثل هذه الكتابة المزدوجة تبرز في مقدمة الصورة لعبة الدالّ (Signifier) لتغطي على لعبة المدلول (Signified)، فاتحة بذلك جبهة نظرية، وطريقاً جديداً للكشف عن زمن مضى، أو ثقافة مختلفة دون أن تخضع لمعايير التمثيل أو التصورات التقليدية. إن ممارسة دريدا الكتابة المزدوجة يمكن أن تُعِين المترجمين أيضاً على تحدي ممارسات الهيمنة بتقديم صور وهويات بديلة تكون أقل اتصافاً بالتمييز، وأكثر انفتاحاً للتغير والتطور الثقافي.

ونيرانجانا ـ مثلُها كمثل كثير من منظري الأدب الأنجلو ـ أمريكيين، ضليعة في مجال القراءات المتعددة لدراسة والتر بنيامين التي عنوانها: «مهمة المترجم». وهي توجه نقدها إلى قراءة بول دي

---

(78) Jacques Derrida, «Sending: On Representation,» Translated by Peter and Mary Ann Caws, *Social Research*, vol. 49, no. 2 (Summer 1982), p. 298,

مذكور في: المصدر نفسه، ص 41.

مان، معتمدة على التفسير الذي ساقه دريدا في دراسته «على منعطف بابل»، حاكمة عليه بأنه يأبى توظيف مفهوم بنيامين عن التاريخ، أو ـ إن شئت الدقة ـ عن كتابة التاريخ. هنا تعتمد نيرانجانا اعتماداً كبيراً على الكتابات الأخيرة لـ «بنيامين» كدراسته التي عنوانها: «أطروحات في فلسفة التاريخ» (Theses on the Philosophy of History) (1940). وحين يتحدث بنيامين ـ على سبيل المثال ـ عن الترجمة بوصفها نموذجاً قائماً بذاته، وعما إذا كانت طبيعة هذا النموذج تسلم نفسها للترجمة، نجد نيرانجانا تصغي إلى عمله الأخير، مرجحة أن مهمة المترجم شبيهة بمهمة المؤرخ، ولا سيما المترجم الذي يصغي إلى الماضي، ويربط علاقاته بالحاضر. وبينما يقيم معظم المنظِّرين جداراً فاصلاً بين الموضوعات اليهودية المتعلقة بالمسيح المخلِّص في بواكير أعمال بنيامين وبين كتاباته الماركسية المتأخرة، نجد نيرانجانا تقارب ما بين الأفكار، وتلفت الانتباه إلى العلائق الرابطة بينها، وهي روابط لها دلالاتها بالنسبة إلى المشروع الذي تتبناه عن ترجمة ما بعد الاستعمار، حيث إعادة الترجمة تتضمن إعادة لكتابة التاريخ.

ومثالاً على ذلك يكتب بنيامين، فيقول: «تلكم هي مهمة المترجم، أن يطلق (Release) من خلال لغته الخاصة سراح تلك اللغة الصافية الخاضعةَ لنفوذ الآخر، وأن يحرر (Liberate) اللغة السجينة في العمل عند قيامه بإعادة خلق العمل (Re-creation). وفي سبيل الوصول إلى هذه اللغة الصافية عليه أن يخترق (Breaks Through) الحدود المتصدعة للغته هو»[79]. وبدلاً من أن تتوقف نيرانجانا بالنظر عند مفهوم بنيامين عن اللغة الصافية، نجدها تركز

(79) Benjamin, *Illuminations*, p. 80.

على مصطلحات مثل: «Release»، «Liberate»، «Breaks»؛ وهي مصطلحات يتضمنها عمل بنيامين، ترى هي فيها جميعها أنها مصطلحات مادية تاريخية. وتذكّرها طريقة بنيامين باستخدام دريدا وسائل متنوعة لزرع الاعتراضات في سياق نصه، والسماح لمصادر اشتقاقية تأثيلية أخرى بأن تطفو على السطح. وتسلط نيرانجانا الضوء على إحالة بنيامين إلى أسلوب الترجمة لدى رودلف بانفيتس (Rudolf Pannwitz) الذي شجع على السماح بأن تتأثر اللغة المستهدَفة باللغات الأجنبية، وعلى إيثار التغاير بقيمةٍ تَفْضُل التجانس، وإيثار تلوث الترجمة بقيمة تَفْضُل صفاء الأصل. إن نيرانجانا ترى أن بنيامين إنما يدعو إلى ضرب من الترجمة يقوم سياسياً بدور الوساطة.

إن نيرانجانا ترى أن الترجمة في سياق ما بعد الاستعمار تدعو إلى نوع من «الاستشهاد» بالماضي (Citation) (ومن ثم كان اللعب على عنوان الكتاب «Siting»)، و«إعادة التذكر» (Aremembering)، أو هو - بعبارة هومي بهابها (Homi Bhabha) في تقديمه كتاب فرانز فانون: **جلد أسود وأقنعة بيضاء** (*Black Skin, White Masks*) - إعادة تشكيلٍ للعضوية (Re-Membering)، أي تجميع أوصال الماضي لإدراك مغزى الصدع في الحاضر[80].

إن ذلك لا يعني أن الماضي لا يمكن بحال أن يصنع كُلاّ، فالجرة الفخارية التي نستدعيها مما سبق ذكره تكمن في الشظايا المتكسرة. غير أن المترجِم يمكن أن يجد بين هذه الشظايا المتكسرة

(80) Homi K. Bhabha, «Foreword,» in: Frantz Fanon, *Black Skin, White Masks*, Translated by Charles Lam Markmann (New York: Grove Press, [1967]), p. xxiii.

الروابط والتواطؤات والتناقضات التي يعيد منها تأمل الكيفية التي أعيد بها بناء الماضي، ويشرع في تخيُّل البدائل؛ تقول نيرانجانا «إن استخدام مذهب ما بعد الحداثة في عالم خال من الاستعمار ـ على الرغم من كونه مفعماً بألوان القلق والرغبة في التمثيل ـ يُبْرِز إلى دائرة الوضوح مناطق التناقض والاختلاف والمقاومة»[81].

هناك كثير من أوجه التوافق بين نظرية نيرانجانا في الترجمة ونظريتي توري وفينوتي كليهما. إنها مِثْلُ توري، إذ تذهب إلى نزوع الترجمة في الغرب لما هو معياري (Normative)؛ أي للكشف عن حلول مقبولة يمكن للقارئ الغربي أن يتفهمها. وهي كذلك توافق فينوتي، إذ تناصر استراتيجية «التغريب» ('Foreignizing' Strategy)، وهي الاستراتيجية التي تقاوم العُرْف، وتنفتح على استيراد الاختلاف. غير أن استراتيجياتها أكثر تأثراً بالتقويضية منها بنظرية فينوتي، من حيث كونها ليست مجرد تغريب (To Estrange)، ولكنها ـ بالأحرى ـ التحدي من خلال التغريب، والإضافة إلى التفسيرات التقليدية بتقديم نماذج جديدة من إعادة التأمل، لا في الترجمة بل في التاريخ، والتطور الثقافي، وتشكيل الهوية أيضاً. وترى نيرانجانا أن القضية ليست قضية اختيار بين تمثيل مُبين أو تمثيل غريب، ولكنها قضية مساءلة لمجمل إشكالية التمثيل نفسها. كيف للمرء أن يمثل الاختلاف دون أن يَمْنَح الامتياز للمثقف الغربي (المترجم، والإثنيُّ، والناقد)، أو حتى لمثقف مرحلة ما بعد الاستعمار؟ وكيف يمكن للمرء أن يُوسِّع من إمكانات الترجمة أو التمثيل في حين أنه يضعها ـ في الوقت نفسه ـ موضع المساءلة؟ هنا نجد نيرانجانا ترى في

---

(81) Niranjana, *Siting Translation: History, Post-Structuralism, and the Colonial Context*, p. 173.

التقويضية معيناً لها. إن دريدا يلفت الأنظار إلى ما ينبغي علينا عمله قبل أن نعرف «كيف نترجم، وما الذي نترجمه عن طريق «التمثيل». علينا قبل ذلك أن نستنطق مفهوم الترجمة واللغة، وهو المفهوم الذي يهيمن عليه في الغالب مفهوم «التمثيل»[(82)]. إن استراتيجية نيرانجانا للترجمة لا تهدف إلى إحداث صدمة لقارئ الترجمة بتفهم طبيعة الوساطة التي يقوم بها النص، أو الفروق المتضاعفة، أو طبيعة ما هو أصلي، ولكنها تهدف فوق ذلك إلى استخدام الترجمة لإيضاح التصدعات، والطبيعة المركبة التي تميز الأصل، والذي قد تَحَقَّق له التلاحم بواسطة فعالية تاريخية معينة وبواسطة المشروع الاستعماري. ولكي نقوم بتقويض مثل هذا التشكيل الماهوي يغدو الخطاب تمزيقاً للتاريخ بالمفهوم الأخير لدى بنيامين، وتمزيقاً للمفاهيم الفلسفية الميتافيزيقية بمفهوم دريدا.

وقد اختلف الباحثون مع نيرانجانا في الجدال حول الترجمة في ما بعد الاستعمار لأسباب شتى، فيذهب دوغلاس روبنسون (Douglas Robinson) في كتابه: **الترجمة والإمبراطورية**[(83)] (*Translation and Empire*) إلى أن استراتيجيات الترجمة عند نيرانجانا تربك المترجم الممارس، وربما كانت ـ في الحقيقة ـ لا توقع الفوضى بما فيه الكفاية. وهنا يقوم روبنسون بإعادة ترجمة لمقطع من نص هندي جنوبي ينتمي إلى القرن الثاني عشر، كانت قد استشهدت به نيرانجانا، ويقدم صوراً من الترجمة، مستفيداً فيها من

---

(82) Derrida, «Sending: On Representation,» pp. 302-303,
مذكور في: المصدر نفسه، ص 169.

(83) Douglas Robinson, *Translation and Empire: Postcolonial Theories Explained*, Translation Theories Explained; 4 (Manchester, UK: St. Jerome Pub., 1997).

استراتيجيات للتعجيب هي أشد تقحماً من استراتيجيات نيرانـجانا نفسها. أما فينـاي داروادكر (Vinay Dharwadker) فإنه ـ في دراسته التي عنوانها: «نظرية أ. ك. رامانويان وممارسة الترجمة»[84] (A. K. Ramanujan's Theory and Practice of Translation) ـ يأسف لما وجهته نيرانجانا من نقد ظالم للمترجِم المتميز رامانويان، وهو أيضاً من مترجمي هذا النص الهندي الجنوبي نفسه. ويورد داروادكر شاهداً على أن رامانويان قد استخدم نسخة أخرى من النص ـ المصدر غير النسخة التي آثرتها نيرانـجانا؛ مرجِّحاً أن نيرانجانا تلاعبت بالشاهد، وأن رامانويان استخدم استراتيجية في الترجمة مختلفة عن استراتيجية بنيامين، تلك التي انتصرت لها نيرانجانا. ويمثل نقد داروادكر ـ كما يعبر عنه روح المقالة ومحتواها ـ عدداً متزايداً من الباحثين الهنود الذين يعبّرون عن عدم رضاهم عن عمل نيرانجانا. ويبدو أن القضية الأساسية هي مقاومة لنوع جديد من الاستعمار الغربي؛ أي أن الباحثين الذين تلقوا تعليمهم في الغرب يطبقون استراتيجيات تقويضية معقدة على مترجمين من الهند، من غير فهم حقيقي للتقاليد والأشكال في ثقافة المصدر، ولا للاستراتيجيات التي استخدمت لنقل هذه الأشكال والأفكار. ويرجح داروادكر أن نظريات بنيامين قد تكون ذات جدوى بالنسبة إلى النصوص الأوروبية، بينما هي غير ملائمة إلى حد بعيد بالنسبة إلى النصوص الكلاسيكية التاميلية (Tamil) أو الكانـدية (Kannada). ويسوق داروادكر الأدلة في حجاجه على أن التقويضيين يلحّون على العوامل النظرية

---

(84) Vinay Dharwadker, «A. K. Ramanujan's Theory and Practice of Translation,» in: Susan Bassnett and Harish Trivedi, eds., *Post-Colonial Translation: Theory and Practice*, Translation Studies (London; New York: Routledge, 1999).

والأيديولوجية إلى الحد الذي يفضي إلى تضييع العناصر الثقافية والشعرية (Poetic) ذات الأهمية[85].

وأياً ما كان الأمر، فإن نظرية نيرانجانا ـ على الرغم من عيوبها ـ تُظْهِـر بطريقة فعالة كيف أن مجال الدراسات الترجمية هو مجال ذو روابط متواشجة مع مجالات أخرى، مثل التاريخ والفلسفة، كما أن عمل نيرانجانا يزوّد بكثير من التأملات الثاقبة أي نظرية نَسَقية تحاول إظهار الدور الذي تقوم به الترجمة في تطور التاريخ، والنفوذ المتبادل الذي تمارسه النصوص على ثقافتي المصدر والهدف، سواء استهدفت تحقيق هذين الأمرين منفردين أو مجتمعين. لقد كانت مشكلتها الرئيسة، والمشكلة التي لازمت نظرية ما بعد الاستعمار بوجه عام، هي: إذا كانت الصيغ التي بين أيدينا من الترجمة غير دقيقة، بأن كانت تمحو الفروق لكي تُشاكل الصوَر والأفكارَ السائدة في الغرب، فكيف يمكن للمترجم أن ينتج صورة أوفر نصيباً من الدقة؟ وهل تقوم الاستراتيجيات التقويضية بقلقلـةٍ أو سوء تحويل للتداعيات المعيارية بطريقة منتجة أم هدامة؟ ومن ذا الذي يقرر، أو بأي الأدوات يُقَوِّم المرء ترجمة عصر ما بعد الاستعمار؟ وكيف يُكشَف ما تم محوه أو جرى ستره؟ وكيف للمرء أن يتولى إعادة كتابة النصوص دون أن يسقط في المآزق المعرفية نفسها في ما يتصل بالحقيقة، والحضور، والسلطة؛ تلك المآزق التي تقيد ما هو حاضر بين أيدينا من صيغ الترجمة؟

لعل من قدّم الإسهام الأكبر في الكشف عن طريق للخروج من هذه المآزق المعرفية هي غاياتري سبيفاك، مترجمة كتاب دريدا: **في علم الكتابة**، وكثير من القصص القصيرة للكاتب القَبَلي البنغالي

---

(85) المصدر نفسه، ص 128.

ماهاسويتا ديفي (Mahasweta Devi) التي نشرت تحت عنوان: **خرائط متخيلة**[86] (*Imaginary Maps*). إن سبيفاك ـ مع معظم نقاد ما بعد الاستعمار ـ على وعي بأن الذات ـ ذات ما بعد الاستعمار ـ تعيش بالفعل داخل الترجمة؛ أي أن التاريخ، والسياسة، والفن، والأدب في الثقافات الفطرية قد شوهتها إلى حد بعيد لغة السلطة المستعمِرة ومؤسساتها، حتى انطوت هوياتهم الخاصة في تاريخ آخر. وتذهب سبيفاك في حجاجها إلى أن البحث والترجمة في مجال ما بعد الاستعمار يمكن أن يتوحدا ليبطلا مفعول ما تسميه «التعمية التاريخية الجماعية»[87] (Massive Historical Metalepsis) ويُعيدا تحديد موقع الذات الاستعمارية بإظهار تأثير الخطاب الغربي على فهمهم لأنفسهم. ويُعَوِّل مثل هذا المشروع كثيراً على استخدام التقويضية، مستخدماً مفهوم فوكو عن الذاكرة المضادة (Counter-Memory)، ومفهوم دريدا عن التقويضية الإيجابية (Affirmative Deconstruction).

ويواصل عمل سبيفاك إثارة الأسئلة حول تعيين من له مصلحة في البحث والدراسة حول ما يسمى بـ «العالم الثالث». إنها ـ على سبيل المثال ـ تتساءل في مقال لها بعنوان: «هل للتابع أن يتكلم؟»[88] (Can the Subaltern Speak?) عما إذا من الممكن أو من

---

(86) Mahasweta Devi, *Imaginary Maps: Three Stories*, Translated and Introduced by Gayatri Chakravorty Spivak (New York; London: Routledge, 1995).

(87) Gayatri Chakravorty Spivak, *Outside in the Teaching Machine* (New York: Routledge, 1993), p. 286.

(88) Gayatri Chakravorty Spivak, «Can the Subaltern Speak?,» in: Cary Nelson and Lawrence Grossberg, eds., *Marxism and the Interpretation of Culture* (Urbana: University of Illinois Press, 1988).

غير الممكن أن يعبّر الأتباع عن أنفسهم في ضوء عمليات التشكيل الاستعماري التي يخضعون لها، ولا سيما في ضوء ما يرويه أجيال من المثقفين على لسان الأقليات، كما لو كان أولئك المثقفون وسيلة شفافة. ليس ثمة مكان يتجلى فيه هذا الأمر بأوضح مما يتجلى في الترجمة: إن صورة الفلاح الهندي (وكذلك من ينتمي إلى قبيلة أفريقية، والمواطن الأمريكي الأصيل، ومن على شاكلتهم) يعاد إنتاجها بدورها ـ على الهيئة التي تظهر بها خصائصها عبر الترجمة ـ خلال الثقافة الهندية، وتمارس نفوذها على تشكيل الهوية في تلك البلاد. وفي مقالتها تفحص سبيفاك المهمشين في المجتمع من الفلاحين الأميين، وأبناء القبائل والمستويات الدنيا من صغار الطبقة العاملة، والمنبوذين. وتناقش ما توصلت إليه جماعة دراسات التبعية (Subaltern Studies Group) التي كان على رأسها راناغيت غوها (Ranagit Guha) في الثمانينات [من القرن الماضي] في الهند، ودراسة هذه المجموعة عن «الوعي التابع»[89] (Subaltern Consciousness). والإجابة التي قدمتها سبيفاك ـ وإن لم تكن مشجعة كل التشجيع ـ هي أن الباحث/المترجم الغربي يمكن ـ إلى حدٍّ ما ـ أن يلج إلى حالة التبعية، ولكن ذلك لا يتحقق من خلال ما نطق به لسان الجماعة التابعة على وجه التحديد، أو ما قيل على لسان المثقفين/المترجمين الذين يمثلونهم، بل من قراءة ما لا يقال؛ تعني قراءة الفجوات، ومواطن الصمت والتناقضات قراءةً تهتم بتشخيص أعراض الظواهر. ومن الواضح أن مشروع سبيفاك متأثر تأثراً ظاهراً

(89) المصدر نفسه، ص 284، و Ranajit Guha: *Elementary Aspects of Peasant Insurgency in Colonial India* (Delhi: Oxford, 1983), and *Elementary Aspects of Peasant Insurgency in Colonial India*, Foreword by James Scott (Durham: Duke University Press, 1999).

باشتغال فوكو على الذاكرة ـ المضادة، وباستخدام التقويضية لقراءة المسكوت عنه ومواطن الصمت في نص بعينه، كما أنها تحمل شبهاً من مفهوم فينوتي عن قراءة «المتبقي» (The Remainder)، ويُقصد به ما يتخلف من استعمال اللغة الشفافة أو يتجاوز هذا الاستعمال[90].
إن اشتغال فوكو على الذاكرة ـ المضادة يرجح أن ثمة تاريخاً آخر يوجد مصاحباً لصيغ غربية، كما لصيغ المجموعات السائدة في المجتمع الأصلي نفسه، غير أن الصيغة المستحوذة على جميع المقاصد والأغراض قد طواها الصمت. وتذهب سبيفاك في حجاجها إلى أن التقويضية ذات جدوى في تحليل مثل هذه المواطن من الصمت وقياسها والتغلغل فيها. وترى سبيفاك أن من الضروري لكي يعبر الأتباع عن أنفسهم ـ أن يتجردوا مما تعلموه (To Unlearn) حتى يُسمَح للصامت أن يفصح. وهناك أيضاً حافز ماركسي مستكن وراء استراتيجيتها، ذلك أنه ـ خلافاً لتقويضية دريدا التي تعري النصوص، وتفتح الطريق للارتباطات العشوائية والإشارات السيميائية اللامحدودة (Semiosis) ـ نجد تقويضية سبيفاك تتجه نحو الإنتاج الإيجابي. إن المحاولة هي في حدها الأدنى كشف لما هو «حقيقي» أو «جوهري» أو «أصيل»، وهو الأمر الذي دللت على أنه محال، ولكنها تتجاوز ذلك إلى أن تكون توصلاً لفهم «آثار» التشكيل الاستعماري [The Effects] على الوعي التابع في مواقف تاريخية محددة (Specific)، وهي المقاربة التي تطلق عليها «الاستخدام الاستراتيجي للماهوية الإيجابية»[91] (Strategic Use of Positive Essentialism)، وبدلاً من أن تستخدم الترجمة على يد المترجمين للوصول إلى نوعٍ من النص

(90) Lawrence Venuti, *The Translator's Invisibility: A History of Translation*, Translation Studies (London; New York: Routledge, 1995), p. 216.

(91) Spivak, *Outside in the Teaching Machine*, p. 286.

«الأصيل» للذات، ينبغي على المترجمين أن يستهدفوا الدخول إلى عالم الذات المتنامية في مواقف معينة. وإذا كانت هذه الذات هي «الذات التابعة»، فإن موقع هذه الذات يكون بالفعل على الدوام طي سجل نصي متورط في شبكة من الشفرات الاستطرادية واللغوية المنتمية إلى المستعمر.

والترجمة التي قامت بها سبيفاك لثلاث قصص قصيرة من تأليف ماهاسوتيا ديفي ـ والتي جمعت تحت عنوان: **خرائط متخيلة** ـ تفصح عن نظريتها في الترجمة، كما تربط الترجمة بعملها في مجال نظريتي النسوية، وما بعد الاستعمار. وتستخدم سبيفاك معرفتها بالثقافة الهندية والبنغالية لتساعد القراء في الغرب على «التخيل» (ومن ثم كان العنوان) ـ لا تخيل لـ «آخر» مجردٍ سليم من الوجهة السياسية، بل تخيل لاختلاف ثقافي حقيقي متمثل فيّ أشكاله المحددة. وترفض سبيفاك أن تُروّج لأية بنية تنتمي إلى القصّ الذي يحيل إلى ذاته (Meta-fictional) مما يعالج الحياة الهندية الفطرية؛ فهي تقوم بذلك عن طريق تزويد القارئ ـ بالإضافة إلى القصص المترجمة ـ بمعلومات سياقية في صورة تقديم بقلم المترجِم (Translator's Preface)، ومقابلة مع المؤلف، وتعليق ختامي. ولا تقتصر المقابلة على إتاحة فرصة الكلام للمؤلف، ولكنها أيضاً تحدد موقع المترجِم بوصفه شريكاً متورطاً في الوساطة لتحقيق المتابعة. وتحديدُ موقع المرء بأنه مترجِم ـ وبوصفه ذاتاً وسيطة ـ هو أمر بالغ الأهمية في ترجمة ما بعد الاستعمار، وهذا ما سبق أن لاحظته نيرانجانا في ما يتعلق بالاستراتيجيات الإثنية الجديدة. وهذه التقنية التي تبنتها سبيفاك ـ بوضع المادة التمهيدية، والخلفية التاريخية؛ أي المواد الملحقة، بحسب مفهوم دريدا، إلى جانب النص المترجم ـ هي تقنية ذات أهمية متزايدة يستخدمها المترجمون المنتمون إلى مرحلة ما بعد الاستعمار.

وتواصل هذه الترجمات نفسها الاستراتيجيات التي تحددت خطوطها في التقديم، في ما يتعلق بقصص ديفي عن الأوضاع القبَليّة، ولَفْتِ الانتباه إلى نساء بأعيانهن، لهن مشكلاتهن المتميزة. وليس في ترجمات سبيفاك تغريب للشخصيات؛ فالعمل واللعب، والغني والفقير، والحب والجنس، والبنى الأسرية، والطقوس القديمة، والمقاومة ؛ كل ذلك جرى تصويره بوصفه جزءاً من حياتهم اليومية. وهكذا تسهم خصوصية استراتيجية الترجمة التي تتبناها سبيفاك في الإبانة عن رؤيتها السياسية، مبينة كيف أن الدراسات الترجمية يمكنها أن تسهم ـ بل إنها تسهم بالفعل ـ في الحوار النظري الدائر حول مجالات أخرى؛ كالنظرية النسوية، والدراسات الإثنية، والدراسات الثقافية. ومن الأمثلة على ذلك، أن سبيفاك ـ في مقالة مبكرة لها بعنوان: «سياسات الترجمة» (The Politics of Translation) كانت تدين الترجمة النسوية في الغرب، والتحليل النسوي للكتابة عند نساء «العالم الثالث». وتزعم سبيفاك أن جميع ما يكتبه العالم الثالث ـ بالنسبة إلى أنصار الاتجاه النسوي في الغرب ـ يبدو من نمط واحد. إن الكاتبات اللواتي من الهند هن في نهاية المطاف يبدون شبيهات بالكتّاب من الرجال في تايبيه. وهي تدلل في حجاجها على أن توافر الالتزام السياسي التقدمي ليس كافياً، إذ من الواجب أيضاً الانتباه إلى الأشكال، واللغة، والسياقات المخصوصة للنصوص.

هكذا تصبح الترجمة مكوِّناً من المكونات المفتاحية الأساسية في نظرية سبيفاك، إذ هي تضفي على مشروعها الخصوصية المفتقدة في كثير من المناقشات الغربية لنصوص ما بعد الاستعمار. إن المطالب التي تلقى على كاهل المترجم بوصفه وسيطاً ـ تبعاً لذلك ـ ثقيلة الوطأة. وعلى المترجم أن يكون حسن الاطلاع على «تاريخ

اللغة، وعلى تاريخ المرحلة التي يعيشها المؤلف، وتاريخ اللغة موضوع الترجمة»[92]. وتطلب سبيفاك إلى المترجم أيضاً أن يعمد إلى التّدرج عند الكلام على «الأمور ذات الصلة الحميمة باللغة في النص الأصيل»[93]. وليست هذه المتطلبات جديدة على الباحث في الدراسات الترجمية؛ ففي عام 1975 ـ على سبيل المثال ـ ساق أندريه لوفيفر الأدلة في كتاب عنوانه: **ترجمة الشعر: استراتيجيات سبع وخطة عمل**، ليبرهن على أن المترجم ليس عليه أن يكون طلق اللسان في اللغة فحسب، بل عليه أن يدرك الزمان والمكان والتراث في النص ـ المصدر، ناقلاً كل العناصر إلى الثقافة المستهدَفة؛ لغة، وزماناً، ومكاناً، وتراثاً[94]. إن كثيراً من البرامج الصارمة في مجال التدريب الترجمي لها متطلبات كتلك المتطلبات، غير أن الباحثين في مجال الدراسات الثقافية ـ ممن لا شغف لهم بالدراسات الترجمية، والذين يفتقد كثير منهم طلاقة المعرفة باللغات الأجنبية ـ تبدو لهم هذه الأفكار إما جديدة، وإما تكليفاً بما هو فوق الحاجة.

وبينما تستخدم سبيفاك استراتيجيات «التغريب» (Foreignizing) في الترجمة، وهي استراتيجيات شديدة الشبه باستراتيجيات فينوني من حيث السياسة والمناهج، تظل سبيفاك أبعد من أن تتردد في استخلاص النتائج من منظور السياسة التي اعتمدتها في ترجماتها. فهي تذهب ـ بالأحرى ـ إلى أن ترجماتها هي خطوة أولى إلى ما

---

(92) Spivak, *Outside in the Teaching Machine*, p. 186.

(93) المصدر نفسه، ص 187.

(94) انظر: الفصل الرابع من هذا الكتاب، و André Lefevere, *Translating Poetry: Seven Strategies and a Blueprint*, (Approaches to Translation Studies; no. 3 (Assen: Van Gorcum, 1975), pp. 99 ff.

تسميه العدول العقلي اليقظ[95] (Attentive Mind-Changing)؛ وتَصْلُحُ ماري بطلة قصتها «The Hunt» مثلاً لذلك، فهي لا تمثل المجموع، ولكنها تمثل فرداً مفرداً في موقف بعينه، وهي تختار طقساً من الطقوس لتقدم مقاومتها على طريقتها الخاصة. وتذهب سبيفاك إلى أن مهمة المترجم لا تكمن في إعادة الوصف، ومن ثم إعادة تدوين علاقات السلطة مرة أخرى، ولكن على النقيض من ذلك، ينبغي عليه أن يقيس الفروق الثقافية في المواقف الثقافية التاريخية المعينة. وهي تستخدم استراتيجيات ما بعد الاستعمار لكي تقيس ـ بصورة انتقائية ـ هذه الفروق، وتقدمها (غالباً بالقياس إلى ما ليس مُمَثَّلاً في النص، وكذلك بالقياس إلى ما هو ممثل فيه أيضاً)، وتقيس آثار التشكيل الاستعماري على الذات خلال التاريخ. وهي تؤثر اللغة غير الحَرْفية، والمتسِّمة بالصرامة والخشونة[96]، مدمجة فيها وسائل مخالفة المألوف (Defamiliarization) البريختية. مثال ذلك أن سبيفاك تختار عنواناً لإحدى القصص «The Breast-Giver» بدلاً من التعبير المألوف «Wet-Nurse» (المرضعة) المستخدم عند المترجمين السابقين، وهي استراتيجية تلقاها ديفي بالقبول. أضف إلى ذلك أن سبيفاك تؤثر استخدام إنجليزية أمريكا الشمالية على الإنجليزية البريطانية في ترجماتها، ما يقصي الإنجليزية البريطانية، التي هي لسان القارئ الهندي المثقف، كما أن مثل هذا الاستخدام يعترض التدفق السّلس للإنجليزية.

ولقد كانت اختياراتها موضع انتقاد؛ لما تمثله من تحدٍّ

(95) Devi, *Imaginary Maps: Three Stories*, pp. 197 ff.

(96) قارن: Sherry Simon, *Gender in Translation: Cultural Identity and the Politics of Transmission*, Translation Studies (London; New York: Routledge, 1996), p. 146.

للأعراف، وأيضاً لما تتضمنه من الأمثلة التي أضافت مغزى مغرضاً، ربما كانت نسبته إلى سبيفاك خاصة أولى من نسبته إلى ديفي[97]. وبينما الأمر كذلك، نجد كثيراً من عمل سبيفاك في مجال الترجمة هو في الواقع أقل تعسفاً بالنسبة إلى ثقافتي المصدر والهدف من صيغ الترجمة التي أضافت عبارات غربية، شبه أدبية، ودخيلة وملطفة. وتستخدم سبيفاك وسائل تقليدية في الترجمة لتقوم بعملها من الداخل، حتى تفتح طرقاً جديدة للتفكير في ما يتعلق بالترجمة، ونساء القبائل في الهند؛ فاختيار القصص، والطرق المقدمة في رسم الشخصيات، والوسائل الأدبية المتضَمَّنةَ؛ كل ذلك يشتمل على مَشَابه بنيوية بالوسائل الغربية، ولكنها مع ذلك مختلفة. وأفعال الشخصيات ـ وإن كان لها مشابه بالسلوك الغربي ـ لا يمكن أن تدخل تحت هذا التصنيف في يسر. والأسلوب منطلق وغير منطلق في آن، وهو يبرز السمات، ويعيد إبرازها كلما تقدم في مساره. إن سبيفاك ـ بوصفها مترجمة ـ هي متوارية، وحاضرة دائماً في آن. أما الفروق، فهي كافية بما يتيح للنص أن يتخلص من مِلْكيته الصياغية، وتقوم الوسائل التقويضية بالوقوف في وجه الاستهلاك السهل، كما تظهر باستمرار الطبيعة التوسطية للاتصال، وكذلك البرنامج السياسي لـ «سبيفاك» أيضاً.

وهكذا تنجز سبيفاك ـ من حيث النظرية ـ نوعاً من الكتابة المزدوجة في ترجمتها، فهي تنقد التفكير الغربي الإنسي الميتافيزيقي، وتخلق في الآن نفسه مساحات لتخيل الفروق الثقافية الحقيقية الفاعلة. وهي أيضاً تكشف القناع عن الظروف المتصفة بتعدد

---

(97) Sujit Mukherjee, in: *Book Review* (New Delhi), vol. 15, no. 3 (May-June 1991), pp. 30-31.

القوى والتعدد الثقافي، تلك التي تحدد خصائص الثقافة «الأصيلة». كذلك هي على وعي بما لترجماتها من تأثير على ثقافة المصدر، فعلى أثر ترجمات سبيفاك تحول ديفي من كونه كاتباً على هامش المجتمع الأدبي إلى كاتب قومي ذائع الصيت، وإلى شخصية عالمية أيضاً. إن العمل الذي قامت به سبيفاك في مجال الترجمة ـ وكذلك في مجال النظرية ـ قصد به أن يحقق التغلغل والتحول. وهكذا تكون ترجماتُها لأعمال ديفي مكملة للعمل الذي قامت به على عمل «دريدا»، وهو العمل الذي ربما ترى فيه أنه غير كاف لمواجهة مواقف سياسية معينة، كالمواقف الخاصة بالقبلية الهندية، كما أن كتاباتها عن دريدا مكملة لعملها في الترجمة، إذ تثير الأسئلة حول التمثيل، والمعنى، والقابلية للترجمة في الثقافات والنصوص «الأصيلة». وقد استهدف العمل في كلا المجالين إمداد الباحثين بفاتحة تهدي إلى طرق جديدة من الفهم والاستجابة.

أما موضوع الفصل الأخير، فسيعالج إمكانية ظهور فهم مختلف للأصل والنص المترجم في عالم ما بعد التقويضية. والذي أراه ـ خلافاً للباحثين في الدراسات الترجمية الذين حاولوا إقصاء التقويضية ـ هو أن إدخالها إلى الطرز النظرية للترجمة في أمريكا اللاتينية والثقافات النامية الأخرى، جدير بأن يوليه الباحثون في الدراسات الترجمية الانتباه الجاد. كذلك أرى ـ خلافاً للباحثين الذين اهتموا اهتماماً حقيقياً بأفكار التقويضية مثل فان دن برويك ـ أن الدراسات الترجمية لا تبذل محاولة لإدخال نظريات الترجمة المتعلقة بما بعد البنيوية تحت نوع من أنواع النظريات ذات التوجه إلى الهدف. ولديّ ـ على العكس من ذلك ـ ما أجادل به لأثبت أن الدراسات الترجمية هي معدّة بالفعل لتبدأ دراسة الكتابة عن «فضاءات» الاختلاف والإخلاف؛ أي عن «الاخـ(ت)ـلاف»: في

حالة ممارسته الفعل، وأن النظرية في حاجة إلى اللحاق بالإمكانيات التي تتيحها المنهجية. ويبدو أن بعض الباحثين في الدراسات الترجمية على وشك القيام بهذه الحركة، وأن الأصداء النظرية لذلك ربما تكون بعيدة الأثر.

# الفصل السابع

## مستقبل الدراسات الترجمية

إذا كانت الستينات ـ بحسب ما يسوقه تيد هيوز من أدلة ـ هي الحقبة التي شهدت ازدهاراً في الترجمة الأدبية، فإن التسعينات يمكن أن تُشخَّص على أنها الحقبة التي شهدت ازدهاراً في نظرية الترجمة. وقد تتبع هذا الكتاب خمساً من أنواع المقاربات: هي ورشة الترجمة في أمريكا الشمالية، وعلم الترجمة، وبواكير الدراسات الترجمية، ونظرية النسق المتعدد، والتقويضية، وتلكم هي المقاربات التي يمكن أن تعدّ الرائدة في هذا المجال. ويمكن اليوم الاستدلال لصدق القول بأن ثمة طائفة متنوعة من الأحداث الاجتماعية ـ السياسية التي تجري على الساحة العالمية قد جعلت الظروف مهيأة لحدوث «مُنْعطَف ترجمي» (Translation Turn) في مجالات عدة، وفي آن واحد. وتشمل هذه المجالات: اللسانيات، والأنثروبولوجيا، وعلم النفس، والدراسات التي تعالج قضايا المرأة، والدراسات الثقافية، ودراسات ما بعد الاستعمار. يضاف إلى ما تقدم، أن الترجمة في الحقبة الأخيرة قد تمتعت بنهضة في أرجاء كثيرة من العالم غير تلك التي تضمنتها الفصول السابقة من

الكتاب، كما هي الحال في إسبانيا، وإيطاليا، وكندا، والبرازيل، والصين، وبخاصة لدى الأمم التي تم فتح حدودها، ويشمل ذلك أقطار وسط أوروبا، وأوروبا الشرقية. وفي هذا العصر ـ عصر العولمة ـ نجد أن «اللغات التي هي أقل شهرة» خاصة تواجه التهديد، وأن الترجمة ودراسة الترجمة كلتاهما تغدو ذات أهمية متزايدة، كما تواصل الدراسات الجديدة عن الترجمة في بعض الأقطار الصغرى، وفي أمم جديدة، دورها في إحياء النظرية. والذي أذهب إليه هو أننا لا نقوم إلا بإحداث خدوش على السطح، وأن السنوات القادمة ستشهد ظهور مزيد من الدراسات، تنطلق من طائفة متنوعة من الآفاق والثقافات واللغات.

وبينما كانت المقاربات المتنوعة التي شملها هذا الكتاب تتطور في الستينات والسبعينات والثمانينات [من القرن العشرين] ـ لم يكن هناك يجري إلا القليل من الحوار بين ممثلي المعسكرات النظرية المختلفة. لقد عمل الباحثون بصورة أساسية كل على انفراد، وهددت عناصر التجديد (Newness) في النظريات كل على حدة الطرز النظرية للبحوث الموجودة على الساحة. كما أن مظاهر التصدع بين البحوث اللسانية والأدبية هي من الأمور المشهورة، وهو ما ينطبق أيضاً على الفجوات القائمة بين التقويضية وأي مقاربة علمية. وهاكم مثلاً لذلك جيمس هولمز الذي دَرّس في هولندا، وكانت ولادته في أيوا؛ فلقد عاد مراراً إلى موطنه، وربما قام بزيارة لبرنامج الكتابة الدولي في جامعة أيوا. وفي عام 1975 قدم ورقة علمية عنوانها: «وصف الترجمات الأدبية: نماذج ومناهج» (Describing Literary Translations: Models and Methods)، وقد حظيت الورقة بحضور مشهود، وإن لم تُفهم على حقيقتها، ذلك لأن الخطاب والمناهج التي كان يستخدمها هولمز آنذاك في وصف الترجمات اختلفت

اختلافاً كبيراً عن اللغة والمقاربات المستخدمة في أيوا. أما دريدا فقد ألقى محاضراته في أرجاء واسعة من العالم، تشمل كندا وأمريكا اللاتينية والولايات المتحدة، وكان الموضوع الرئيس غالباً هو الترجمة، غير أن أفكاره كانت شديدة التهديد للمجالات المعرفية الناشئة والتي تَدْرُس الترجمة، وجميعها يعتمد ـ في الحد الأدنى ـ على إمكانية الترجمة، وعلى وجود حدود معينة قابلة للتعريف بين اللغات، حتى إن عمله قوبل بقدر كبير من التجاهل.

ولقد بَدأتْ بالفعل ـ على أي حال ـ عملية يُعقَد عليها الأمل، تستهدف إغلاق باب الانقسامات الداخلية، والدعوة إلى مزيد من الحوار بين المعسكرات المختلفة. أصبح الباحثون في الولايات المتحدة متقبلين بصورة مطردة للتفكير في طرز نظرية جديدة، وقام دانيال فيسبورت بضمِّ رومي هايلين (Romy Heylen) إلى هيئة تحرير مجلة: **الشعر الحديث في الترجمة** (*Modern Poetry in Translation*) (وقد سميت في ما بعد **عالم الشعر** (*Poetry World*))، علماً بأنها مجلة مخصصة تقليدياً لنشر الترجمات الأدبية ومعالجة مشكلات الترجمة، كما أن هايلين هي مؤلفة كتاب **الترجمات، الشعرية، والمسرح: ستة نماذج من هاملت الفرنسي**[1] (*Translation, Poetics, and the Stage: Six French Hamlets*)، وهي الباحثة التي تأثرت تأثراً كبيراً بالدراسات الترجمية في الأراضي المنخفضة، وكانت هذه الخطوة من فيسبورت وسيلة إلى إدخال أحد المكونات النظرية إلى المجلة. وتحول رينير شولت (Rainer Schulte) محرر مجلة: **مراجعة ترجمية** (*Translation Review*) إلى النظرية في أواخر الثمانينات

(1) Romy Heylen, *Translation, Poetics, and the Stage: Six French Hamlets*, Translation Studies (London; New York: Routledge, 1993).

وأوائل التسعينات، علماً بأن المجلة مخصصة لنشر الترجمات الأدبية، ومراجعات الترجمة. وقد قام شولت وجون بيغوينيه (John Biguenet) الآن بتحرير مجموعتين مهمتين: **أولاهما صنعة الترجمة**[2] (*The Craft of Translation*)، تركز على القراءة التأويلية وعمليات الترجمة، وتضم إسهامات يقدمها مترجمو الأدب الممارسون من أمثال غريغوري راباسا (Gregory Rabassa)، وإدموند كيلي، وجون فيلشتينر، وكريستوفر ميدلتون (Christopher Middleton)، أما المجموعة **الثانية** فهي: **نظريات الترجمة: مقالات مختارة من درايدن إلى دريدا**[3] (*Theories of Translation: An Anthology of Essays from Dryden to Derrida*)؛ وهي مجموعة تقدم رؤية عامة لتاريخ نظرية الترجمة، ومتضلعة بخاصة في القرن العشرين، وشملت مقالات لـ «فردريك نيتشه» (Friedrich Nietzsche)، ووالتر بينيامين وعزرا باوند، وفلاديمير نابوكوف، ورومان جاكوبسون، وأوكتافيو باز (Octavio Baz).

وركزت مارلين غاديس روز، مديرة مركز بحوث الترجمة (Center for Research in Translation (CRIT)) في جامعة نيويورك الحكومية في بينغهامتون (State University of New York at Binghamton) على الدراسات الثقافية والترجمة عند تأسيس معهد نظرية الترجمة (Translation Theory Institute). ولقد كان من

---

(2) John Biguenet and Rainer Schulte, eds., *The Craft of Translation*, Chicago Guides to Writing, Editing, and Publishing (Chicago: University of Chicago Press, 1989).

(3) Rainer Schulte and John Biguenet, eds. *Theories of Translation: An Anthology of Essays from Dryden to Derrida* (Chicago: University of Chicago Press, 1985; 1992).

الزوار الأوائل لـ «بينغهامتون» اثنان هما: أندريه لوفيفر ولورنس فينوتي. وجرى تجميع نتائج البحوث في الجامعة المذكورة (-SUNY Binghamton) في عدة مجلدات من سلسلة **منظورات ترجمية** (*Translation Perspectives*)، وهي سلسلة تغيرت عناوينها من مِثْل **الهيرمينيوطيقا والحركة الشعرية**[(4)] (*Hermeneutics and the Poetic Motion*) إلى عناوين أخرى من أمثال **ترجمة أمريكا اللاتينية**[(5)] (*Translating Latin America*) و**الترجمة: الدين والأيدليوجية والسياسة**[(6)] (*Translation: Religion, Idealogy, Politics*)، ثم في حقبة أحدث إلى **ما بعد التقاليد الغربية**[(7)] (*Beyond the Western Tradition*). وقد أسهمت روز في المناقشات الدائرة حول نظرية الترجمة في ما بعد الاستعمار بمقالاتها، ومن ذلك مقالها: «علاقة المبحث المعرفي عند ليوتارد بالترجمة» (Relation of Lyotard's Epistemology to Translation) (1990)، ودراستها: «أنغويس،

---

(4) *Translation Perspectives:* Hermeneutics and the Poetic Motion, Edited by Dennis J. Schmidt (Binghamton, NY: National Resource Center for Translation and Interpretation; SUNY-Binghamton Translation Research and Instruction Program, 1990).

(5) *Translation Perspectives*: *Translating Latin America: Culture as Text*, Edited by William Luis and Julio Rodriguez-Luis (Binghamton, NY: National Resource Center for Translation and Interpretation; SUNY-Binghamton Translation Research and Instruction Program, 1991).

(6) Todd Burrell, Sean K. Kelly, and Marilyn Gaddis Rose, eds., *Translation: Religion, Ideology, Politics* (Binghamton, NY: State University of New York, 1995).

(7) *Translation Perspectives: Beyond the Western Tradition*, Edited by Marilyn Gaddis Rose (Binghamton, NY: National Resource Center for Translation and Interpretation; SUNY-Binghamton Translation Research and Instruction Program, 2000).

جويسونس وفولوبيتيه: أتباع نيفين ونظرية الترجمة»[8] ,Angoisse
.Jouissance*e*, and Volupté: Levinas and Translation Theory)

لقد امتد الجهد التنظيري حتى شمل وضع المترجم اللامنتمي نظرياً (Atheoretical)، وكان ذلك على يد باحثين من أمثال دوغلاس روبنسون (Douglas Robinson)، وهو باحث يذهب في دراسته التي عنوانها: **منعطف ترجمي**[9] (*The Translator's Turn*) إلى أن مترجم الأدب يجسد التكامل بين المشاعر والفكر، وبين الحدس والتنظيم المنهجي. وفي تحليل روبنسون لهذا الدور، حيث يقوم المترجم بالأخذ من النص ـ المصدر إلى النص المستهَدف، نراه يقدم طرازاً «حوارياً» (Dialogical)، وهو طراز يحلل الارتباط الحواري بلغة المصدر/ النص الأصيل: وبالقيم الأخلاقية للغة المستهدَفة/ المستقبِل. إن روبنسون يبيح للمترجم التدخل والتشويه وإفساح المجال، بغية إبراز الجانب الإبداعي في الترجمة الأدبية. ولقد نال اللسانيون، وعلماء الترجمة، والفلاسفة، فرصتهم في معالجة نظرية الترجمة، وهو يذهب في حجاجه إلى أنه قد حان الوقت الآن لمترجمي الأدب كي ينالوا فرصتهم للقيام بـ «الدور». وقد واصل ربنسون التأليف لكتب كثيرة؛ متوسِّعاً في طرازه الحواري في كتاب: **الترجمة والمحرّم**[10] (*Translation and Taboo*)، ومُنازلاً للمنظرين

---

(8) Marilyn Gaddis Rose, «*Angoisse*, *Jouissance*, and *Volupté*: Levinas and Translation Theory,» Paper Presented at: *Connections: Proceedings of the 36th Annual Conference of the American Translators Association*, Edited by Peter W. Krawutschke (Medford, NJ: Information Today, 1995).

(9) Douglas Robinson, *The Translator's Turn*, Parallax: Re-Visions of Culture and Society (Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1991).

(10) Douglas Robinson, *Translation and Taboo* (DeKalb, Ill.: Northern Illinois University Press, 1996).

المعاصرين في كتابه: **ما الترجمة: المركزية الطاردة والتدخلات النقدية**[11] (*What is Translation: Centrifugal Theories, Critical Interventions*)، ومراجعاً لتاريخ نظرية الترجمة في كتاب: **نظرية الترجمة الغربية: منذ هيرودوتس إلى نيتشه**[12] (*Western Translation Theory: From Herodotus to Nietzsche*)، وملخصاً لنظريات ما بعد الاستعمار في كتاب: **الترجمة والأمبراطورية: شرح نظريات ما بعد الاستعمار**[13] (*Translation and Empire: Postcolonial Theories Explained*)، على حين أنه لم يصرف نظره عن الكيفية التي يمكن بها لظواهر التقدم في النظرية أن تقدم المساعدة للمترجم الممارس، وذلك ما تحقق له في كتاب: **كيف تصبح مترجماً**[14] (*Becoming a Translator*). وبينما يواجه منظرو الترجمة صعوبة أحياناً في تصنيف عمل روبنسون، نجد أسئلته المستفزة تستحث المنظرين، ومراجعته المتواصلة للنظرية، مقابلاً إياها بالممارسة قد كفلت له الرواج بين المترجمين الممارسين في مؤسسات مثل جمعية المترجمين الأمريكيين ((American Translation Association (ATA)).

أخذت بحوث روبنسون وغيره من المترجمين الممارسين تجد

---

(11) Douglas Robinson, *What is Translation?: Centrifugal Theories, Critical Interventions*, Translation Studies; 4 (Kent, Ohio: Kent State University Press, 1997).

(12) Douglas Robinson, ed., *Western Translation Theory: From Herodotus to Nietzsche* (Manchester, UK: St. Jerome Pub., 1997).

(13) Douglas Robinson, *Translation and Empire: Postcolonial Theories Explained*, Translation Theories Explained; 4 (Manchester, UK: St. Jerome Pub., 1997).

(14) Douglas Robinson, *Becoming a Translator: An Accelerated Course* (London; New York: Routledge, 1997).

لها صدى مسموعاً لدى «علماء» الترجمة. ولعل أكثر الحوارات تحفيزاً بين باحثي الترجمة هو ما يجري بين الذين يؤثرون المقاربات اللسانية، ومن يؤثرون المقاربات الأدبية. وبالإضافة إلى الجديد من التطور في علم تنميط النصوص (Typology Text)، واللسانيات الوظيفية (Functional Linguistics)، على النحو الذي عولجا به في الفصل الثالث من هذا الكتاب، هناك تطورات جديدة في اللسانيات الاجتماعية، والمقاميات (Pragmatics)، واللسانيات النفسية، ونظرية الخطاب كانت كلها موضع النظر الفاحص من منظري الترجمة من أجل التوصل إلى استبصارات جديدة. فعلماء اللسانيات الاجتماعية ـ على سبيل المثال ـ يفحصون باهتمام زائد، قضايا اللهجة وضروب الاستعمال اللغوي (Register)، محللين العلاقة بين اللغة والأدوار الاجتماعية، وتأثير النفوذ والسلطة على الموقف الاتصالي. ومن بين التنوعات التي تجري ملاحظتها: الطبقة الاجتماعية، والأصل الإثني، والجنس (بالمفهوم الاجتماعي) (Gender)، والعمر، والأصل الإقليمي، والمركز المهني، وحسبما يقرر بيتر فاوست (Peter Fawcett) في كتابه: **الترجمة واللغة: شرح نظريات اللسانية** (*Translation and Language: Linguistic Theories Explained*) يشمل الدرس اللساني الاجتماعي جانبين: دراسة النصوص في الترجمة وفي الأفلام أيضاً[15]. أما الباحثون في مجال المقاميات، فإنهم يبنون بحوثهم على نظرية الفعل الكلامي[16] (Speech Act Theory)، وذلك بفحص المعلومة التي يجري

---

(15) Peter D. Fawcett, *Translation and Language Teaching: Language Teaching and Translation*, Edited by Kirsten Malmkjær (Manchester, UK: St. Jerome Pub., [1998]), pp. 119 ff.

(16) John Langshaw Austin, *How to Do Things with Words*, William James Lectures; 1955 (Oxford: Clarendon Press, 1962), and John R. Searle, «Indirect =

توصيلها، وأداء ذلك الاتصال. وتتعلق الأسئلة التي تثار بالثقافات المختلفة، وهل تشتمل جميعها على أفعال كلامية واحدة بالنسبة إلى الدرجات المختلفة (التأدب، السباب، والمراوغة، وإصدار الأحكام)، وإلى أي مدى ينبغي على المترجمين الانحراف عن المعنى الحرفي لكي يقوموا بتوصيل أفعال الإنجاز[17].

وقد اشتق باحثو اللسانيات النفسية مثل إرنست- أوغسط غوت (Ernst-August Gutt) نوعاً من المقاربة يسمى نظرية التعلق (Relevance Theory)، كما تسمى أيضاً نظرية الحد الأدنى (Minimax Theory). وهي نظرية تقوم على مبدأ أن المتكلمين يستخدمون الحد الأدنى من المجهود لتوصيل أكبر قدر من المعلومات. وفي كتابه: **الترجمة والتعلق: التعرف والسياق** (*Translation and Relevance: Cognition and Context*) يَحثُّ غوت المترجمين على استخدام هذا المبدأ عند الترجمة، إذ إنه يتيح للمترجم القيام بإجراء تغييرات في النسق لزيادة درجة التعلق بين الاتصال والجمهور المعنيّ إلى حدودها القصوى[18]. وتتحدى نظرية غوت التعريفات التقليدية للترجمة، ولا سيما ما قام منها على أساس أنها نقل رسالة معادلة نقلاً يتصف بالتساوي أو التكافؤ، مقدماً بذلك تحديداً آخر للتعريفات اللسانية التي تتناول بنية الأصل. أما

---

= Speech Acts,» in: *Syntax and Semantics: Speech Acts*, Edited by Peter Cole and Jerry L. Morgan (New York: Academic Press, 1975).

(17) Searle, Ibid., pp. 76 ff, and Basil Hatim and Ian Mason, *Discourse and the Translator*, Language in Social Life Series (London; New York: Longman, 1990), pp. 61 ff.

(18) Ernst-August Gutt, *Translation and Relevance: Cognition and Context* (Oxford, UK; Cambridge, MA: B. Blackwell, 1991), pp. 99 ff.

الباحثون في نظرية الخطاب[19] فقد كانوا يتفحصون الإطار المؤسسي ـ الاتصالي (Institutional-Communicative) الذي تقع في حيزه الترجمة، ووعْيَ المترجم بالأعراف المتاحة والتي تيسر إنجاز الترجمات المثلى. وفي الأعمال الأخيرة جرى التركيز على الخطاب السياسي، والأكاديمي، والصناعي، وهي أنواع من الخطاب يجري فيها إلقاء ظلال على المعنى بحيث ينسجم مع الأهداف الاجتماعية ـ السياسية في الثقافة المستهدَفة. مثال ذلك تحليل جويس كريك (Joyce Crick) لترجمات أعمال فرويد إلى الإنجليزية[20]، فمترجموها من أمثال جيمس ستراكي (James Strachey) قد اتخذوا بديلاً للمنظور الإنسي طريقة سريرية ـ طبية في الكتابة، تخدم بوصفها أحد الأمثلة. ويعيد هذا الأمر إلى ذاكرة القارئ قراءة لورنس فينوتي التي تقوم على تشخيص الأعراض عند مترجمي فرويد، وهي التي أرسى أسسها في كتابه: **خفاء المترجم**[21]. تلك التحركات التي قام بها الباحثون اللسانيون تجاه الاهتمام بالمناطق الأوسع للأداء والاستقبال هي أمور ذات أهمية متزايدة بالنسبة إلى منظري الترجمة. وقد سبق أن ذكرنا أن ماري سنيل ـ هورنبي لم تعد تعرِّف الترجمة بأنها نشاط يجري بين لغتين، ولكنها تراه تفاعلاً بين ثقافتين. وهي تفهم الثقافة لا على أنها «فنون» وحسب، ولكن تفهمها بمعنى أنثروبولوجي أوسع، من حيث إنها تشير إلى كل المظاهر المحكومة بالظروف

---

(19) Basil Hatim and Ian Mason: Ibid., and *The Translator as Communicator* (London: Routledge, 1997).

(20) Joyce Crick, «Misreading Freud,» *Times Higher Education Supplement* (London) (15 September 1989).

(21) انظر الفصل الثاني من هذا الكتاب، و Lawrence Venuti, *The Translator's Invisibility: A History of Translation*, Translation Studies (London; New York: Routledge, 1995), pp. 25-29.

الاجتماعية في حياة الإنسان[22]؛ وهو أفق من الفهم يوسع من الأبعاد التي هي موضع اهتمام منظري الترجمة عادة، سواء المعيارية منها، أو ما سواها.

وبعد عقد من التركيز الأساسي على الفرع الوصفي من الدراسات الترجمية، ونظرية النسق المتعدد، يبدو أن النظرية ـ أيضاً ـ على طريق العودة. وفي عام 1989 أسس لامبرت وتوري مجلة **الهدف** (*Target*) ليهيئا بها منبراً لمناقشة الأفكار النظرية والمنهجية والوصفية، وقد كانوا يقومون بنشر ما يقوم به منظرو الترجمة من عمل في الأراضي المنخفضة، وألمانيا، والنمسا، وإنجلترا، وفنلندا، وإسرائيل، وكندا، والولايات المتحدة. وبينما ظهر القليل من إنتاج الأقطار النامية في مجلة **الهدف** خلال التسعينات، ـ اتخذ محررا المجلة التدابير اللازمة لإطلاق حوار بين منظري الأنساق (Systems Theorists) والمنظرين الوظيفيين (Functionalists)، أي بين الطرز النظرية ذات التوجه إلى النص المستهدف (Target-Text Models)، وذات التوجه إلى عملية التحويل (Transfer-Text Models). وقد أدى هذا الحوار إلى انهيار الحواجز الداخلية في هذا الحقل. ومن الأمثلة على ذلك أن ماري سنيل ـ هورنبي تناولت باستخفاف مقاربة النسق المتعدد في كتابها: **الدراسات الترجمية: مقاربة تكاملية** (*Translation Studies: An Integrated Approach*)، بأن أطلقت عليها تسمية «مدرسة المناورة» (Manipulation School)، ومتهمة المجموعة بالتصلب الفكري (Dogmatism)، وبأنهم باحثون مشغولون بمنهجهم الوصفي الخاص، وأن نتاجهم هو مجرد تمرينات نخبوية في التاريخ

---

(22) Mary Snell-Hornby, *Translation Studies: An Integrated Approach* (Amsterdam; Philadelphia: J. Benjamins Pub. Co., 1988), p. 39.

الأدبي[23]. غير أنها في الطبعة المنقحة من الكتاب نفسه (عام 1995) أغفلت إيراد الفقرة الجارحة، كما أنها ترحب في ما توصلت إليه من جديد النتائج بالدرس الذي أنتجته المجموعة، مرجحة أن الاحتمالات التي تنبأت بها المجموعة قد تم إنجازها بالفعل.

كذلك تبادل محررا **الهدف** الأفكار مع جماعة من الباحثين ذات إنتاج وافر على الرغم من قصر عمرها، في غوتينغن (Göttingen) في ألمانيا، وهي الجماعة التي تفحصت بشكل أساسي أعمال الترجمة من الأدب الأمريكي إلى اللغة الألمانية، وشاركت في كثير من عقائدها الخاصة بالترجمة الأدبية علماء أمريكا الشمالية ودارسيها. وقام مركز غوتنغن للدرس التعاوني للترجمة الأدبية (Göttingen Center for the Cooperative Study of Literary Translation) الذي أسِّس عام (1985) بنشر سلسلة من المجلدات في **أوراق غوتنغر عن البحث العلمي الدولي للترجمة** (*Gottinger Beiträge zur internationalen Übersetzungsforschung*). وعلى الرغم من أن مقاربة غوتينغن محدودة بالثنائية، وأحادية الاتجاه ـ من أمريكا إلى ألمانيا ـ فإن الباحثين بما أنجزوه من مادة متراكمة، وما نشروه من كشوف، قد زوّدوا الدراسات الترجمية بثروة من المعلومات القيمة لا تزال في حاجة إلى المعالجة والتبويب. بدأت مجموعة غوتينغن ـ من الوجهة النظرية ـ بالتعريفات على الوجه الذي أرساه كتاب ثيو هيرمانز (Theo Hermans) وعنوانه: **التلاعب بالأدب**[24]، ومن ثم شرعت في القيام بثورة على فرضيات معينة، ولا سيما الفرضيات المتعلقة بتفاعل الأنساق والأنساق الفرعية،

(23) المصدر نفسه، ص 25-26.

(24) Theo Hermans, ed., *The Manipulation of Literature: Studies in Literary Translation* (New York: St. Martin's Press, 1985).

والطبيعة التراتبية للنسق المتعدد. وقد توصلت المجموعة الألمانية إلى نظرية في الترجمة ذات توجه هو أقرب إلى التحويل (Transfer-Oriented) منه إلى التوجه إلى المستهدَف[25]، غير أن ذلك لم يحدث دون وقوع تبادل للأفكار مع توري ولامبرت ورفاقهما. وربما عمدت المجموعة الألمانية ـ بانحيازها إلى المقاربة الأدبية في أمريكا الشمالية ـ إلى إفساح مجال أكبر للموهبة الفردية لكل مترجم، وللخيارات الإبداعية المتعلقة بالوسائل الأسلوبية في كثير من الأحيان. وترجح كشوفهم أن تطور النسق الأدبي ربما كان أميل إلى عدم الاطراد بأكثر مما افترضه منظرو النسق المتعدد. وثمة أسئلة معرفية أثارتها دعوى المجموعة الألمانية، هي: أن ترجمة الأدب تعني ترجمة تفسير لعمل أدبي ما، وهو أمر خاضع للتقاليد الأدبية في الثقافة المستهدَفة. وترجمة الأدب في ما تراه المجموعة الألمانية هي جزء من لغة الأدب والتراث الثقافي لقطر ما. وهو يدعو أيضاً، مثل سنيل ـ هورنبي، إلى نظرية متكاملة في الترجمة، نظرية ليست مشتقة أو متصفة بالطابع التأملي، ولكنها نظرية تستمد روح كتاب: **نظرية الأدب** (*Theory of Literature*) لـ «رينيه ويليك» وأوستن وارين[26] (Austin Warren).

وقد أدى الحوار بين الدارسين داخل الدراسات الترجمية إلى مزيد من تبادل الأفكار مع الدارسين من حقول الدراسة الأخرى.

---

(25) Armin Paul Frank, «Systems and Histories in the Study of Literary Translations: A Few Distinctions,» Paper Presented at: *Proceedings of the XIIth Congress of the International Comparative Literature Association, München 1988 = Actes du XIIe Congrès de l'Association internationale de littérature comparée, 1988 Munich*, General Editors Roger Bauer and Douwe Fokkema; Assistant-Editor Michael de Graat, 5 vols. (München: Ludicium Verlag, 1990), p. 54.

(26) المصدر نفسه، ص 55.

وتولى ريادة هذا الجهد جوزيه لامبرت الذي كان قد أعاد تشكيل نظرية النسق المتعدد، ليركز على البنى الأوفر حظاً من العالمية، وكذلك سوزان باسنيت التي كانت غير متحفظة تجاه التأليف بين موارد الدراسات الترجمية والباحثين من مجال الدراسات الثقافية، والحقول الأخرى. وخلال الثمانينات من القرن العشرين وسع جوزيه لامبرت من مجال البحث ليستوعب كثيراً من جوانب ظاهرة الترجمة التي لم تكن ترتبط في العادة بالترجمة ما بين اللغات، وأثار كثيراً من الأسئلة حول تعريف المقولات العامة وطبيعتها. وقد لاحظنا في ما تقدم أن البحث الوصفي عند لامبرت خلال الثمانينات قد جعله أكثر وعياً بالتعقيدات الثقافية التي يتضمنها تعريف الترجمات ووصفها، وهو ما يخدم في إعادة التوكيد على الحاجة إلى البحث النظامي. ومع ذلك، فإن الملاحظات والنتائج الأولية التي توصل إليها هي بعيدة الأثر، حتى إنه لم يعد في وسع المرء أن يصنفها على أنها جزء من أحد الفروع التطبيقية أو الوصفية. وفي مقالة بعنوان: «Translation» هي قيد الإنجاز ـ اشترك في تأليفها لامبرت وكليم روبينز (Clem Robyns)، وسوف تنشر في كتاب: **السيميائية: دليل إلى الأسس النظرية للعلامة في الطبيعة والأدب**[27] (*Semiotics: A Handbook on the Sign-Theoretic Foundations of Nature and Culture*)، احتج المؤلفان للقول بأنه لا يمكن للترجمة أن تعالَج معزولة. وأن الأوْلى

---

(27) José Lambert and Clem Robyns «Translation,» in: Roland Posner, Klaus Robering and Thomas A. Sebeok, eds., *Semiotik: Ein Handbuch zu den zeichentheoretischen Grundlagen von Natur und Kultur = Semiotics: A Handbook on the Sign-Theoretic Foundations of Nature and Culture*, Handbücher zur Sprach- und Kommunikationswissenschaft; Bd. 13 = Handbooks of Linguistics and Communication Science (Berlin; New York: Walter de Gruyter, [n.d.]).

بالصواب هو أن الترجمات تمثل في آن واحد النتيجةَ والمنطلقَ اللذين ينظر منهما إلى العمليات السيميائية وهي في حالة قيامها بالعمل على تشكيل الممارسات الخطابية أو الكلامية. ويبرهن المؤلفان في حجاجهما على أن الترجمات تَحْدُثُ متجاوزة لطائفة متنوعة من الحدود النسقية، وليست قائمة بين لغتين فحسب. ويذهب لامبرت أيضاً ـ في موقف جد قريب من موقف جويس ربما بأكثر مما يجرؤ على الاعتراف به ـ إلى أن كل نص وكل كلمة إنما يشتملان على عناصر «مترجمة». ويمكن أن تشتمل النصوص المترجمة أيضاً على كثير من العناصر الاستطرادية التي لا تطولها الترجمة، وأن مقولة «اللاترجمة» (Non-Translation) تغدو أكثر بروزاً على نحو متزايد في عمله الوصفي. وينظر لامبرت إلى مستقبل الدراسات الترجمية على أنه مؤلف من أمرين مجتمعين: علم اختباري (إمبيريقي) ذي توجه إلى المستهدَف، وممارسة سيميائية ذات توجه إلى التحويل.

وهكذا يجعل لامبرت وروبينز من المقابلة التقليدية بين الشكل والمعنى تقابلاً لا ضرورة له، فأي تفسير للعلامة عبر الترجمة يصبح بذاته مجرد علامة أخرى في سلسلة واحدة متطورة. ويستحضر لامبرت وروبينز مفهوم تشارلز ساندرز بيرس عن «المفسر المنطقي النهائي» (Final Logical Interpretant) ليكون وسيطاً بين المقاربة التي يتبنيانها ذات التوجه إلى المستهدف والمقاربة السيميائية. إن عملية التفسير عند بيرس يمكن بالفعل أن توقف التدفق السيميائي في نقطة محددة من أجل تفسير علامة بخصوصها، أي المفسر المنطقي الأخير الذي هو في هذه الحالة النص المترجم[28]. إن ذلك ـ

= Dinda L. Gorlée: «Wittgenstein, Translation, and Semiotics,» *Target* (28)

لأسباب مقاماتية [براغماتية] ـ لا يتيح الفرصة لتحليل ذي توجه إلى المستهدف، وهو حجر الزاوية في نظرية توري، بل إنه يجعل النص ـ المصدر ينحل إلى طائفة متنوعة من المصادر والشفرات وأنواع الخطاب.

هكذا يرى لامبرت وروبينز الترجمة على أنها في حدها الأدنى عملية لسانية بينية (Interlinguistic)، وأنها ـ في أكثرها ـ نشاط يجري داخل الثقافة (Intracultural). وهما يستشهدان أيضاً بـ «أومبرتو إيكو» (Umberto Eco) الذي ينظر إلى الترجمة على أنها مُطابِقة للثقافة[29]، وأنها قد فُهمت في أدنى درجاتها على أنها ظاهرةً جامدة (Static). أما هو فيراها على العكس من ذلك، ترجمة العلامات إلى علامات أخرى في عملية لا يعرف لها نهاية. وتكتسب الترجمة تعريفاً جديداً على يد لامبرت وروبينز لتغدو «هجرة من خلال التحويل لعناصر منتقلة باستطراد (علامات)»، و«عملية يجري من خلالها تفسيرها [العلامات] (أي إعادة وضعها في تشكيلات سياقية (Recontextualized) وفقاً لشفرات مختلفة»[30]. هكذا تَحصُل

(Amsterdam), vol. 1, no. 1 (1989), and *Semiotics and the Problem of Translation: With Special Reference to the Semiotics of Charles S. Peirce* (Amsterdam: Academisch Proefschrift, 1993). =

(29) Umberto Eco: *A Theory of Semiotics*, Advances in Semiotics (Bloomington: Indiana University Press, 1976), p. 71; «Intervento introduttivo,» papier presenté à: *Umberto Eco, Claudio Magris autori e traduttori a confronto: Convegno: Papers*, Edited by Ljiljana Avirovic and John Dodds, Zeta Universita - Trieste-; 52 (Udine, Italy: Campanotto Editore, 1993), and «Riflessioni teorico-pratiche sulla traduzione,» in: Siri Nergaard, ed., *Teorie contemporanee della traduzione*, Testi di Jakobson [et al.], Strumenti Bompiani (Milano: Strumenti Bompiani, 1995).

(30) Lambert and Robyns, «Translation».

الترجمات لا بين لغات محددة فحسب، ولكن بين أي نوع من أنواع الخطاب المتنافسة والمتباينة. وإذا سلمنا بمثل هذه المقاربة السيميائية البينية (Intersemiotic)، فلا ينبغي أن يدهشنا أن بحث لامبرت الأخير كان في وسائل الاتصال والإعلام[31].

إن تداعيات مثل هذه الدعوى على الدراسات الترجمية، أو الأدب المقارن، أو بالنسبة إلى أي قسم من أقسام اللغات ذات آثار بعيدة المدى. إنها ـ أولاً ـ تتولى إحداث تفجير لمفهوم الأدب القومي من حيث هو مفهوم له جدواه في التمييز بين الآداب. وهي ـ ثانياً ـ تهدم مظاهر التمييز بين الممارسات الكتابية والممارسات الأخرى المتحولة، وهي ـ أخيراً ـ تفتح الطريق لإمكانية استكشاف ممارسات متحولة لا تنتمي إلى الغرب. ولقد توصلت سوزان باسنيت إلى مفهوم لمقاربة في الدراسات الثقافية أو السيميائية البينية مشابه لذلك، إذ أصيبت باسنيت بالإحباط ـ لدى مشاركاتها الكثيرة لـ «أندريه لوفيفر» في العمل ـ حين وجدت أن تحليل «التباديل» (Shifts) يصبح شديد التعقيد، حتى إن القراء لم يعد يمكنهم متابعة

---

(31) José Lambert: «Literatures, Translation and (De)Colonization,» Paper presented at: *The Force of Vision: 13th Congress: Papers*, 6 vols. (Tokyo: University of Tokyo Press, 1994), vol. 4: *Translation* and *Modernization*, Edited by Theresa Hyun and José Lambert, and «Translation, Systems and Research: The Contribution of Polysystem Studies to Translation Studies,» *TTR* (Montréal), vol. 8, no. 1 (1995); José Lambert and Dirk Delabastita, «La Traduction de textes audiovisuels: modes et enjeux culturels,» in: Yves Gambier, ed., *Les Transferts linguistiques dans les médias audiovisuals*, Traductologie; 1242-4625 ([Villeneuve d'Ascq]: Presses universitaires du Septentrion, 1996), and Theo Hermans, *Translation in Systems: Descriptive and Systemic Approaches Explained*, Translation Theories Explained; v. 7 (Manchester, UK: St. Jerome Pub., 1999), pp. 120-124.

التفسيرات. أراد لوفيفر وباسنيت أن يشرحا التباديل، لا بطريق الصياغة الشعرية (Poetics) فقط، ولكن بتفحص الصور والأيديولوجية الممثلة أيضاً. وقد كتبا مقدمة بعنوان «جدّة بروست وألف ليلة وليلة: المنعطف الثقافي في الدراسات الترجمية» (Proust's Grandmother and the Thousand and One Nights: The 'Cultural Turn' in Translation Studies)، وقدما بها للمجموعة التي اشتركا في تحريرها بعنوان: **الترجمة والتاريخ والثقافة** (*Translation, History and Culture*). في هذه المقدمة يذهب الكاتبان إلى أن الباحثين يستخدمون مصطلحات مثل «Patronage» [الرعاية التحكمية]، «Refraction» [انكسار]، «Ideology» [مذهب فكري]، وذلك لكي يقتحموا أهواء ممارسة السلطة وتقلباتها في المجتمع، وما تعنيه ممارسة السلطة في ما يتعلق بالإنتاج الثقافي، وهي التي تعد ممارسة إنتاج الترجمة جزءاً منها[32]. ويسوق لوفيفر وباسنيت حججهما ليدللا على أن الباحثين في الدراسات الترجمية عليهم ألا يكتفوا بمعالجة النصوص، أو مخزونات من النصوص مجتمعة أو منفردة، في نماذج تاريخية، ولكنهم في حاجة أيضاً إلى تفحص المؤسسات التي تمارس نفوذها على إنتاجها. كذلك يدلل الكاتبان في حجاجهما على أن «الدارس في مجال الترجمة أو إعادة الكتابة ليس منهمكاً في عملية تطويل لا نهاية لها ورقصة تتزايد تعقيداً يدور فيها حول «ما لم يعد له وجود دائم»، ولكن ذلك الدارس «يعالج مادة ثقافية صعبة قابلة للتحريف، كما يعالج الطريقة التي

(32) André Lefevere and Susan Bassnett, «Proust's Grandmother and the Thousand and One Nights: The 'Cultural Turn' in Translation Studies,» in: Susan Bassnett and André Lefevere, eds., *Translation, History, and Culture* (London; New York: Pinter Publishers, 1990), p. 5.

تؤثر بها هذه المادة على حياة الناس»[33].

هذا التركيز على قضايا السلطة في المجتمع، والدور الذي تقوم به الترجمات في التشكيل الثقافي وتشكيل الهوية سيكون ذا أهمية متزايدة في ما يتعلق بمستقبل الدراسات الترجمية. وقد أشار كل من باسنيت ولوفيفر في مقدمة كتابهما الذي اشتركا في تأليفه بعنوان: **بناء الثقافات**[34] (*Constructing Cultures*) إشارة دقيقة إلى المدى الذي أحرزته الدراسات الترجمية من التطور منذ السبعينات. وهما يذهبان إلى أن المترجمين قد نهضوا دائماً بعبء توفير حلقة اتصال حيوية، تمكّن الثقافات المختلفة من التفاعل. والخطوة المنطقية التالية ليست على التحديد هي دراسة الترجمة، ولكن دراسة التفاعل الثقافي، ومن ثم كان إغفال كلمة «الترجمة» في عنوان الكتاب. وربما كانت أكثر المواد وضوحاً وشمولاً في دراسة التفاعل الثقافي هي الوثائق المترجمة نفسها. واقترحت باسنيت ولوفيفر أيضاً أدوات نقدية يمكن إعمالها في دراسة الترجمات، من مثل مفهوم «شبكات الاتصال النصية» (Textual Grids) المشتق من عمل بيار بورديو (Pierre Bourdieu). ومفهوم شبكة الاتصال النصي يتمثل في كونها طائفة من الأشكال والأجناس الأدبية تتجسد فيها النصوص، مُنتجِـةً نماذج من التوقعات لدى جمهور مخصوص من المتلقين، وهي توقعات يحتاج المترجمون الممارسون والمنظّرون إلى أن يضعوها في حساباتهم. ومن القضايا التي شملتها أسئلة باسنيت ولوفيفر سؤالهما: لماذا تمتد يد الترجمة إلى نصوص معينة ولا تمتد إلى نصوص أخرى؟ وما

---

(33) المصدر نفسه، ص 12.

(34) Susan Bassnett and André Lefevere, *Constructing Cultures: Essays on Literary Translation*, Topics in Translation; 11 (Clevedon; Philadelphia: Multilingual Matters, 1998).

البرنامج المتواري خلف الترجمة؟ وكيف يقوم المسيطرون على هذه البرامج باستخدام المترجمين؟ وهل يمكن التنبؤ بالكيفية التي قد تمارس بها الترجمة دورها في ثقافة معينة؟. وتشمل مناطق البحث المستقبلي ـ في رأي باسنيت ولوفيفر ـ دراسة التاريخ من أجل إعادة إحياء الحاضر، ودراسة الترجمة في حقبة ما بعد الاستعمار لإعادة تقويم الطرز النظرية القائمة على التمركز الأوروبي، ودراسة شتى أنواع النقد والمجاميع والأعمال المرجعية، وكذلك الترجمات، لكي نرى كيف تتحقق صور النصوص، وتمارس وظيفتها في أية حضارة معينة.

في المقالة الختامية من المجموعة التي عنوانها: **دور الترجمة في الدراسات الثقافية** (*The Translation Turn in Cultural Studies*) تعلن باسنيت عن قيام عصر جديد من البحث المتكامل الاختصاص. لقد جمع الدرس العلمي في مجال الدراسات الترجمية على مدى العقود الثلاثة الأخيرة كمّاً نقدياً كبيراً من العلم، وهي مادة ينبغي على الباحثين في الدراسات الثقافية ممّن يفحصون حركة التداخل الثقافي أن يرجعوا إليها لاستشارتها. وتدلل باسنيت على أن الترجمات هي المظهر الإنجازي (Performative Aspect) من التواصل في ما بين الثقافات. وتتتبَّع باسنيت ـ باستخدامها طرزاً طوَّرها أنتوني إيستهوب (Antony Easthope) في دراسته: «ولكن، ما الدراسات الثقافية؟»[35] (But What is Cultural Studies?) ـ تطوراً يسير على التوازي في الدراسات الثقافية والدراسات الترجمية، حيث يكابد كلا المجالين اجتياز طور ينتمي إلى النزعة الثقافية (نايدا، ونيومارك

(35) Antony Easthope, «But What is Cultural Studies?,» in: Susan Bassnett, ed., *Studying British Cultures: An Introduction*, New Accents (London; New York: Routledge, 1997), pp. 3-18.

(Newmark))، وطَوْرٍ بنيوي (إيفين- زوهار، وتوري)، وطور ينتمي إلى ما بعد البنيوية (دريدا، ونيرانجانا). وبدخول الدراسات الثقافية طوراً جديداً منتمياً إلى العالمية، ومستوعباً المناهج السوسيولوجية والإثنوغرافية، ترجح باسنيت أن الأوان قد حان لكي يخرج هذان المجالان المعرفيان على مساريهما المتوازيين، ويوحدا من قواهما؛ فبينما احتضن الباحثون في الدراسات الثقافية الدراسة المتعلقة بالعنصر (Race)، والجنسانية (Gender)، والسينما، ووسائل الإعلام، نجدهم أنهم كانوا بطاءً في تقدير قيمة البحث في الدراسات الترجمية. لقد تبنت الدراسات الترجمية التحول الثقافي، والدراسات الثقافية ـ على ما تذهب إليه باسنيت ـ هي الآن في حاجة إلى أن تتبنى التحول الترجمي.

إن إعادة تقييم الحدود، والبحوث المتكاملة الاختصاص على مثل هذا النحو لا يمكن إلا أن يكون ذا قيمة إيجابية، لا بالنسبة إلى المنظّرين الغربيين فحسب، ولكنه كذلك بالنسبة إلى الكتّاب والمترجمين من ذوي الأصول غير الغربية. وليس ثمة شك في أن مستقبل الدراسات الترجمية سيتضمن نمواً في الدرس العلمي لثقافات ما بعد الاستعمار، وهو اتجاه قد بدأ بالفعل. وبالإضافة إلى العمل الذي قام به الباحثون مثل تيجاسويني نيرانجانا وغاياتري سبيفاك ـ وهو ما جرت مناقشته في الفصل السابق ـ شرع الباحثون في ما بعد الاستعمار من أمثال سامية محرز وفيسنت رفائيل (Vicente Rafael) وهارولدو دي كامبوس (Haroldo de Campos) في إعادة تأمل دور الترجمة في عمليات الإمبريالية الغربية. وقد كان باحثو الدراسات الترجمية ـ من أمثال باربرا غودارد (Barbara Godard)، وشيري سيمون (Sherry Simon)، وسوزان دي لوتبينيير ـ هاروود (Susanne de Lotbiniére - Harwood) من كندا ـ يقومون باستكشاف التشكيل

الاستعماري المزدوج للنساء في كويبيك؛ أي عن طريق الخطاب الغربي الممثل للسلطة الأبوية، وكذلك عن طريق اللغة الفرنسية الفصحى. وهذه الاكتشافات هي من بين أكثر الأمور إثارة بالنسبة إلى الحقل، وسيكون لها تأثير هائل على الدراسات المستقبلية.

وتتفحص سامية محرز ـ في: «الترجمة والتجربة ما بعد الاستعمارية: النص الفرانكفوني في شمالي أفريقيا»[(36)] (Translation and the Postcolonial Experience: The Francophone North African Text) ـ طبيعة التعدد اللغوي في نصوص فرانكوفونية معينة في شمالي أفريقيا، وهي تبين كيف أن العربية والفرنسية والبربرية، والأسبانية أحياناً، تتفاعل جميعها في عملية إعادة الكتابة التي تمتد في توسعها إلى ما وراء حدود الترجمة. وتبيّن محرز في تحليلها نصوص روائيين من أمثال آسيا جبار، وعبد الوهاب مِدِّب، وطاهر بن جلون، وعبد الكبير خطيبي، أن كثيراً من المعنى المقصود، وبخاصة الطبيعة التدميرية للنثر، لا تكون شفرته قابلة للحل إلا على يد القارئ ذي اللسانين الذي يقوم تلقائياً بتحويله إلى فعل قراءة بالفرنسية. وهكذا نجد أن ما كان يُعدُّ في الماضي قيداً على الترجمة قد تحول إلى فرصة للإبداع. وتدلل محرز على أن هؤلاء الكتّاب من شمالي أفريقيا يحولون ظاهرة التعددية اللغوية والترجمة إلى عناصر ذات طبيعية جذرية، تتحدى التجزئة والتراتبيات القائمة سلفاً، عن طريق تواصل التحرك والهجرة من نسق علاماتي إلى نسق آخر. وتُظهر مثل هذه النظرية في الترجمة كيف أن الترجمة مكوّن جوهري

---

(36) Samia Mehrez, «Translation and the Postcolonial Experience: The Francophone North African Text,» in: Lawrence Venuti, ed., *Rethinking Translation: Discourse, Subjectivity, Ideology* (London; New York: Routledge, 1992), pp. 120-138.

ملازم للكتابة الأصلية، بقدر ما هي ملازمة لترجمة الكتابة، حيث تُقوِّض الأفكار التي يمكن أن تُقرأ من خلال لغة واحدة، أياً ما كان حظ هذه اللغة من الهيمنة.

وفي كتاب فيسنت رفائيل الذي جعلت عنوانه: **تقليص الاستعمار: الترجمة والتحول إلى المسيحية في مجتمع تاغالوغ تحت الحكم الإسباني الأول**[37] (*Contracting Colonialism: Translation and Christian Conversion in Tagalog Society under Early Spanish Rule*) تتحدث المؤلفة عن الترجمة من حيث الاختيارات التي تعمل على تثبيت النظام الاجتماعي أو مراوغته[38]. وتعيد رفائيل تركيب شبكات السلطة في الثقافة الفليبينية من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر، كاشفة عن قوى القهر والتواطؤ الإجرامي، والترويع والمثالية في العملية الأسبانية الهادفة إلى التشكيل الاستعماري، ومبرزة ـ مع ذلك في الوقت نفسه ـ العناصر التي «ظلّت بالنسبة إلى تلك العلاقات الثنائية شاذة عنها أو موسومة بالإفراط»[39].

وفي كتاب إريك تشيفيتز (Eric Cheyfitz) وعنوانه: **شعرية الإمبرالية: الترجمة والاستعمار من العاصفة إلى طرزان**[40] (*The*

---

(37) Vicente L. Rafael: *Contracting Colonialism: Translation and Christian Conversion in Tagalog Society under Early Spanish Rule* (Ithaca: Cornell University Press, 1988), and *Contracting Colonialism: Translation and Christian Conversion in Tagalog Society under Early Spanish Rule* (Durham: Duke University Press, 1993).

(38) Rafael, *Contracting Colonialism: Translation and Christian Conversion in Tagalog Society under Early Spanish Rule* (1988), pp. 210-211.

(39) Ibid., pp. ix-xi.

(40) Eric Cheyfitz: *The Poetics of Imperialism: Translation and Colonization from The Tempest to Tarzan* (New York: Oxford University Press, 1991), and *The* =

*Poetics of Imperialism: Translation and Colonization from The Tempest to Tarzan*) يدرس المؤلف الشِّعريَّـــة (Poetics)، والبيان (Eloquence) وما يسمى: اللغات الممتازة (Superior) للإنجليزي المستعمر في الأمريكتين، كما تجسدها مواقف قراء النصوص، في تدرج يبدأ من شيكسبير إلى إدغار رايس بوروز Edgar Rice) (Burroughs. إلا أن المؤلف يشرح أيضاً كيف أن الجماعات المستعمَرة، والمواطنين الأمريكيين، والعبيد في المقام الأول يقاومون فنون المجاز التي تنتمي إلى المستعمِر، ويخلقون مسالك للاتصال تُفْلِـــت في كثير من الأحيان من رؤية المستعمِر. وهم يفعلون ذلك من خلال ضروب مختلفة من البيان في أغانيهم وأهازيجهم في الحقول، وكذلك من خلال استخدامهم الساخر لغة المستعمِر. ولدى تشيفيتز فصل مطول يحلل فيه هنود التوبي في البرازيل (Indians Tupi)، وممارساتهم عملية إتلاف بعض الأنساق اللغوية، واستخدام مكوناتها في تهجين نسق آخر (Cannibalization)، وهو من الطقوس التي تعد متوحشة وهمجية في نظر المستعمرين البرتغاليين والفرنسيين، ولكنه في نظر التوبي من الطقوس النبيلة والبطولية وذات المغزى الديني.

ولقد أمسك الباحثون البرازيليون في مجال الترجمة بهذه الممارسة التي يقوم بها التوبي، ليصوغوا نظرية في الترجمة بوصفها شكلاً من أشكال «التآكل الأنثروبوفاجي» (Anthropophagy) أو «الهجنة»[41] (Cannibalism). واستُخْدِمَ دريدا في تطوير مقاربة

---

*Poetics of Imperialism: Translation and Colonization from The Tempest to Tarzan*, = Expanded ed. (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1997).

(41) Else Ribeiro Pires Vieira, «Liberating Calibans: Readings of Antropofagia and Haroldo de Campos,» in: Susan Bassnett and Harish Trivedi, =

للترجمة تنتمي إلى ما بعد الحداثة، وتتصف بانعدام التمركز الأوروبي، وكان ذلك على يد الشاعرَين والمترجمَين البرازيليين هارولدو وأوغسطو دي كامبوس (Haroldo and Augusto de Campos)، وهما مترجما *Cantos* لـ «عزرا باوند»، و*Finnegans wake* لـ «جويس»، وكذلك لأعمال إ. إ. كامينغز (E. E. Cummigs)، وستيفان مالارميه (Stéphane Mallarmé)، وفلاديمير ماياكوفسكي (Vladimir Mayakovski). ويرى الأَخَوان دي كامبوس في الترجمة شكلاً من أشكال الانتهاك (Transgression)، وهما ينشئان منظومة مصطلحية جديدة تشمل مصطلحات: الاختراق الإبداعي (Transcreation)، واختراق التشكيل النصي (Transtextualization)، والاختراق التنويري (Transillumination)، والاختراق الإشعاعي (Transluciferation)، والتهجين (Cannibalization)، ليعبِّرا بهذه المصطلحات عن نظريتهما في الترجمة(42). وينبغي ألا يفهم التهجين في دلالته الغربية على أنه استيلاء، أو تمزيق للأوصال، أو تشويه وافتراس، ولكن بدلالة يتجلى فيها الاحترام. إنه فعل يرمز إلى الرجوع عن الكراهية، وإلى امتصاص مزايا جسم ما من خلال اختلاط الدماء. إن الترجمة بما هي فعل تقوية، وفعل تغذية، وفعل لعب إيجابي، تقترب اقتراباً شديداً من موقف بنيامين/ دريدا الذي يرى في الترجمة قوة حياة تضمن بقاء النص الأدبي.

إن الأخوين كامبوس ـ على سبيل المثال ـ شديدا الإعجاب

---

eds., *Post-Colonial Translation: Theory and Practice*, Translation Studies (London; New York: Routledge, 1999).

(42) Haroldo de Campos, *Deus e o diablo no Fausto de Goethe: Leitura do poema, acompanhada da transcriação em português das duas cenas finais da Segunda Parte*, Marginália fáustica. Coleção Signos; 9 (São Paulo: Editôra Perspectiva, 1981).

بـ «عزرا باوند»، وهما يدللان على أن ابتكاره «Cathay» كان على وجه الدقة شكلاً من أشكال التهجين، استوحاه من الحب والتوقير لثقافة أجنبية. وقد أسس الأخوان كامبوس في زمن مبكر مثل عام 1952 جماعة باسم نويغراندريز(*) (Grupo Noigrandres)، إلى جانب مجلة تحمل الاسم نفسه، ليكونا بذلك رائدَين لحركة برازيلية في الفرنسية المعاصرة، وللتجريبية الأنجلو ـ أمريكية في مجال النظم الشعري والنظرية. و«نويغراندريز» تسمية مسكوكة من النشيد العشرين (Canto XX) لـ «باوند»، حيث يَجْهَدُ باوند في سبيل فك شفرة أحد التعبيرات البروفنسالية، فيقول: Noigrandres, eh noi grandres/Now What the DEFFIL Can that Mean![43]. وفي حوالى عام 1953 أقام الاثنان علاقة بالمراسلة مع باوند، وشرعا في اللقاء مع مجموعة من الرسامين والتشكيليين في ساوباولو[44]. ومن المفارقات أن نظرية باوند في الأدب وعلاقتها بالفن التشكيلي والرسم كانت معروفة في البرازيل آنذاك بأفضل مما كانت عليه الحال في أمريكا. إن الترجمة في رؤية دي كامبوس لا تتضمن ترجمة العلامات اللغوية، أو المعنى الدلالي تحديداً، ولكنها تشمل العلامة بكل تجسداتها، مستوعبة بذلك الأصوات،

---

(*) جماعة نويغراندريز: نسبة ذات علاقة بالتراث العالمي للشعر وفي الوقت نفسه يصعب تعريفها على الخبراء بالأدب (المترجم).

(43) Ezra Pound, *The Cantos of Ezra Pound*, Revised Collected ed. (London: Faber, 1975), p. 90.

[جاءت تسمية «Noigrandres» من تعليق پاوند على التعبير البروفنسالي «Noigrandres, eh noi grandres»، حيث شبه هذه الكلمة بكلمة «DEFFIL» في أن كلتيهما لا يعرف لهما معنى. (المترجم)].

(44) Augusto de Campos, Décio Pignatari e Haroldo de Campos, *Teoria da poesia concreta; textos críticos e manifestos, 1950-1960* (São Paulo: Edições Invenção, 1965), p. 177.

والصور البصرية، والدلالات الإيحائية[45]. وبتجنب الأخوين دي كامبوس الأفكار التقليدية عن الترجمة الأمينة في مقابل الترجمة الحرة يكونان قد نسخا بنظريتهما في الترجمة الشعور بغياب المشاركة في إنجاز فعل محقق من الإيجابية واللذة والبهجة.

وبالأسلوب نفسه كان ثمة مجموعة من المترجمين المنتمين إلى الحركة النسوية في كويبيك قد قامت بممارسة استخدام الترجمة لتجاوز القسمة الثنائية التقليدية إلى المصدر في مقابل الهدف، والأساسي في مقابل الثانوي، والرفيع في مقابل الوضيع، والكتابة في مقابل إعادة الكتابة، والمستعمِر في مقابل المستعمَر؛ تلك القسمة التي تميزت بها نظرية الترجمة على مدى تاريخها. إن مثل هذه الثنائيات، بالإضافة نظريات الماضي عن الكتابة والفن والمجتمع، قد انطوت ضمناً على تكريس تبعية النساء. ويغدو السؤال هنا هو: كيف يتم تجاوز مشكلة الثنائية في التفكير بطريقة «إما.. وإما»؛ لاستكشاف الفضاء البيني الذي يستوعب المثيل والآخر. إن للترجمة مهمتها عند كتّاب كويبيك من أمثال نيكول بروسارد (Nicole Brossard) صاحبة روايات مثل رواية: **صحراء موف**[46] (*Mauve Desert*) و**نظرية الصورة**[47] (*Picture Theory*). وهذه المهمة هي أنها أقرب مجاز استعاري لنوع من الكتابة يحرّر، وينقل، ويضاعف بأكثر مما يمتلك ويتحكم ويحدد. ويتعلق الموضوع الذي تدور حوله رواية: **صحراء موف** تحديداً بالترجمة، ففي القسم **الأول** تقص علينا

---

(45) Vieira, «Liberating Calibans: Readings of Antropofagia and Haroldo de Campos,» p. 105.

(46) Nicole Brossard, *Mauve Desert*, Translated by Susanne de Lotbinière-Harwood (Toronto: Coach House Press, 1990).

(47) Nicole Brossard, *Picture Theory*, Translated from the French by Barbara Godard, Prose Series; 7 (Montreal: Guernica, 1991).

حكاية تقليدية إلى حد ما عن امرأتين في إحدى صحارى الأمازون، تلتقيان برجل مجهول وقاتل. ثم يقدم القسم **الثاني** مترجمة كانت قد وقعت على القصة الأولى في أحد دور بيع الكتب، وتحتفظ بمفكرة للترجمة تاركة آثار استجاباتها مدوّنة على الأصل. أما القسم **الأخير**، وعنوانه: **موف، الأفق** (*Mauve the Horizon*)، فهو «ترجمة» ـ أي إعادة كتابة للقسم الأول في صورة محاكاة مصنوعة لترجمته إلى لغة أخرى ـ بينما الترجمة القصصية حرفية تماماً ـ إذ جرت الانتهاكات في القسم الثاني من المفكرة ـ تحث بروسارد مترجمتها إلى الإنجليزية سوزان دي لوتبينيير ـ هاروود على التدخل، وتجاوز الأصل لتكثير الأفكار المتضمنة في الترجمة. ويمكن أن توصف المهمة بأنها جعل صوت كويبيك النسوي ظاهراً في لغة أخرى. والحق أن النشاط الترجمي لا يُنظر إليه على أنه نشاط ثانوي وتابع مشتق من غيره، بل على أنه نشاط أساسي، هو ترجمة في صورة تأليف مشترك، وأنه مهم للتعبير عن الوضع النسوي في كويبيك، وهو وضع يقاوم ذوبانه في لغة إنجليزية أو فرنسية معيارية تقرأ من منظور أبوي، ويسهم في تنمية الوعي بالذات.

وترى سوزان دي لوتبينيير ـ هاروود أن ترجمة نصوص كويبيك النسوية لا يمكن أن تتم من وراء حجاب، ذلك لأن الترجمة في حاجة إلى أن تنجز بطريقة تجعل الفضاء الواقع خارج متناول النظر، في ما بين النصوص الأصول والنصوص المستهدفة، فضاءً منظوراً. وفي الكتاب الذي ألفته سوزان دي لوتبينيير ـ هاروود تحت عنوان: **ثنائية لغة الجسد: الترجمة بما هي إعادة كتابة بالمؤنث**[48] (*Re-belle et infidèl:*)

(48) Susanne de Lotbinière-Harwood, *Re-belle et infidèle: La Traduction comme pratique de réécriture au féminine = The Body Bilingual: Translation as a Re-Writing in the Feminine* ([Toronto]: Women's Press, 1991).

*La Traduction comme pratique de réécriture au féminine = The Body Bilingual: Translation as a Rewriting in the Feminine*)، تذهب المؤلفة إلى أن صوت المترجم يمكن أن يُرى في الترجمة، وأن الترجمة تعمل بطريقة منتجة، بوصفها إضافة إلى المجازات الاستعارية في الأصل. لذا ينبغي تشجيع مترجمي النصوص من أمثال نصوص بروسارد على أن يكونوا على درجة عالية من الإبداع في ترجماتهم، وأن يُجاروا اللغة، ويلاعبوا طريقة الطباعة، ويُشيعوا الفوضى في نظام النحو، وذلك لكي يسمحوا للخِصْب والمهجن في الفضاء البيني أن يطفو على السطح. والنظرية ليست على التحديد من نظريات إضفاء الغرابة على الترجمة، ولكنها محاولة للتعبير عن فكرة جديدة في ما يخص الترجمة، وكما فعلت هيلين سيكسوس وغيرها ممن ينتمي إلى النسوية الفرنسية، حين سكَّت مصطلح «Ecriture feminine» لتعني به نوعاً جديداً من الكتابة النسوية في فرنسا، كذلك سكَّت النساء الكويبكيات مصطلحاً جديداً هو «Réécriture au Féminine» (إعادة الكتابة في الأنثى) ليقصدن به الإشارة إلى الكتابة، أو الترجمة التي تتجاوز قيود المتضادات الثنائية. وإذا كان كلّ منتمٍ إلى النزعة النسوية هو بالفعل مترجم (إذ يترجم المؤنث إلى المذكر)، فإن نشاط الترجمة ينجز ترجمة مزدوجة، أو ترجمة مربعة (Squared Translation). تتحدث لوتبينيير ـ هاروود عن الترجمة بوصفها موقعاً رباعي الأصوات (Quadrophonic Site) فتقول: «إنك في غرفة تضم أربعة من المتكلمين يطلقون أصواتهم: واحد بالإنجليزية، وواحد بالفرنسية، وواحد بصوت الذكر، وواحد بصوت الأنثى (Au Feminine). وهذه الغرفة تنزُّ أحياناً فوق صفحات الورق المطبوعة وتنزف. إنه موقع رباعي الأصوات»[49]. إن نساء كويبيك يرين في الترجمة موقعاً يقوم بتضخيم الفضاءات الدلالية الصامتة

(49) المصدر نفسه، ص 79.

التي يشترك فيها الآخرون من الذين حَجَبت أصواتهم العوامل المهيمنة في أي مجتمع: اللغة/ الخطاب/ الظروف الاجتماعية. ولأن كويبيك تجد نفسها واقعة في الشَّرك بين الإنجليزية والفرنسية، تكابد النفي في وطنها، أمةً بلا دولة، تصارع للتعبير عن حالها، نجد الباحثين في كويبيك يكتشفون أن حالة كويبيك ربما تكون أدلّ على الحالة المعاصرة، حالة ما بعد الحداثة، بأكثر مما يفترض الباحثون المنتمون إلى أمة أو هوية وافرة الحظ من الخصائص التقليدية، وتلكم العقيدة مشتركة بين باحثي كويبيك من أمثال باربارا غودارد مؤلفة كتاب: **التنظير للخطاب النسوي/ الترجمة**[50] (*Theorizing Feminist Discourse/ Translation*)، وشيري سيمون مؤلفة كتاب: **الجنوسة في الترجمة: الهوية الثقافية وسياسة التحويل**[51] (*Gender in Translation: Cultural Identity and the Politics of Transmission*)، والدراسة التي عنوانها: «الترجمة والإبداع عبر اللغات في منطقة التماس: الكتابة الحدودية في كيبك»[52] (*Translating and Interlingual Creation in the Contact Zone: Border Writing in Quebec*)، ولويس فون فلوتو ـ إيفنز (Luise von Flotow - Evans) مؤلف كتاب: **الترجمة والجنوسة: الترجمة في «حقبة النسوية»**[53] (*Translation*

(50) Barbara Godard, «Theorizing Feminist Discourse/Translation,» in: Bassnett and Lefevere, eds., *Translation, History, and Culture*.

(51) Sherry Simon, *Gender in Translation: Cultural Identity and the Politics of Transmission*, Translation Studies (London; New York: Routledge, 1996).

(52) Sherry Simon «Translating and Interlingual Creation in the Contact Zone: Border Writing in Quebec,» in: Bassnett and Trivedi, eds., *Post-Colonial Translation: Theory and Practice*, pp. 58-74.

(53) Luise von Flotow-Evans, *Translation and Gender: Translating in the 'Era of Feminism'*, Translation Theories Explained; 2 (Manchester, UK: St. Jerome Pub., 1997).

.and Gender: Translating in the 'Era of Feminism')

وكما تعي النساء في كندا الفرنسية، وكذلك سائر النساء، فإن هناك رابطة قائمة بين النظرية النسوية ونظرية ما بعد الحداثة. ولعل أكثر التحولات نصيباً من الإثارة بالنسبة إلى حقل الدراسات الترجمية قد كان في اشتغالها بما بعد الحداثة، وفي انفتاحها على نظريات جديدة من آسيا، وأفريقيا، وأمريكا اللاتينية، وهي حركة كانت ريادتها في معظم الأحيان للنساء. ولقد قامت شيري سيمون، وبول سنت ـ بيار (Paul St-Pierre) من كندا بالإشراف على كتاب مختارات تحت عنوان: **تغيير الشروط: الترجمة في حقبة ما بعد الاستعمار**[54] (*Changing the Terms*: *Translating in the Postcolonial Era*)، ويقوم هذا الكتاب باستكشاف الأسس النظرية للترجمة في أوضاع بلاد مثل ماليزيا وإيرلندا والهند وجنوب أفريقيا. ويتحدى المسهمون في الكتاب الأفكار التقليدية عن الترجمة، وكذلك الرؤى التي يشيع اعتناقها في نظرية ما بعد الحداثة، ومن بينهما بعض الرؤى التي جرى تلخيصها في هذا الكتاب. أما سوزان باسنيت وهاريش تريفيدي (Harish Trevidi) فقد صدر تحت إشرافهما مجلد بعنوان: **ترجمة عصر ما بعد الاستعمار: النظرية والممارسة** (*Post-Colonial Translation: Theory and Practice*)، يحلل المشاركون فيه حركات الترجمة في الهند وكويبيك والبرازيل وإندونيسيا وأفريقيا. وتركز كل من باسنيت وتريفيدي في المقدمة اللتين اشتركتا في تأليفها بعنوان: «عن المستعمرات، آكلي لحوم البشر، واللهجات المحلية» (Of Colonies, Cannibals and Vernaculars) على علاقات القوة غير

(54) Sherry Simon and Paul St-Pierre, eds., *Changing the Terms: Translating in the Postcolonial Era*, Perspectives on Translation (Ottawa: University of Ottawa Press, 2000).

المتوازنة، وكيف يمكن لنظرية الترجمة أن تنتصر على الحدود الفاصلة ما بين الثقافات انتصارها على الحدود الفاصلة داخل الثقافات. وهذه ماريا تيموشكو، وهي إحدى المشاركات في مختارات باسنيت وتريفيدي، تربط بين الوضع الإيرلندي ونظرية ما بعد الحداثة في كتابها: **الترجمة في سياق ما بعد الاستعمار: بواكير الأدب الإيرلندي في الترجمة الإنجليزية**[55] (*Translation in a Postcolonial Context: Early Irish Literature in English Translation*). وفي نوع من الكتابة المزدوجة لم تقنع تيموشكو بعرض الطرق المتنوعة التي قاوم بها المترجمون الإيرلنديون الاستعمار البريطاني من خلال ترجماتهم للأدب الكِلتي (Celtic Literature)، ولكنها تعقد أيضاً مقارنات موازية لحركات ما بعد الاستعمار في البرازيل، وشمالي أفريقيا، والهند، وغير ذلك من البلدان. كذلك اشتركت تيموشكو وإدوين غينتسلر في الإشراف على كتاب مختارات بعنوان: **الترجمة والسلطة**[56] (*Translation and Power*) (هو قيد النشر)، ضم كُتَّاباً مشاركين من إيرلندا، وأسبانيا، وكندا، والبرازيل، وماوري (Maori)، والصين مع آخرين. وفي الكتاب يدلل المشاركون بحجاجهم على أن الترجمة نشاط ذو وظيفة مجازية كنائية (Metonymic Activity) (أي إنها جزء ممثل لِكُلّ). ومن ثم يبيّنون كيف أن الترجمة هي دائماً جزئيّة، مقترنة بمترجمين يختارون عناصر معينة ـ أدبية، أو أيديولوجية ـ لإبرازها، وبذلك يظهرون طبيعة التحزب في نشاطهم. أما أنوردها دينغواني (Anuradha

---

(55) Maria Tymoczko, *Translation in a Postcolonial Context: Early Irish Literature in English Translation* (Manchester, UK: St. Jerome Pub., 1999).

(56) Maria Tymoczko and Edwin Gentzler, eds., *Translation and Power* (Amherst: University of Massachusetts Press, [n.d.]).

(Dingwaney، وكارول ماير فقد أشرفتا على كتاب مختارات بعنوان: **بين اللغات والثقافات: الترجمة والنصوص عبر الثقافات**(57) (*Between Languages and Cultures: Translation and Cross-Cultural Texts)*. وقد ضم الكتاب مقالات أسهم بها كتاب من بورتوريكو، وهاييتي، ومارتينيك، وكشمير، ومصر، والهند، وروسيا. ويستكشف المشاركون قضايا الترجمة، وكيفية تطويع نصوص العالم الثالث، وتوصيلها بأقل قدر ممكن من التحريف، وطرق التدريس، وكيف يتحقق إنجاز الحد الأقصى من النقل الثقافي عن طريق الوساطة، وتسجيل الفروق، وليس بالتضحية بها، أو إخضاعها لعمليات المواءمة.

إن هؤلاء النسوة في رحلاتهن ومواجهاتهن العابرة للثقافات، ومشاركاتهن، قد وسعن من حدود نظرية الترجمة، وجلبن إلى الحقل أصواتاً جديدة، وآذنَّ بدخول طور عالمي جديد بالنسبة إلى هذا الحقل. وتتجه كل هذه المقالات نحو إعادة تأمل الترجمة في الحد الأدنى على ضوء أية تعريفات أو استعارات مجازية أوروبية، وعلى التوسع من منظور مصطلحات ومفاهيم لا تنتمي إلى الغرب، بعضها جديد، وبعضها يتمتع بتاريخ طويل يختص به. وبينما نجد أن نظرية مثل «نظرية التهجين» (Cannibalistic Theory)، ونظرية «إعادة الكتابة في الأنثى» مجتمعتين أو منفردتين ربما كانتا مصدر إزعاج للباحث الغربي في مجال الترجمة، فإن ذلك لا يتسق مع المقاربة التي ينتصر لها ضمنياً هذا الكتاب. إن اللغة ليست قابلة بحال لأن تختزل في نسق شكلي، ولا في مفهوم جامد؛ سواء أكان أدبياً أم

(57) Anuradha Dingwaney and Carol Maier, eds., *Between Languages and Cultures: Translation and Cross-Cultural Texts*, Pittsburgh Series in Composition, Literacy, and Culture (Pittsburgh: University of Pittsburgh Press, 1995).

لسانياً. والترجمات تبرهن بطريقة ثابتة لا تتغير على طبيعة عدم الاستقرار الملازمة للغة في كل فعل من أفعالها. وبعبارة أخرى: إن رغبة جميع البشر المفرطة في التوحد والانغلاق لا تفضي إلا إلى مزيد من سوء الترجمة، وسوء التمييز. وقد ثبَّت نقد الترجمة ـ من الوجهة التاريخية ـ قيمة الترجمات التي ترقى إلى بعض النماذج المثالية، عن طريق التخفيف من حدة التناقضات، والتَجاهُل أو الحكم بالإقصاء على الترجمات التي تفتقر في الظاهر إلى الترابط. وتؤثر مثل هذه الممارسة بدورها على ما يجري إنتاجه. وعلى حين أن نظريات الترجمة تصوغ تقليدياً دعاوى ميتافيزيقية معينة، فإن الترجمات نفسها تخفق غالباً في التكيف مع تلك الدعاوى التي تصاغ حولها. ونظراً إلى أن فعل إعادة إنتاج العلاقات النصية (في النص الأصلي) يشتمل على تكوين مزدوج يغدو غاية في الوضوح، وهو أن قيود اللغة التي تفرضها الثقافة المستقبِلة هائلة، ومع ذلك فإن إمكانية خلق علاقات جديدة في الحاضر هي أيضاً إمكانية مفعمة بالحياة. ولا يتعلق ذلك فحسب بالعلاقات القديمة المنقولة إلى زمان جديد ومكان جديد. ولكن ثمة أيضاً ما لا حصر له من الممارسات المهمة التي تُعزِّز، أو تعدِّل الممارسات الدالّة الحاضرة. والحق أن عملية الترجمة وعملية تشكيل هوياتنا يمكن أن تكونا متناظرتين: كما أن الترجمات خاضعة على الأقل لنسقين سيميائيين (هما لغتا المصدر والهدف)، ولكنها مع ذلك قادرة على تغيير تلك البنى نفسها، فكذلك نحن ـ بوصفنا بشراً ـ معرضون لطائفة متنوعة من ألوان الخطاب، ولكننا أيضاً أحرار في تغيير تلك العلاقات التي تكيِّف وجودنا.

لقد فهم والتر بنيامين هذا التكوين المزدوج فهماً جيداً، ففي دراسته: **مهمة المترجم** (*The Task of Translation*) نظر إلى الترجمة

على أنها «صيغة» قائمة بذاتها، تقدم طريقاً لـ «التفاهم مع غرائبية اللغة»(58)، إلا أنه طريق غير متحقق في الغالب. ويتحدث بنيامين من منظور «إعادة الخلق» الذي ينبغي بـ «طريقة محببة وتفصيلية» أن ينقل شيئاً حيّاً، ويعيد تجديده ـ أعنى النص الأصلي ـ في الوقت الذي يكمّل فيه اللغة الموجودة، ويضمن لها استمرارية البقاء. إن بنيامين لا يكتفي بتحطيم أي مفهوم يتجسد مادياً للنص الأصلي غير القابل لأن تنتهك حرمته، ولكنه يقف في حجاجه مع القول بأن لغتنا وتصوراتنا الخاصة لما يشكل النص ينبغي ألاّ تتخذ هيئة مادية متجسدة. هنا تكمن العلة في أن بنيامين ـ مَثَلُه مثلُ باوند ـ لا يُترجِم باستخدام مقولات كلية أو متوحدة تعزز بطريقة ثابتة التمايزات الشمولية، ولكنه ـ على النقيض ـ يتابع الترجمة كلمة كلمة، وصورة صورة. حينئذ فقط يمكن للعناصر الثقافية الأجنبية أن تدخل إلى خطاب المترجم، وتحطم التصورات الثقافية المحدودة، ضامنة بذلك النمو. ويقف بنيامين في جداله ضد الترجمات التي تحول اللغة الأجنبية إلى الألمانية، وهو ـ على العكس ـ يقف في صف ذلك النوع من الترجمات الذي يجيز لنفسه أن يتأثر باللغة الأجنبية، والذي يسمح لنفسه ـ بحسب عبارة بنيامين نفسها ـ أن يتابع «مساره الخاص وفقاً لقوانين الأمانة في حرية التدفق اللغوي»(59). والمقالة في مجملها يمكن أن تقرأ على أنها محاولة لتحديد القوانين المميزة للترجمة وحدها، هذه «الصيغة» من الكتابة (Mode of Writing) التي لا تدين بالولاء لمصدرها ولا لمستقبلِه، ولكن ولاءها هو لنوع متفرد من

(58) Walter Benjamin, *Illuminations*, Edited and with an Introduction by Hannah Arendt; Translated by Harry Zohn (New York: Schocken Books, 1969), p. 75.

(59) المصدر نفسه، ص 80.

الحرية. إن نظرية بنيامين هي تحريرٌ وتقويةٌ بطريقة واحدة، إذ إنها لا تسمح للمرء بأن يحرر اللغة السجينة في العمل، ولكن بأن يفلت أيضاً من «سحر» لغته الخاصة[60].

وعلى حين أن عملية إعادة الإبداع فعالة في كل فعل من أفعال القراءة والكتابة والاتصال، نجد أنها تُنجَز بطريقة لاواعية، ومن ثم يصعب ملاحظتها. ولعل الشيء الوحيد الذي هو أعظم جدوى بالنسبة إلى استمرارية هذا الحقل ونموه، هو الوعي المتزايد لدى الدارسين في حقول أخرى بأن الطريقة التي يمارس بها اللاوعي وظيفته ـ في تحليل الترجمة ـ يمكن أن تُرى. وفي مقال بعنوان: «المعالجة الفلسفية للأمانة» (Taking Fidelity Philosophically) لـ «باربرا جونسون» (Barbara Johnson)، تحاول المؤلفة أن تبرهن على أن مشهد التشويه بالحذف (الخصاء اللغوي) في عملية الترجمة من لغة إلى أخرى ـ وهو ليس إلا مشهداً مستحيل الوقوع، كما أن اجتنابه غير ممكن، وهو يجرى في العادة خارج مدى الرؤية ـ هذا المشهد يتم أداؤه في قلب المسرح[61]. ولأن الترجمة تؤدى في قلب المسرح، لذلك يمكن تناول مظاهر معينة من سوء التعرف و «التغييرات البديلة» (Shifts) من النص المصدر بالتحديد والتحليل. وبسبب الطبيعة المتفردة للترجمة، لذا فإنها تسمح لنا بالولوج إلى حقيقة المناورات غير الواعية، والواقعة «خارج مدى الرؤية»، والتي ينشأ عنها سوء الترجمة وسوء التعرف. ويذهب دريدا إلى أنه ربما كان في الإمكان استعادة هذا المكان الواقع خارج مدى الرؤية، وبقدر إمكان ذلك، ستغدو الترجمة هي المكان

(60) المصدر نفسه، ص 80.

(61) Barbara Johnson, «Taking Fidelity Philosophically,» in: Joseph F. Graham, ed., *Difference in Translation* (Ithaca: Cornell University Press, 1985), p. 144.

الذي يمكن أن تتاح فيه هذه الرؤية.

ويبدو أن بعض الباحثين في الدراسات الترجمية على وشك فعل ذلك تحديداً، فعلماء الدراسات الترجمية في بواكيرها، مثل هولمز وبوبوفيتش ولوفيفر، اقترحوا فحصاً دقيقاً للتغييرات البديلة (Shifts) من أجل مواصلة هذا البحث. وتوثق المنهجية الوصفية للحقل، والمؤسسة على نصوص حقيقية، هذه التغييرات البديلة حال حدوثها في نص «أصلي» واحد. ومثل هذه التأريخات للترجمة يمكن أن «تستخدم» للكشف عن الكيفية التي يفسر بها العقل الأدبي العالَم تحت ظروف تاريخية معينة. وقد أبان إيفين ـ زوهار وتوري (عن طريق فحصهما نصوصاً حقيقية مترجمة بدلاً من الطرز النظرية الافتراضية)، عن أفق لمعالجة ثقافية، ومؤسسية واقعية تؤثر في عملية التطور الأدبي والثقافي. ويذهب منظّرون مثل فينوتي وسبيفاك ـ عن طريق تجاوز التفسير ـ إلى أن في استطاعتنا قراءة هذه الحالات الدراسية بطريقة تشخص أعراض المعالجات اللاواعية، والتي هي أيضاً جزء من مكوّنات أي نص أدبي.

وفي أعقاب مبادرة هيدغر ودريدا، دُرِس المشكل الفلسفي للترجمة بوصفه قضية من القضايا الأساسية في الفلسفة. أما في أعقاب مبادرة «فوكو»، فإن المشكل السياسي للترجمة في إطار المؤسسة الأكاديمية والمجتمع يغدو أكثر أهمية لنقاد الأدب، ولعلماء الاجتماع جميعاً. وفي المستقبل سيكون منظرو الترجمة الذين عملوا من خلال إسهام التقويضيين قادرين على تحليل كلا الجانبين: المصرح به والمسكوت عنه في النص المتعين. إن الكينونات المحجوبة تغدو مرئية، واسمةً ـ في صمت ـ الهيئات الضرورية بالنسبة إلى الأقوال المتعينة، ثم إنها ـ وهذا من المفارقات ـ تتولى تبديد أي فكرة تتعلق بالصدق أو المعنى الحَرْفي. وفي مقاربة من هذا

النوع يكون مفهوم «المعنى» نفسه موضوعاً للتعديل. أما ما يصبح مرئياً ـ بدلاً من ذلك ـ فهو كينونة متأرجحة يحصل بها الالتحام في العلاقة بين ما هو ضمني، وما هو مصرح به. وإذا ما استُحضِر المسكوت عنه في الترجمة إلى منطقة الضوء، فإن الذي قيل يمكن قياسه بالنسبة إلى ما لا يمكن أن يقال، كاشفاً بذلك عن نوع آخر من «المعنى» في أي نص متعين.

أما بالنسبة إلى الباحثين الذين يعملون بمنهجية لسانية أحادية (Monolinguistically)، فإن هذه العلاقة تجنح إلى البقاء خارج مدى الرؤية، وتكون عصية على الإمساك بها. وربما تعطينا زلات اللسان الفرويدية وصفات الخصوصية المميزة (Idiosyncracies) مفاتيح للحل، ولكن ليس ثمة مادة وفيرة يمكن أن تؤسس عليها مثل هذه القراءات. ونتيجةُ ذلك أن النقد الأدبي هيمنت عليه فكرة التفسير «الصحيح»، أو إعادة التعبير عما سبق أن قيل بالفعل. وهنا تظهر مزية الاشتغال بالنصوص المترجمة: فبالدرس الدقيق والتغييرات البديلة، ومظاهر سوء التعرف، والعلاقات التي تشكل كل ذلك، تغدو النصوص أكثر وضوحاً، بأفضل مما لو قامت الدراسة على المقابلة بينها مفردة بمفردة. إن النظرية التقليدية في الترجمة تنزع إلى إقصاء مثل هذه التغييرات البديلة على أنها «أغلاط» (Errors) أو «أخطاء» (Mistakes). والأمر على ما سبق لي أن رجحته: وهو أن مثل هذه المعايير تنطوي على أفكار تقول بالنزعة الجوهرية (Substantialism) وبالمكافئ النصي، وهي أفكار تضع القيود على إمكانيات أخرى معينة للممارسة في مجال الترجمة، وتهمش الترجمات الخارجة على المألوف، وتصادم التبادل الحقيقي في ما بين الثقافات.

وتبقى النتائج واحدة إلى حد كبير، سواء باشَرْتَ العمل بطريقة

استقرائية ـ كما فعل لامبرت ـ أو بطريقة استنباطية ـ كما فعل لوفيفر وباسنيت ـ عند تحديد أسباب «التغييرات البديلة» أو «الأخطاء»، أو جِئْتَ إلى الترجمة عبر الدراسات الثقافية، والنظرية النقدية على نحو ما فعل فينوتي ونيرانجانا. إن الذي يصبح جلياً عند تحليل تطور نص واحد في التاريخ ليس هو الحقائق الأبدية في الأصل، ولكنه آليات التاريخ التي تحجب أي مغزى في النص الأصلي حجباً مطلقاً. وإذا ما حصل التعرف على الحدود التي تفرضها الثقافة المستقبِلة، والصياغة الإشكالية لتلك القيود المتنقلة، فإن النقاد لا يقفون عند تفتيح خطاب نظرية الترجمة من أجل تحقيق التحولات الممكنة في مجاله الخاص، ولكنهم يتجاوزون ذلك إلى تقديم العون للثقافة المستقبِلة لتحقق الانفتاح على التغير الاجتماعي (من خلال ممارسة الترجمة). والباحثون في الدراسات الترجمية يمكنهم ـ من غير شك ـ أن يتعلموا كثيراً من الباحثين في مجال الأقليات الإثنية، ومجال المرأة، والآداب التي تحتل مكاناً ثانوياً، والآداب الشعبية. واليوم نجد أن أوفر الأعمال حظاً من الإثارة يجري إنتاجها على يد باحثين ينتمون إلى «أقطار أصغر»، وثقافات في طور انتقالي، من بلجيكا والأراضي المنخفضة وفنلندا وإسرائيل وجمهورية التشيك وسلوفاكيا وأفريقيا الشمالية والفليبين والصين والبرازيل وكويبيك.

لقد كانت الغاية من هذا الكتاب هي تحطيم التصورات الخاطئة حول وجهات النظر المتنافسة، وتحقيق مزيد من فتح الباب لمقاربات جديدة وبديلة للترجمة. وإني لأشعر أن الإصدار الأول لهذا الكتاب قد ساعد على توفير فرص مُشْرَعةٍ لجانب من العمل، الذي بدأ يظهر في الحقل في العقد الماضي. إن تقويض السلطات المتحكمة في الترجمة، والنقد الأدبي، والثقافة بوجه عام، لم يكن إلا الخطوة الأولى. وهناك كثير من العمل في حاجة إلى الإنجاز، وعلى الرغم

من أن النظرية المعاصرة في الترجمة قد قطعت شوطاً طويلاً من التطور منذ بداياتها، فإنها الآن على عتبة طور جديد وشديد الإثارة. إنه طور يمكن أن يبدأ في تفكيك حزمة العلاقات التي يتكوَّن منها المعنى، ومن ثم يكون مصدر إلهام أفضل لتصورنا في ما بعد الحداثة عن اللغة والخطاب الأدبي والهوية. لقد بدأت هذا الكتاب بسؤال عن ماهية النظرية المعاصرة في الترجمة، وبالتحول إلى تعريفات رومان جاكوبسون، وللطرز النظرية للترجمة داخل اللغة الواحدة، وفي ما بين اللغات، والطراز السيميائي البيني. وآمل أن أكون قد بينت كيف أن الدارس في مجال الترجمة المعاصرة واقع داخل الشبكة كاملةً، أعني شبكةَ كثـــرةٍ كثيـــرةٍ من اللغات، وصنوفِ الخطاب، وأنساق العلامات، والثقافات. وجميع هذا كله موجود في كلا الطرفين: المصدر والنصوص المترجمة، ويتفاعل تفاعلاً تبادلياً في عملية الترجمة. إن عدد الحدود التي يجري اجتيازها في الترجمة الواحدة هو دائماً كثير. ومن ثم، فأنا أجادل لصالح تطبيق نظريات متعددة للترجمة، ومن طائفة منوعة من المعارف، وضروب الخطاب لإنجاز تحليل أفضل لتنوعات المعاني والوظائف الناتجة، ومن هنا كان عنوان هذا الكتاب. وإذا سلمنا بالكيفية التي تتوسع بها حدود الحقل من التحليل اللساني والنصي، إلى مجمل شبكة العلامات المركبة التي تكوّن الثقافة ـ أقول إذا سلّمنا بذلك، فليس هناك باحث واحد من مجال واحد يمكنه بأية حال أن يأمل في توفير جميع الإجابات. إننا على مشارف طور جديد ومثير من البحث في سبيل هذا الحقل، وهو طور يحمل الباحثين على المؤالفة بين النظريات والموارد التي تمدهم بها أنواع من المجالات المعرفية، والتي تفضي بهم إلى وفرة من النظرات الثاقبة الجديدة. وآمل أن يكون هذا الإصدار الثاني المنقح إسهاماً متواضعاً ـ على نحوٍ ما ـ في التعجيل بهذه العملية.

# الثبت التعريفي

**الأثر الأصل (Trace)**: من مصطلحات التقويضية[1]، وينضاف إلى ذلك الحاجة إلى التمييز بين مفهومي: «Deconstruction» و«Destructuring». ويستعمل المصطلح «Trace» مرادفاً لمصطلحي: «Arche-writing» و«Proto-writing». وقد سكه دريدا قياساً على مثال «وسادة الكتابة» عند فرويد. وهي لعبة أطفال تتألف من لوحة شمعية مغطاة برقيقة شبه شفافة. وحين يكتب عليها بقلم صلب يستقر النقش في اللوحة الشمعية. غير أن النقش الكتابي يختفي بمجرد فصل الغطاء عن لوح الشمع. ويصور فرويد بذلك العلاقة بين اللاوعي (ويمثله لوح الشمع الذي يحتفظ بكل ما ينقش عليه) والعقل الواعي (ويمثله الغطاء العلوي الذي يرسل بكل المعلومات إلى العقل اللاواعي دون أن يحتفظ بها). كما أن الكتابة التي تُرى نتيجة لاستعمال القلم لها وجودها السابق في لوح الشمع؛ فالقلم لا يظهر من لوح الشمع إلا الجزء الذي هو سابق في الوجود على فعل الكتابة. ويتضمن التوسع في قياس فرويد صياغة مفهومية للعقل

---

(1) انظر مسوّغات إيثار هذا المصطلح على مصطلح «التفكيكية» في: ميجان الرويلي وسعد البازعي، **دليل الناقد الأدبي**، ط 3 ([بيروت]: مركز الثقافي العربي، [د. ت.])، ص 107.

اللاواعي يبدو منها متشكلاً بالكتابة في صورة آثار أصول بالمخ سابقة على الكتابة المادية، بل على كل الكلام، سواء من حيث تطور النوع البشري أو من الوجهة الأنطولوجية. وعلى ذلك، فلا وجود لإدراك حسي مباشر، ولكن الإدراك الحسي يكتسب معناه بواسطة الأثر الأصل السابق عليه في الوجود. وقد أخذ دريدا مفهوم الأثر أيضاً عن فرويد (فعندما يختفي النقش من مجال الرؤية يترك وراءه خدشاً أو أثراً على السطح). ويتصل ذلك بعدد من الأفكار المألوفة في تقويضيته، ومن بينها إنكارُه ميتافيزيقا الحضور، إذ إن الإدراك عنده منفصل أبداً عن حضور الأشياء، ونفيُه المحددات التراتبية التي تمنح الكلامَ الأولويةَ على الكتابة، وإنكارُ إحالة اللغة إلى الواقع، وهو ما يمثل جوهر رؤيته لقضية المعنى في اللغة.

**الأدبية (Literariness)**: ارتبط هذا المصطلح بأدبيات الشكلانية الروسية عند تينيانوف وشكلوفسكي ورومان جاكوبسن ويوريس إيخينباوم. ويعني عندهم أن موضوع الدراسة في علم الأدب ليس هو الأدب (Literature) ولكنه «الأدبية» (Literalness)؛ أي منظومة الخصائص والسمات التي يصير بها العمل أدباً. وقد استُخِدم الإلحاح على الأدبية أساساً لتمييز دراسة الأدب من مجالات الدرس الأدبي الأخرى، مثل تاريخ الأدب وعلم النفس والفلسفة، بل لتمييزه أيضاً من أشكال الفن الأخرى. كما أدى الإلحاح عليه إلى القول بخصوصية الأدب وتمايزه، وحاجته إلى دراسته بمنهج يتسم بالخصوصية والتميز، ونفي تعلق دراسة النص الأدبي بالسياسة والبيئة وعلم النفس وغير ذلك من المجالات، والمرجعيات التي ارتبطت به عند كثير من الدارسين. وقد كانت هذه النزعة موضع انتقاد من بعض رواد الاتجاه الشكلاني، بل إن جاكوبسن أعلن أنه لا هو ولا أي من رواد الشكلانية يرون الفنّ مجالاً مغلقاً، وأن تشديدهم لم يكن على

الفصل بين الأدب وتلك المجالات، ولكن همهم كان التأكيد على استقلالية الوظيفة الجمالية.

**الانتشار (Dissemination)**: يعني الفعل «Disseminate» نَشَر، نشر، بعثر، مدَّد، بثَّ، ولا سيما في ما يتصل بالحب والبذار. ومن ثم، فإن فكرة الانتشار تعني في جوهرها تعدد المعنى وتكاثره بطريقة لا يمكن ضبطها أو التحكم فيها. ويحمل مصطلح الانتشار إيحاء بالتكاثر الجنسي، إذ يذهب إلى القول بأن اللعبة النصية الحرة تتميَّز بالمتعة وعدم الاستقرار والإفراط، وهي فكرة وثيقة الصلة بالمفهوم الديونيزوسي في الفن عند نيتشه. ويستخدم دريدا مصطلح «الانتثار» بدلالة خاصة في ما يتعلق باللغة، وهو يقصد به انتثار المعنى وتمدده إلى الفيض المفرط للمعاني الذي يمثل خاصية جوهرية في جميع اللغات. وقد آثر المترجم هذا المكافئ على مكافئات أخرى مطروحة، مثل «الانتشار» و«التشتت».

**إيديوغرام (Ideogram)**: رمز يستخدم في نظام الكتابة يمثل كلمة كاملة أو مفهوماً متنقلاً، ويمثل مرحلة تالية للكتابة التصويرية كالهيروغليفية. ويمثل الإيديوغرام معنى مجرداً أو عرفياً، ولا يشترط فيه وضوح العلاقة بينه وبين المدلول الخارجي، فقد يعني إيديوغرام «القَدَم» مثلاً الفعل «يذهب»، وإيديوغرام «الشمس» معنى الحكمة، وتنتمي الكتابة الصينية إلى هذا النوع، ويسمى أيضاً إيديوغراف (Ideograph).

**التابع (Subaltern)**: يقصد بالمصطلح في معناه الحَرْفي «الطبقة الدنيا». ويحتل المفهوم مكاناً مهمّاً في الجدل الدائر في فكر ما بعد البنيوية والفكر التقويضي، وهو ما تتصدى له ـ حسبما ترى «غاياتري سبيفاك» ـ جماعة «دراسات التبعية» (Subaltern Studies Group). وترى سبيفاك أن مراحل تطور «التابع» قد تعقدت بفعل

المشروع الإمبريالي، وأن مهمة هذه الجماعة هي إعادة النظر في التاريخ الجغرافي الاستعماري للهند من حيث رصد معاناة الفلاح الهندي، وافتقاده ما سماه إدوارد سعيد «السماح بالحَكي». وقد تحولت سبيفاك انطلاقاً من هذا المفهوم إلى مناقشة معقدة تتناول الوعي لدى الجماعات المهمشة والمقموعة والتابعة، لتصل إلى القول بأن المهم في أي عمل هو الذي لم يُقَل وليس ما قيل، كما تناولت قياس الصمت (Measuring Silence) وملامح تبعية المرأة، والوجود الشبحي للتابع، مع نقد موقف المثقفين الغربيين وما يتسم به من تناقض، حيث يمكن أن يشمل قياسُ الصمت التحدثَ بلسان التابع، مع الإبقاء عليه سجين الصمت واحتباس صوته المعبّر عنه.

**التاميلية (لغة) (Tamili)**: لغة يتركز وجودها الأساسي في الهند، ويتكلم بها ستون مليوناً، منهم ثمانية وأربعون مليوناً في ولاية تاميل نادو الهندية، حيث تعد اللغة الرسمية للولاية، كما يتكلمها أربعة ملايين في سيرلانكا، ومليون في ماليزيا وأجزاء كثيرة من الشرق الأقصى، ومناطق في الشرق والجنوب من أفريقيا، وجزر الهند والمحيط الباسفيكي. وترجع آثارها الكتابية إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وتراثها الأدبي إلى القرن الأول الميلادي، وتمثل ـ باستثناء السنسكريتية ـ أقدم الآثار الأدبية في الهند.

**التعجيب (Defamiliarization)**: نشأ هذا المصطلح مرتبطاً بالشكلانية الروسية وبحلقة براغ اللسانية في ما بعد، ولا سيما بنظريات فيكتور شكلوفسكي (Viktor Shklovsky). وهو مفهوم يحدد طبيعة الفن بوجه عام ـ والأدب خاصة ـ بوصفه صياغة تعتمد المخالفة لمألوف الاستعمال، تستنفر المتلقي، وتلفت الانتباه، وتتحدى آلية التلقي، وتثير العجب والدهشة، وتضفي الطرافة والجدة على اللغة التي ابتذلها الاستعمال اليومي وارتبطت ارتباطاً مباشراً

بالأغراض العملية والمواقف المكرورة. وبذلك ندرك الأشياء على الوجه الذي نحسه لا الذي نعرفه. وفي مرحلة لاحقة استعمل المصطلح «Foregrounding» مرادفاً للتعجيب، في مقابل «backgrounding» ويقصد به التقريب والتبعيد في المشهد المصوّر، فالمكوّنات المقرّبة هي التي يقصد بها لفت الانتباه واجتذاب الإدراك، على حين تمثل المكوّنات المبعَّدة إلى الخلف عنصر المقابلة الفاعل في تشكيل استجابة المتلقي.

وقد اختار المترجم مكافئاً له «التعجيب»، وهو مصطلح استعمله ابن سينا في تلخيصه كتاب الشعر، ورأيته وثيق الصلة بالكلمة الروسية «Ostranenie»، وتعني إثارة العجب أو إضفاء الجدة على ما هو معتاد مألوف. ويرتبط هذا المصطلح بمصطلحات أخرى في علاقة شبيهة بالترادف، منها بالإضافة إلى ما سبق: نفي الآلية (Deautomatization)، التغريب (Foreignizing)، الإدهاش (Estrangement)، تشويه التشكيل (Deformation)، الأثر التغريبي (Alienation Effect).

**الدّوَّامية (Vorticism)**: حركة أدبية فنية تنتمي إلى التكعيبية والسيريالية. كانت بدايتها على يد الرسام والكاتب ويندهام لويس (Wyndham Lewis). قامت بإصدار مجلة: *Blast: The Review of Geat English Vortex* لتكون معبّرة عن توجهاتها، ولم يظهر من المجلة سوى عددين في عامي 1914 و1915. وتضمنت المجلة بيانات ويندهام وعزرا باوند والمثّال غودبير- برزيسكا (Gaudier Brzeska)، وفي المجلة نشر باوند بعضاً من أوائل قصائده التي حاول فيها إعادة صياغة نظريته عن الصورة. وقد فقدت الحركة زخمها بعد عام 1920.

**السّاغا (Saga)**: سردية نثرية ظهرت في العصر الوسيط في أيسلندا والبلاد الإسكندنافية، ويدور موضوعها حول بطولات الملوك

والمحاربين. كان معظمها تراثاً غير مكتوب، وظل كذلك حتى القرن الثاني عشر الميلادي، ثم تحولت بعد ذلك إلى تراث مكتوب.

**العلاقة بين النمط والتحقق (Type-Token Relation)**: منهجية رياضية واسعة الانتشار، ولا سيما في عملية التشخيص الأسلوبي باستخدام الطرق الإحصائية. ويقصد بالتحققات ـ في دراسة النصوص ـ مجموع الوحدات اللفظية التي يشتمل عليها النص. ولما كانت هذه الوحدات تشتمل في الوقت نفسه على التكرار، فإن فرزها يمكن أن يؤدي إلى تعيين الوحدة اللفظية الواحدة، وتسمى النمط، وبيان عدد تكراراتها وتسمى التحققات. وحساب النسبية بين عدد الوحدات (الأنماط) والعدد الكلي (التحققات) (أي مجموع كلمات النص) يمكن استثماره في مجال التشخيص الأسلوبي في ما يسمى نسبة التحقق إلى النمط (Type-Token Ratio (TTR)). ولا يقتصر توظيف هذا النموذج الرياضي على دراسة النصوص، ولكنه قابل للتطبيق في دائرة واسعة من الحقول المعرفية. وقد استخدم في بحث «خاصية تنوع المفردات في الأساليب الكتابية للرافعي والعقاد وطه حسين»[2].

**اللغة الكانادية (Kannada)**: هي اللغة الرسمية لولاية كارناتاكا في الجنوب الغربي من الهند يتكلمها حوالى ستة وعشرين مليون نسمة، ويمتد التاريخ المعروف من تراثها الأدبي إلى القرن التاسع الميلادي.

**فلسفة الجوهر (Substantialism/ Essentialism)**: فلسفة تقوم على الاعتقاد بأن خصائص الموضوع المدروس وصفاته هي

---

(2) انظر: سعد عبد العزيز مصلوح، **في النص الأدبي**: **دراسة أسلوبية إحصائية** (القاهرة: عالم الكتب، [د. ت.])، ص 87-114.

خصائص جوهرية قائمة فيه وملازمة له بأصل التكوين، ومن ثم فإن السياقات التي توجد فيه الأشياء والموضوعات ويجرى دراستها فيها لا علاقة لها بهذه الخصائص والصفات. وبهذا الاعتبار تتميز فلسفة الجوهر من النظريات والمقاربات الجدلية أو السياقية أو العلائقية. ويمكن أن يوصف بهذه النزعة أي مقاربة ترى أن العمل الأدبي ينطوي على لبّ معنوي ثابت لا يتغير، وهو أمر يُحْمَل على مقاربة النقد الجديد والمقاربات ذات الطابع الإنسي. والمذهب النقيض لهذا الاتجاه هو مذهب النسبية، ولا يسلم الأمر من الغمز المتبادل بين المتشددين على كلا الجانبين، وربما يكون استعمال مصطلح العلائقية (Relationism) مخرجاً مناسباً وبديلاً لمذهب النسبية.

وتستخدم غاياتري سبيفاك مصطلح الجوهرية الاستراتيجية (Strategic Essentialism) معبّرة به عن الاعتقاد بأن استخدام مقولات الجوهرية ربما يكون ضرورياً من الوجهة الاستراتيجية لخوض بعض المعارك الثقافية.

**اللوغــوس (Logos)**: هو مصطلح من المرتكزات الأساسية في أدبيات التقويضية، ويعني في مدلوله القريب الصوتَ أو الكلامَ المنطوق. غير أن اتساع محتواه الفكري وسياقات استعماله وارتباطه بالقوة المطلقة الخالقة أكسبه قدراً كبيراً من التعقد الذي جعله مستعصياً على التحديد الدقيق. ويعرِّف ريتشارد هارلاند (Richard Harland) اللوغوس في أدبيات دريدا بأنها كلمة يونانية يستحضر مفهومُها المفردُ ـ في آن واحد ـ المبدأَ المعقولَ الباطنَ في النصوص القولية، والمبدأ المعقول الباطن لدى البشر، والمبدأ المعقول الباطن في الكون. وفوق استحضار اللوغوس لهذه المبادئ جميعاً نجده يربط ذلك كله بمعنى آخر هو: القانون (The ‘Law’). ويمارِس اللوغوس ـ باعتباره مبدأ معقولاً باطناً ـ مهمةَ التحكم في الأشياء المادية الظاهرة وتسييرها.

**المدوّنة المعتمدة (Canon)**: مصطلح كنسي في الأصل، أطلق على النص الديني المعتمد لدى السلطة الكهنوتية، ويقتضي ذلك إقصاء نصوص أخرى لا تحظى بالاعتراف. أما في الخطاب النقدي فيستعمل ليقصد به: (1) مجموعة الأعمال المعتمدة لثبوت نسبتها إلى مؤلفها ثبوتاً قطعياً. (2) الأعمال التي تحتل مكانة خاصة في تاريخ الثقافة المعينة لما تمتاز به من قيمة وأهمية. وقد أدى ربط الاعتماد بالقيمة والأهمية إلى اكتساب مفهوم المدوّنة المعتمدة صفة النسبية، وجعل منه مفهوماً محكوماً باختلاف العصور وصراع الأيديولوجيات والمصالح والانتماءات، وتباين أجناس القول. ومن أمثلة ذلك من الثقافة العربية اتخاذ الشعر الجاهلي والقرآن الكريم والحديث والنتاج القولي في عصر الاحتجاج مدوّنة معتمدة في الفكر اللغوي العلمي القديم.

**المركز (Telos)**: من مصطلحات دريدا، ويشير به (مع عدة مصطلحات أخرى على وجه التقريب مثل: (Arche-, Origin, End)) إلى ما يسميه «نقطة الحضور» (Point of Presence) أو الأصل الثابت (Fixed Origin). ويفرض «المركز» حدوداً وقيوداً على لعبة التركيب (Structure) الذي يوجد فيه. ويتجه الجانب الأعظم من طاقة التقويضية نحو تحرير التراكيب من طغيان المركز أو المراكز التي تخضع لها التراكيب، لإطلاق لعبة الدلالة إلى ما لانهاية[3].

**المستقبلية (Futurism)**: هو اتجاه في الفن ظهر في إيطاليا عام 1909 على يد الشاعر فليبو توماسو مارينيتي (Filippo Tommaso Marinetti)، ويمثل رد فعل ثورياً متحدياً للتقاليد، يعلي من قيمة

(3) Jeremy Hawthorn, *A Glossary of Contemporary Literary Theory*, 4th ed. (London: Arnold; New York: Oxford University Press, 2000).

المظاهر الديناميكية التي تميز الحياة المعاصرة من سرعة وآلية. وتميزت أعمال الشعراء المنتمين إلى هذا الاتجاه بطابع تجريبي يقوم على إقصاء كل ما هو معتاد من الأشكال والمعاني. وامتد تأثير الاتجاه إلى الفن التشكيلي على يد إمبرتو بوتشيوني (Umberto Boccioni) (1882 ـ 1916)، فأنتج المستقبليون منهم لوحات وتماثيل تقدم الأشياء في حالة حركة باستخدام تكرار الأشكال، وإبراز نقاط القوة في العمل، والفصل الواضح بين الأشياء والفراغ.

**النزعة التصويرية (Imagism)**: اتجاه فني ينتمي إليه عدد من كبار الشعراء الذين برزوا قبيل الحرب العالمية الأولى، ومن أشهرهم عزرا باوند وإيمي لوويل وريتشارد آلدنغتون. ويرى التصويريون أن الصورة المحكمة الواضحة أمر جوهري ملازم لطبيعة النظم، وأن على الشعر أن يستخدم لغة الحياة اليومية للتعبير عن كل ما يريده الشاعر من موضوعات بلا قيود. ومن أظهر الأمثلة على هذه النزعة ديوان: «Des Imagistes» للشاعر عزرا باوند (صدر عام 1914)، الذي أعلن البراءة من هذا الاتجاه في ما بعد.

**النسبية (نظرية) (Relativism)**: هي الاعتقاد بأن المعايير والمعاني والحقائق ليس لها قوة مطلقة، ولكنها محكومة بظروفها وسياقاتها وعلاقاتها. ويمكن القول ـ على وجه العموم ـ إن ما يحمله المصطلح من إيحاء غير محبب جعل المدافعين عن فكرة النسبية ـ بمعنى أن المعارف تقوم على العلاقات وليس على القيم المطلقة ـ يؤثرون مصطلحات أخرى مثل: علائقية (Relational)، أو جدلية (Dialectical)، أو أخيراً المصطلح المستحدث «اختلاف» (Difference). وقد واجهت المقاربات النظرية كالبنيوية والتقويضية لدى كثير من النقاد أخيراً مصاعب عدة حين حدث توسع في تطبيقها من المجال النظري إلى المجال العملي كالسياسة مثلاً، لأسباب

أخلاقية تتعلق بالتلاعب بالنصوص. ويميز كثير من الباحثين ـ حلّاً لهذا الإشكال ـ بين نوعين من النسبية: النسبية الثقافية (Cultural Relativism)، والنسبية المعرفية (Epistemological Relativism)، حيث يبدو النوع الأول أكثر تواضعاً، إذ يقتصر على تأكيد أن الحاجة إلى فهم الثقافات يجعل المنتمين إليها أكثر قبولاً لفهم أنفسهم والعالم من حولهم، وعلاقاتهم بالعالم بطرق مختلفة. أما دعاة النوع الثاني فهم أكثر ميلاً إلى توسيع دائرة نشاطهم وشمولية توجهاتهم، إذ يرون أن تباين علاقتنا بالواقع يجعل التواصل محالاً، وينكرون إمكان التوصل إلى عالم يسع الجميع أو إلى تجربة مشتركة بين البشر. وتمتد جذور النسبية الثقافية إلى الأنثروبولوجيا، وتجد تشجيعاً لها في ما يقوم به دعاة نظرية ما بعد الاستعمار من عمل. أما النسبية المعرفية، فترجع في الغالب إلى الفكر الفلسفي التجريدي.

**النص الخفي (الخبيء/ الفرعي) (Sub-Text)**: هو نص ذو وجود ضمني في النص الأساسي، ولكنه غير مصرّح به ولا مكشوف. ارتبط في أول نشأته بمسرح الصمت (Theatre of Silence)، ثم تحقق له انتشار واسع في الحقبة الأخيرة لصلته الوثيقة بعدد من النظريات اللسانية، مثل نظرية الفعل الكلامي (Speech Act Theory) والنظريات النقدية التي ترى أن الأدب بوجه خاص، واللغة بوجه عام، يمارسان وظيفتهما من خلال المعاني الضمنية والخفية وغير المباشرة، بقدر اعتمادها على ما هو معلن وصريح ومكشوف. ويرتبط مصطلح النص الخفي بمصطلح آخر هو الإيحائية (Suggestiveness)، وإن كان ما بينهما من الفروق يحول دون اعتبارهما مترادفين.

# ثبت المصطلحات

| | |
|---|---|
| آنّي | Synchronic |
| ابتكار/ تجديد | Innovation |
| أثر | Trace |
| أثر تغريبي | Alienation Effect |
| إجراء تحليلي | Procedure |
| احتباك نصي | Textual Coherence |
| احتمالي | Stochastic |
| أحدية (غير قابلة للانقسام) | Monistic |
| إحلال | Replacement |
| اختباري/ إمبريقي | Empirical |
| اختراق إبداعي | Transcreation |
| اختراق إشعاعي | Transluciferation |
| اختراق التشكيل النصي | Transtextualization |
| اختراق تنويري | Transillumination |
| اختلاف بلا أرضية | Ungrounded Difference |
| أداء | Performance |

| | |
|---|---|
| Situation Management | إدارة موقف |
| Popular Literature | أدب العامة |
| Metaliterature | الأدب على الأدب |
| Literary | أدبي |
| Extra - Literary | أدبي حافٌّ (من خارج الأدب) |
| Literariness | أدبية |
| Ground of Difference | أرضية الاختلاف |
| Sudden Insight | استبصار صادم |
| Subconscious Associations | الاستدعاء شبه الواعي |
| Unconsious Association | الاستدعاء غير الواعي |
| Foreignizing Strategy | استراتيجية التغريب |
| Skillfull Aiming | استهداف حاذق |
| Gerund | اسم (نحو) |
| Present Participle | اسم فاعل |
| Semiosis | إشارة سيميائية |
| Content Derivative | اشتقاق مضموني |
| Inter Language Forms | أشكال متداخلة في ما بين اللغات |
| Untouchable Original | أصل مُحصَّن (غير قابل للمساس) |
| Réécriture Au fiminine | إعادة الكتابة عن المرأة (نظرية) |
| Recontextualization | إعادة صياغة السياق |
| Paradigmatic Aspect | اعتبار استبدالي |
| Interprectative Aspect | اعتبار تفسيري |

| | |
|---|---|
| Syntagmatic Aspect | اعتبار نظمي (أفقي/ تتابعي) |
| Archaism | الإغراب اللفظي |
| Disequilibrium | افتقاد التوازن (سمة تعبيرية) |
| Contortion | التواء (ظاهرة ترجمية) |
| Abusive Fidelity | أمانة مستفِزَّة |
| Affirmative Productivity | إنتاجية إيجابية |
| Plagiarism | انتحال |
| Trangression | انتهاك |
| Diapherein | أنجز النقل |
| Human | إنساني |
| Humanistic | إنسيّ |
| Humanism | إنسيَّة (نزعة/ مذهب) |
| Impressionism | الانطباعية (نزعة/ مذهب) |
| Ontological - Temporal | أنطولوجي ـ زماني |
| Discontinuity | انقطاع |
| Primary | أوَّلي |
| Brevity | إيجاز (خاصية مميزة) |
| Suggestivness | إيحائية |
| Ideogram | إيديوغرام |
| Expansion | بسط (ظاهرة في الترجمة) |
| Residue | بقية/ مخلفات |
| Structure | بنية |

| | |
|---|---|
| Deep Structure | بنية باطنة |
| Core Structure | بنية صميمية |
| Surface Structure | بنية ظاهرة |
| Structure Structure | بنية مضمرة |
| Structuralism | بنيوية |
| Structuralism Taxonomic | بنيوية تصنيفية |
| Anthropophagy | تآكل أنثربولوجي |
| Historicism | تاريخانية |
| Literary Historicism | تاريخانية أدبية |
| Hermeneutics | التأويلية |
| Permutation | تبديل الموقع |
| Cultural Dependency | تبعية ثقافية |
| Backgrounding | تبعيد |
| Abstraction | تجريد |
| Manifestations | تجليات |
| Idiosyncratic Realization | تحقق متفرد |
| Arbitrary | تحكمي |
| Symptomatic Analysis | تحليل تشخيصي |
| Back - Transformation | تحويل ارتدادي |
| Regulated Transformation | تحويل منضبط |
| 'Syn' - Thesis | تخليق متزامن |
| Literary Interference | تداخل أدبي |

| | |
|---|---|
| Interference Translation | تداخل ترجميّ |
| Domestication | تدجين |
| Translation | ترجمة |
| Mechanical Translation | ترجمة آلية |
| Back-Translation | ترجمة ارتدادية |
| Faithful Translation | ترجمة أمنية |
| Interlingual Translation | ترجمة بينية |
| Free Translation | ترجمة حرة |
| Literal Translation | ترجمة حَرْفية |
| True Translation | ترجمة دقيقة |
| Intersemiotic Translation | ترجمة سيمائية تبادلية |
| Transparent Translation | ترجمة صريحة |
| Phonemic Translation | ترجمة صوتية |
| Intralingual Translation | ترجمة لغوية أحادية |
| postcolonial Translation | ترجمة ما بعد الاستعمار |
| Squared Translation | ترجمة مربعة |
| Adorned Translation | ترجمة مزركشة |
| Foreignized Folktale | ترجمة مُغَرَّبة |
| Rhyming Translation | ترجمة مقفاة |
| Second - Hand Translation | ترجمة من الدرجة الثانية |
| Metrical Translation | ترجمة وزنية |
| Intermediate Translation | ترجمة وسيطة |

| | |
|---|---|
| Reverberation Sounds | ترجيعات الأصوات |
| Complex of Norms | تركيبة معايير |
| Naming | تسمية |
| Dichotomy | تشعيب ثنائي (قسمة ثنائية) |
| Coding | تشفير |
| Deformation | تشويه الشكل |
| Dogmatism | التصلب الفكري |
| Typologizing | تصنيف تنميطي |
| Natural Categorization | تصنيف طبيعي |
| Topicalizing | تصنيف موضوعي |
| Taxonomic | تصنيفي |
| Concept | تصور |
| Prototypical Concept | تصور نمطي أوّل |
| Preconceptions | تصورات سالفة |
| Imagistic | تصويري |
| Imagism | التصويرية (نزعة/ مذهب) |
| Technical Juxtaposition | التضام التقني |
| Congruence/ Identity | تطابق |
| Adaptation | تطويع |
| Interrelatedness | تعالق |
| Paraphrase | تعبير موازٍ |
| Neologism | التعبيرات الـمُوَلَّدةَ |

| | |
|---|---|
| Defamiliarization | تعجيب |
| Ostranenie | تعجيب (مصطلح روسي) |
| Reciprocally Reinforcing | تعزيز متبادل |
| Linguistic Relevance | تعلق لساني |
| Functional Relevance | تعلق وظيفي |
| Massive Metalepsis | التعمية الجمعية |
| Estrangement | تغريب/ تعجيب |
| Shift | تغير بديل |
| Luminous Details | تفاصيل مضيئة |
| Destructure | تفكيك |
| Foregrounding | تقريب |
| Nomological | تقنيني |
| Deconstruction | التقويضية |
| Affirmative Deconstruction | تقويضية إيجابية |
| Standardization | تقييس |
| Equivalence | تكافؤ |
| Facultative Equivalence | تكافؤ اختياري (كلمة تكافئ أكثر من كلمة) |
| Potential Equivalence | تكافؤ بالقوة |
| Total Equivalence | تكافؤ تام (كلمة لكلمة) |
| Approximative Equivalence | تكافؤ تقريبي (كلمة تكافئ جزءاً من كلمة) |
| Faulty Equivalence | تكافؤ خاطئ |

| | |
|---|---|
| Semantic Equivalence | تكافؤ دلالي |
| Dynamic Equivalence | تكافؤ ديناميكي |
| Formal Equivalence | تكافؤ شكلي |
| Null Equivalence | تكافؤ صفري (كلمة لا مكافئ لها) |
| Syntactic Equivalence | تكافؤ نحوي (تركيبي) |
| Assignment | تكليف |
| Pun | التلاعب بالألفاظ |
| Cross Fertilization | تلاقح |
| Reception | التلقي |
| Similarity | تماثل |
| Distinction Theoritical | تمايز نظري |
| Formal Representation | تمثيل شكلي |
| Proto Typology | تنميط أوّل |
| Variability | التنوع (مقولة/ سمة تعبيرية) |
| Cannibalization | تهجين |
| Mute Twin | توأم صامت |
| Stream of Consciousness | تيار الوعي |
| Hypothetical Invariant | ثابت افتراضي |
| Secondary | ثانوي |
| Invariance | ثبات |
| Source - Culture | الثقافة - المصدر |
| Receiving Culture | ثقافة مستقبِلة |

| | |
|---|---|
| Target Culture | ثقافة مستهدَفَة |
| Specific pair - bound | ثنائي التحديد |
| Paired Segments | ثنائيات مكونات جزئية |
| Dualistic Representation | ثنائية التمثيل (نظرية) |
| Form/ Content | ثنائية الشكل/ المحتوى |
| Form/ Theme | ثنائية الشكل/ الموضوع |
| Universal | جامع/ كليٍّ (ج. جوامع/ كليات) |
| Onomatopoeia | الجرس الموحي |
| Aesthetic | جمالي |
| Standing Sentence | جملة ماثلة (جاهزة) |
| Universals Translation | جوامع ترجمية |
| Formal Universal | جوامع شكلية |
| Essentialism | الجوهرية (نظرية) |
| Strategic Essentialism | الجوهرية الاستراتيجية |
| Mood | حالة مزاجية |
| Coherence | حبك (المحتوى المفهومي) |
| Modernistic | حداثي |
| Event | حدث |
| Intution | حدس |
| Deletion | حذف |
| Empirical Fact | حقيقة اختبارية (إمبريقية) |
| Transcendental Fact | حقيقة عليا |

| | |
|---|---|
| Fantastic Phantasmagoric Tales | حكايات غرائبية متحركة |
| Folktale | حكاية شعبية |
| De Coding | حل الشفرة |
| Extrinisc | خارجي |
| Poeticity | الخاصية الشعرية |
| Melopoeia | خاصية الموسيقية |
| Expressive Character | خاصية تعبيرية مائزة |
| Phanopoeia | خاصية منظورة |
| Intentional Fallacy | خداع القصد |
| Contour | خط كفافي |
| Archi-Originatory Intactness | خلوص أصيل قديم |
| Intrinsic | داخلي |
| Signifier | دالّ |
| Influence Studies | دراسات التأثير |
| Translation Studies | دراسات ترجمية |
| Subaltern Studies | دراسة ظاهرة التبعية |
| Vortex | دوامة |
| Vorticism | الدوَّاميَّة |
| Subject | ذات |
| Performance Oriented | ذات توجه إلى الأداء (نظرية) |
| Competence Oriented | ذات توجه إلى الكفاءة (نظرية) |
| Target - Text Oriented | ذات توجه إلى النص المستهدف (نظرية) |

| | |
|---|---|
| Source - Text Oriented | ذات توجه إلى النص – المصدر |
| Selfreferentiality | ذاتية الإحالة |
| Counter Memory | ذاكرة مضادة |
| Mentalistic | ذهني |
| Communicatively Oriented | ذو توجه اتصالي |
| Transfer Oriented | ذو توجه إلى التحويل (اتجاه) |
| Practice Oriented | ذو توجه إلى الممارسة |
| Scientistic | ذو قناع علمي |
| Patronage | رعاية (متحكمة) |
| Diachronic | زمانيّ (تعاقبي) |
| Addition | زيادة |
| Cohesion | سبك (ظاهر النص) |
| Talk - Aloud Protocol | سجل وقائع الحديث الجهري |
| Irony | سخرية/ تهكم (خاصية تعبيرية)/ مفارقة |
| Naivete - Theoritical | سذاجة نظرية |
| Deautomizaion | سلب الآلية |
| De-centering | سلب المركزية (نفي) |
| Emotional Feature | سمة الانفعالية |
| Expressive Feature (Quality) | سمة (صفة) تعبيرية |
| Irrational Feature | سمة اللامعقول |
| Precedent - Setting Texts | سوابق نصية |
| Intersimiotic | سيميائي بيني |

| | |
|---|---|
| Textual Grid | شبكة اتصال نصي |
| Quasi - Cybrentic Automatic | شبه آلي التحكم |
| Semi - Literary | شبه أدبي |
| Pseudo - Translation | شبه الترجمة (ترجمة في غياب الأصل) |
| Free Verse | شعر حُرّ |
| Blank Verse | شعر مرسل |
| Code | شفرة |
| Form | شكل |
| Experimental Form | شكل تجريبي |
| Deviant Form | شكل معدول |
| Formalism of Forms | شكلانية الأشكال |
| Russian Formalism | الشكلانية الروسية |
| Object | شيء/ موضوع |
| Interliterary Relations | صلات أدبية متعالقة |
| Image | صورة |
| Conceptualization | صياغة تصورية |
| Institutionalization | صياغة مؤسسية |
| Prose Version | صيغة نثرية |
| Register | ضرب استعمالي |
| Patterned Energy | طاقة مُنَمْذَجَة |
| Stratification | طبقية |
| Model | طراز (نظري) |

| | |
| --- | --- |
| Problem - Solving Model | طراز المشكلة والتماس الحلّ |
| Stratified Model | طراز نظري طبقي |
| joviality | طرافة (خاصية تعبيرية) |
| Mutation | طفرة |
| Mutation of Systems | طفرة الأنساق |
| Italianization | طَلْيَنَة |
| Invariant Factor | عامل ثابت |
| Mental Factor | عامل ذهني |
| Extra-linguistic Factor | عامل لساني حافّ/ من خارج اللسانيات (اللغة) |
| Heterogeneity | عدم التجانس |
| Non - Presence | عدم الحضور |
| Non - Representability | عدم القابلية للتمثيل |
| Non - Identity | عدم المطابقة |
| Absolute Nothingness | عدم مطلق |
| Inadequacy | عدم الوفاء |
| Attentive Mind - Changing | عدول يقظ |
| Social Convention | عرف اجتماعي |
| Radiant Node | عقدة مشعة |
| Relational | علائقي |
| Relation | علاقة |
| Intrasystemic Relations | علاقة نسقية داخلية |

| | |
|---|---|
| Sign | علامة |
| Label | علامة تصنيفية |
| Ethnography | علم الأعراق |
| Cybernetics | علم التحكم |
| Text Typology | علم تنميط النص |
| Metascience | علم مجاوز |
| Cognitive Science | علم معرفي |
| Cognitive Psychology | علم النفس المعرفي |
| Original Work | عمل أصلي |
| Top - Down Work | عمل ذو اتجاه نازل |
| Unified Work | عمل متوحد |
| Petrified Element | عنصر متحجر |
| Skopos And Commission | الغاية والتفويض (نظرية) |
| Howler | غلط فاحش |
| Ambiguity | غموض/ لَبْس |
| Non - Literary | غير أدبي |
| Functional-Relational of Equivalence Postulate | الفرضية الوظيفية العلائقية للتكافؤ |
| Innateness | فطرة/ سليقة |
| Innate | فطري/ سليقي |
| Effectiveness | الفعالية التأثيرية |
| Act of Translating | فعل الترجمة |

| | |
|---|---|
| Act of Interpreting | فعل التفسير |
| Speech Act | فعل كلامي (نظرية) |
| Art-for-Arts Sake | الفن للفن (نظرية) |
| Interpenterability | قابلية للاختراق |
| Trancendable | قابلية للتجاوز |
| Translatability | قابلية للترجمة |
| Inter-Translatibility | قابلية متبادلة للترجمة |
| Competent Reader | القارئ الكفء |
| Rewriting Rule | قاعدة إعادة الكتابة |
| Phrase Structural Rule | قاعدة بنية العبارة |
| Transformational Rule | قاعدة تحويلية |
| Correspondence Rule | قاعدة توافق |
| Linear Rule | قاعدة خطية |
| Rorsch/ Berlin Foundation | قاعدة رورش/ برلين |
| Non - Linear Rule | قاعدة لاخطّية |
| Lexical Rule | قاعدة معجمية |
| Systemic Law | قانون نسقي |
| Contraction | قبض (ظاهرة ترجمية) |
| Symptomatic Reading | قراءة تشخيصية |
| Mans Double | قرين |
| Tertium Comparationis | قسيم ثالث |
| Intention | قصد |

| | |
|---|---|
| Originary intent | قصد أصيل |
| Metapoem | قصيدة على قصيدة |
| Macro Proposition | قضية كبرى |
| Global Proposition | قضية كلية |
| Thrust | قوة دافعة |
| Analogy | قياس |
| Measuring Silence | قياس الصمت |
| Original Writer | كاتب أصلي |
| Competence | كفاءة |
| Analytical Competence | كفاءة تحليلية |
| Hypothetical Entity | كيان افتراضي |
| Anoriginality | اللاأصل |
| Ahistorical | لاتاريخي |
| Non - Translation | اللاترجمة |
| Indeterminacy | لاتَعَيُّن |
| Silent Non - Entity | لاكيانٌ صامت |
| Atheoretical | لانظري |
| Core | لُبّ |
| Monolinguistic | لساني أُحادي |
| Socio - Linguistics | لسانيات اجتماعية |
| Functional Linguistics | اللسانيات الوظيفية |
| Text Linguistics | لسانيات نصية |

| | |
|---|---|
| Psycholinguistics | لسانيات نفسية |
| Descriptive Linguistics | لسانيات وصفية |
| Interlinguistic | لسانية بينية |
| Logopoeia | اللعبة الدلالية |
| Pure Language | لغة خالصة |
| Meta - Language | اللغة على اللغة (كلام على كلام) |
| Minor Language | لغة محدودة الانتشار |
| Source Language (SL) | لغة المصدر |
| Deviant Language | لغة معدولة |
| Target Language (TL) | لغة الهدف |
| Logos | اللوغوس |
| Post - Structuralism | ما بعد البنيوية |
| Post - Symbolism | ما بعد الرمزية |
| Pre - Original | ما قبل الأصل |
| Pre - Ontological | ما قبل الوجود (ما قبل الأنطولوجيا) |
| Catalyst | مادة حفّازة (كيمياء) |
| Physicalistic | مادية (فيزيقية) |
| Positive Essentialism | ماهوية إيجابية |
| Essence | ماهية |
| Initiator | مُبَادر |
| Pre - Ontological Inquiry | مبحث ما قبل الوجود |
| Kantian Universality | مبدأ الجامعية |

| | |
|---|---|
| Kernel Structure | مبنى نووي |
| Translotorese | مترجم سقيم الترجمة |
| Random variable | متغير عشوائي |
| Inter-Disciplinary | متكامل الاختصاص |
| Additional Instance | مثال إضافي |
| Prime Instance | مثال أولي |
| Abstract | مجرد |
| Structural Grouping | مجموع تركيبي |
| Dynamic Content | محتوى ديناميكي |
| Ideational Content | محتوى فكري |
| Finitude | محدودية |
| Impressionistic Sketch | مخطط انطباعي |
| Conceptual Scheme | مخطط تصوري |
| Signified | مدلول |
| Transcedental Signified | مدلول متعالٍ |
| Canon | مدونة معتمدة |
| Brief - Translation | مذكرة الترجمة |
| Substantialism | مذهب الجوهر (الجوهرية) |
| Semantic Reference | مرجعية دلالية |
| Textual Reference | مرجعية نصية |
| Emotional Complex | مركّب انفعالي |
| Intellectual Complex | مركَّب ذهني |

| | |
|---|---|
| Telos | المركز/ المنتهى |
| Objective Distance | مسافة موضوعية |
| Futuristic | مستقبلي |
| Level | مستوى |
| Microlevel | مستوى أصغر |
| Macrolevel | مستوى أكبر |
| Microstructural Level | مستوى البنى الصغرى |
| Macrostructural Level | مستوى البنى الكبرى |
| Urderlying - Level | مستوى مضمر (مستتر) |
| Agit - Prop Theatre | مسرح التهيج الدعائي |
| Non-Dit | مسكوت عنه |
| Conforming | مُشَاكلة |
| Disshevelled | المشعَّثون (جماعة) |
| Disciplinary Matrix | مصفوفة تخصصية |
| Underlying | مضمر |
| Content | مضمون |
| Matricial Norms | معايير مصفوفية (معيار إجرائي) |
| Textual Norms | معايير نصية |
| Diction | معجم |
| Tacit knowledge | معرفة ضمنية |
| True Meaning | معنى حقيقي |
| Specific Meaning | معنى متعين |

| | |
|---|---|
| Initial Norm | معيار ابتدائي (للترجمة) |
| Norm Translation | معيار ترجمي |
| Preliminary norm | معيار تمهيدي (من معايير الترجمة) |
| Operational Norm | معيار الممارسة (للترجمة) |
| Mute Irony | مفارقة صامتة |
| Compositional Concept | مفهوم إنشائي |
| Concept Underlying | مفهوم مستتر |
| Key-Concept | مفهوم مفتاحيّ |
| Thematic Concept | مفهوم موضوعاتي |
| Many-to-One Correspondence | مقابلة الكثرة بالواحد |
| One-to-One Correspondence | مقابلة واحد بواحد |
| Inter-Disciplinary Approaches | مقاربات تخصصية متكاملة |
| Linear Approach | مقاربة خطية |
| Non - Evaluative Approach | مقاربة غير تقويمية |
| Non - Elitist Approach | مقاربة غير نخبوية |
| Functional Approach | مقاربة وظيفية |
| Pragmatics | مقاميات |
| Acceptability | المقبولية |
| Categories Universal | مقولات جامعة/ كليات |
| Stereotyped | مقولب |
| Expressive Category | مقولة تعبيرية |
| Optimal Equivalent | المكافئ الأفضل |

| | |
|---|---|
| Pragmatic Equivalence | مكافئ مقاماتي |
| Functional Equivalence | مكافئ وظيفي |
| Base - Component | مكوِّن ـ أساس |
| Institutional Logic | منطق مؤسسي |
| Battery | منظومة وسائل تحليلية |
| Cultural turn | منعطف ثقافي |
| Value - Free Method | منهج لاتقويمي |
| Means-to-an End Method | منهجية طريقة توصل إلى غاية |
| Seiende | الموجود |
| Institutional-communicative | المؤسسي ـ الاتصالي (إطار) |
| Thematic | موضوعاتي |
| Quadriphonic Site | موقع رباعي الأصوات |
| Author - Function | المؤلف ـ الوظيفة |
| Historical Grammar | نحو تاريخي |
| Fragmented Syntax | النحو المتشظي |
| 'Syn' - Tax | نحوي متزامن |
| Scientistic Science | نزعة علمية مغالية |
| Relativism | نسبية (نظرية) |
| Translatorial Relativity | النسبية الترجِمية (بين المترجمي) |
| Cultural - Relativism | نسبية ثقافية |
| Linguo - Cultural Relativity | نسبية لغوية ـ ثقافية |
| Epistemological - Relativism | نسبية معرفية |

| | |
|---|---|
| Major System | نسق أساسي |
| System of Systems | نسق الأنساق |
| Goal-Seeking System | نسق البحث عن الهدف |
| Minor Subsystem | نسق ثانوي فرعي |
| Self - Regulating System | نسق ذاتي التنظيم |
| Gestalt - Like System | نسق شبه جشطالتي |
| Multiple System | نسق مُركَّب |
| Unstratified System | نسق مُصَمت |
| Metonymic Activity | نشاط ذو طبيعة مجازية |
| Purposeful Activity | نشاط هادف |
| Allegorical Text | نص ـ أمثولة |
| Modernistic Text | نص حداثي |
| Metatext | نص شارح |
| Subtext | نص فرعي/ خبيء |
| Refracted Text | النص المتكسر |
| Futuristic Text | نص مستقبَلي |
| Target Text | نص مستهدَف |
| Source Text | نَصٌّ مصدر |
| Canonical Text | نص معتمد |
| Oriented Text - Translation | نص مهيّأ للترجمة |
| Intertextual | نصّي بينيّ |
| Intratextual | نصّي داخلي |

| | |
|---|---|
| Textemic | نصي وظيفي |
| Extraliterary Order | نظام أدبي حافّ |
| Theoritical | نظري |
| Theory | نظرية |
| Translation Theory | نظرية ترجمة |
| Relevance Theory | نظرية التعلق |
| Aesthetic Theory | نظرية جمالية |
| Minimax Theory | نظرية الحد الأدنى |
| Dynamic Theory | نظرية حركية |
| Discourse Theory | نظرية الخطاب |
| Predetermined Theory | نظرية سابقة التجهيز |
| Static Theory | نظرية سكونية |
| Phonetic Theory | النظرية الصوتية (في الترجمة) |
| Subtheory | نظرية فرعية (مشتقة) |
| Mimetic Theory | نظرية محاكاة |
| Polysystem Theory | نظرية النسق المتعدد |
| Cannibalistic Theory | نظرية الهجنة |
| Organic Verse | نظم ذو بنية عضوية |
| Criticism | نقد |
| Practical Criticism | نقد عملي |
| Creative Transposition | نقل إبداعي |
| Type/ Token | النمط/ التحقق (علاقة) |

| | |
|---|---|
| Megatype | نمط أكبر |
| Prototype | نمط أوّل |
| Mentalistic Paradigm | نموذج ذهني |
| Kernel | نواة |
| Intact kernel | نواة خالصة |
| Qualitative | نوعي |
| Cannibalism | هجنة |
| Abyss | (هوةٍ) ما قبل التكوين |
| Historical Metalepsis | هيمنة تاريخية |
| Sein | الوجود |
| Reporteme | وحدة إخبارية وظيفية |
| Texteme | وحدة نصية وظيفية |
| Workshop Translation | ورشة الترجمة |
| Hexameter | وزن سداسي |
| Mediation | وساطة |
| Function - Oriented Description | الوصف ذو التوجه الوظيفي |
| Process - Oriented Description | وصف ذو توجه عملياتي |
| Product - Oriented Description | الوصف المتوجه إلى المنتَج |
| Neopositivism | الوضعية المحدَثَة (نظرية) |
| Logical Positivism | الوضعية المنطقية (نظرية) (الوضعية المحدثة) |
| Function | وظيفة |
| Literary Function | وظيفة أدبية |

| | |
|---|---|
| Appellative Function | وظيفة الاستمالة |
| Expresive Function | وظيفة التعبير |
| Representational Function | وظيفة التمثيل |
| Constructional Function | وظيفة تركيبية |
| Verbal Function | وظيفة لفظية |
| Faulty Function | وظيفة معيبة |
| Subaltern Consciousness | الوعي التابع |
| Adequacy | الوفاء (بالنص) |
| Near - Adequacy | وفاء تقريبي |

# المراجع

## 1- العربية

### كتب

دريدا، جاك. **الكتابة والاختلاف.** ترجمة كاظم جهاد. الدار البيضاء: دار توبقال، 1988.

الرويلي، ميجان وسعد البازعي .**دليل الناقد الأدبي.** ط 3. [بيروت]: مركز الثقافي العربي، [د. ت.].

مصلوح، سعد عبد العزيز. **في النص الأدبي: دراسة أسلوبية إحصائية.** القاهرة: عالم الكتب، [د. ت.].

## 2- الأجنبية

### *Books*

Aaltonen, Sirkku. *Time-Sharing on Stage: Drama Translation in Theatre and Society*. Clevedon, England; Buffalo, NY: Multilingual Matters, 2000. (Topics in Translation; 17)

Alvarez, Román and M. Carmen Africa Vidal (eds.). *Translation, Power, Subversion*. Clevedon; Philadelphia: Multilingual Matters, 1996. (Topics in Translation; 8)

Apter, Ronnie. *Digging for the Treasure: Translation after Pound.* New York: P. Lang, 1984. (American University Studies. Series IV, English Language and Literature; v. 13)

Arnauld, Antoine. *The Art of Thinking; Port-Royal Logic*. Indianapolis: Bobbs-Merrill [1964].

Austin, John Langshaw. *How to Do Things with Words*. Oxford: Clarendon Press, 1962. (William James Lectures; 1955)

Ayer, A. J. [et al.]. *Reflexive Water: The Basic Concerns of Mankind*. Edited by Fons Elders. London: Souvenir Press, 1974. (Condor Book)

Baker, Mona (ed.). *Routledge Encyclopedia of Translation Studies*. Assisted by Kirsten Malmkjaer. London; New York: Routledge, 1998.

Bakhtin, Mikhail Mikhailovich. *The Dialogic Imagination: Four Essays*. Edited by Michael Holquist; Translated by Caryl Emerson and Michael Holquist. Austin: University of Texas Press, 1981. (University of Texas Press Slavic Series; no. 1)

Bann, Stephen and John E. Bowlt (eds.). *Russian Formalism: A Collection of Articles and Texts in Translation*. Edinburgh: Scottish Academic Press, 1973. (20th Century Studies)

Barthes, Roland. *Elements of Semiology*. Translated from the French by Annette Lavers and Colin Smith. New York: Hill and Wang, [1968].

Bassnett, Susan. *Comparative Literature: A Critical Introduction*. Oxford, UK; Cambridge, MA: Blackwell, 1993.

———. *Feminist Experiences: The Women's Movement in Four Cultures*. London; Boston: Allen and Unwin, 1986.

——— (ed.). *Knives and Angels: Women Writers in Latin America*. London: Zed, 1990.

——— (ed.). *Studying British Cultures: An Introduction*. London; New York: Routledge, 1997. (New Accents)

———. *Sylvia Plath*. Basingstoke: Macmillan, 1987. (Women Writers)

——— (ed.). *Translating Literature*. Cambridge: D. S. Brewer, 1997. (Essays and Studies; v. 50)

———. *Translation Studies*. London; New York: Methuen, 1980.

——— and André Lefevere. *Constructing Cultures: Essays on Literary Translation*. Clevedon; Philadelphia: Multilingual Matters, 1998. (Topics in Translation; 11)

——— (eds.). *Translation, History, and Culture*. London; New York: Pinter Publishers, 1990.

Bassnett, Susan. and Harish Trivedi (eds.). *Post-Colonial Translation: Theory and Practice*. London; New York: Routledge, 1999. (Translation Studies)
Belloc, Hilaire. *On Translation*. Oxford: Clarendon press, 1931. (Traylorian Lecture; 1931)
Bender, Karl-Heinz, Klaus Berger and Mario Wandruszka (eds.). *Imago linguae: Beitrage zu Sprache, Deutung und Ubersetzen: Festschrift zum 60. Geburtstag von Fritz Paepcke*. München: W. Fink, 1977.
Benjamin, Andrew. *Translation and the Nature of Philosophy: A New Theory of Words*. London; New York: Routledge, 1989.
Benjamin, Walter. *Illuminationen*. Frankfurt: Shurkamp Verlag, 1955.
———. *Illuminations*. Edited and with an Introduction by Hannah Arendt; Translated by Harry Zohn. New York: Schocken Books, 1969.
Berlin, Brent, Dennis E. Breedlove and Peter H. Raven. *Principles of Tzeltal Plant Classification; an Introduction to the Botanical Ethnography of a Mayan-Speaking People of Highland Chiapas*. New York: Academic Press, [1974]. (Language, Thought, and Culture)
Berman, Antoine [et al.]. *Les Tours de Babel: Essais sur la traduction*. [Maurezin]: Trans-Europ-Repress, 1985.
Bernasconi, Robert. *The Question of Language in Heidegger's History of Being*. Atlantic Highlands, NJ: Humanities Press; London: Macmillan, 1985. (Contemporary Studies in Philosophy and the Human Sciences)
Bettelheim, Bruno. *Freud and Man's Soul*. New York: A. A. Knopf, 1983.
Bhabha, Homi K. *The Location of Culture*. London; New York: Routledge, 1994.
Biemel, Walter. *Martin Heidegger in Selbstzeugnissen Und Bilddokumenten*. Reinbek, bei Hamburg: Rowohlt, 1973. (Rowohlts Monographien; 200)
———. *Martin Heidegger: An Illustrated Study*. Translated by J. L. Mehta. New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1976. (An Original Harvest book; HB 327)
Biguenet, John and Rainer Schulte (eds.). *The Craft of Translation*. Chicago: University of Chicago Press, 1989. (Chicago Guides

to Writing, Editing, and Publishing)

Bishop, Elizabeth and Emanuel Brasil (eds.). *An Anthology of Twentieth-Century Brazilian Poetry*. Middletown, Conn.: Wesleyan University Press, [1972].

Bloom, Harold [et al.]. *Deconstruction and Criticism*. New York: Seabury Press, 1979. (Continuum Book)

Bonnefoy, Yves. *On the Motion and Immobility of Douve*. Translated by Galway Kinnell. Athens: Ohio University Press, [1968].

Borges, Jorge Luis. *Ficciones*. Edited and with an Introd. by Anthony Kerrigan. New York: Grove Press, [1962].

———. *Selected Poems, 1923-1967*. Edited, with an Introduction and Notes, by Norman Thomas di Giovanni. Translators Ben Belitt [et al.]. A Bilingual ed. [New York]: Delacorte Press; Seymour Lawrence, 1972.

Brislin, Richard W. (ed.). *Translation: Applications and Research*. Contributors R. Bruce W. Anderson. New York: Gardner Press, 1976.

Brisset, Annie. *A Sociocritique of Translation: Theatre and Alterity in Quebec, 1968-1988*. Translated by Rosalind Gill and Roger Gannon. Toronto; Buffalo: University of Toronto Press, 1996. (Theory/ Culture)

Broeck, Raymond van den and André Lefevere. *Uitnodiging tot de vertaalwetenschap*. Muiderberg: Coutinho, 1979.

Brossard, Nicole. *Le Désert mauve: Roman*. Montréal, Québec: L'Hexagone, 1987. (Collection Fictions; 12e titre)

———. *Mauve Desert*. Translated by Susanne de Lotbinière-Harwood. Toronto: Coach House Press, 1990.

———. *Picture Theory*. Montréal: Nouvelle optique, 1982. (Fiction/ Nouvelle optique)

———. *Picture Theory*. Translated from the French by Barbara Godard. Montreal: Guernica, 1991. (Prose Series; 7)

Brower, Reuben Arthur (ed.). *On Translation*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1959. (Harvard Studies in Comparative Literature; 23)

Bûhler, Karl. *Sprachtheorie: Die Darstellungsfunktion der Sprache*. 2 Aufl. Stuttgart: G. Fischer, 1965.

Burrell, Todd, Sean K. Kelly, and Marilyn Gaddis Rose (eds.). *Translation: Religion, Ideology, Politics*. Binghamton, NY:

State University of New York, 1995.
Campos, Haroldo de. *A Arte no horizonte do provável, e outros ensaios*. São Paulo: Editôra Perspectiva, [1969].
———. *Deus e o diablo no Fausto de Goethe: Leitura do poema, acompanhada da transcriação em português das duas cenas finais da Segunda Parte*. São Paulo: Editôra Perspectiva, 1981. (Marginália fáustica. Coleção Signos; 9)
———, Décio Pignatari e Haroldo de Campos. *Teoria da poesia concreta; textos críticos e manifestos, 1950-1960*. São Paulo: Ediçôes Invenção, 1965.
Catford, John Cunnison. *A Linguistic Theory of Translation: An Essay in Applied Linguistics*. London: Oxford University Press, 1969. (Language and Language Learning)
Classe, Olive (ed.). *Encyclopedia of Literary Translation into English*. London; Chicago: Fitzroy Dearborn Publishers, 2000. 2 vols.
Clifford, James. *The Predicament of Culture: Twentieth-Century Ethnography, Literature, and Art*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1988.
———. *Routes: Travel and Translation in the Late Twentieth Century*. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1997.
——— and George E. Marcus (eds.). *Writing Culture: The Poetics and Politics of Ethnography: A School of American Research Advanced Seminar*. Berkeley: University of California Press, 1986.
*Comparative Criticism: Translation in Theory and Practice*. Edited by E. S. Shaffer. Cambridge; New York: Cambridge University Press, 1984.
Congrat-Butlar, Stefan (ed.). *Translation & Translators: An International Directory and Guide*. New York: R. R. Bowker Co., 1979.
Corbett, John. *Written in the Language of the Scottish Nation: A History of Literary Translation into Scots*. Clevedon, U.K.: Multilingual Matters, 1999. (Topics in Translation; 14)
Crane, Diana. *Invisible Colleges; Diffusion of knowledge in Scientific Communities*. Chicago: University of Chicago Press [1972].
*The Critical Moment; Essays on the Nature of Literature*. London: Faber and Faber, [1964].

Cronin, Michael. *Across the Lines: Travel Language and Translation*. Cork: Cork University Press, 2000.

———. *Translating Ireland: Translation, Languages, Cultures*. [Cork]: Cork University Press, [1996].

Culler, Jonathan D. *On Deconstruction: Theory and Criticism after Structuralism*. London : Routledge and Kegan Paul, 1983.

———. *The Pursuit of Signs–Semiotics, Literature, Deconstruction*. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1981.

Cummings, Edward Estlin. *Dez poemas de E.E. Cummings*. Trad. Augusto de Campos. Rio de Janeiro: Service de Documentão MEC, 1960.

Chan, Sin-Wai, and David E. Pollard (eds.). *An Encyclopaedia of Translation: Chinese-English, English-Chinese*. Hong Kong: Chinese University Press, 1995.

Cheyfitz, Eric. *The Poetics of Imperialism: Translation and Colonization from The Tempest to Tarzan*. New York: Oxford University Press, 1991.

———. *The Poetics of Imperialism: Translation and Colonization from The Tempest to Tarzan*. Expanded ed. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1997.

Chomsky, Noam. *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge, MA: M.I.T. Press, [1965]. (Massachusetts Institute of Technology. Research Laboratory of Electronics. Special Technical Report; no. 11)

———. *Cartesian Linguistics: A Chapter in the History of Rationalist Thought*. New York: Harper and Row [1966]. (Studies in Language)

———. *Language and Mind*. Enl. Ed. New York: Harcourt Brace Jovanovich, [1972].

———. *The Logical Structure of Linguistic Theory*. New York: Plenum Press, 1980.

———. *Syntactic Structures*. The Hague: Mouton 1957. (Janua Linguarum. Series Minor; 4)

D'Hulst, Lieven. *L'Evolution de la poésie en France, 1780-1830: Introduction à une analyse des interférences systémiques*. Leuven, Belgium: Leuven University Press, 1987. (Symbolae Facultatis Litterarum et Philosophiae Lovaniensis. Series D, Litteraria; v. 1)

Dante, Alighieri. *La Divine Comédie. L'Enfer*. Tranduction, introduction et notes de Jacqueline Risset. Paris: Flammarion, 1985.

Davie, Donald. *Ezra Pound: Poet as Sculptor*. New York: Oxford University Press, 1964.

———. *Inquiries into Truth and Interpretation*. Oxford [Oxfordshire]: Clarendon Press; New York: Oxford University Press, 1984.

———. *Pound*. [London]: Fontana, 1975. (Fontana Modern Masters)

De Angelis, Milo. *Finite Intuition: Selected Poetry and Prose*. Edited and Translated by Lawrence Venuti. Los Angeles: Sun and Moon Press, 1995. (Sun & Moon Classics; 65)

De Beaugrande, Robert and Wolfgang Ulrich Dressler. *Introduction to Text Linguistics*. London; New York: Longman, 1981. (Longman Linguistics Library; Title no. 26)

De Man, Paul. *The Resistance to Theory*. Foreword by Wlad Godzich. Minneapolis: University of Minnesota Press, 1986. (Theory and History of Literature; v. 33)

Delisle, Jean and Judith Woodsworth (eds.). *Translators Through History*. Amsterdam; Philia: J. Benjamins, 1995. (Benjamins Translation Library; v. 13)

Derrida, Jacques. *Glas*. English Translation by John P. Leavey, Jr., and Richard Rand. Lincoln: University of Nebraska Press, [1987].

———. *The Ear of the Other: Otobiography, Transference, Translation: Texts and Discussions with Jacques Derrida*. English Edition Edited by Christie McDonald; a Translation by Peggy Kamuf of the French Edition Edited by Claude Levesque and Christie McDonald. Lincoln: University of Nebraska Press, 1985.

———. *Margins of Philosophy*. Translated, with Additional Notes by Alan Bass. Chicago: University of Chicago Press, 1982.

———. *Of Grammatology*. Translated by Gayatri Chakravorty Spivak. Baltimore: Johns Hopkins University Press, [1976].

———. *Positions*. Translated and Annotated by Alan Bass. Chicago: University of Chicago Press, 1981.

———. *Writing and Difference*. Translated, with an Introd. and

Additional Notes by Alan Bass. Chicago: University of Chicago Press, 1978.

Descartes, René. *The Philosophical Works of Descartes*. Translated by E. S. Haldane and G. R. T. Ross. New York: Dover, 1955. 2 vols.

Devi, Mahasweta. *Imaginary Maps: Three Stories*. Translated and Introduced by Gayatri Chakravorty Spivak. New York; London: Routledge, 1995.

Dingwaney, Anuradha and Carol Maier (eds.). *Between Languages and Cultures: Translation and Cross-Cultural Texts*. Pittsburgh: University of Pittsburgh Press, 1995. (Pittsburgh Series in Composition, Literacy, and Culture)

Dressler, Wolfgang U. (ed.). *Current Trends in Textlinguistics*. Berlin; New York: W. de Gruyter, 1978. (Research in Text Theory; v. 2)

Eco, Umberto. *A Theory of Semiotics*. Bloomington: Indiana University Press, 1976. (Advances in Semiotics)

Engle, Paul and Hualing Nieh Engle (eds.). *Writing from the World: Poetry, Fiction, and Criticism in Translation and in Original English by Members of the International Writing Program from the First Ten Years of its Life*. Iowa City: International Writing Program; School of Letters, University of Iowa, 1985.

Erlich, Victor. *Russian Formalism: History, Doctrine*. 3rd ed. New Haven: Yale University Press, [1981].

Even-Zohar, Itamar. *Papers in Historical Poetics*. Tel Aviv: Porter Institute for Poetics and Semiotics, 1978. (Papers on Poetics and Semiotics; 8)

*Ezra Pound*. Paris: Herne, 1965. (Cahiers de l'Herne; 6)

Fanon, Frantz. *Black Skin, White Masks*. Translated by Charles Lam Markmann. New York: Grove Press, [1967].

Fawcett, Peter D. *Translation and Language Teaching: Language Teaching and Translation*. Edited by Kirsten Malmkjær. Manchester, UK: St. Jerome Pub., [1998].

Felstiner, John. *Translating Neruda: The Way to Macchu Picchu*. Stanford, Calif: Stanford University Press, 1980.

Fenollosa, Ernest Francisco. *The Chinese Written Character as a Medium for Poetry*. Edited by Ezra Pound. [San Francisco]: City Lights Books, [1936].

Follain, Jean. *Transparence of the World; Poems*. Selected and Translated by W.S. Merwin. New York: Atheneum, 1979.

Foucault, Michel. *The Archaeology of Knowledge and the Discourse on Language*. Translated by A. M. Sheridan Smith. New York: Harper and Row, 1976.

———. *Language, Counter-Memory, Practice: Selected Essays and Interviews*. Edited, with an Introduction by Donald F. Bouchard; Translated from the French by Donald F. Bouchard and Sherry Simon. Ithaca, NY: Cornell University Press, 1977.

———. *The Order of Things; an Archaeology of the Human Sciences*. New York: Vintage Books, [1973].

———. *Power/ Knowledge: Selected Interviews and Other Writings, 1972-1977*. Edited by Colin Gordon; Translated by Colin Gordon [et al.]. New York: Pantheon Books, 1980.

———. [et al.]. *Théorie d'ensemble*. Paris: Editions du Seuil, 1968. (Tel quel)

Frank, Armin Paul [et al.] (eds.). *Übersetzung, Translation, Traduction: Ein internationales Handbüch zur Übersetzungsforschung. An International Encyclopedia of Translation Studies. Encyclopédie internationale de la recherche sur la traduction*. Berlin; New York: Walter de Gruyter, [n. d.].

[صدر فعلاً عام 2004].

Frawley, William (ed.). *Translation: Literary, Linguistic, and Philosophical Perspectives*. Newark: University of Delaware Press; London: Associated University Presses, 1984.

Freud, Sigmund. *Beyond the Pleasure Principle*. Ed. and Trans. James Strachey. New York: Norton, 1961.

———. *Psychopathology of Everyday Life*. Edited by James Strachey; Translated by Alan Tyson. New York: W. W. Norton and Company, 1960.

Frost, Robert. *Robert Frost on Writing*. Compiled by Elaine Barry. New Brunswick, NJ: Rutgers University Press, [1973].

Frow, John. *Marxism and Literary History*. Oxford: Basil Blackwell, 1986.

Galan, Frantisek William. *Historic Structures: The Prague School Project, 1928-1946*. Austin: University of Texas Press, 1985. (University of Texas Press Slavic Series; no. 7)

Gambier, Yves (ed.). *Les Transferts linguistiques dans les médias audiovisuals*. [Villeneuve d'Ascq]: Presses universitaires du Septentrion, 1996. (Traductologie; 1242-4625)

Gorlée, Dinda L. *Semiotics and the Problem of Translation: With Special Reference to the Semiotics of Charles S. Peirce*. Amsterdam: Academisch Proefschrift, 1993.

Graham, Joseph F. (ed.). *Difference in Translation*. Ithaca: Cornell University Press, 1985.

Graves, Robert. *The Crowning Privilege; the Clark Lectures, 1954-1955. Also Various Essays on Poetry and Sixteen New Poems*. London: Cassell, [1955].

*A Greek-English Lexicon*. Compiled by Henry George Liddell and Robert Scott. A New ed. Rev. Oxford: At the Clarendon press, [1925-1940]. 2 vols.

Guha, Ranajit. *Elementary Aspects of Peasant Insurgency in Colonial India*. Delhi: Oxford, 1983.

———. ———. Foreword by James Scott. Durham: Duke University Press, 1999.

Guillevic, Eugène. *Selected Poems*. Translated by Denise Levertov. [New York]: New Directions, [1969].

Gumperz, John Joseph. *Discourse Strategies*. Cambridge, [Cambridgeshire]; New York: Cambridge University Press, 1982. (Studies in Interactional Sociolinguistics; 1)

——— and Dell Hymes. *Directions in SocioLinguistics; the Ethnography of Communication*. New York: Holt, Rinehart and Winston, [1972].

Gutt, Ernst-August. *Translation and Relevance: Cognition and Context*. Oxford, UK; Cambridge, MA: B. Blackwell, 1991.

Harman, Gilbert (comp.). *On Noam Chomsky; Critical Essays*. Garden City, NY: Anchor Press, 1974. (Modern Studies in Philosophy)

——— (ed.). *On Noam Chomsky; Critical Essays*. With a New Introduction. 2nd ed. Amherst: University of Massachusetts Press, 1982.

Hatim, Basil and Ian Mason. *Discourse and the Translator*. London; New York: Longman, 1990. (Language in Social Life Series)

———. *The Translator as Communicator*. London: Routledge, 1997.

Hawthorn, Jeremy. *A Glossary of Contemporary Literary Theory*. 4th ed. London: Arnold; New York: Oxford University Press, 2000.

Heidegger, Martin. *Basic Writings: From Being and Time (1927) to The Task of Thinking (1964)*. Edited, with General Introduction and Introductions to each Selection by David Farrell Krell. New York: Harper and Row, 1977. (His Works)

———. *Being and Time*. Translated by John Macquarrie and Edward Robinson. New York: Harper, [1962].

———. *Early Greek Thinking*. Translated by David Farrell Krell and Frank A. Capuzzi. New York: Harper and Row, [1975].

———. *Holzwege: [unverand. Text mit Randbemerkungen d. Autors aus d. Handexemplaren]*. [Hrsg. von Friedrich-Wilhelm von Herrmann]. Frankfurt am Main: Klostermann, 1977. (Gesamtausgabe; 5)

———. *Identity and Difference*. Translated and with an Introd. by Joan Stambaugh. New York: Harper and Row, [1969].

———. *On the Way to Language*. Translated by Peter D. Hertz. New York: Harper and Row, [1971].

———. *On Time and Being*. Translated by Joan Stambaugh. New York: Harper and Row, [1972].

———. *Poetry, Language, Thought*. Translations and Introd. by Albert Hofstadter. New York: Harper and Row, [1971]. (His Works)

———. *Sein und Zeit*. 12te unveränderte Auflage. Tübingen: Max Niemeyer Verlag. 1972.

Helgason, Jón Karl. *The Rewriting of Njáls Saga: Translation, Ideology, and Icelandic Sagas*. Clevedon; Buffalo: Multilingual Matters, [2000]. (Topics in Translation; 16)

Hermans, Theo (ed.). *The Manipulation of Literature: Studies in Literary Translation*. New York: St. Martin's Press, 1985.

———. *Translation in Systems: Descriptive and Systemic Approaches Explained*. Manchester, UK: St. Jerome Pub., 1999. (Translation Theories Explained; v. 7)

Hesse-Quack, Otto. *Der Übertragungsprozess bei der Synchronisation von Filmen; eine interkulturelle Untersuchung*. Mit einem Geleitwort von Alphons Silbermann. München: E. Reinhardt, 1969. (Neue Beiträge zur Film- und Fernschforschung; Bd. 12)

Heylen, Romy. *Translation, Poetics, and the Stage: Six French Hamlets*. London; New York: Routledge, 1993. (Translation Studies)

Holmes, James S. *The Name and Nature of Translation Studies (APPTS, Amsterdam Publications and Prepublications in Translation Series)*. Amsterdam: Translation Studies Section, Department of General Literary Studies, University of Amsterdam, [1972; 1975].

———. *Translated!: Papers on Literary Translation and Translation Studies*. With an Introduction by Raymond van den Broeck. Amsterdam: Rodopi, 1988. (Approaches to Translation Studies; v. 7)

Holz-Mänttäri, Justa. *Translatorisches Handeln: Theorie und Methode*. Helsinki: Suomalainen Tiedeakatemia, 1984. (Suomalaisen Tiedeakatemian toimituksia. Sarja B; nide 226)

Honig, Edwin. *The Poet's Other Voice: Conversations on Literary Translation*. Amherst: University of Massachusetts Press, 1985.

Humboldt, Wilhelm Freiherr von. *On Language: The Diversity of Human Language-Structure and its Influence on the Mental Development of Mankind*. Translated by Peter Heath; with an Introduction by Hans Aarsleff. Cambridge, [Cambridgeshire]; New York: Cambridge University Press, 1988. (Texts in German philosophy)

Hymes, Dell. *Foundations in Sociolinguistics; an Ethnographic Approach*. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, [1974].

Jackson, Robert Louis and Stephen Rudy (eds.). *Russian Formalism: A Retrospective Glance: A Festschrift in Honor of Victor Erlich*. New Haven: Yale Center for International and Area Studies, 1985. (Yale Russian and East European Publications; no. 6)

*Jadavpur Journal of Comparative Literature*. Calcutta: Dept. of Comparative Literature, Jadavpur University, 1988-1989.

Jakobson, Roman. *To Honor Roman Jakobson. Essays on the Occasion of his Seventieth Birthday, 11 October 1966*. The Hague: Mouton, 1967. 3 vols. (Janua Linguarum. Series Maior; 31-33)

Johnson, Barbara. *A World of Difference*. Baltimore; London:

John Hopkins University Press, 1987.
Jones, William. *Translations from Oriental Languages*. Delhi: Pravesh Publications, [n. d.]. 2 vols.
Joyce, James. *Panaroma do Finnegans Wake*. Translated by Augusto de Campos and Haroldo de Campos. São Paulo: Comissão Estadual de Literatura, Secretaria da Cultura, 1962.
Juarroz, Roberto. *Vertical Poems*. Translated by W. S. Merwin. Santa Cruz, Calif: Kayak, 1977.
Kade, Otto. *Zufall und Gesetzmässigkeit in der Übersetzung*. Leipzig: Verlag Enzyklopadie, 1968. (Beihefte zur Zeitschrift Fremdsprachen; 1)
Katz, Jerrold J. *Semantic Theory*. New York: Harper and Row, [1972]. (Studies in Language)
Kelly, Louis G. *The True Interpreter: A History of Translation Theory and Practice in the West*. New York: St. Martin's Press, 1979.
Kenner, Hugh. *The Pound Era*. Berkeley: University of California Press, 1971.
Kittel, Harald and Armin Paul Frank (ed.). *Interculturality and the Historical Study of Literary Translations*. Berlin: E. Schmidt, 1991. (Gottinger Beiträge zur internationalen Übersetzungsforschung; 4)
Klein, Ernest. *A Comprehensive Etymological Dictionary of the English Language. Dealing with the Origin of Words and their Sense Development Thus Illustrating the History of Civilization and Culture*. Amsterdam; New York: Elsevier, 1966.
Kloepfer, Rolf. *Die Theorie der literarischen Übersetzung. Romanisch deutscher Sprachbereich*. München: Wilhelm Fink Verlag, 1967. (Freiburger Schriften zur romanischen Philologie; Bd. 12)
Koller, Werner. *Einführung in die Übersetzungswissenschaft*. Heidelberg: Quelle und Meyer, 1979. (Uni-Taschenbücher; 819)
Korn, Marianne. *Ezra Pound, Purpose, Form, Meaning*. London: Middlesex Polytechnic Press; Pembridge Press, 1983.
Koschmieder, Erwin. *Beiträge zur allgemeinen Syntax*. Heidelberg: C. Winter, 1965. (Bibliothek der allgemeinen Sprachwissenschaft. 2. Reihe: Einzeluntersuchungen und Darstellungen zur allgemeinen Sprachwissenschaft)

Krell, David Farrell. *Intimations of Mortality: Time, Truth, and Finitude in Heidegger's Thinking of Being*. University Park, [Pa.]: Pennsylvania State University Press, 1986.

Kristeva, Julia. *Desire in Language: A Semiotic Approach to Literature and Art*. Edited by Leon S. Roudiez; Translated by Thomas Gora, Alice Jardine and Leon S. Roudiez. New York: Columbia University Press, 1980. (European Perspectives)

———. *Revolution in Poetic Language*. Translated by Margaret Waller; with an Introduction by Leon S. Roudiez. New York: Columbia University Press, 1984.

Kuhn, Thomas S. *The Structure of Scientific Revolutions*. 2nd ed. Chicago: University of Chicago Press, 1970. (International Encyclopedia of Unified Science; v. 2, no. 2)

Kussmaul, Paul. *Training the Translator*. Amsterdam; Philadelphia: J. Benjamins Pub. Co., 1995. (Benjamins Translation Library; v. 10)

Lakoff, George. *Irregularity in Syntax*. New York: Holt, Rinehart, and Winston, [1970]. (Transatlantic Series in Linguistics)

Larson, Mildred L. *Meaning-Based Translation: A Guide to Cross-Language Equivalence*. Lanham, MD: University Press of America, 1984.

Lecercle, Jean-Jacques. *The Violence of Language*. London; New York: Routledge, 1990.

Lefevere, André. *Literary knowledge: A Polemical and Programmatic Essay on its Nature, Growth, Relevance and Transmission*. Assen: van Gorcum, 1977.

———. *Translating Literature: Practice and Theory in a Comparative Literature Context*. New York: Modern Language Association of America, 1992.

———. *Translating Literature: The German Tradition from Luther to Rosenzweig*. Assen: van Gorcum, 1977. (Approaches to Translation Studies; no. 4)

———. *Translating Poetry: Seven Strategies and a Blueprint*. Assen: van Gorcum, 1975. (Approaches to Translation Studies; no. 3)

———. *Translation, Rewriting, and the Manipulation of Literary Fame*. London; New York: Routledge, 1992. (Translation Studies)

Leibniz, Gottfried Wilhelm. *New Essays Concerning Human Understanding*. Translated, with Notes, by A. G. Langley. La Salle, Illinois: Open Court, 1949.

Lenneberg, Eric H. *Biological Foundations of Language*. With Appendices by Noam Chomsky and Otto Marx. New York: Wiley, [1967].

Lentricchia, Frank. *After the New Criticism*. Chicago: University of Chicago Press, 1980.

Leuven-Zwart, Kitty M. van. *Vertaling en origineel: Een vergelijkende beschrijvingsmethode voor integrale vertalingen, ontwikkeld aan de hand van Nederlandse vertalingen van Spaanse narrative teksten*. Dordrecht: Foris Publications, 1984.

——— and Ton Naaijkens (eds.). *Translation Studies: The State of the Art*. Amsterdam: Rodopi, 1991. (Approaches to Translation Studies; v. 9)

Levine, Suzanne Jill. *The Subversive Scribe: Translating Latin American Fiction*. Saint Paul, MN: Graywolf Press, 1991.

Lévi-Strauss, Claude. *Tristes tropiques*. [Paris: Plon], 1955. (Terre humaine)

———. ———. Translated from the French by John and Doreen Weightman. [n. p.: n. pb., 1973].

———. ———. New York: Washington Square Press, 1977.

Levý, Jiří. *Die Literarische Übersetzung: Theorie einer Kunstgattung*. Trans. Walter Schamschula. Frankfut am Main: Athenäum, 1969.

*Linguistica Antverpiensia*. Belgium: Hoger Instituut voor Vertalers en Tolken, Hogeschool Antwerpen, 1969.

———. Belgium: Hoger Instituut voor Vertalers en Tolken, Hogeschool Antwerpen, 1988.

Lotbinière-Harwood, Susanne de. *Re-belle et infidèle: La Traduction comme pratique de réécriture au féminine = The Body Bilingual: Translation as a Re-Writing in the Feminine*. [Toronto]: Women's Press, 1991.

Lowell, Robert. *Imitations*. New York: Farrar, Straus and Cudahy, [1961].

Luis, William and Julio Rodriguez-Luis (eds.). *Translating Latin America: Culture as Text*. Binghamton: State University of

New York at Binghamton, 1991. (Translation Perspectives; VI)

Lloyd, David. *Nationalism and Minor Literature: James Clarence Mangan and the Emergence of Irish Cultural Nationalism*. Berkeley: University of California Press, 1987.

Machado, Antonio. *Times Alone: Selected Poems of Antonio Machado*. Chosen and Translated by Robert Bly. Middletown, Conn.: Wesleyan University Press, 1983.

Macherey, Pierre. *A Theory of Literary Production*. Translated from the French by Geoffrey Wall. London; Boston: Routledge and Kegan Paul, 1978.

Mallarmé, Stéphane. *Mallarmé*. Trans. Augusto de Campos, Décio Pignatari e Haroldo de Campos. 2nd ed. São Paulo: Editora Perspectiva, 1974.

Matejka, Ladislav and Irwin R. Titunik (eds.). *Semiotics of Art: Prague School Contributions*. Cambridge, MA: MIT Press, 1976.

Matejka, Ladislav and Krystyna Pomorska (eds.). *Readings in Russian poetics: Formalist and Structuralist Views*. Ann Arbor, Mich.: Michigan Slavic Publications, 1978. (Michigan Slavic contributions; 8)

Mayakovsky, Vladimir. *Poemas de Maiakóvski*. Trans Augusto de Campos, Haroldo de Campos e Boris Schnaiderman. Rio de Janeiro: Tempo Brasileiro, [1967].

McCawley, James D. *Grammar and Meaning: Papers on Syntactic and Semantic Topics*. Corr. ed. New York: Academic Press, 1976. (Taishukan Studies in Modern Linguistics)

Medvedev, Pavel Nikolaevich. *Die Formale Methode in der Literaturwissenschaft*. hrsg. u. übers. von Helmut Glück; mit e. Vorw. von Jurij Striedter. Stuttgart: Metzler, 1976. (Studien zur allgemeinen und vergleichenden Literaturwissenschaft; Bd. 8)

——— and Mikhail MikhaBakhtin. *The Formal Method in Literary Scholarship: A Critical Introduction to Sociological Poetics*. Translated by Albert J. Wehrle. Cambridge, MA: Harvard University Press, 1985.

Merwin, William Stanley. *Selected Translations, 1968-1978*. New York: Atheneum, 1979.

Miko, František. *Estetika výrazu. Teória výrazu a štýl*. Bratislava:

[Slovenské pedagogické nakladatel'stvo], 1969. (Kabinet literárnej komunikácie Pedagogickej fakulty v Nitre. Štýdie)
——— and Anton Popovič. *Tvorba a recepcia: Estetická komunikácia a metakomunikácia*. Bratislava: Tatran, 1978. (Okno; zv. 22)

*Modern Poetry in Translation: 1983*. New York: Persea; London: MPT, 1983.

Nelson, Cary and Lawrence Grossberg (eds.). *Marxism and the Interpretation of Culture*. Urbana: University of Illinois Press, 1988.

Nergaard, Siri (ed.). *Teorie contemporanee della traduzione*. Testi di Jakobson [et al]. Milano: Strumenti Bompiani, 1995. (Strumenti Bompiani)

Neubert, Albrecht. *Text and Translation*. Herausgegeben von Gert Jäger und Albrecht Neubert. Leipzig: Verlag Enzyklopädie, 1985. (Übersetzungswissenschaftliche Beiträge; 8)

——— and Gregory M. Shreve. *Translation as Text*. Kent, Ohio: Kent State University Press, 1992. (Translation Studies; 1)

Newmark, Peter. *Approaches to Translation*. Oxford; New York: Pergamon Press, 1981. (Language Teaching Methodology Series)

Nida, Eugene Albert. *God's Word in Man's language*. New York: Harper, [1952].

———. *Message and Mission; the Communication of the Christian Faith*. New York: Harper, [1960].

———. *Toward a Science of Translating, with Special Reference to Principles and Procedures Involved in Bible Translating*. Leiden: E. J. Brill, 1964.

———. *Translating Meaning*. San Dimas, Cal.:English Language Institute, 1982.

——— and Charles R. Taber. *The Theory and Practice of Translation*. Leiden: E. J. Brill, 1969. (Helps for Translators; v. 8)

——— and William D. Reyburn. *Meaning Across Cultures: A Study on Bible Translating*. Maryknoll, NY: Orbis, 1981. (American Society of Missiology Series; no. 4)

Nietzsche, Friedrich Wilhelm. *The Portable Nietzsche*. Selected and Translated, with an Introduction, Prefaces, and Notes,

by Walter Kaufmann. New York: Viking Press, 1954. (Viking Portable Library; [62])

Niranjana, Tejaswini. *Siting Translation: History, Post-Structuralism, and the Colonial Context*. Berkeley: University of California Press, 1992.

Nord, Christiane. *Translating as a Purposeful Activity: Functionalist Approaches Explained.* Manchester, UK: St. Jerome Pub., 1997. (Translation Theories Explained; 1)

Norris, Christopher. *Deconstruction, Theory and Practice*. London; New York: Methuen, 1982. (New Accents)

Peirce, Charles Sanders. *Collected Papers*. Edited by Charles Hartshorne and Paul Weiss. Cambridge, MA: Belknap Press of Harvard University Press, [1931-1960]. 8 vols.

Popovič, Anton. *Dictionary for the Analysis of Literary Translation*. Edmonton, [Alta.]: Department of Comparative Literature, University of Alberta, [1975].

Posner, Roland, Klaus Robering and Thomas A. Sebeok (eds.). *Semiotik: Ein Handbuch zu den zeichentheoretischen Grundlagen von Natur und Kultur = Semiotics: A Handbook on the Sign-Theoretic Foundations of Nature and Culture*. Berlin; New York: Walter de Gruyter, [n. d.]. (Handbücher zur Sprach- und Kommunikationswissenschaft; Bd. 13 = Handbooks of Linguistics and Communication Science)

[صدر فعلاً عام 1997].

Pound, Ezra. *ABC da literature*. Translated by Augusto de Campos and José Paulo Paes. São Paulo: Cultrix, 1970.

———. *A B C of Reading*. London: Faber and Faber, 1951.

———. *Antologia poética de Ezra Pound.* Translated by Augusto de Campos [et al.]. Libson: Ulisséia, 1968.

———. *Cantares*. Tradução conjunta de Augusto de Campos, Decio Pignatari e Haroldo de Campos. [Rio de Janeiro]: Ministério da Educação e Cultura, Servico de Documentacapo, [1960].

———. *The Cantos of Ezra Pound.* Revised Collected ed. London: Faber, 1975.

———. *Cathay: Translations by Ezra Pound.* London: E. Mathews, 1915.

———. *Collected Early Poems of Ezra Pound.* Edited by Michael

John King; with an Introd. by Louis L. Martz. New York: New Directions, 1976. (New Directions Book)
———. *Gaudier-Brzeska, a Memoir*. New York: New Directions, 1970. (New Directions Book)
———. *The Letters of Ezra Pound, 1907-1941*. New York: Harcourt, Brace, [1950].
———. *Literary Essays*. Edited with an Introd. by T. S. Eliot. London: Faber and Faber, [1954].
———. *Lustra of Ezra Pound, with Earlier Poems*. New York: A. A Knopf, 1917.
———. *Polite Essays*. London: Faber and Faber, ltd, [1937].
———. *Selected Poems of Ezra Pound*. New York: New Directions, 1957.
———. *Translations*. With an Introd. by Hugh Kenner. Enl. ed. New York; Norfolk, Conn.: New Directions 1963. (New Directions Paperbook; 145)
———. *The Translations of Ezra Pound*. With an Introduction by Hugh Kenner. [New York]: New Directions, [1954].
——— and Marcella Spann (eds.). *Confucius to Cummings, an Anthology of Poetry*. New York: New Directions, 1964. (New Directions Book)
Quine, Willard van Orman. *Word and Object*. [Cambridge, MA]: Technology Press of the Massachusetts Institute of Technology, [1960]. (Studies in Communication)
Rabaté, Jean-Michel. *Language, Sexuality, and Ideology in Ezra Pound's Cantos*. Albany: State University of New York Press, 1986.
Rafael, Vicente L. *Contracting Colonialism: Translation and Christian Conversion in Tagalog Society under Early Spanish Rule*. Ithaca: Cornell University Press, 1988.
Rafael, Vicente L. *Contracting Colonialism: Translation and Christian Conversion in Tagalog Society under Early Spanish Rule*. Durham: Duke University Press, 1993.
Raffel, Burton. *The Art of Translating Poetry*. University Park: Pennsylvania State University Press, 1988.
Ransom, John Crowe. *The New Criticism*. Norfolk, Conn.: New Directions, [1941].
Reck, Michael. *Ezra Pound; a Close-Up*. New York: McGraw-Hill, [1967].

Reiss, Katharina. *Möglichkeiten und Grenzen der Übersetzungskritik*. [München]: M. Hueber, [1971].

———. *Texttyp und Übersetzungsmethode: d. operative Text*. Kronberg, Ts.: Scriptor Verlag, 1976. (Monographien Literatur + Sprache + Didaktik; 11)

——— e Hans J. Vermeer. *Grundlegung einer allgemeinen Translationstheorie*. Tübingen: M. Niemeyer, 1984. (Linguistische Arbeiten; 147)

Richards, Ivor Armstrong. *Practical Criticism; a Study of Literary Judgment*. New York: Harcourt, Brace, 1929.

Riesz, Janos, Peter Boerner and Bernhard Scholz (eds.). *Sensus communis: Contemporary Trends in Comparative Literature: Panorama de la situation actuelle en littérature comparée: Festschrift für Henry Remak*. Tübingen: Narr, 1986.

Robinson, Douglas. *Becoming a Translator: An Accelerated Course*. London; New York: Routledge, 1997.

———. *Translation and Empire: Postcolonial Theories Explained.* Manchester, UK: St. Jerome Pub., 1997. (Translation theories explained; 4)

———. *Translation and Taboo*. DeKalb, Ill.: Northern Illinois University Press, 1996.

———. *The Translator's Turn*. Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1991. (Parallax: Re-Visions of Culture and Society)

———. *What is Translation?: Centrifugal Theories, Critical Interventions*. Kent, Ohio: Kent State University Press, 1997. (Translation Studies; 4)

——— (ed.). *Western Translation Theory: From Herodotus to Nietzsche*. Manchester, UK: St. Jerome Pub., 1997.

Rodriguez Monegal, Emir and Alastair Reid (eds.). *Borges, a Reader: A Selection from the Writings of Jorge Luis Borges*. New York: Dutton, 1981.

Rose, Marilyn Gaddis (ed.). *Translation Spectrum: Essays in Theory and Practice*. Albany: State University of New York Press, 1981.

Sapir, Edward. *Selected Writings in Language, Culture and Personality*. Edited by David G. Mandelbaum. Berkeley: University of California Press, 1949.

Scott, Charles E. *The Language of Difference*. Atlantic Highlands, NJ: Humanities Press International, 1987. (Contemporary Studies in Philosophy and the Human Sciences)

Schulte, Rainer and John Biguenet (eds.). *Theories of Translation: An Anthology of Essays from Dryden to Derrida*. Chicago: University of Chicago Press, 1985; 1992.

Schultze, Brigitte (ed.). *Die literarische Übersetzung: Fallstudien zu ihrer Kulturgeschichte*. Berlin: Erich Schmidt, 1987. (Göttinger Beitrage zur internationalen Ubersetzungsforschung; Bd. 1)

Searle, John R. *Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language*. London: Cambridge University Press, 1969.

Sebeok, Thomas Albert. *Current Trends in Linguistics*. The Hague: Mouton, 1963-1976. 14 vols.

———. (ed.). *Encyclopedic Dictionary of Semiotics*. Editorial Board Paul Bouissac [et al.]. Berlin; New York; Amsterdam: Mouton de Gruyter, 1986. 3 vols. (Approaches to Semiotics; 23)

Simic, Charles and Mark Strand (eds.). *Another Republic: 17 European and South American Writers: [Poems]*. New York: Ecco Press, 1976.

Simon, Sherry (ed.). *Culture in Transit: Translating the Literature of Quebec*. Montreal: Véhicule Press, 1995.

———. *Gender in Translation: Cultural Identity and the Politics of Transmission*. London; New York: Routledge, 1996. (Translation Studies)

———. *Le Trafic des langues: Traduction et culture dans la littérature québécoise*. [Montréal]: Boréal, [1994].

——— and Paul St-Pierre (eds.). *Changing the Terms: Translating in the Postcolonial Era*. Ottawa: University of Ottawa Press, 2000. (Perspectives on Translation)

Smith, Barbara Herrnstein. *On the Margins of Discourse: The Relation of Literature to Language*. Chicago: University of Chicago Press, 1978.

Snell-Hornby, Mary. *Translation Studies: An Integrated Approach*. Amsterdam; Philadelphia: J. Benjamins Pub. Co., 1988.

———. ———. Revised Edition. Amsterdam; Philadelphia: J. Benjamins Pub. Co., 1995.

——— (ed.). *Übersetzungswissenschaft, eine Neuorientierung: Zur*

*Integrierung von Theorie und Praxis*. Tübingen: Francke, 1986. (Uni-Taschenbücher; 1415)

Sollers, Philippe. *Vision à New York: Entretiens avec David Hayman*. Paris: B. Grasset, 1981. (Figures)

Spivak, Gayatri Chakravorty. *Outside in the Teaching Machine*. New York: Routledge, 1993.

Stein, Dieter. *Theoretische Grundlagen der Übersetzungswissenschaft*. Tübingen: Narr, 1980. (Tübinger Beiträge zur Linguistik; 140)

Steiner, George. *After Babel: Aspects of Language and Translation*. London; New York; Oxford: Oxford University Press, 1975.

———. *On Difficulty, and Other Essays*. New York; Oxford: Oxford University Press, 1978.

Stokes, John, Michael R. Boothand Susan Bassnett. *Bernhardt, Terry, Duse: The Actress in her Time*. Cambridge [England]; New York: Cambridge University Press, 1988.

Sullivan, John Patrick. *Ezra Pound and Sextus Propertius; a Study in Creative Translation*. Austin: University of Texas Press, [1964].

*Syntax and Semantics: Speech Acts*. Edited by Peter Cole and Jerry L. Morgan. New York: Academic Press, 1975.

Tarchetti, Iginio Ugo. *Tutte le opere*. A Cura di Enrico Ghidetti. [Bologna]: Cappelli, 1967. 2 vols.

Todorov, Tzvetan. *Théorie de la littérature*. Textes des formalistes russes réunis, présentés et traduits par Tzvetan Todorov; Préface de Roman Jakobson. Paris: Editions du Seuil, 1966. (Tel quel)

Tomlinson, Charles (ed.). *The Oxford Book of Verse in English Translation*. Oxford; New York: Oxford University Press, 1980.

Toury, Gideon. *Descriptive Translation Studies and Beyond*. Amsterdam; Philadelphia: J. Benjamins Pub., 1995. (Benjamins Translation Library; 4)

———. *In Search of a Theory of Translation*. Tel Aviv: Porter Institute for Poetics and Semiotics, Tel Aviv University, 1980. (Meaning and Art; 2. Targum)

———. *Normot shel tirgum, veha-tirgum ha-sifruti le-Ivrit ba-shanim, 1930-1945*. [Tel Aviv]: Porter Institute for Poetics and Semiotics, 1977. (Sifrut, mashmaut, tarbut; 6)

Trakl, Georg. *Twenty Poems*. Translated by James Wright and Robert Bly. [Madison, MN]: Sixties Press, 1961.

*Translation Perspectives: Beyond the Western Tradition*. Edited by Marilyn Gaddis Rose. Binghamton, NY: National Resource Center for Translation and Interpretation; SUNY-Binghamton Translation Research and Instruction Program, 2000.

*Translation Perspectives: Hermeneutics and the Poetic Motion*. Edited by Dennis J. Schmidt. Binghamton, NY: National Resource Center for Translation and Interpretation; SUNY-Binghamton Translation Research and Instruction Program, 1990.

*Translation Perspectives: Translating Latin America: Culture as Text*. Edited by William Luis and Julio Rodriguez-Luis. Binghamton, NY: National Resource Center for Translation and Interpretation; SUNY-Binghamton Translation Research and Instruction Program, 1991.

*Translation Perspectives: Translation Horizons: Beyond the Boundaries of Translation Spectrum*. Edited by Marilyn Gaddis Rose. Binghamton, NY: National Resource Center for Translation and Interpretation; SUNY-Binghamton Translation Research and Instruction Program, 1996.

Transtromer, Tomas. *Twenty Poems*. Translated by Robert Bly. [Madison, MN]: Seventies Press, 1970.

Trevelyan, Charles Edward. *On the Education of the People of India*. London: [Longman, Orme, Brown, Green, and Longmans], 1838.

Trivedi, Harish. *Colonial Transactions: English Literature and India*. Calcutta, India: Papyrus, 1993.

Tymoczko, Maria. *Translation in a Postcolonial Context: Early Irish Literature in English Translation*. Manchester, UK: St. Jerome Pub., 1999.

——— and Edwin Gentzler (eds.). *Translation and Power*. Amherst: University of Massachusetts Press, [n. d.].

[صدر فعلاً عام 2002].

Tynjanov, Jurij. *Dostoevskij: Gogol*. [s. l.]: Opajaz, 1921.

Venuti, Lawrence (ed.). *Rethinking Translation: Discourse, Subjectivity, Ideology*. London; New York: Routledge, 1992.

———. *The Scandals of Translation: Towards an Ethics of*

*Difference*. London; New York: Routledge, 1998.
——— (ed.). *The Translation Studies Reader*. London; New York: Routledge, 2000.
———. *The Translator's Invisibility: A History of Translation*. London; New York: Routledge, 1995. (Translation Studies)
Von Flotow-Evans, Luise. *Translation and Gender: Translating in the 'Era of Feminism'*. Manchester, UK: St. Jerome Pub., 1997. (Translation Theories Explained; 2)
Weissbort, Daniel (ed.). *Translating Poetry: The Double Labyrinth*. Iowa City: University of Iowa Press, 1989.
Wellek, René. *A History of Modern Criticism: 1750-1950*. New Haven: Yale University Press, 1955-1992. 8 vols.
———. *The Literary Theory and Aesthetics of the Prague School*. Ann Arbor: [Dept. of Slavic Languages and Literature, University of Michigan], 1969. (Michigan Slavic Contributions)
——— and Austin Warren. *Theory of Literature*. New York: Harcourt, Brace, [1949].
Whorf, Benjamin Lee. *Language, Thought, and Reality: Selected Writings of B. L. Whorf*. Edited by John B. Carroll. Cambridge, MA: Technology Press of Massachusetts Institute of Technology, 1962.
Will, Frederic. *Founding the Lasting*. Detroit: Wayne State University Press, 1991. (Fall and the Gods; v. 3)
———. *The knife in the Stone. Essays in Literary Theory*. The Hague: Mouton, 1973. (De Proprietatibus Litterarum. Series Minor; 9)
———. *Literature Inside Out; Ten Speculative Essays*. Cleveland: Press of Western Reserve University, 1966.
———. *A Portrait of John: The Midwest and the World, 1928-1984*. Detroit: Wayne State University Press, 1990. (Fall and the Gods; v. 2)
———. *Shamans in Turtlenecks*. Amsterdam: Rodopi, 1984. (Costerus; New Ser.; v. 47)
———. *Thresholds and Testimonies: Recovering Order in Literature and Criticism*. Detroit: Wayne State University Press, 1988. (Fall and the Gods; v. 1)
Wilss, Wolfram. *Knowledge and Skills in Translator Behavior*. Amsterdam; Philadelphia: John Benjamins Pub., 1996.

(Benjamins Translation Library; 15)
———. *Kognition und Übersetzen: Zu Theorie und Praxis der menschlichen und der maschinellen Übersetzung*. Tübingen: M. Niemeyer, 1988. (Konzepte der Sprach- und Literaturwissenschaft; 41)
———. *The Science of Translation: Problems and Methods*. Tübingen: G. Narr, 1982. (Tubinger Beitrage zur Linguistik; 180)
———. *Translation and Interpreting in the 20th Century: Focus on German*. Amsterdam; Philadelphia: J. Benjamins, 1999. (Benjamins Translation Library; v. 29)
———. *Übersetzungswissenschaft: Probleme und Methoden*. Stuttgart: Klett, 1977.
Wittgenstein, Ludwig. *Philosophical Investigations*. Translated by G. E. M. Anscombe. Oxford: Basil Blackwell, 1968.
Wollen, Peter. *Readings and Writings: Semiotic Counter-Strategies*. London: NLB, 1982.
Wright, Arthur F. (ed.). *Studies in Chinese Thought*. With Contributions by Derk Bodde [et al.]. [Chicago]: University of Chicago Press, [1953]. (Comparative Studies in Cultures and Civilizations)
Yip, Wai-Lim. *Ezra Pound's Cathay*. Princeton, NJ: Princeton University Press, 1969.
Zlateva, Palma (ed.). *Translation as Social Action: Russian and Bulgarian Perspectives*. Translated by Palma Zlateva; Chapter Introductions by André Lefevere. London; New York: Routledge, 1993. (Translation Studies)

## *Periodicals*

Bassnett, Susan. «Translation, Tradition, Transmission.» *New* Comparison (Coventry): No. 8, Autumn 1989.
Bragt, Katrin van. «The Tradition of a Translation and its Implication: The Vicar of Wakefield in French Translation.» *Dispositio: The Art and Science of Translation*: Vol. 7, nos. 19-21, 1982.
Brisset, Annie. «In Search of a Target Language: The Politics of Theatre Translation in Quebec.» *Target* (Amsterdam): Vol. 1, no. 1, 1989.
Broeck, Raymond van den. «The Limits of Translatability

Exemplified by Metaphor Translation.» *Poetics Today: Translation Theory and Intercultural Relations*: Vol. 2, no. 4, Summer - Autumn 1981.

*Book Review* (New Delhi): Vol. 15, no. 3, May-June 1991.

Cattrysse, Patrick. «De Semi-Documentaire: Een Analyse in Termen van Normen en systemen.» *Communicatie*: Vol. 20, no. 3, 1991.

———. «Film (Adaptation) as Translation: Some Methodological Proposals.» *Target* (Amsterdam): Vol. 4, no. 1, 1992.

Chomsky, Noam. «Quine's Empirical Assumptions.» *Synthese*: Vol. 9, nos. 1-2, December 1968.

Crick, Joyce. «Misreading Freud.» *Times Higher Education Supplement* (London): 15 September 1989.

D'Hulst, Lieven. «The Conflict of Translation Models in France (End of 18th-Beginning of 19th Century).» *Dispositio: The Art and Science of Translation*: Vol. 7, nos. 19-21, 1982.

Dagut, Menachim B. «Can 'Metaphor' Be Translated?.» *Babel* (Frankfurt): Vol. 22, no. 1, 1976.

Delabastita, Dirk. «Translation and Mass Communication: Film and TV Translation as Evidence of Cultural Dynamics.» *Preprint*: No. 10, 1988.

Derrida, Jacques. «Sending: On Representation.» Trans. Peter and Mary Ann Caws. *Social Research*: Vol. 49, no. 2, Summer 1982.

———. «Signature Event Context.» *Glyph* (Baltimore): No. 1, 1977.

Elston, Angela. «The Golden Crane Anthology of Translation.» *Modern Poetry in Translation* (London): No. 39, Spring 1980.

Even-Zohar, Itamar. «Interference in Dependent Literary Polysystems.» *Poetics Today: Polysystem Studies*: Vol. 11, no. 1, Spring 1990.

———. «Translation Theory Today: A Call for Transfer Theory.» *Poetics Today: Translation Theory and Intercultural Relations* (Tel Aviv): Vol. 2, no. 4, Summer - Autumn 1981.

Frank, Armin Paul. «'Translation as System' and Übersetzungskultur: On Histories and Systems in the Study of Literary Translation.» *New* Comparison (Coventry): No. 8, Autumn 1989.

Gorlée, Dinda L. «Wittgenstein, Translation, and Semiotics.»

*Target* (Amsterdam): Vol. 1, no. 1, 1989.
Harris, Zellig S. «Review of Louis H. Gray.» *Language* (Washington): Vol. 16, no. 3, 1940.
Holmes, James S. «On Matching and Making Maps: From a Translator's Notebook.» *Delta* (São Paulo): Vol. 16, no. 4, 1973-1974.
Jacobs, Carol. «The Monstrosity of Translation.» *Modern Language Notes (MLN)* (Baltimore): Vol. 90, no. 6, December 1975.
Kade, Otto. «Ist alles übersetzbar.» *Fremdsprachen*: No. 4, 1964.
Keeley, Edmund. «The State of Translation.» *Modern Poetry in Translation* (London): Nos. 41-42, 1981.
Kloepfer, Rolf. «Intra- and Intercultural Translation.» *Poetics Today: Translation Theory and Intercultural Relations*: Vol. 2, no. 4, Summer - Autumn 1981.
Kristeva, Julia. «Mémoire.» *Infini* (Paris): No. 1, hiver 1983.
Kundera, Milan. «Key Words, Problem Words, Words I Love.» *New York Times*: 6/3/1988.
Lakoff, Robin. «Language in Context.» *Language* (Washington): Vol. 48, No. 4, 1972.
Lambert, José. «How Emile Deschamps Translated Shakespeare's Macbeth, or Theatre System and Translational System in French Literature (1800-1850).» *Dispositio: The Art and Science of Translation*: Vol. 7, nos. 19-21, 1982.
———. «Les Relations littéraires internationales comme problème de réception.» *Oeuvres and Critiques* (Paris): Vol. 11, no. 2, 1986.
———. «La Traduction, les langues et la communication de masse: Les Ambiguïtés du discours international.» *Target* (Amsterdam): Vol. 1, no. 2, 1989.
———. «Translation, Systems and Research: The Contribution of Polysystem Studies to Translation Studies.» *TTR* (Montréal): Vol. 8, no. 1, 1995.
Lefevere, André. «'Beyond Interpretation' or The Business of Rewriting.» *Comparative Literature Studies*: Vol. 24, no. 1, 1987.
———. «Literary Theory and Translated Literature.» *Dispositio: The Art and Science of Translation*: Vol. 7, nos. 19-21, 1982.
———. «Mother Courage's Cucumbers: Text, System, and

Refraction in a Theory of Literature.» *Modern Language Studies* (Kington, RI): Vol. 12, no. 4, Fall 1982.

———. «Programmatic Second Thoughts on 'Literary' and 'Translation'.» *Poetics Today: Translation Theory and Intercultural Relations* (Tel Aviv): Vol. 2, no. 4, Summer - Autumn 1981.

———. «Translated Literature: Towards an Integrated Theory.» *Bulletin* (Iowa City): Vol. 14, no. 1, Spring 1981.

———. «What Kind of a Science Should Comparative Literature Be?.» *Disposition*: Vol. 4, 1979.

Leuven-Zwart, Kitty M. van. «Translation and Original: Similarities and Dissimilarities, I.» *Target* (Amsterdam): Vol. 1, no. 2, 1989.

Leuven-Zwart, Kitty M. van. «Translation and Original: Similarities and Dissimilarities, II.» *Target*: Vol. 2, no. 1, 1990.

Lloyd, David. «Translator as Refractor: Towards a Re-Reading of James Clarence Mangan as Translator.» *Dispositio: The Art and Science of Translation*: Vol. 7, nos. 19-21, 1982.

McFarlane, James. «Modes of Translation.» *Durham University Journal*: Vol. 45, no. 3, June 1953.

Nida, Eugene Albert. «Science of Translation.» *Language* (Washington): Vol. 45, no. 3, September 1969.

Popovič, Anton. «Aspects of Metatext.» *Canadian Review of Comparative Literature = Revue canadienne de littérature comparée* (Toronto): Vol. 3, no. 3, 1976.

Pound, Ezra. «How I Began.» *T. P.'s Weekly* (London): 6 June 1913.

———. «Vortex.» *BLAST*: 20 June 1914.

———. «I Gather the Limbs of Osiris.» *New Age*: No. 10, November 1911- February 1912.

*Pound Newsletter*: No. 5, 1919.

Quine, Willard van Orman. «Replies.» *Synthese* (Dordrecht): Vol. 19, nos. 1-2, December 1968.

———. «Two Dogmas of Empiricism.» *Philosophical Review* (Ithaca): Vol. 60, no. 1, January 1951.

Ria Vanderauwera. «Review: Gideon Toury, *In Search of a Theory of Translation*.» *Dispositio: The Art and Science of Translation*: Vol. 7, nos. 19-21, 1982.

Rosch, Eleanor H. «Natural Categories.» *Cognitive Psychology* (San Diego): Vol. 4, no. 3, May 1973.

Rose, Marilyn Gaddis. «Translation and *Le différend*.» *Meta* (Montréal): Vol. 35, no. 1, 1990.

Schulte, Rainer. «Poet as Translator: Correspondences and Renewal.» *Translation Review* (Richardson, Tex.): No. 26, 1988.

———. «Translation Theory: A Challenge for the Future.» *Translation Review* (Richardson, Tex.): No. 23, 1987.

Shavit, Zohar. «Translation of Children's Literature as a Function of Its Position in the Literary Polysystem.» *Poetics Today: Translation Theory and Intercultural Relations*: Vol. 2, no. 4, Summer - Autumn 1981.

Toury, Gideon. «A Rational for Descriptive Translation Studies.» *Dispositio: The Art and Science of Translation*: Vol. 7, nos. 19-21, 1982.

———. «Translated Literature - System, Norm, Performance: Toward a TT-Oriented Approach to Literary Translation.» *Poetics Today: Translation Theory and Intercultural Relations*: Vol. 2, no. 4, Summer - Autumn 1981.

Tymoczko, Maria. «The Metonymics of Translating Marginalized Texts.» *Comparative Literature* (Eugene): Vol. 47, no. 1, Winter 1995.

———. «Strategies for Integrating Irish Epic into European Literature.» *Dispositio: The Art and Science of Translation*: Vol. 7, nos. 19-21, 1982.

———. «Translation as a Force for Literary Revolution in the Twelfth-Century Shift from Epic to Romance.» *New Comparison* (Coventry): No. 1, Summer 1986.

Verhaar, John W. M. «*Speaking and Meaning: The Phenomenology of Language* by James M. Edie.» *Language* (Washington): Vol. 56, no. 1, March 1980.

Walker, A. K., A. Kruger and I. C. Andrews. «Translation as Transformation: A Process of Linguistic and Cultural Adaptation.» *South African Journal of Linguistics* (Bloemfontein, South Africa): Supplement 26, 1995.

Wilss, Wolfram. «Towards a Multi-Facet Concept of Translation Behavior.» *Target*: Vol. 1, no. 2, 1989.

———. «Was ist fertigkeitsorientiertes Übersetzen?.» *Lebende Sprachen* (Berlin): [n. d.]

Yahalom, Shelly. «Le Système littéraire en état de crise: Contacts inter-sytémiques et comportement traductionnel.» *Poetics Today: Translation Theory and Intercultural Relations*: Vol. 2, no. 4, Summer - Autumn 1981.

Zdanys, Jonas. «Teaching Translation: Some Notes Toward a Course Structure.» *Translation Review* (Richardson, Tex.): No. 23, 1987.

## Thesis

Vieira, Else Ribeiro Pires. «Por uma teoria pós-moderna da tradução.» (Tese de Doutorado em Letras - Literatura Comparada, Faculdade de Letras, Universidade Federal de Minas Gerais, Belo Horizonte, 1992)

## Conference

*Connections: Proceedings of the 36th Annual Conference of the American Translators Association*. Edited by Peter W. Krawutschke. Medford, NJ: Information Today, 1995.

*Die Literarische Übersetzung. Stand und Perspektiven ihrer Erforschung*. Herausgegeben von Harald Kittel; mit einer Einleitung von Armin Paul Frank. Berlin: E. Schmidt, 1988. (Gottinger Beiträge zur internationalen Übersetzungsforschung; Bd. 2)

*Die Theorie des Übersetzens und ihr Aufschlusswert für die Übersetzungs- und Dolmetschdidaktik: Akten des Internationalen Kolloquiums der Association internationale de linguistique appliquée (AILA), Saarbrucken, 25-30 Juli 1983 = Translation Theory and its Implementation in the Teaching of Translating and Interpreting*. Herausgegeben von Wolfram Wilss e Gisela Thome. Tübingen: G. Narr, 1984. (Tubinger Beitrage zur Linguistik; 247)

*Europe and its Others: Proceedings of the Essex Conference on the Sociology of Literature, July 1984*. Edited by Francis Barker [et al.]. Colchester: University of Essex, 1985. 2 vols.

*The Force of Vision: 13th Congress: Papers*. Tokyo: University of Tokyo Press, 1994. 6 vols.

Vol. 4: *Translation and Modernization*. Edited by Theresa Hyun and José Lambert.

*Historical Studies and Literary Criticism*. Edited, with an Introduction by Jerome J. McGann. Madison, Wis.: University of Wisconsin Press, 1985.

*Keystones of Communication: Proceedings of the 34th Annual Conference of the American Translators Association*. Edited by Edith F Losa. Medford, NJ: Learned Information Inc., 1993.

*Literature and Translation: New Perspectives in Literary Studies: With a Basic Bibliography of Books on Translation Studies*. Edited by James S. Holmes, José Lambert and Raymond van den Broeck. Leuven: Acco, 1978.

*The Nature of Translation. Essays on the Theory and Practice of Literary Translation*. Edited by James S. Holmes; Associate Editors Frans de Haan and Anton Popovic. The Hague: Mouton, 1970. (Approaches to Translation Studies; v. 1)

*Neue Beitrage Zu Grundfragen Der Übersetzungswissenschaft Materialien D. II. Internat. Konferenz Grundfragen D. Übersetzungswiss. an D. Sekt. Theoret. U. Angewandte Sprachwiss. D. Karl-Marx-Univ. Leipzig Vom 14.-17. Sept 1970*. Hrsg. Walter Graul [et al.]. Leipzig: Verlag Enzyklopädie, 1973. (Beihefte zur Zeitschrift Fremdsprachen; 5-6)

*Os estudios literarios (entre) ciencia e hermeneutica. Actas do I. Congresso da APLC*. Lisboa: Associaçao Portuguesa da Literatura Comparada, 1989.

*Proceedings of the XIIth Congress of the International Comparative Literature Association, München 1988 = Actes du XIIe Congrès de l'Association internationale de littérature comparée, 1988 Munich*. General Editors Roger Bauer and Douwe Fokkema; Assistant-Editor Michael de Graat. München: Ludicium Verlag, 1990. 5 vols.

*Semantik und Ubersetzungswissenschaft: Materialien der III. Internationalen Konferenz «Grundfragen der Ubersetzungswissenschaft»*. Herausgegeben von Gert Jäger und Albrecht Neubert; Redaktion, Dietrich Muller. Leipzig: Verlag Enzyklopädie, 1983. (Übersetzungswissenschaftliche Beiträge; 6)

*Theory and Practice of Translation: Nobel Symposium 39, Stockholm, September 6-10, 1976*. Edited by Lillebill Grahs, Gustav Korlén

and Bertil Malmberg. Bern; Las Vegas: P. Lang, 1978.

*Translation and Multilingualism: Post Colonial Context*. Edited by Shantha Ramakrishna. Delhi: Pencraft International, 1997.

*Translation Studies: An Interdiscipline*. Edited by Mary Snell-Hornby, Franz Pöchhacker and Klaus Kaindl. Amsterdam; Philadelphia: J. Benjamins, 1994. (Benjamins Translation Library; v. 2)

*Transvases culturales: Literatura, cine, traducción*. Edited by Federico Eguíluz [et al.]. Vitoria: Universidad del País Vasco, Facultad de Filología, Departamento de Filología Inglesa y Alemana, 1994.

*Übersetzen, verstehen, Brücken bauen: Geisteswissenschaftliches und literarisches Übersetzen im internationalen Kulturaustausch*. Herausgegeben von Armin Paul Frank [et al.]; mit einer Einleitung von Horst Turk. Berlin: E. Schmidt, 1993. 2 vols. (Göttinger Beiträge zur internationalen Übersetzungsforschung; 8)

*Übersetzen; Vorträge und Beiträge vom Internationalen Kongress literarischer Übersetzer in Hamburg, 1965*. Herausgegeben von Rolf Italiaander. Frankfurt am Main: Athenäum Verlag, 1965. (Athenäum Paperback)

*Umberto Eco, Claudio Magris autori e traduttori a confronto: Convegno: Papers*. Edited by Ljiljana Avirovic and John Dodds. Udine, Italy: Campanotto Editore, 1993. (Zeta Universita - Trieste-; 52)

*Writing Culture: The Poetics and Politics of Ethnography: A School of American Research Advanced Seminar*. Edited by James Clifford and George E. Marcus. Berkeley: University of California Press, 1986.

*X. Weltkongress der FIT: Kongressakte: Der Ubersetzer und seine Stellung in der Offentlichkeit = Xth World Congress of FIT: Proceedings: Translators and their Position in Society*. Edited by Hildegund Bühler. Wien: W. Braumuller, 1985.

## *Document*

D'Hulst, Lieven and Katrin van Bragt. «Littérature et traduction en France, 1800-1850: Etat des travaux.» (Preprint, University of Leuven, Departement of General Literary Studies, Leuven, 1979).

# الفهرس

## ـ ب ـ

- ت -

## ـ ث ـ



## ـ ج ـ



## ـ ح ـ

## - ز -



## - س -

## ـ غ ـ



## ـ ف ـ

## ـ ق ـ

## ـ ك ـ



## ـ ل ـ

## ـ م ـ

## ـ ن ـ

ـ هـ ـ

## ـ و ـ





**آخر ما صدر عن**

**المنظمة العربية للترجمة**

**بيروت ـ لبنان**

**توزيع مركز دراسات الوحدة العربيّة**

| | |
|---|---|
| **مقالات في الفردانية** | تأليف : لويس دومون<br>ترجمة : بدر الدين عرودكي |
| **مقالة في الميتافيزيقا** | تأليف : لايبنتز<br>ترجمة : الطاهر بن قيزة |
| **في سبيل منطق للمعنى** | تأليف : روبير مارتان<br>ترجمة : الطيب البكوش وصالح الماجري |
| **عصر الثورة** | تأليف : إريك هوبْزْباوْم<br>ترجمة : فايز الصُيّاغ |
| **الله والإنسان في القرآن** | تأليف : توشيهيكو إيزوتسو<br>ترجمة : هلال محمد الجهاد |
| **مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية** | تأليف : دنيس كوش<br>ترجمة : منير السعيداني |
| **تحقيقات فلسفية** | تأليف : لودفيك فِتغنشتاين<br>ترجمة : عبد الرزّاق بنّور |
| **دراسات في تاريخ العلوم وفلسفتها** | تأليف : جورج كانغيلام<br>ترجمة : محمد بن ساسي |